

النفحة المسكية في الرحلة المكية

لعبد الله بن حسين السويدي البغدادي (ت 1174 هـ)

تحقيق

د. عماد عبد السلام رؤوف

910,3
س و ن ف
السويدي، أبو البركات عبد الله بن حسين، 1104-1174هـ.
النفحة المسكية في الرحلة المكية / تأليف عبد الله بن حسين السويدي البغدادي؛ تحقيق عماد عبد السلام رؤوف .-أبوظبي: المجمع الثقافي، 2003
357 ص
1 - معاجم البلدان.
2 - بلاد الشام - وصف ورحلات.
3 - الحجاز - وصف ورحلات.
أ- عماد عبد السلام رؤوف، محقق.
ب- العنوان.

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380- هاتف: 6215300
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

النفحة المسكية في
الرحلة المكية

المؤلف وكتابه

الفصل الأول

سيرته

أسرته:

منذ عهود غابرة لا يعلم مبتدأها، نشأت على كهف ذي صخور وحجارة في ضفة دجلة اليسرى، قرية صغيرة عرفت بالدور، وسرعان ما زَهَتْ هذه القرية وازدهرت بمن سكنها من قبائل العرب، حتى عرفت بدور عربايي، أو دور العَرَب، تمييزاً لها عن قرى أخرى كانت تحمل اسم الدور أيضاً.[١] وشهدت البلدة ذروة عزها في الحقبة التي انتقلت فيها الخلافة العباسية إلى سُرّ من رأي، حيث لم تبعد هذه الحاضرة الفخمة عنها غير ثلاثين كيلومتراً أو أقل، وبنمو سُرّ من رأى واتساعها الهائل، أضحت (الدور) معدودة ضمن ضواحيها، وكثيراً ما ورد اسمها، في أخبارالقرن الثالث الهجري (٩م) بوصفها جزءاً من معالم الحاضرة نفسها[٢] وعرفت يومذاك بـ(دور سُرَّ من رأى).

ونبغ فيها، في القرون التالية، عدد من أهل العلم والحديث، الذين لقوا من أهلها العناية والرعاية،واسترعى وجود هذه الحركة العلمية فيها اهتمام بعض أمراء الدولة، فأنشأ أحدهم مدرسة علمية فخمة ومسجداً عند ضريح الإمام محمد الدوري، الذي يظن أنه محمد بن موسى بن جعفر «وكان شيخاً ظريفاً يتعاهد الصوفية وأصحاب الحديث» وتوفي بعد سنة ٣٠٠ بقليل.[٣] وماتزال بقايا هذه المدرسة العلمية موجودة حتى اليوم، تذكّر الناس بما كان

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ج٢ ص ٤٨٠ (دار صادر) والخطيب: تاريخ بغداد ج٣ ص ١٦٧ .

(٢) انظرمثلاً الطبري: تاريخ الرسل والملوك (دار المعارف بمصر) ج٩ ص ٢٨٠، ٢٤٦، ٣٨٣، ٢٦٩، ٣٧٩، ٣٨٩، ٤٠٢، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥٩، ٤٦٢ .

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد ج٣ ص ١٦٧ .

للبلدة من شأن علمي خطير في تلك العهود.[1] ولم تعدم البلدة، حتى في عهود التأخر التي رانت على البلاد، تميزها برعاية الحركة العلمية، فوردت إشارات مهمة إلى وجود «جوامع قديمة» و«معاهد علمية»[2] فيها، حتى عرفها بعضهم «بقرية العلماء».[3]

إلاّ أن ظروفاً متنوعة قاسية أدَّت إلى أن تفقد البلدة رونقها وعزّها، فأخذ بعض أسرها بالنزوح عنها إلى بغداد. ويذكر عبدالرحمن حلمي، وهو مؤرخ بغدادي دوري الأصل، إن من تلك الظروف «تحول النهر عنها، وبقاء أراضيهم لا يصعدها الماء غير صالحة للزرع والحراثة». كمايذكر أنّ ما دعا أهلها إلى هجرها «ما لحقها أيضاً من مظالم الحكام» فضلاً عن غارات العشائر عليها وعلى ما يليها، إلى حد أنه «لم تبق حرفة لُمحترف»[4]، ولا يُحدِّد هذا المؤرخ، الذي وضع تاريخه في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) زمن حدوث تلك الهجرة، ومن الراجح عندنا أنها بدأت بالحدوث منذ أوائل القرن التاسع الهجري (١٥م) واستمرت حتى القرن الثاني عشر (١٨م). ويفهم مما ذكره الرحّالة الفرنسي تافرنييه الذي مرّ بالبلدة في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، أنها لم تكن في أيامه إلا «مزاراً» يؤمه الناس لزيارة ضريح دفينها الإمام محمد الدوري من أجل الدعاء والنذور».[5]

---

(١) كشف عن أسس هذه المدرسة في أثناء أعمال الصيانة للضريح. انظر مخططها في عطا الحديثي وهناء عبدالخالق: القباب المخروطية في العراق (بغداد ١٩٧٤) ص ٢٣.

(٢) عبدالرحمن حلمي العباسي السهرودي: كتاب في تاريخ بغداد حققناه ونشرناه بعنوان« تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة (بغداد ١٩٩٧) ص ٨٧.

(٣) مجلة لغة العرب ع ١٢ (السنة ١٩١٢:١) ص ٤٧٠

(٤) عبدالرحمن حلمي: المصدرالسابق ص ٨٧.

(٥) العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنييه، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٤٩) ص ٧٤

وفي بغداد اختار الدوريون النازحون إليها الإقامة في أقصى جانبها الغربي، بين علاوي الحلة وسوق العجمي[1] مؤلفين هناك محلة صغيرة نسبت إليهم[2] وتدريجياً، أمست هذه المحلة موئلاً لكلِّ أسرة دورية آثرت أن تقيم في بغداد على مدى القرون الثلاثة الأخيرة.

وكانت من الأسر العريقة في بلدة الدور، أسرة نبيلة تنتمي إلى السلالة العباسية، ولذا فقد اشتهرت بآل الخليفة[3] ثم عرفت بآل مدلل، نسبة إلى جد لها يدعى محمد بن الحسين، ويعرف بالمدلل، وهو لقب يدل على ما كانت عليه الأسرة في أيامه من عزّ وتقدير. وعلى الرغم من عدم معرفتنا بتاريخ الأسرة في هذه الحقبة إلا أنَّنا نرجح أن يكون محمد المُدلَّل هذا قد عاش في أواخر القرن الثامن الهجري (١٤م)، ولا نعلم ما إذا كان هو أول من أقام في (الدور) أم أن أسرته كانت موجودة فيها منذ عهد سابق وأن تلقب الأسرة كلها – فيما بعد – بلقبه (المُدلَّل) وربما رجَح الرأي الأول، والله أعلم.

وعلى أية حال، فقد أنجب محمد ولداً سماه أحمد أو حمد. وأنجب الأخير ولداً دعاه علي، على اسم أبي جده، وكان لعلي ولد سماه حسيناً، على اسم أبي جده أيضاً، ويظهر أنه عاش في النصف الأول من القرن العاشر الهجري (١٦م)، وولد لحسين ولدُ دعاه بناصر الدين،[4] ولأمر ما، ربما اتصل بما ذكرناه من تدني الأحوال المعيشية والزمنية في (الدور)، غادر ناصر الدين هذا موطن آبائه وأجداده في أواخر القرن المذكور، مُيمماً شطر مدينة

---

(١) انظر عن موقع هذه المحلة، أحمد سوسة: أطلس بغداد (بغداد ١٩٥٤) ص ٢٠

(٢) وقد دخل معظم هذه المحلة اليوم في أرض شارع حيفا الجديد بما يحف به من عمائر حديثة.

(٣) شجرة آل السويدي (مخطوطة لدى المؤلف).

(٤) اعتمدنا في هذه المعلومات النسبية على ملاحظات مدونة على شجرة السويديين الخطية المحفوظة نسختها المصورة لدينا، وتبتدىء هذه الشجرة بعبد الله السويدي فمن الطبيعي الا تذكرالأولاد الآخرين لآبائه وأجداده، وهم الذين ظلوا في الدور ولم ينزلوا بغداد مثله. وقد عد افراد هذه الأسرة، او العشيرة، في أوائل القرن العشرين بـ(٦٠) رجلاً، يتولى زعامتهم عبدالله الرشيد. انظر مجلة لغة العرب ١٢ (١ [بغداد ١٩١٢]) ص ٤٧١

السلام بغداد. وكان أول ما فعله فيها، أن وثّق لدى نقيب أشرافها نسب أسرته، فكان على النحو الآتي:

ناصر الدين بن الحسين بن علي بن حمد بن محمد المدلل بن الحسين بن علي بن عبدالله ابن الحسين بن علي أبي بكر بن الفضل بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحق ابن جعفر بن أحمد بن الموفق طلحة بن جعفر بن محمد بن الرشيد بن محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي.(١)

وقد صادق النقيب والقاضي والمفتي وسائر العلماء على صحة هذا النسب ووضعوا تواقيعهم عليه، وبذلك أيضاً وضعوا بداية مرحلة جديدة لتاريخ هذه الأسرة.

أقام ناصر الدين هذا في الكرخ ببغداد، مما دل على وجود محلة الدوريين في هذا الجانب منذ ذلك الحين على الأقل، ووُلِدَ له فيها ولد ذكر سماه مَرعي، فولد لهذا بدوره حسين، وقد عرف الأخير بـ(الملا) مما دل على أنه كان يعمل بمهنة تعليمية دينية، ويظهر أنه حاز، وراثة أو اكتساباً، ثروة لا بأس بها، لكنه أنفقها كلها على مستلزمات مركزه الاجتماعي بوصفه رئيس عشيرته ومقدمها. يقول عبدالله السويدي «أما أبي حسين فكان من الأخيار الأجواد، ذا عقل رصين وشجاعة وبراعة، كبير قومه وعشيرته، يرجع أمرهم إليه.. وكان ذا مال غزير صرفه كله على الفقراء والضيوف والضعاف حتى افتقر آخر عمره، فكان يبيع من متاع البيت ويصرفه على الفقراء والضِعاف حتى مات مديناً».(٢)

---

(١) ذكركاظم الدجيلي أنه رأى نسخة هذاالنسب الاصلية عند يوسف أفندي السويدي وتاريخ كتابتها يرتقي إلى سنة ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧م وهي موقعة بتواقيع جماعةمن العلماء المشهورين في عصرهم، منهم الشيخ عبدالرحمن الرحبي مفتي الشافعية في بغداد، ومنهم محمد السعيد القادري (نقيب الأشراف) المولى الحكم (أي القاضي) ببغداد محمد رشيد والشيخ علاء الدين الموصلي والشيخ عبدالله الناصري، وغيرهم. مجلة لغة العرب (١٩١٢) ص ٢١٩

(٢) النفحة المسكية في الرحلة المكية. الورقة ٣ (نسخة المتحف البريطاني المرقمة ٢٣٣٨٥) وسنعتمد هذه النسخة في جميع الإحالات المقبلة.

وتزوج حسين من امرأة من أسرة علمية أيضاً، كانت تتولى المشيخة والخدمة في جامع الشيخ معروف الكرخي، القريب من محلة الدوريين، وقد اشتهر منهم الملاّ أحمد بن سويد أخو زوجته المذكورة، الذي كان يتولى أوقاف جامع الشيخ معروف الكرخي.

طفولته وصباه:

وفي إحدى ليالي سنة ١١٠٤ هـ / ١٦٩٢م، ولد للمُلاّ حسين طفل ذكر سموه مرتضى، وكانت تسميته هذه بسبب وفاة وليد سابق عليه، وما لبث شبح الموت أن داهم مرتضى أيضاً، فمرض وهو ما زال رضيعاً بعد، واشتد مرضه حتى بات «عظاماً في جراب»،[١] وصادف أن رأته إحدى نساء الجيران وهو على تلك الحال، فشبهته ببعض من تعرفه من مجاوريهم، وكان نحيفاً في غاية النحافة، يدعى (عبدالله) فلم يكن إلا أن ذاع هذا التشبيه، ولأمر اختاره الله، عرف الطفل بهذا الاسم، ونسي اسمه السابق مرتضى، وسرعان ما اقتنعت الأسرة بمزايا الاسم الجديد «وذلك لأن الله تعالى خاطب نبيه (صلى الله عليه وسلم) في أشرف المقامات بالعبد فقال في مقام الوحي، ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى...﴾.[٢]

ولم يلبث الطفل أن رُزِيء – وهو مايزالُ في الخامسة من عمره – بوفاة أبيه، تاركاً وراءه أطفاله الصغار، عبدالله ومرعي وموسى، وحليمة، وديوناً لم يكن قد وفّاها لأصحابها، فاضطرت الأم إلى أن تعيل أسرتها وحدها، متحملة من المشاق أشدها، وكانت تنفق عليهم من بيع ما تقوم بغزله من قطن، ولم يكن ما تحصل عليه بكاف لسد حاجات الصغار الذي باتوا – على ما يذكر السويدي – «لحما على وضم، لاحال ولا مال». وشاء سوء حظ الأسرة، أن يكون الخال أحمد بن سويد الصوفي، غائباً آنذاك في رحلة له إلى

(١) المصدر نفسه، الورقة ٢

(٢) المصدر نفسه، الورقة ٢

القسطنطينية، فقضت – من ثم – أياماً عصيبة – وربما شهوراً – حتى عاد الخال من رحلته، ليجد أولاد أخته وهم «على آخر رمق»[1] فكفلهم وربّاهم وتعهدهم برعايته.

ولأنه كان مثقفاً بحسب ثقافة ذلك العصر، ويعمل في إدارة أحد المرافق الدينية المهمة في المدينة، ويكسب رزقه من أوقافه، فإنّهُ أدرك ألا سبيل لأن يفوز من يرعاهم بتقدير المجتمع، وأن يضمنوا – بذلك – مستقبلهم، إلا بالاتجاه إلى طلب العلم، ومن هنا فقد أرسلهم إلى الكُتّاب، حيث تلقوا – وعبدالله بينهم – مبادىء العلوم الدينية على يد الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ محمود من أهل ما وراء النهر، فختموا عنده القرآن الكريم، وتلقوا عليه رسالة في التجويد، وتعلموا الكتابة.

ويتضح لنا مدى الأثر الذي تركه هذا الشيخ على الطفل عبدالله، مما أغدقه عليه من صفات، وما استنزله عليه من رحمات، إذ قال «شيخنا الصالح الناسك الورع التقي العالم.. رحمه الله رحمة واسعة في الدين والدنيا».

وبعد الفراغ من تلقي مبادىء المعرفة، انتقلوا – وعبدالله بينهم – إلى المرحلة التالية، فشرعوا بتعلم الخط، على قواعده، وأصوله وفنونه، وثابر عبدالله على إتقان ضروبه، والتمهُر فيه، على الرغم من ضيق وأحوال أسرته المادية آنذاك، يقول «إلى أن بقيت أسَوِّد مشقي على ضوء القمر» وما ذاك إلا لأنه عدم ضوء المصباح، ولعدم قدرته على دفع ثمن وقوده، ويظهر أن الظروف المعيشية للأسرة، هي التي دفعتها، في هذه المرحلة، إلى الاكتفاء بما نهله أبناؤها من أسباب المعرفة، فاشتغلوا بأعمال تزيد من دخل الأسرة وتخفف عن كاهل الأم وأخيها مؤونة الحياة وأعباءها.

متاعب الدرس:

بيد أن رغبة عبدالله في مواصلة التعليم لم تكن اعتيادية، فقد ذاق حلاوة المعرفة،

---

(١) المصدر نفسه الورقة ٤

وأعجب بما تضفيه على رجالها من هيبة وسكينة، وتاقت نفسه إلى الاستزادة من علومهم، ولكن رغبته هذه لم تكن تلقى آذاناً صاغية من أمه، التي كانت ترجو أن يتولى – بوصفه أكبر أبنائها – دوره في إعالة الأسرة. ويظهر أن أكثر من مشادة قد حدثت بين الابن الطموح والأم المحدودة الأفق حول جدوى العلم والتعلم، وقد سجل هو لنا بعض ما كان يدور بينهما فقال «وكانت والدتي – رحمها الله تعالى – بلهاء، وكان نساء المحلة يضحكن عليها، يقلن لها: ايش ينفعك العلم وأنت امرأة أرملة وابنك الكبير لا يساعدك في شيء فكانت رحمها الله تقول: يا ولدي نحن فقراء وأنتم أيتام، هَب أن عمَّك يطعمك فمن يكسوك؟ وأنا لا أصغي لها حتى الحّت عليّ في ذلك وقطعت كسوتها عني، كل هذا نشأ عن بلهها، وإغواء نساء الجيران إياها، وإلا فهي في حد ذاتها مباركة رحمة الله عليها».[١] وهكذا تحولت أيام الطلب إلى أيام معاناة وألم وصبر، بحيث لم يجد مايشتري به شمعاً أو شيرجاً لمطالعة دروسه، فكان يطالعها على ضوء القمر، أو على سرج السوق، وبقي – كما يقول – مدة مديدة ماأكل فيها لحماً، وكان يلبس الثوب فلا يخلعه حتى يتمزق لعدم حصوله على الصابون، ويطول شعر رأسه فلايجد مايحلقه به، يقول ملخِّصاً تلك المدة العصيبة من حياته «والحاصل أني وجدت أيام الطلب من المشاق والجوع والسهر والعري والإفلاس ما لا طاقة به لولا إسعاف الله ولطفه، وكنت مع هذه المشاق أجد للطلب لذة عظيمة». ووجد عبدالله في خاله ما يعوضه عن موقف أمه غير المتفهم، فقد شجعه هذا على المضي في سبيل العلم، ومواصلة الأخذ عن الشيوخ، فبعد أن أنهى دراسته في كتَّاب الشيخ عبدالرحمن، وأتقن الخط، أرسله خاله إلى عالم الكرخ يومذاك «الشيخ العالم النحرير والجهبذ الشهير، تذكرة السلف، وعمدة الخلف، زين الملة والدين، الشيخ حسين نوح الحديثي الحنفي[٢]» وكان هذا العالم يتولى التدريس في المدرسة العمرية التي أنشأها له

---

(١) المصدر نفسه الورقة ٥

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

خصيصاً والي بغداد عمر باشا ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩م، وتقع على كتف دجلة في الجانب الغربي شرقي جامع القمرية ملاصقة له،[١] فانتظم الشاب عبدالله في سلك طلبة المدرسة، وربما استعان ببعض مخصصاتها على مواصلة التفرغ للعلم، وساعده ذلك التفرغ،مع ما أوتي من مواهب، على النبوغ في دراسته والتفوق على الأقران، وامتثالاً لتعليمات شيخه، فقد حفظ الأجرومية مَتْناً مع إعراب أمثلتها وأتقنها غاية الإتقان، وبات موضع اعتزاز شيخه وثنائه، وشجّعه ما حصل عليه من تقدير على الانتقال إلى شيوخ آخرين، يأخذ عنهم ويستفيد منهم، فتنقل بين مدارس بغداد الشهيرة يومذاك، ويبدو أنه ترك، في هذه المرحلة من حياته، الإقامة في بيت أمه نهائياً، وأمسى يبيت في المدرسة المرجانية في الجانب الشرقي من بغداد، وهي أكبر مدارس بغداد وأكثرها أهمية، ثم ما لبث أن انتقل للإقامة والدرس في المدرسة الأحسائية على شاطىء دجلة في الجانب الشرقي أيضاً، وكانت هذه المدرسة تحتوي على غُرف بعضها مُطل على النهر، وبعضها في الجهة الشمالية، وهي تُعد مجمع الزُّهاد والمتقشفين.[٢]

تاقت نفس عبدالله الكبيرة إلى الاستزادة من علوم عصره، ومواصلة رحلة الدرس والبحث، ويبدو أنه أدرك أن لا مزيد هناك إن هو أقام في بغداد وحدها، فما فيها من شيخ

(١) وقد عرفت هذه المدرسة باحتوائها على خزانة عامرة بالكتب، ووصفها السيد محمود شكري الآلوسي بقوله «وكانت في هذه المدرسة حديقة مشتبكة الاغصان، وخزانة كتب يعجز عن وصفها لسان التحرير، وهي اليوم خراب، لا مدرس ولا طلاب ولا تقرير ولا كتاب» (مساجد بغداد وآثارها، بغداد ١٩٢٥، ص ١٣٥) وقد جددت هذه المدرسة سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١ م، على يد (الحاج عبدالقادر البحرية) كما نطقت بذلك الكتابة القاشانية البديعة التي كانت مثبتة في مدخلها، وجعلتها وزارة الأوقاف مدرسة أولية للصغار الناشئين، إلا أنها أزيلت تماماً عند تجديد جامع قمرية الأخير سنة ١٩٧١ - ١٩٧٢م.

(٢) وهي التي اقام فيها، فيما بعد، الشيخ خالد النقشبندي، مجدد الطريقة النقشبندية في العراق، فقام والي بغداد سعيد باشا بتجديدها وتحويلها إلى تكية نقشبندية سنة ١٢٣١هـ، باسم التكية الخالدية، ولما تزل قائمة حتى يومنا هذا. انظر الآلوسي، محمود شكري: مساجد بغداد وآثارها ص ٢٦ -٢٧

وعالم إلاّ والتقى به وأخذ عنه، فضلاً عن أن ثمة علوماً لم يجد بين البغداديين في أيامه، من تخصص بها أصلاً، وهكذا فقد استجمع أمره على الرحلة إلى الموصل لمواصلة دراسته على علمائها، كان عمره إذ ذاك قد تجاوز الثالثة والعشرين.

وفي سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٦م سافر عبدالله إلى مدينة الموصل بهدف «تحصيل علم الحكمة والهيئة»، ولكنه، ما إن وصلها، والتقى بشيوخها، حتى أخذ بإكمال سائر مادرسه من علوم أخرى وهو في بغداد، مثل النحو وعلوم العربية، والعلوم الشرعية والعقلية، كما درس الهيئة (الفلك) وتلقى الحديث الشريف على المشايخ، وقراءة القرآن وتجويده. ولم تكن أحوال الشيخ في الموصل بأفضل مما كانت عليه في بغداد، فقد داهَمَه الجوع والبرد، وإلفَه الفقر، ولم يكن له في الموصل من مُعين، والظاهر لنا أنه كان يتقوت من مخصصات بعض المدارس هناك، وربما أقام فيها، يقول واصفاً تلك المرحلة من حياته «والحاصل أني نلت في طلب العلم نهاية التعب وغاية النصب مع عدم المساعدة والمعين والناصر والظهير حتى حصلت على أكثر الفنون من سائر العلوم»[1] وقد استغرقت إقامته في الموصل ثلاثة عشر شهراً، فتكون عودته إلى بغداد بين عامي ١١٢٨ و١١٢٩ هـ/ ١٧١٧ - ١٧١٨م.

استقراره الاجتماعي:

عاد عبدالله إلى بغداد وقد حصل من العلم ما لم ينله غيره من معاصريه، فطارصيته، واشتهر أمره، ونال في هذه المرحلة من حياته لقبه الشهير (السويدي) الذي سيعرف به، وأولاده من بعده، أجيالاً عديدة. وسبب تلقبه به، هو أن زميلاً له في الدرس، يدعى الشيخ حسين بن عمر الراوي سافرذات مرة إلى (راوة) بقصد زيارة أهله، فأخذ يراسل عبدالله من هناك على العنوان الآتي «يصل الكتاب إلى الملا عبدالله ابن أخت الملا أحمد بن سويد»، ثم اختصر ذلك، في ما بعد، إلى (السويدي) فعرف به. وكانت أسرته تعرف قبلها بأولاد

---

(١) النفحة المسكية الورقة(٦)

مرعي نسبة إلى جده، كما عرف هو – في أثناء إقامته في الموصل – بالبغدادي، على أن هذه الألقاب لم تشتهر شهرته بالسويدي.

ويبدو أن شيئاً من التحسن أصاب أحواله المادية، فقد استطاع أن يتزوج من امرأةصالحة، تدعى فاطمة، شجعته على المضي في طلب العلم. ومنّ الله عليه منها بأولاد نابهين، ولد أولهم عبدالرحمن سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢١م، وولد ثانيهم محمد سعيد سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٨م، وولد ثالثهم إبراهيم سنة ١١٤٦هـ / ١٧٣٣م، وولد رابعهم أحمد في سنة ١١٥٣ هـ/ ١٧٤٠م وبابنتين هما سارة، ولدت سنة ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧م، وصفية، وقد ولدت سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م.

وانتقل عبدالله من مسكنه القديم في محلة الدوريين، إلى دار أخرى – يظهر أنها كانت أحسن حالاً من سابقتها – في محلة خضر إلياس من محال الكرخ القديمة من بغداد، وكانت الدار قريبة من دجلة، مُطلّة عليه، ومشرفة على الفضاء الواسع الذي يحيط بالكرخ آنذاك، والذي كان محط القبائل العربية النازلة للاكتيال، وكان هذا الحي يمتاز – على نحوواضح – بصبغته العربية الخاصة، حيث كان موطناً للأسر العربية الكبيرة النازحة إلى المدينة من البادية، أو من أطرافها، مثل آل الشاوي زعماء قبيلة العبيد القحطانية وكانت دورهم مجاورة تقريباً لدار أسرته، والآلوسيين الحسينيين الذين كانوا قد نزحوا من بلدتهم آلوس على الفرات منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر،[1] والعشاريين القحطانيين القادمين من نواحي الفرات الأعلى قبل ذلك، [2] وغير هؤلاء. وكانت إقامة تلك الأسر النازحة في حي واحد، وتعرضها إلى ظروف متشابهة، يساعد على خلق روح جماعية

---

(١) نعمان خير الدين الآلوسي : حديقة الورود (مخطوط) .

(٢) ديوان العشاري، بتحقيق د . عماد عبدالسلام رؤوف، ووليد الأعظمي، مقدمة التحقيق (بغداد ١٩٧٧) ص ٦

متـرابطة،(1) وهي روح أثرَّت إلى حد عميق في شخصية السويدي، وابنه المؤرخ الأديب عبدالرحمن، إلى الحد الذي رشح الأول إلى تمثيل أهل بغداد في مؤتمر النجف سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ودفع الثاني إلى تزعم أهل حيِّه في عدد من المناسبات والظروف، وخاصة ماإتصل منها بفتنة عَجَم محمد سنة ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ .(2)

دوره في الحياة العامة:

وتزامن ذيوع شهرة عبدالله السويدي في بغداد، مع تولي أحمد باشا بن حسن باشا (١١٣٦ - ١١٦٠ هـ / ١٧٢٣ - ١٧٤٧م) الحكم. وسرعان ما اتصل نجمه بنجم أحمد باشا الصاعد، وكان الأخير يرغب في تقريب العلماء والأدباء إليه، رغبة منه في خلق مجتمع بغدادي مثقف، يسانده في مشاريعه وخططه، كما رأى فيه هؤلاء نموذجاً جديداً لحاكم عراقي طموح لم تشهد البلاد مثله منذ أمد بعيد، فنشأت بين الباشا والشيخ صداقة وثيقة، كان من آثارها عدد من القصائد الطوال التي مدح بها الأخير واليه، وأرَّخ فيها الأحداث العامة المهمة التي جرت في عهده(3) وجاء اندلاع الحرب العثمانية - الإيرانية سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٣٢م لتؤجج مشاعر العراقيين وتذكيها، فقد اندفعت قوات عراقية كبيرة، بقيادة والي بغداد حسن باشا، إلى داخل إيران مفتتحة كرمنشاه ومدناً إيرانية أخرى، منهية بذلك عهداً كاملاً مليئاً بأنواع الاعتداءات الإيرانية على أرض العراق، وكان تولي أحمد

(١) كان وجود دجلة بين الجانبين يعد حاجزاً طبيعياً بين السلطة العثمانية المتمركزة في السراي بالجانب الشرقي، وزعامة هذه البيوتات والقبائل العربية في الجانب الغربي، مما جعل قبضة الحكومة ضعيفة إلى حد كبير على الجانب الأخير، وهو وضع استفادت منه تلك القوى في تأكيد أهميتها وتزعمها.

(٢) انظر تفاصيل هذا الدور في عبدالرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة (بتحقيقنا، بغداد ١٩٧٨) ص ٧٩

(٣) انظر ديوان عبدالله السويدي ص ١٥، ١٤، ٤٧، ٤٦، ٢٣، ٢٢، ٢١، ١٩، ٢٠، ١٨، ١٧، ١٦ (مخطوط) وحديقة الزوراء الأوراق ١٢٨، ١٠١، ٨٦، ١٥٧، ١٣٦، ١٤٣ و١٦٠ (نسخة المتحف البريطاني برقم ٢٣٣٨٥).

باشا، ولده، قيادة القوات المحاربة سنة ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣م ونجاحه في فتح همذان عاصمة الصفويين آنذاك، مدعاة لفخر العراقيين الذين أسهموا، بصيغ مختلفة، في تحقيق هذا النصر الباهر. وقد أبدى السويدي إعجابه بقابليات الوالي الشاب القيادية وتابع أخباره باهتمام شديد، وكانت له آراؤه فيما جرى يومذاك من أحداث، وقد نقل ابنه عبدالرحمن عنه آراءً سديدة في تفسير ما تعرَّض له الجيش العثماني من نكسات.(١)

وحينما حاصر نادر شاه بغداد صيف سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢م لم يتخل السويدي وأسرته، عن دوره في الدفاع عنها، فقد كانت خطة المهاجمين تعتمد على إحداث حركة تطويق على الجانب الغربي من بغداد، وهو أمر أدى إلى قيام أهل هذا الجانب بتحصين جانبهم على عجل. ولما كانت دار السويدي تطل على الفضاء القريب، خارج السور، فقد خرج هو ورجال عشيرته لصد المهاجمين وإفشال تعرضهم على تلك الناحية، وشارك الجميع، بحماسة منقطعة النظير، في معركة دفاع باسلة، وصفها ابنه عبدالرحمن – فيما بعد – وكان شاهد عيان لها بقوله «كنتُ على عِلْية في دارنا مشرفة على محل الوقعة، فانظر إلى الخيل تعثر في الرجال وإلى السيوف تخطف رؤوس الأبطال حتى صار العدو أضعافهم، وكثر فناؤهم فأبصرت خيل عسكرنا (يريد: العسكر العثماني النظامي) ولت على أدبارها، وجدَّت في جريها لفرارها، وأبصرت رجالنا ثبتوا ثبات الرجال، وقارعت الأبطال منهم الأبطال، وقاتلوا قتال من لا يريد الحياة، وكثرالرهج من جميع الجهات»(٢) فكانت تلك الملحمة مبعث ذكريات وطنية مشتركة ظلت تتردد في أفواه الناس أجيالاً متعاقبة. ومن ناحية أخرى فإن فشل نادر شاه في اقتحام المدينة الصامدة، واضطراره إلى الانسحاب منها، كان بشير تحسن في أحوال السويدي نفسه، وإيذاناً بتبدل أوضاعه المعيشية والاجتماعية، فقد لفتت شهرة الشيخ العلمية، وكفاءته الشخصية، انتباه أحمد

---

(١) حديثة الزوراء ٩٤

(٢) حديقة الزوراء ١١٨

باشا، صحيح أن السويدي سبق له أن اتصل به مهدياً إياه بعض قصائده،إلا أن الأمر لم يزد يومذاك عما يدخل في نطاق صلات الأدباء بولاتهم، أما الآن، فإن نظرة الوالي إليه أخذت طابعاً أكثر تقديراً وجدية. وما أن مضت مدة قصيرة، حتى أمر بتعيينه مفتياً في قصبتي النجف وكربلا، وهو منصب رفيع، ومهم، يومذاك،فغادر الشيخ وأسرته بغداد ليستقر - فيما ظهر - في قصبة كربلا، وليمضي هناك مدة ثلاثة شهور هانئة «مسرورين بقرب أولئك الأكابر، مغبوطين بأولي الشرف الظاهر».[1]

على أن الأيام لم تمض هانئة سعيدة، إذ سرعان ما تواردت الأنباء بتعرض إيراني جديد على العراق، واضطر السويدي إلى مغادرة كربلا، مع متوليها، على عجل، صحبة القوات الخاصة بمدينة الحلة، وسلك طريق شفاثة الصحراوي، ليصل، بعد حين، إلى الموصل التي كانت تتمتع بظرف أكثر أمناً، بعد أن استطاعت قواها العسكرية المحلية سنة ١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢م أن تلحق هزيمة منكرة بقوة إيرانية أرادت احتلالها.[2]

وبانتهاء الحركات العسكرية،و تقهقر الجيوش الإيرانية، عاد عبدالله السويدي إلى كربلاء ليتولى وظيفة فيها، ولكنه لم يلبث أن انتقل بأسرته إلى بغداد، ليستقر فيها بصفة نهائية.

وشهدت المدة التالية من حياته نشاطاً كبيراً في مجال العلم والتعليم، بل في توجيه الحركة الفكرية في بغداد يومذاك، فقد تقلّد أرفع المناصب العلمية، إذ تولى التدريس في مدرسة جامع الإمام أبي حنيفة النعمان،[3] فكان ثاني من درّس فيها بعد إعادة افتتاحها في منتصف القرن الثاني عشر الهجري (١٨م)،[4] كما تولى التدريس أيضاً في المدرسة

---

(١) حديقة الزوراء ١٢٤

(٢) محمد أمين بن خير الله العمري: منهل الأولياء ١/ ١٤٧ (بتحقيق سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٦٨) وياسين بن خير الله العمري: الدر المكنون ص ٥٨٨ (نسخة المكتبة الأهلية بباريس برقم ٤٩٤٩).

(٣) محمد خليل المرادي: سلك الدرر ٣/ ٨٥

(٤) الخطاط وليد الأعظمي: مدرسة الإمام أبي حنيفة تاريخها، وتراجم شيوخها ومدرسيها (بغداد ١٩٨٥) ص ٧١

المرجانية،[١] التي سبق أن تلقى العلم فيها أيام الطلب، وكان التدريس فيها معقوداً «لأعلم أهل بغداد».[٢]

ثم أنه تولى سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م التدريس في مدرسة جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني، بعد تجديدها، في المدة نفسها [٣] «فانتفعت به الطلبة علماً وعملاً».[٤]

وجاء عدوان نادر شاه الجديد على العراق سنة ١١٥٦ هـ/ ١٧٤٣م ليلقي على كاهل السويدي، وقد بلغ الخمسين من العمر، مسؤولية كبرى ومهمة صعبة، ففي ذلك العام قدم نادرشاه إلى العراق «بجحافل متواترة وجنود متوافرة عدد الرمل والحصى، وبث سراياه وعساكره في تلك الأراضي، فأبقى لحصار بغداد نحو سبعين ألفاً [٥] .وفي ظل ظروف حصارٍ قاسٍ طويل، وتحركات معادية مستمرة، انتدب السويدي للسفر – في مهمة شاقة وخطيرة – إلى معسكر نادر شاه، ممثلاً للجانب العثماني، في المؤتمر المعقود هناك تحت ذريعة التوفيق بين المذاهب الإسلامية. وقد سجَّل لنا السويدي نفسه، يوميات ذلك المؤتمر وما جرى فيه من جدال وحوار، وما انتهى إليه هو من نجاح في المهمة التي انتدب من أجلها.[٦] ولا نشك في أن اختيار أحمد باشا للسويدي دون غيره من علماء بغداد المعاصرين كان دليلاً على الشهرة العريضة التي حققها الأخير، والإجماع الذي انعقد عليه بوصفه أعلم أهل بغداد وأكثرهم كفاءة ومقدرة على رد الخصوم.

---

(١) سلك الدرر ج٢ ص ٨٥

(٢) إبراهيم الدروبي: البغدايون أخبارهم ومجالسهم (بغداد ١٩٨٥) ص ٣١٦

(٣) كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، الجزء الأول (بغداد ١٩٧٣) المقدمة.

(٤) سلك الدرر ج ٣ ص ٨٥

(٥) النفحة المسكية الورقة ٦

(٦) النفحة المسكية الأوراق ٨ –٥٥

ويبدو أن شعوراً غامراً من الرضا عمَّ نفس السويدي - بعد فراغه من مهمته الخطيرة - ممتزجاً بالحمد والامتنان لله الذي وفقه فيما فعل، فعزم على حج بيت الله الحرام. وما إن رفع الحصار عن بغداد في أواخر سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م حتى كتب - وفق التقليد السائد - طلباً إلى والي بغداد يستأذن فيه للسفر «لأن العادة في بغداد إذا كان لأحد جهة تدريس أو خطابة أو إمامه لابد له أن يستأذن من والي بغداد» وقد افتتح طلبه بقصيدة دالية وصف فيها شوقه إلى بيت الله الحرام وإلى «تلك الأماكن الشريفة، والبقاع السامية المنيفة».(١) وبعدصدور الموافقة المرجوة، أوكل الشيخ عبدالله في تدريس مدرسة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ابنه الشاب النابه عبد الرحمن. وغادر بغداد في رحلة طويلة - بحسب مراحل طرق ذلك العصر - إلى مكة المكرمة زارخلالها العديد من المدن والقرى، والتقى في أثناء ذلك بالكثير من العلماء والأدباء والمشايخ، وهي التي جمع أخبارها في كتابه الذي عنونه (النفحة المسكية في الرحلة المكية) وهو الذي بين يدي القارىء الكريم.

عاد السويدي إلى مدينته بغداد، ليقضي فيها ما تبقى له من العمر، دون أن يغادرها إلى أي بلد فيما نعلم. ولسنا نعلم طبيعة المناصب العلمية التي تولاها بعد استقراره نهائياً في بغداد، وأغلب الظن أنه انصرف، خلال هذه السنين، إلى التدريس وكتابة بعض الرسائل وربما نظم الشعر أيضاً.

شهرته العلمية:

طارت شهرة السويدي وانتشر صيته بما حققه من مجد علمي، وما صنفه من مؤلفات تلقفتها أيدي الطلبة، وما رنَّت بصوته المنابر وحلقات الدرس، فضلاً عما حصل عليه من إجازات العلماء خارج العراق، واقترن باسمه من توفيق في المهمة التي كلفه بها والي بغداد سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م، فقصده الطلاب من كل حدب وصوب، آخذين عنه العلم،

(١) النفحة المسكية الورقة ٦٥

مستجيزين منه الإجازة، على وفق تقاليد ذلك العصر وأعرافه، ولم يكن مجلسه يخلو من أمثال أولئك الطالبين في كل حين. وفي هذا يقول واصفاً منزلته الاجتماعية «وصرت - والحمد لله - بحيث يشار إليَّ بالبنان، ويوقِّرني العامة والأعيان، وترفع محلي الولاة، وتتمنى رؤيتي القضاة، مسموع الكلمة، نافذ الأمر.. وكل هذا، أيها الواقف على هذه الرحلة - من بركات العلم». [1]

نال السويدي تقدير معاصريه، فوصفه الأديب عصام الدين عثمان بن علي العمري الموصلي (ت ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠م) بأنه «ممن يُجِلُّهُ الدهر، ويعظِّمُهُ العصر، ويقدمه الفخر.. صاحب الأمثال السائرة، والبديهة الغريبة النادرة، وهو النبيه النبيل، الذي ما للوصول إلى كماله سبيل. رجل العراق، وواحد الأدب على الإطلاق، شمس سماء ذلك البلد، الذي لا يدانيه في فضله أحد.. فهو من حسنات الزمان، وثمار الأمن والأمان.. الخ»[2] وتساءل الأديب محمد بن مصطفى الغلامي (ت ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢م): «ماذا أقول في حقه وقد طارت أجنحة الأخبار بفضله في البلاد كما ملأت الدروب؟»[3] ووصفه المؤرخ محمد خليل المرادي الدمشقي (ت ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١م) بأنه «الشيخ الإمام العالم العلامة، الحبر المدقق الأديب الشاعر المفنن».[4]

ومنهم من قصد بغداد خصيصاً للأخذ عنه، والاستفادة من علمه، ذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبدالكريم الأنصاري المدني (ت ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م) في مقامة أدبية أنشأها على غرار مقامة الأمثال السائرة للسويدي،[5] أنه طرق سمعه - وهو في بلده - من يشدو

---

(١) النفحة المسكية الورقة ١٧

(٢) الروض النضر في ترجمة أدباء العصار ٣ (بغداد ١٩٧٧) ص ٣٨٠

(٣) شمامة العنبر والزهر المعنبر (بغداد ١٩٧٧) ص ٣٨٠

(٤) سلك الدرر ج٣ ص ٨٥

(٥) نشرت في آخر مقامة (الأمثال السائرة) ص ٣٨٠

«قصائد رائقة، ومدائح فائقة، دلائل الإعجاز تلوح من تراكيبها، ومخايل الإيجاز تضوع من أساليبها، أسرار البلاغة في تلخيص مبانيها، ومفتاح الفصاحة في إيضاح معانيها...»فاعتقد أن صاحبها «من الفضلاء المتقدمين». ولما حدثه بعض الثقات «ممن جاب البلاد» أن بغداد «مشحونة بالجهابذة النحارير، والفضلاء المشاهير» استنكر هذا القول، لأنه سبق أن أقام بها، وكان العلم فيها «اسماً بلا مُسمى» فقيل له إنَّه «نبغ فيها جناب العالم النحرير، عديم المثيل والنظير، إن ذكر العلماء فله القدح المعلَّى، أو عد الفضلاء كان التاج المحلَّى، عضد الملة المحمدية، وناصر الشريعة الأحمدية، آراؤه صائبة، وأفكاره ثاقبة» يعني بذلك عبدالله السويدي، وقال إنه فرح حين تحقق صحة رواية من أخبره، وانطلق «قاصداً بذلك كعبة الآمال، يقطع الروابي والوهاد، والأغوار والأنجاد» حتى وصل مدينة السلام، ليأخذ على عالمها وليدرس على يديه، فإذا به «فوق ما يصفه الواصفون بكثير».

وبعد عمر ناهز السبعين سنة قمرية، توفي الشيخ الجليل عبدالله السويدي في ضحوة يوم السبت الحادي عشر من شوال سنة ١١٧٤ هـ (١٧ مايس - مايو ١٧٦٠م)، فدفن بإجلال يليق بحياته الثرة، وعطائه الجم، ومنزلته الرفيعة، في جوار مسجد الشيخ الزاهد، العارف بالله، معروف الكرخي، في مقبرته الكائنة بالجانب الغربي من بغداد. وقد ترك وراءه أربعة من كرام البنين، أحسن تربيتهم وتعليمهم، فضلاً عما أورثهم من ذكاء فطري ونباهة، فبرز جميعهم في مجالات العلم والمعرفة، ولم تكن شهرة بعضهم بأقل من شهرة أبيهم، فعبد الرحمن، أبو الخير (المتوفّى سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦م) كان مؤرخاً فذا وفقيهاً وأديباً وشاعراً بارزاً، بلغت مؤلفاته نحو اثنين وعشرين كتاباً ورسالة،[١] ومحمد سعيد، أبو السعود (المتوفّى سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م) كان فقيهاً شاعراً أديباً، له مولفات ومحاورات شعرية، ونال إحدى إجازاته من العالم اللغوي البارع، الشيخ محمد مرتضى بن محمد

(١) ترجمنا له بتفصيل في مقدمة كتابه (تاريخ حوادث بغداد والبصرة) الذي حققناه ونشرناه، بغداد ط ١: ١٩٧٨ وط ٢: ١٩٨٧ ص ١٦ - ٣٦

الحسيني الواسطي الزبيدي مؤلف معجم (تاج العروس في شرح جواهر القاموس)،[1] وإبراهيم، أبو الفتوح (المتوفّى في الهند، ولم يُعرف تاريخ وفاته). وكان محدثاً أديباً له تصانيف، وأحمد أبو المحامد (المتوفّى سنة ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥م) وهو الشاعر المؤلف في الأدب والتصوف وغيرهما، [2] فكلهم كان مشهوداً له بالفضل والأدب، معروفاً بسعة العلم، وإليهم انتهت إجازات العديد من علماء العراق التالين، وعلى أيديهم تتلمذ كثير من الطلبة والدارسين، ووصفت أسرته بأنها «واحدة من تلك الأسر العربية الفاضلة التي حفظت لنا تقاليد العلوم الإسلامية القديمة في هذه العصور المظلمة بالنسبة للأدب العربي ومهَّدَتْ الطريق لنهضة ذلك الأدب في القرن التاسع عشر».[3]

---

(١) بحثنا (محمد أمين السويدي، عالم بغداد ومؤرخها وأديبها) مجلة المورد، المجلد ٢ (بغداد ١٩٧٢) ص ٥٨

(٢) مجلة لغة العرب، المجلد ٢ (بغداد ١٩١٣) العدد ٩ ص ٣٨١ – ٥٨٢

(٣) كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (القاهرة ١٩٦٥) ج٢ ص ٧٦١

الفصل الثاني

دوره في الحياة الفكرية

شيوخه وإجازاته العلمية:

أخذ السويدي العلم عن عدد كبير من العلماء والشيوخ من الذين التقى بهم في بغداد والموصل ومدن بلاد الشام والحرمين الشريفين،ونال منهم إجازات عديدة بمروياتهم ومعارفهم، كما أجاز – هو – عدداً كبيراً آخر من تلامذته. فأعاد بذلك الحياة إلى كثيرٍ من العلوم والمعارف التي كادت أن تندرس في العراق نتيجة ما توالى عليه من كوارث ومحن. ووصل تلامذته في العراق بأهم أسانيد الروايةالمتسلسلة لدى العلماء الآخرين من المعاصرين في خارجه، بعد أن كانت هذه الأسانيد تنقطع عند بلوغها حداً معيناً من الرواة فلا تتجاوزه لقلة العلماء في العراق في القرون التي سبقت القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م) وتبعثر جهودهم العلمية. ومن ناحيةأخرى، فإنه أسهم – إسهاماً جاداً – في تجديد الحياة الثقافية في العراق وفي توجيهها عن طريق إثارة اهتمام طلبته – وهم كثر – بالمصنفات المهمة، التي وضعها علماء الأمة في عصور خلت، ثم عزّتْ نسخها، أو فقدت في عصور الفوضى التالية.

ولا نشك في أن لرحلته الطويلة وإقامته، خلالها، في مدن عربية عديدة، وأخذه من علمائها، وروايته عنهم الكتب والرسائل، أثراً كبيراً في نقله مصنفات مهمة، ما كانت لتعرف في بغداد لولا جهوده تلك، ولا أدل على ذلك من أنه كان أول بغدادي في عصره أحيا علمين كانا قد أوشكا على الاندثار بين علماء مدينته، وهما الحكمة، ويعني بها الكيمياء غالباً، والهيئة، أي الفلك. وقد درسهما في الموصل على بعض من تبقى هناك من

علمائها. وفي هذا يقول العزاوي بانه «من افاضل علماء بغداد، ومن أكبر الموجهين للحركة الثقافية». [1]

وتكشف قائمة شيوخه وأساتيذه ومن أخذ عنهم، عن سعة معارفه وتنوع مآخذه، وغزارة ما نقله عن شيوخ زمانه إلى تلامذته من علوم وقد نوّه بأسماء العديد من هؤلاء الشيوخ والأساتيذ في ثنايا هذه الرحلة التي نقوم بتحقيقها، كما أشار إلى عنوانات الكتب والرسائل التي قرأها عليهم وأسانيدهم، فلم تبق ضرورة لإدراج هذه المعلومات في هذه الدراسة.

مؤلفاته:

وضع السويدي عدداً من الكتب والرسائل في المجالات العلمية التي عني بها، وتشمل علم القراءات والتفسير والحديث واللغة والنحو والأدب والشعر وغيرها. ولقد أشار مترجموه إلى «إن له مؤلفات عديدة»[2] ولكن أحداً منهم لم يحط بكل عنواناتها، لأننا وقفنا على آثار له لم تشر إليها مصادر ترجمته، وبالمقابل، فإن تلك المصادر نوهت بمؤلفات له فقدت، ولم نعلم ما آل إليه مصيرها، على أهمية موضوعاتها. وفيما يأتي بيان بآثاره العلمية:

أولاً – في علوم القرآن:

١ – تعليقات على شرح المقدمة الجزرية في علم تجويد القرآن الكريم للشيخ محمد بن محمد الجزري المتوفّى سنة ٨٣٣ هـ.

أولها «قوله افتتح فيه براعة استهلال كما لايخفى، قوله أجزل أي كَثَّرَ وعظَّمَ».

علق فيها على الشرح المذكور تعليقات نافعة أبانت عن علمه بدقائق هذا الفن، وهو

---

(١) تاريخ الأدب العربي في العراق ٢ / ١٢٨

(٢) محمود شكري الآلوسي ج ١ ص ٦٣

متوسط في التفصيل، ناقش فيه المؤلف وَرَدَّهُ أحياناً، وانتقد (أرباب التصريف) في بعض أقوالهم، وربما ردَّهم أيضاً. وتتسم التعليقات – بوجه عام – بالتركيز، والوضوح، والبعد عن الإطناب.

منها نسخة خطية ضمن مجموع في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد برقم (٢٢٨١١) كتبها محمد أمين بن عبدالرحمن بن محمد محسن الدوري [السهروردي] سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨م.[١]

ثانيا: في الحديث الشريف:

٢ – شرح صحيح البخاري، نوَّه به محمود شكري الآلوسي ووصفه بأنه « شرح جليل ».[٢]

ثالثا: في علم الكلام (العقائد):

٣ – شروح أو حواشٍ في علم الكلام، أشار إليها الآلوسي.

رابعا: في الأذكار والأخلاق الدينية:

٤ – أنفع الوسائل في شرح الدلائل. شرح فيه كتاب « دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار » للشيخ محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م.

أوله « الحمد لله الذي جعل الصلاة على نبيه رحمة للعالمين » نَّوه به المرادي [٣] والبغدادي،[٤] ووقفنا على نقول منه في مجموعة خطية في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد برقم ٣٧٩٧ وموضوعها التشبيه الوارد في الصلاة عليه – عليه الصلاة والسلام – الوارد في التشهد ».

---

(١) عبدالله الجبوري: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقات المركزية ج ١ ص ٣٤

(٢) المسك الأدفر ج١ ص ٦٣

(٣) سلك الدرر ج ٣ ص ٨٦

(٤) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ج ١ ص ١٣٥

خامسا: في الردود:

٦ – رسائل تتناول عدداً من المسائل العقائدية والفقهية، استند فيها على الكتب المردودة وناقشها، وقد رتبها على مباحث، افرد كلاً منها لموضوع محدد.

وفي مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد نسخة منها، ضمن مجموع رقمه (١٣٧٨٥)، وقد سقط شيء من أولها، وبدأ الموجود بقوله «ومن هفواتهم العظيمة، وزلاتهم الجسيمة قولهم».

٧ – رسالة أخرى في الردود، ناقش فيها أحد المؤلفين، على طريقة (قال) و(أقول)، واعتمد، في ذلك، على مصادر عديدة، وفي مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد نسخة منها، في المجموع المذكور آنفاً، وهي ناقصة من أولها، وليس عليها اسم المؤلف، سوى تعليقات على الهامش تشير إلى أن الرسالة من تاليفه، ويظهر أن الناسخ قد اختصر بعض مباحثه، بينما أبقى البعض الآخر بحروفه.

سادسا: في اللغة:

٨ – رشف الضرب[١] في شرح لامية العرب، شرح فيه القصيدة اللامية للشنفرى شرحاً دقيقاً ذكياً، تناول فيه ما تتضمنه القصيدة من غريب اللفظ، وأعرب أبياتها، وبين المفنن.

أوله «الحمد لله الذي فتق بالفصاحة ألسنة العرب».

وقد أوضح المؤلف، في خطبة كتابه، منهجه في الشرح، وطريقته في التاليف، فقال «لما كانت اللامية الموسومة بلامية العرب للشنفرى ثابت بن جابر الأزدي من غرر القصائد.. وكانت مبانيها مرتجة الأبواب، ومعانيها لا يُهتدى فيها إلى الصواب، محتاجة إلى شرح يرفع عن وجوه مخدراتها نقابها، ويكشف عن خرائدها جلبابها. التمس مني من تضلع في اللغة العربية وتدرب.. أن أضع عليها شرحاً يبين الغامض المشكل، ويوضّح الخافي المعضل، فاجبته إلى طلبه، مبادراً في إنجاز بغيته، فشرحتها شرحاً، الاختصار إهابه، والاقتصار

---

(١) الضرب: العسل الأبيض الغليظ.

جلبابه، مجرداً عن الإطناب والتطويل والإسهاب، وجعلته مشتملاً على ثلاث تراجم، الأولى في تفسير اللغة الخفية، والثانية في إعرابه على أصح الأعاريب النحوية، والثالثة في حل معناه وكشف مغزاه، وذيلت هذه التراجم في الغالب، برابعة رائعة المطالب. ونفعها غير قليل، ولذا وسمتها بالتكميل، أتكلم فيها على دفع انتقاد، وتوضيح مراد، وفك مبنى، وسبك معنى، وغير ذلك من المطالب المفيدة، والمقاصد السديدة، فصارت كالشرح الثاني لما أعاني».

ووصف المرحوم عباس العزاوي هذا الكتاب بانه «يعد من الشروح المعتبرة» وإنه من الكتب المهمة في شرح اللغة وغريبها، ومراجعة بعض ألفاظها، وهو على اختصاره مفيد». (١)

منه نسخة في كتب العزاوي أشار إليها، وذكر أنها بخط المؤلف، مع أنه ورد في آخرها«تم على يد الملاّ علي بن عبدالله في آخر شهر المحرم ليلة الأربعاء عام ١١٦٤ للهجرة»فهي قد كتبت في حياة المؤلف لا بقلمه. ونسخة أخرى ذكر العزاوي أنها في مكتبة المرحوم ناجي القشطيني مقابلة من المؤلف على أصل مُسوَّدته، وذكر أيضاً أن منه نسخة ثالثة في مكتبة المتحف العراقي، وليس في فهارس المكتبة المنشورة إشارة إليها». (٢)

وفي مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد نسخة أخرى، بخط جيد، لكن ليس عليها اسم ناسخها، وهي برقم (٨٥) وتقع في ٦٦ ورقة.

سابعاً – في النحو:

٩ – إتحاف الحبيب على شرح مُغني اللبيب: وهو حاشية ناقش فيها «شراح مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» تأليف جمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري المتوفّى سنة

---

(١) تاريخ الادب العربي في العراق ج ٢ ص ٣٦

(٢) أسامة النقشبندي: المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي (بغداد ١٩٦٩).

٧٦١ هـ/ ١٣٥٩م، وهم:

أ – بدر الدين الدماميني (توفاه الله سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤م) في كتابه «تحف الغريب بشرح مغني اللبيب».

ب – أحمد بن محمد الشُمُنّي (المتوفّى سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م) في كتابه «المنصف من الكلام على مغني ابن هشام».

ج – أحمد بن محمد المعروف بابن الملاّ (المتوفّى سنة ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤م) في كتابه «منتهى أمل الأديب من الكلام على مغني اللبيب».

د – ابن هشام نفسه، في شرحه المتن.

أوله «الحمد لله الذي أمر بالعدل والإنصاف ونهى عن الزيغ والانحراف» [١]

ولم نقف على أثرٍ لهذا الكتاب فيما راجعناه من خزائن المخطوطات وفهارسها، وكان الأستاذ عز الدين علم الدين سبقنا في البحث عن نسخة منه، وانتهى إلى القول بأنه «لا يُعرف اليوم مستقر هذه الحاشية المخطوطة التي تصبو – ولا ريب – إليها قلوب النُحاة لما تنطوي عليه المحاكمة من النقد والتمحيص». [٢]

١٠ – كتاب في إعراب آي الذكرالحكيم، لم يشر إليه مترجموه، لكن توجد منه فائدة منقولة، مذيلة باسمه، ضمن مجموعة فيها فوائد في إعراب القرآن وتفسيره، محفوظة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد برقم (٣٧٩٧).

١١ – فوائد متنوعة وأجوبة لمسائل في إعراب أحاديث شريفة وأبيات مختلفة، سأله الإجابة عنها علماء معاصرون له، موجودة في المجموعة المذكورة آنفاً.

---

(١) البغدادي: إيضاح المكنون ج١ ص ١٦ والعزاوي: تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٣٧

(٢) خزائن الكتب القديمة، مقالة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٨ (المجلد ٨، ١٩٢٨) ص ٤٤٩

ثامناً – في الأدب:

١٢ – مقامة الأمثال السائرة المتضمنة للأحوال المُوصلة للمقامات الآخرة.

وهي مقامة في (٩٠) صفحة، ضمنًّها مجموعة من الأمثال العربية، استخرج معظمها من الكتب الأدبية التي اطّلع عليها، وأورد فيها بعض الأمثال المتداولة على ألسنة معاصريه.

أولها «الحمد لله الذي رفع منار الأدب، وأعلى مقاماته، ونصب موائد فضائل العرب لمن رام ذلك في أسفاره ومقاماته.. وبعد، فيقول العبد الفقير إلى الطاف مولاه الغني عبد الله ابن حسين بن مرعي بن ناصر الدين العباسي الشافعي الشهير بالسويدي: هذه مقامة الأمثال الناصعة السائرة في غابر الأزمان والمولدة المشهورة الدائرة بين أبناء هذا العصر والأوان».

وقد جعل المقامة تدور على لسان شخصية ابتدعها، هي الحسن بن سهل، يروي فيها أخبار من يُدعى السري العذري وضمنها شيئاً من شعره.

منها نسخة في المكتبة العباسية في البصرة، وأخرى في مكتبة الدكتور محمود الجليلي في الموصل، وثالثة في مجموعة عيسى صفاء الدين البندنيجي وبخطه، وقد أشار إليها العزاوي، بوصفها من كتب خزانته.(١)

طبعت في مطبعة النيل بمصر، مُصدَّرة بترجمة المؤلف، ومذيلة بمقامة قصيرة للشيخ عبدالرحمن الأنصاري في مدح السويدي والثناء عليه.

١٣ – مقامة أدبية.

أنشأها على لسان من سماه (قيس الشُجون) يروي فيها أخبار (أبي الوله الغرام).

أولها « حدثنا قيس الشجون، ونحن بثغر المجون، قال أنبأنا أبو الوله الغرام». ادرجها في آخر كتابه (النفحة المسكية) وبيِّن أسباب إنشائه إياها.

ومنها نسخة مستقلة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد برقم (٤ / ١٣٧٨٥) وتقع في خمس أوراق.

---

(١) تاريخ الأدب العربي ج٢ ص ٢١١

تاسعاً – في البلاغة:

١٤ – الجمانات في الاستعارات، نوَّه به المرادي [١] وقال «ألَّف متناً في الاستعارات جمع فيه فأوعى».

١٥ – شرح الجمانات في الاستعارات. قال المرادي «وشرحه شرحاً حافلاً» والواقع أنَّهُ لم يشرح منه غير المقصد الأول، ثم كلف ابنه عبدالرحمن سنة ١١٦٨ هـ / ١٧٥٤م بإتمام ما بدأ به، فأتمه الأخير وسماه (التبيان بشرح الجمان). [٢]

عاشراً – في التاريخ:

١٥ – فضائل أهل بدر رضوان الله عليهم.

أوله «الحمد لله الذي أمدّ أهل بدر بجنود الفتح».

منه نسخة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد، كتبت سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٨م، تحت العدد (٣ / ٤٨٣٤). [٣] وأخرى في مكتبة أوقاف الموصل، كتبها عبدالهادي رؤوف بعدد (١٩). [٤]

نشرها إسماعيل الجيلاني البغدادي وطبعت في مطبعة بولاق سنة ١٢٧٨ هـ / ١٢٩٨م وصححها عبدالباقي الآلوسي. [٥]

حادي عشر – في الرحلات:

١٤ – النفحة المسكية في الرحلة المكية. وهي هذا الكتاب.

---

(١) سلك الدرر ج ٣ ص ٨٦

(٢) عبدالرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، ص ٣٥ من مقدمة التحقيق.

(٣) الجبوري: فهرس ج ٤ ص ٢٣٦

(٤) سالم عبدالرزاق: فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ج ٦ ص ٣٤٤

(٥) هو ابن أبي الثناء الآلوسي، مؤلف تفسير (روح المعاني)، توفي سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١م.

ثاني عشر – في الشعر:

١٥ – ديوان، نوّه به مترجموه، وكان يُظن أنه من كتبه الضائعة ثم عثرنا على نسخة منه لدى بعض الفضلاء السويديين، أحفاد المؤلف. وفي خزانتنا نسخة مصورة منه. أوله«الحمد لله الذي نصب مآدب الأدب، وشرّف بالبلاغة من الصنف الإنساني صنف العرب، فخصهم بمزايا البيان، وفضلهم بفصاحة اللسان.. وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله الغني عبدالله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الدوري الشافعي المعروف بالسويدي البغدادي: كنت في إبان عصر الشبية. وعنفوان الأوقات المستعذبة الرطيبة أتولع بالنظام، وآتي منه على حسب المرام.. وكان من شنشنتي المستمرة، وهجيراي المستقرة، أني لا أقيده بمجموع أو ديوان.. فذهب أدراج الرياح.. وذلك لاشتغالي بفنون العلم وانواعها، وشغفي بالتقاط فرائد الفوائد واستجماعها، وهذا هو الأحرى والأولى، والأفخر الأنفس الأغلى لكن ناداني لسان الحال، وأفصح وقال: ما لا يدرك كله لا يترك كله، وإن الإتيان بالمستطاع أمر ترتاح له الطباع، فشرعت في التقاط ما تبدد، وقيد أوابد ما [تـ] شرد، وهو بالنسبة إلى ما ضاع كقطرة في بحر..».

والنسخة بخط الشيخ أحمد أبي المحامد، وهو ابن الناظم، وقد أضاف إليها قصائد عدة لأبيه لم ترد في أصل الديوان.

ثالث عشر – في موضوعات أخرى:

١٦ – رسالة فكاهية، جمع فيها بين كتابين زعم انهما من الجن ألقى الواحد تلو الآخر في دار السيدة صفية بنت حسن باشا وجوابه عنها، ومدار ذلك النيل من القاضي والمفتي، وتاريخ الكتابة سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٤٩م، وتقع في ١١ صفحة.[١]

شخصيته العلمية:

لا تكمن اهمية ما قام به السويدي من شروح وحواش في أنه يسَّر متوناً تعليمية أساسية

(١) تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٢١١

لطلبته، أو للطلبة في عهده عامة، فأعمال كهذه لم تكن بعيدة عن أيدي الدارسين يومذاك، وإنما تكمن أهميتها في أنها احتوت، فيما احتوت، على روح نقدية جديدة لم نكن نلحظها لدى سابقيه، من مواطنيه في الأقل، وبشّرت بولادة اتجاه قوي له (موقف) مما في الكتب الموروثة التي اكتسبت قدُسية خاصة لكثرة ما اعتمدها الشيوخ أولاً، ثم مما كان يبرز في واقعهم نفسه من ظواهر اجتماعية مختلفة. ولنبدأ هنا بتوضيح المسألة الأولى، فعلى رغم أن السويدي قرّض شرح صحيح البخاري للشيخ إسماعيل العجلوني، وكان عالم دمشق ومحدثها، بناء على طلب مؤلفه، فإنه انتقده بقوة مستهدفاً منهجه، إذ وصفه بأنه « مجرد نُقول لا محاكمة فيه ولا تحرير معنى ولا ضبط مبنى، بل إنه ينقل عبارة بعض الشروح ثم يُعقبها بعبارة شرح آخر، ويكون بين العبارتين مخالفة فما يُرجِّح أحد القولين على الآخر ولا يجمع بينهما، وتارة تكون العبارتان متفقتين فينقلهما فتؤول إلى التطويل من غير فائدة » وانتقد منهجه في تدريس الشرح بأنه يجري « من غير تقرير ولا تحرير ولا حل إشكال ولا فك تركيب » [1] فما انتقده هنا لم يكن كتاباً بقدر ما كان منهجاً بأكمله، ولم يكن العجلوني وحده الذي اختصّ بالتأليف وفق هذا المنهج، وإنما كان نهج العديد من المؤلفين قبله أيضاً، فعبارة السويدي إذن كانت تحدد موقفاً جديداً من مناهج معاصريه ومتقدميه من علماء القرون المتأخرة التي سبقته، وهم الذين عمدوا إلى شرح المتون والتحشية عليها دون أن يكون لهم (موقف) مما يكتبون. ولا شك في أن السويدي تلافى ما رآه نقصاً منهجياً حين وضع شرحه على صحيح البخاري، ولكن من المؤسف أن هذا الشرح ضاع فيما ضاع من آثاره، وعلى أية حال فإن في وسعنا تتبع موقفه الفكري هذا في جميع أعماله المتبقية الأخرى، وها هو في شرحه للامية العرب للشنفرى يصرح بأنه تكلم فيها « على دفع انتقاد، وتوضيح مراد، وفك مبنى، وسبك معنى » وإن هذا العمل جاء مهماً

---

(١) النفحة المسكية الورقة ١٣٤

في نظره لأنه صار «كالشرح الثاني» بعد أن قام بشرح مفردات القصيدة وإعرابها، وهو ما يقوم به الشارحون عادة. ونحن نلمح في هذا الشرح روحاً نقدية عالية، أتى فيها بكلام السابقين، وعقد موازنات بين آرائهم، وانتقد بعضها، وأوضح أسباب ذلك، وأيد البعض الآخر، وبين بواعث تأييده لها، ولم يتردد في الرد على مشاهير العلماء إذا ما ظهر له بطلان ما يستندون إليه من أدلة، وضعف ما توصلوا إليه من نتائج.

وهو في حاشيته على مغني اللبيب، لم يجعل النقد جزءاً من منهجه، وإنما منهجه كله، فقد ناقش فيه، مرَّة واحدة، أربعة من شارحيه السابقين، بضمنهم مؤلف المتن نفسه، فجعله - كما وصفه المرادي - «محاكمة بين شارحيه» وهذا اللفظ، أعني «المحاكمة» وهو ما نقد كتاب العجلوني عليه لخلوه منه كما رأينا قبل قليل، وهو ما دفعه أيضاً إلى تأليف عدة رسائل في الردود، ناقش في بعضها كتباً محددة على طريقة (قال) و(أقول) وهي طريقة تمنح المؤلف قدراً واسعاً من الحرية في مناقشة النصوص.

إن هذه الروح الجديدة في تناول النص ومناقشة صاحبه مهما كانت منزلته، هي - في تقديرنا - أهم ما أورثه السويدي لتلامذته العديدين، وهو بهذا يمكن أن يكون رائداً لمدرسة نقدية حقيقية في وسع الباحث أن يتتبع مسارها إبان أواخر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر للهجرة (١٨ و١٩ للميلاد).

وهذا بدوره يجرنا للكلام عن المسألة الثانية وهي أثر الاتجاه الذي بشَّر به، وبدأه السويدي من خلال كتبه وتلامذته، على الفكر الاجتماعي في ذلك العهد والعهد الذي تلا، فإن ما بدأه السويدي من صياغة (موقف حر) في نقد العلماء (والأدباء من ضمنهم) من خلال نصوصهم، جرَّ إلى موقف مشابه من نقد المجتمع من خلال واقعه نفسه. ورغم أن كتاباً للسويدي لم يصلنا بهذا المعنى، إلا أن لنا أن نلمح ذلك في ثنايا مقامة أدبية وضعها لينتقد بها شخصيتين اجتماعيتين بارزتين، هما القاضي والمفتي، وربما نجد شيئاً أكثر أهمية في نقده الجاد للحياة العلمية والمستوى الفكري في عهده، من خلال هجومه على ما

وصلت إليه المدارس التقليدية من تردٍ فادح، ومن خلال تعريضه بفئات واسعة النفوذ من العلماء والمشايخ والصوفية ومتولي الأوقاف، بل إنه مضى في ذلك ليشمل في نقده فئات اجتماعية لا صلة لها بالعلم، كالانكشارية ومن يدور في فلكهم، كما أنه انتقد أيضاً ما سماه (قانون الأتراك) ويعني به ما كان متَّبعاً، في عهده، من شراء للمناصب العلمية والتدريسية في المدارس ذات الأوقاف الكثيرة.

إن هذا الموقف من المجتمع، والذي لمحنا بعض بداياته لدى السويدي، استمر، بوضوح أكثر، لدى تلامذته، وبخاصة لدى ابنائه من العلماء، من ذلك أن حفيداً له، هو علي بن محمد سعيد (المتوفّى سنة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩م) ألف، بعد نصف قرن من وفاة السويدي، كتاباً مهماً سماه «العقد الثمين في بيان مسائل الدين» حمل فيه بجرأة مشهودة على مظاهر وعادات وتقاليد اجتماعية سكت العلماء المعاصرون عن معالجتها، ودعا فيه صراحة إلى العودة إلى المنابع الأولى للدين، وهجر كثيرٍ مما كان سائداً، أو مألوفاً، في عهده، من مزاولة للسحر بضروبه، وسكنى المقابر وتقديسها، والاغتسال بالآبار المباركة، وغير ذلك من أمور، كان التعرض إلى أيٍّ منها كافياً، لإثارة حفيظة فئات اجتماعية واسعة، وليس صعباً أن نلمح أوجه شبه عديدة، وأساسية، بين أفكار كهذه، وما تضمنته كتب السويدي الجد من طروحات وملاحظات. وعلى أية حال، فإن تياراً نقدياً كهذا لم يكن ليتوقف، فقد وجد كتاب (العقد الثمين) انتشاراً واسعاً بين معاصريه، وجاء محمد أمين ابن مؤلفه علي السويدي ليُبَلْور أفكاره، ويُنضج مواقفه، في شرحه له، الذي عنونه (التوضيح والتبيين لمسائل العقد الثمين) والذي عُد نموذجاً لفكر إصلاحي أخذت رياحه تعصف بكثير من التقاليد الموروثة في مجال الحياة الفكرية - الاجتماعية في القر ن الثالث عشر الهجري (١٩م) حتى وصف بأنه كتاب « تشد إليه الرواحل وتقطع دونه المنازل ».(١)

(١) بحثنا محمد أمين السويدي، عالم بغداد ومؤرخها وأديبها » المنشور في مجلة المورد العدد ٣ (المجلد ٢ بغداد ١٩٧٢) ص ٥٨

وفي وسع الباحث أن يتتبع هذا الفكر، وهو يقوى ويشتد، في مؤلفات علماء عراقيين آخرين، أمثال أبي الثناء محمود الآلوسي (المتوفّى سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤م) ونعمان خير الدين الآلوسي (المتوفّى سنة ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م) ومحمود شكري الآلوسي (المتوفّى سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) وفي مواقفهم الاجتماعية والسياسية أيضاً.

شعره:

للسويدي شعر كثير ضاع معظمه كما صرح هو في مقدمة ديوانه، وقد أشاد مترجموه بجزالة هذا الشعر وجودته، فقال عثمان العمري الموصلي (توفي سن ١١٨٤ هـ/ ١٧٧٠م) «له نظم أحلى من الضرب، ونثر يريك في اتساقه العجب، ولكن لم يحضرني منه إلاّ القليل، وهو على كل حال على الكثير دليل» (١) وأورد له منه نماذج جيدة. وأشاد محمد الغلامي (توفي سنة ١١٨٦ هـ . ١٧٧٢م) بشعره وأدبه، وساق نماذج أخرى منه.(٢) وقال الشيخ كاظم الدجيلي «قلَّ من العلماء من يبرع في العلم والشعر فيكون عالماً فاضلاً وشاعراً ماهراً، وشيخنا المترجم قد حاز قصب السبْق في كليهما، فقد بلغ في الأدب شأواً بعيداً ونال فيه منزلة ترفعه بين الأدباء، وله نظم يُزري بالمنظوم.. وله في الغزل والنسيب شعر يدخل الأذن بغير إذن».(٣)

وفضلا عما احتجنه ديوانه من شعره الذي نظمه في مناسبات شتى، فقد أورد مترجموه نماذج عدة من شعره تدليلاً على شاعريته، مثلما فعل العمري والغلامي، وشيء منه انتشر في مقاماته (الأمثال السائرة) وأثبت ابنه المؤرِّخ عبدالرحمن في كتابه (حديقة الزوراء) قصائد مهمة له قالها في مناسبات وطنية وعامة مختلفة.

---

(١) الروض النضر ج٣ ص ٩٣

(٢) شمامة العنبر ص ٣٨٠

(٣) مجلة لغة العرب، المجلد ٢ (بغداد ١٩١٢) ص ٢٢١

فمن شعره الذي ضمنه مقامته، وهو في الوعظ الرقيق، قوله:

إلى مَ تطلب الجد وتبغي الحظ والجد
وتعني الكبر والجد بذكر الأب والجد
تجنب جانب الزهو وخل عنك ذا السهو
إلام أنتَ في لهو ولا كسب ولا كد
غداً تكون كالأمس إذا حللت في الرمس
ولا جَهْر ولا همس ولا جزر ولا مد
توقَّ الخطبَ والهول وراع الصدق في القول
إذا مت فلا عول ولا فرض ولا رد
إلى كم أنت تعمل وكل الشر تفعل
فعن ذا الفعل تسأل فما الجواب والرد
تجنب قول من ذم وإن خص وإن عَمْ
ولا تُصغ لمن نَم ولو جاءك بالحمد
إذا حل بكَ الموت أجبت داعي الفوت
ولاحس ولا صوت وهذا آخر العهد
غداة تظهر الحالْ ولا قيل ولا قال
فأين العم والخال وأين الأب والولد
أتعهد قول يا ليت ولاكيت ولا ذيت
ولا دار ولا بيت سوى أن ضمك اللحد
هناك تخشى الأهوال وليس تجدي الآمال
ولا أهل ولا مال ولا عرض ولا نقد

وقوله شاباً، وهو في الموصل، متغزلاً:[1]

جـزم الحـبـيـب بأن قلبي قـد سـلا ودّاً تحكم في الحـشـاشـة أولا
لا والذي جـعـل الفـؤاد أسـيـره مـا حـال قلبي عن هواك وبدلا
أأحـول يا سكني وحـبـك سـاكن قلبـاً من الهـجـران ظل مـبلبـلا
وأحـيـد عـمـداً عن هواك وأنثني عن سـالف العـهـد القـديم مـحـولا
فـوحق صـدق مـودتي وتولهي لـم يـخـطـر السـلوان في قلبـي ولا
أتظن أنـي في هـواك مـعـذب وأبـين حـبـك لـلأنـام تـعـللا
مـا كل مـا جـمع المحـامـد صـالحـاً للحب أو أضـحى لحب مـولهـا
فـوحق طيب رضـاك وهو الـتي إن لم تـدع هجـري هجـرت الموصـلا
فـاعطف على صب تصب دمـوعـه حـتى غـدت من ودق سـحب أهطلا
وارحم فـديتك مـغـرمـاً عـبـثت به أيدي الصـبـابة فـاسـتـبـيـد مـجـدلا
وانعم بوصـل فـالوصـال زكـاة من قـد كـان في فن المحـاسن أجـمـلا
واسـأل نجوم الليـل عن سـهـري وعن عـين تـراعـي الـنـجـم أول أولا
بـل لا تسـل عـمـا حـوته جـوانحي من زفـرة فـيـهـا الجـوانح تصطلي
أيليق في دين الغـرام وشـرعـه أني من الهـجـران أبقى مـهـمـلاً
فـإلام أبقى في هواك مُـبـلبـلا وإلام أبقى من قـلاك مُـحـوقـلا
إن كـان في تلفي تروم عـبـادة بادر به يا ذا الصـبـاح مـعـجـلا
حـتى يكون على الدوام مـجـاهداً جـازاك ربي بعـد ذاك تقـبـلا
أو كـان يرضـيك التـذلل خـاضـعـاً وافـيت دارك في الظلام مـهـرولا
مـسـتـغـفـراً من سـوء ذنب جـئـتـه مـسـتـعـفـيـاً مـسـتـصـفـحـاً متنصلا
فكأن حظي في النحـوس وطالعي إن لـم أجـد بـدري تـخـيـر منزلا

(١) الروض النضر ج ٣ ص ٩٨ – ١٠٠

وقوله في مطلع قصيدة يمدح بها أحمد باشا والي بغداد:[1]

دهتني خطوب والزمان مُعاندي ... ودهر طوى كشحاً بقدري والع
ترامت بي الأقطار من كل جانب ... فما أنا عن مغنى الأماجد شاسع
وكم أزمة مرت عليَّ ولم يكن ... لها كاشف بين البرية رافع

(١) حديقة الزوراء الورقة ١٢٨

الفصل الثالث

رحلته

زمن تأليف النفحة المسكية

سجَّل السويدي وقائع رحلته إلى الحج سنة ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤م في كتاب عنونه «النفحة المسكية في الرحلة المكية»، يحتوي على وصف عدد كبير من المدن والقرى والمحطات التي كانت تقع على الطريق العام المؤدي من بغداد إلى الموصل فحلب ودمشق وصولاً إلى الحرمين الشريفين، وهي على التوالي:

بغداد، تل كوش، نهر الحسيني، نهر مزارع حمارات، الفرحاتية، المحادر، مهيجر، العاشق، مدينة المنصور، تكريت، وادي الفرس، قزل خان، الغرابي، البلاليق، الخانوقة، القيارة، المصايد، حمام علي، الموصل، بادوش، أسكي الموصل، تل موس، عين زال، صفية، الرميلة المتفلتة، ازناوور، نصيبين، قرده دره، دنيسر، مشقوق، دده قرخين، تل العطشان، أصلام جايي، مرج ريحان، الرها، سروج، الجيجلي، البيرة، الكرموش، ساجور، الباب، حلب، خان تومان، سرمين، معرة النعمان، كتف العاصي، المحروقة، حماة، حمص، شمسين، النبك، بريج، قارة، دمشق، دلة، المزيريب، الزرقاء، خان الزبيب، البلقاء، القطراني، الأحساء، معان، عنزه، العقبة، جغيمان، ذات حج، تبوك، المغرة، الأخيضر، الدار الحمراء، ديار ثمود، العلى، آبار غنم، البئر الجديدة، هدية، الفحلتين، العقبة السوداء، وادي القرى، المدينة المنورة، ذو الحليفة، الجديدة، بدر، الحمراء، القاع، رابغ، خليص، قديد، عسفان، مكة المكرمة.

وذكر المرادي[1] أن السويدي وضع مؤلفاته بعد عودته إلى بغداد، من رحلته الشهيرة التي دوّن أخبارها في «النفحة المسكية» وعليه يكون تدوينه هذه الرحلة هو أول كتبه، أي أنه بدأ بالتأليف وقد تجاوز الخمسين من عمره، ولا ندري مصدر المرادي في هذه الرواية، لأننا لاحظنا أن السويدي قد صرح في إجازته العلمية إلى الشيخ عبدالرحمن الصناديقي المؤرخة في ٨ رمضان سنة ١١٥٧، والتي دوّن نصها في رحلته نفسها، أنه أجازه بجميع مؤلفاته «وهي الآن أكثر من عشرة» فتكون (النفحة المسكية) من أواخر أعماله لا أولها، وهو ما يفسر ما تبدو عليه من قوة الأسلوب، وجزالة في اللفظ، وبعد عن التكلف، ودقة في الوصف، ونضج في الاستنتاج والتعليل.[2]

ولقد نالت هذه الرحلة اهتمام معاصري السويدي، كما عني بها العلماء التالون، فتعددت نسخها الخطية، واختصرها بعضهم، واجتزأ منها آخرون قِطعاً لتبدو رسائل مستقلة بذاتها.

منهجه:

١ - ضبطه لأسماء الأعلام الجغرافية:

أولى السويدي اهتماما واسعاً لتسميات الأعلام الجغرافية، من مواضع، وجبال، وأنهار، وعيون، مما مر به في أثناء رحلته، فجاءت هذه الرحلة أكثر فائدة - من هذا الجانب في الأقل - من كثير من كتب الرحلات الأجنبية إلى المنطقة في الحقبة نفسها، ففي حين كان الرحالة

(١) سلك الدر، ج ٣ ص ٨٦

(٢) ذكر الأستاذ كراتشكوفسكي عند كلامه عن السويدي «إن المادة الجغرافية عنده شحيحة للغاية» (تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة ١٩٦٥، ج١ ص ٧٦١)، وليس هذا بصحيح، إذاعلمنا أن كراتشكوفسكي، لم ير النفحة المسكية ليحكم عليها بهذا الحكم، وإنما اعتمد على رسالة مستقلة للسويدي وصف فيها وقائع المناظرة التي شارك فيها بحضور نادر شاه، في النجف سنة ١١٥٦ هـ /١٧٤٣م، وطبعت باسم (الحجج القطعيه لاتفاق الفرق الإسلامية) وليس لهذه الرسالة من صلة بالرحلة سوى أن الأحداث التي وصفتها كانت الدافع وراء قيام السويدي برحلته.

الوافد، وهو أوروبي غالباً، يسجل الأسماء كما تلتقطها أذنه من أفواه معاصريه، وربما سمعها بشكل مشوه أو محرف فسجلها على ذلك الشكل أيضاً، وجدنا السويدي، بما أوتي من باع طويل في اللغة والبحث، يضبط كل اسم ضبطاً مُحكماً دقيقاً، فهو حينما يمر بمهيجير يذكر أنها «بضم الميم وفتح الهاء وسكون المثناة التحتية وجيم مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة وآخر الحروف راء مهملة» وكذا حين يمر بالخانوقة، يقول: إنها «بالخاء المعجمة، فألف، فنون مضمومة، فواو ساكنة، فقاف مفتوحة، آخرها هاء التأنيث» وفي ضبطه لخان شيخون، بأنها «بشين مُعجمة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فخاء معجمة مضمومة فواو ساكنة فنون آخر الحروف» وهكذا نجده يفعل في المئات من أسماء الأعلام الجغرافية التي مر بها، ولذا فقد جاءت هذه الأسماء بمنجى عن أي تحريف أو تصحيف قد تتعرض له عند النقل أو النسخ.

ولم يكتف السويدي بهذا فحسب، بل عمد إلى تثبيت طريقة التلفظ بالاسم نفسه، كلما دعت الضرورة إلى ذلك، فقال عن نصيبين أنها «على صيغة جمع المذكر السالم لنصيب» وعن العاشق أنه «بوزن اسم الفاعل» وقال عن موضع اسمه صُفَيَّة أنه «كسمية مصغراً» وعن موضع آخر يدعى المعظم أنه «على صيغة اسم المفعول من التعظيم،» وعن المتفلتة أنه «اسم فاعل من تفلت، في آخره هاء التأنيث» وعن زيزى أنها «كضيزى» فضبطت بذلك طريقة تلفظ الاسم فضلاً عن ضبطه حروفه.

وفرَّق السويدي في هذا المجال بين التسمية الجارية على ألسن معاصريه من العامة، والتسمية الفصيحة التي أوردتها الكتب والمعاجم، فقال عن البلاليق إن «العامة تبدِّل القاف كافاً» وعن مرحلة تدعى ذات حج: إنها «بكسر الحاء المهسلة، كذا سمعتهم ينطقون به» وقال في تعليل تسمية مرحلة الأخيضر: إنه «يحتمل أنه الوادي الذي بين المدينة والشام كما في القاموس ويحتمل أنه الحضير والعامة تصرفت فيه».

٢ - بحثه في أسباب تسمية الأعلام الجغرافية:

بحث السويدي في سبب اكتساب كل موضع مر به تقريباً للتسمية التي عرف بها، وقد

استفاد في ذلك من روايات مرافقيه من أهل تلك الديار والنواحي، أو من النصوص التي أوردتها المعاجم اللغوية والبلدانية وكتب التاريخ، والتي أظهر أنه كان مطلعاً عليها بشكل واسع، أو من ملاحظاته الشخصية حول علاقة الموضع بما يكتنفه من مظاهر بيئية مختلفة.

وعند تحليل النصوص التي أوردها حول هذا الموضوع، يظهر للباحث أن السويدي يعزو هذه التسميات إلى عاملين رئيسيين لا ثالث لهما، أولهما عامل تاريخي يتصل بما مر على المكان من أحداث أو ما مر به من أشخاص، وثانيهما عامل جغرافي يتعلق بما يحيط بالمكان من تضاريس مختلفة، أو ظواهر جيولوجية أو مناخية أو غير ذلك.

ويتجلّى العامل الأول في بحثه عن الأعلام التاريخية التي نسبت إليها المدن والقصبات والمواضع التي مر بها، فقال عن تل كوش «لعل نسبته إلى كوش بن كنعان» وعن تكريت أنها «سميت بتكريت بنت وائل» وأن خان تومان منسوب إلى امرأة اسمها تومان بنته»، وأن معرّة النعمان منسوبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري، وقوله في موضع اسمه عنزة» الظاهر أنها سميت بعنزة بن أسد بن ربيعة، وبه سميت القبيلة المشهورة لأن تلك الأرض مسكنهم قديماً وتفسيره لاسم مرحلة تدعى جخيمان أنها «سميت كما قيل باسم شيخ من شيوخ الأعراب كان يأخذ الصرًّ عندها» وقوله عن بئر تسمى بالبئر الجديدة: إنها «سميت بذلك لأن البئر حفرها ليس قديماً، أو أنه مغير عن جدًّ وهو البئر الكثيرة الماء أو قليله ضد».

هذا بينما يتجلى العامل الثاني، أعني الجغرافي، في ملاحظات السويدي الذكية للصلات التي تربط المكان ببيئته الجغرافية، وتفسير إطلاق تسمية الموضع بحسب معطيات تلك البيئة وظواهرها المختلفة، فهو يذكر أن موضعاً سمي المحادر لما فيه «من الانحدار والهبوط»، وأن عيناً تسمى الغرابي «لكون الماء في مقره أسود يشبه الغراب»، وأن البلاليق «سميت بذلك لأن الأماكن التي حواليها بلق بيض، وجبلها لا شجر فيه فهو أبلق»، وأن المصايد، وهو موضع على دجلة، أنها سميت بذلك «لأن ماء دجلة يتعوج فيها لما فيها من الانحراف، فكأنها تصيد الكَلَك»، وأن عيناً تسمّى صفية» سميت بذلك أما لصفاء مائها، أو لكونها تجري على صفاة»، وأن البلقاء «سميت بذلك لأنّ حجارتها متلونة بالسواد

والبياض أو لأن أرضها خالية عن النبت والشجر» وأن موضعاً سمي القطراني «نسبة إلى القطران عصارة الأبهل، سميت بذلك لكون حجارتها سوداء» وأن المنزلة المسماة المغر هي جمع مغرة، وتعني الطين الأحمر، والممغر: المصبوغ بها. ومثل ذلك الموضع المعروف بالدار الحمراء «سميت بذلك لكون رملها أحمر وكذا جبالها، والبدو يسمونها الهضب لأن حواليها هضاباً كثيرة وأهل الشام يسمونها مفارز الأرز لأن فيها حصى بيضاً صغاراً يشبه الأرز الأبيض»، وأن مرحلة العلى «سميت بذلك لكون الجبلين اللذين يكتنفانها عاليين مرتفعين». وغير ذلك من الملاحظات الجغرافية التي توزعت الرحلة، وحاول من خلالها التوصل إلى حقيقة كثير من المسميات التي شاهدها بنفسه.

٣ - عنايته بالجغرافية الطبيعية:

قدم السويدي وصفاً مفصلاً وبالغ الدقة لكثير من الأماكن التي مر بها، مما يدخل ضمن ما نسميه بالجغرافية الطبيعية، فقد تكلم على:

أ - الجبال والتلال:

أهتم السويدي بوصف الأوضاع الطبيعية لتلك الأماكن ذات التكوين الطبيعي المعقد، من جبال وتلال ووديان، وقد جاءت عباراته، في هذا المجال، معبرة عن الصورة التضاريسية للمكان، شاملة لأبعاده، فحين نزل تلّ كوش، وهو تل أثري قديم، وصفه بأنه «تل صغير مستطيل الشكل» ووصف تل مهيجر، قرب سامراء بأنه «تل صغير مُدَّور قريب دجلة» وتل موس بأنه «تل عال مدور». ووصف الطبيعة المعقدة عند عين الزرقاء، في طريقه من دمشق إلى المدينة المنورة، وصفاً شاملاً إذ قال إنها «أراض وعرة وعقبات ذوات انحراف واعوجاج وصعود وهبوط ووديان منخفضة» ومثل ذلك كلامه على منطقة الأحساء بأنها «واد بين جبلين وفي طريقها عقبات وأوعار واعوجاج وصعود وهبوط»، ووصفه لأرض معان بأنها «ثغر فيه وعر وعقبة صعبة المسلك لما فيها من الجنادل والانحدار والارتفاع مع ضيق المسلك». ولم يكتف بذكر الجبال، وإنما تكلم عن وديانها، فوصف مرحلة العقبة بأنها تقع «في واد تحيط به الجبال من جوانبه الأربع (كذا)»، ووصف مرحلة المغرة بأنها «منزلة بين

جبلين حجارتها حمراء كالمغرة». كما وصف قلعة الأخيضر، على طريق تبوك، بأنها «في عقبة تحيط بها الجبال، وفي طرفها مما يلي الشام عقبة ضيقة وعرةذات جنادل كبار»، وتكلم على ما يحيط ببلدة المعلى من جبال «عالية» مرتفعة».

ب - السهول:

ومثلما اهتم السويدي بوصف ظواهر السطح المعقدة، فإنه اهتم أيضاً بوصف الأراضي المنبسطة، سعتها، وشكلها، وطبوغرافيتها، من ذلك وصفه منطقة الفرحاتية، من أعمال دجيل، بأنها بر أفيح (أي واسع) ذو حصى دقاق، ووصفه للمناطق التي تحيط بالبلاليق بأنها «بلق بيض»، والبلقاء بأنها «أرضها خاليه عن النبت والشجر» وأن «حجارتها متلونة بالسواد والبياض» وإشاراته إلى «الجنادل السود» في أرض «مشقوق» وفي «تل عطشان» من نواحي الجزيرة. ووصفه لمجاري الانحسار إن كانت صخرية أو رملية، وقوله عن الكثبان الرملية في جنوبي الأردن إن «الرمل كثير متراكم تسوخ فيه الأقدام، وهذا الرمل يبدو بلون أحمر، ولذا فإن منظر الحصى الأبيض الصغار على الأرض الحمراء يشبه الأرز الأبيض» وملاحظته أن أرض هدية على طريق الحجاز «كثيرة الرمل» ومثل هذه الإشارات يدل على قوة ملاحظة، واهتمام يجعله أقرب إلى اهتمامات عالم الصخور Petrologist منه إلى مجرد عالم ذي ثقافة دينية تقليدية ماض في طريقه إلى الحج.

ج - الأنهار ومصادر المياه:

وجه السويدي عنايته إلى وصف مصادر المياه المختلفة في المدن والقرى والنواحي التي مر بها، حتى إنه يندر أن دخل مدينة أو قرية إلا وتطرق إلى مصادر مياهها، من أنهار وبرك وعيون، ولم ينزل موضعاً على الطريق إلا وأتى على ذكر ما يتوفر فيه من ماء وكميته ومذاقه أيضاً، وربما أراد من تفصيله في هذا الأمر أن يكون كتاب رحلته دليل سفر للذين سيسلكون الطريق نفسه من بعد، فضلاً عن اتساق ذلك مع اهتماماته العامة في رصد الظواهر الطبيعية والطبوغرافية فيما يمر به من بلاد، من ذلك إشارته إلى نهر الحسيني «وهو جدول يخرج من دجيل»، وإلى نهر الفرحاتية» من أعمال دجيل أيضاً، ووصف نهر قويق

بأنه «نهر صاف عذب لأهل تلك الديار» وأنه «يمد قناة حلب» وأن منبعه من عين إبراهيم عليه السلام «وهي من جيلان قرية شمالي حلب» وأنه «نهر ذو فوائد كثيرة ومنافع غزيرة». ونوه بما يسقيه من بساتين، وقد أثارت دهشته سعة ما يرويه منها مع صغر مجراه «بحيث لو أراد أدنى الناس قطعه لقطعه، وهو يزيد على كفاية حلب مع [ما] فيها من كثرة البساتين والقساطل والحمامات والخانات والبرك والأحواض، بحيث لو شاهد أحد ذلك لاعتقد أن دجلة تعجز عنه». واسترعت انتباهه تسمية نهر العاصي، وبعد أن عرض أقوال بعض متقدميه حول هذا الأمر، أعلن أنه لا يرى سبباً لتلك التسمية إلا لأن «منبعهُ نحو الغرب إنما يرى في بعض الأماكن جريانه من الشرق إلى الغرب لتعرج مجاريه في بعض الأراضي فيظن الرائي أنه كذلك من منبعه يجري على خلاف جريان الأنهار».

كما اهتم أيضاً بالمياه الجوفية، من عيون وآبار، وذكرها في مناسبات كثيرة، ونوه بمذاق بعضها، بل عمد إلى المقارنة أحياناً بين عين وأخرى، فقال عن عين زال (عين زالة) مثلاً إنها «عيون كثيرة على وجه الأرض، وماؤها عذب إلا أنه دون عين موسى عذوبة وصفاء»، وقال واصفاً عين صفية بعدها» هي عين ماؤها في غاية الصفاء، يجري أولاً على أحجار كالصفا.. وماؤها عذب يشبه ماء دجلة» ووصف ماء عين الرميلة بأنه «عذب خفيف، قيل إنه أخف المياه»، وماء عين حسية بأنه عذب صاف، ولكن ماء عين النَبَك «أعذب من الأولى».

وبالمقابل فإنه وصف ماء نصيبين بالرداءة، ومثله ماء قرية العُلى. ولاحظ وفرة المياه تحت الكثبان الرملية في جنوب الأردن، فقال «وهذه الأرض إذا حُفر فيها نحو ذراع خرج الماء لأنه كامن تحت الرمل، إلاّ أنه رديء مسهل لما فيه من ملوحة»، وحين أُخبر بأن ثمَّة موضعاً يعرف بالغرابي نسبة إلى لون مائه الأسود، لاحظ أن هذا الماء يأخذ لونه من لون مجراه، وإلاّ فلا لون له.

وتطرق إلي الآبار الارتوازية، ونوه بالمشاق التي كان يكابدها بعض أهل تلك النواحي في الوصول إلى مياه الشرب، بسبب انخفاضها عن مستوى سطح الأرض. قال مثلاً واصفاً مورد

قرية سرمين إن «أهلها يشربون ماء المطر، يحفظونه في الآبار وآبارهم لا ينبع منها ماء لبعد غوره جداً».

ووصف أيضاً البرك والصهاريج، فعند الأبهل بركة عظيمة مشرفة على الخراب، تمتلىء من ماء المطر، «وعند الأحساء سهل من الأرض يجتمع فيه الماء أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر كلما نزحت دلواً جمعت أخرى». ونوه بسعة بركة المعظم فإنها «تزيد على ثلاثين ذراعاً في ثلاثين، وعمقها نحو خمسة عشر ذراعاً يجتمع فيها ماء المطر، وله مسيلات ينحدر فيها».

د – المناخ:

أورد السويدي إشارات عديدة، ودقيقة، عن الأحوال المناخية للمناطق التي مر بها، ولم يفته، حين يصف مدينة أو صقعاً ما، أن يتطرق إلى ما تختص به من مناخ، فنصيبين مثلاً «وخمة، هواؤها رديء» يشير بذلك إلى ارتفاع نسبة الرطوبة في جوها، ودُنَيسر «هواؤها معتدل»، ومعان «طيبة الهواء» بينما تُعد العلى «رديئة».

ولاحظ أن ثمة مناطق شديدة الحرارة، رغم أن الفصل كان شتاءً، قال واصفاً مناخ خيبر «وصدفنا في هذه المنزلة حر شديد يزيد على حر تموز في العراق حتى تجردنا عن غالب الثياب، ونحن نسبح بالعرق وكان قد مضى من كانون الأول اثنا عشر يوماً».

٤ – عنايته بالجغرافية الاقتصادية:

أ – وصفه للنبات:

ولم يغفل السويدي عن أن يسجل لنا وصفاً دقيقاً لبعض ما لفت نظره من غرائب بيئته من نبات، فكانت تلك الكتابات قريبة إلى ما كتبه بعض الرحالين الأوربيين الذين جابوا المنطقة في عصره،[١] وفي الحقيقة فإننا لسنا نعلم رحّالة محلياً، في ذلك العصر، قد سجَّل أوصاف النبات بتلك الدقة العلمية التي تميز بها السويدي في رحلته، انظر إلى قوله يصف

(١) ومن أبرزهم الدكتور ليونهارت راوولف، الذي بدأ رحلته سنة ١٥٧٣ وانتهى سنة ١٥٧٦، وقد نقلها إلى العربية سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٨

نوعاً من الشجيرات رآه عند نزوله بعض قرى دجيل إلى الشمال من بغداد » وكان نزولنا عند شجيرات جذوعها كجذوع السِّدر وأوراقها وأغصانها كالرمان، ولها ورد أصفر كصورة الجلنار،(١) إلاّ أنه يخالفه في اللون، وفي أسفل كل وردة نقطة تشبه العسل لوناً وطعماً، ولها دبق كدبق العسل، ولقد ذقتها فوجدت طعم العسل فيها، إلا أن النقطة إذا قرب جفافها يصير فيها شائبة مرارة، وأهل تلك الأرض يسمونها بشجيرات العسل على صيغة التصغير». ووصفه شجرة الغزوح وما تتركه من أثر مخدر لدى آكليها، وهي « قضبان دقاق خضر لها ورد أصفر صغير أشبه شيء بالشيح ».

ونحن نجد السويدي شديد الاهتمام بما مر من نبات وزرع لا يفتأ أن يسجِّل لقرائه أخبار ذلك، فسرمين، وهي قرية قريبة من حلب « يحيط بجوانبها أشجار الزيتون » والطريق إليها مزدان بأشجار السنديان والبُطم، بل يصل به اهتمامه إلى حد إحصاء عدد النخيل فيما يمر به من نواح، فيذكر أن ناحية العلى، من نواحي وادي القرى « فيها حدائق من النخيل نحو عشرة آلاف نخلة، وتمرها جيد، وفيها الليمون الحلو الكبار »، وتثير اهتمامه العلمي كثرة المزروعات في بساتين حلب مع قلة مصادر المياه فيها، فيقول « ورأيت كرومها وأشجار التين والزيتون والفستق واللوز تعيش بلا ماء، وكذلك البطيخ الأخضر والأصفر، ورأيتهم يبذرون في ترابها وهو جاف غاية الجفاف فينبت وما ذاك إلا لطيب تربتها ».

وبالمقابل، فإنه لم يفته أن يسجل ما كان عليه كثير من المناطق التي مر بها من جدب أو قلة زرع، فالبلاليق « جبلها لا شجر فيه »، والبلقاء « أرضها خالية عن النبت والشجر »، والقاع « عبارة عن بر أفيح لا ماء فيه »، وهكذا فإنه قدَّم من الملاحظات الكثير مما يفيد الباحث في دراسة جانب من الحياة الاقتصادية للمدن والقرى العربية في القرن الثاني عشر الهجري (١٨م).

---

(١) هو زهر الرمان.

ب – وصفه لطرق المواصلات:

تعد طرق المواصلات من مقومات الجغرافية الاقتصادية، وقد أولاها السويدي جانباً من عنايته، فسمى، على نحو دقيق، جميع مراحل الطريق المؤدي من بغداد إلى الموصل فحلب ثم دمشق فالحرمين الشريفين، وضبط المسافة، بالفراسخ، بين كل مرحلة وأخرى، وقد ظل هذا الطريق مسلوكاً، ومفضلاً بوجه عام، عند الحجاج العراقيين على الطريق القصير المباشر الذي يجتاز بوادي نجد وقفارها.

وطريق الحج هذا، كما وصفه السويدي، يتألف من ٧٥ مرحلة ويمر بأكثر من ثمانين مدينة وقرية ومحطة، ويتراوح طول المرحلة الواحدة بين ثلاثة فراسخ وعشرين فرسخاً، أي بين تسعة كيلومترات وستين كيلومتراً تقريباً (الفرسخ = ٦ كم) ويستغرق قطع الفرسخ الواحد نحو ساعة أو أكثر بحسب استواء الطريق أو وعورته.

وعلى الرغم من استخدام السويدي الفرسخ وحدة رئيسة لقياس المسافات، فإنه استخدم أيضاً الميل، ويبلغ ثلث الفرسخ، أي زهاء الكيلومترين، والبريد، ويساوي أربعة فراسخ، أي نحو ٢٤ كيلو متراً.

أشار السويدي إلى أهم ما يعنى به المسافر في طرق ذلك العهد، فقد ثبَّتَ مواضع الخانات ووصفها تفصيلاً، وحدَّدَ أماكن برك المياه وسعتها ونوع مياهها، كما لم يغفل عن الإشارة إلى الآبار الارتوازية والعيون المتدفقة، ومن ناحية أخرى فإنه سجَّل ملاحظاته حول الحالة الأمنية للطرق يومذاك، وأشار إلى النواحي التي يكثر فيها خروج قطاع الطرق ومداهمتهم قوافل التجار والمسافرين، كما أشار أيضاً إلى القلاع المنشأة لغرض حماية الطرق، ومن يقيم فيها من الجند، والمدد التي يقضونها في تلك القلاع قبل إبدالهم بغيرهم، وما يتصل بذلك من شؤون تهم المسافر في ذلك العهد، لأغراض عملية مباشرة، وتهم الباحث في يومنا هذا، بوصفها تلقي ضوءاً على مرفق مهم من المرافق الاقتصادية يومذاك.

٥ – عنايته بجغرافية المدن:

أ – معاييره في تصنيف المدن:

قدَّم السويدي، من خلال رحلته، معلومات قيمة عن أحوال المدن والقرى العربية في عصره، وقد كان دقيقاً في تصنيفه المستوطنات البشرية التي مرَّ بها، إذ نراه يفرِّق بين المدينة والبلدة الكبيرة، والبلدة الكبيرة والقرية والقلعة ومحطة الطريق، أو المرحلة، ففي حين عدَّ الموصل وحلب وحمص وحماة ودمشق والمدينة المنورة مدناً، وصف كلاً من تكريت وأسكي موصل بأنها بلدة كبيرة، وعد كلاً من الخانوقة ودُنَيسر والرُّها ومعرَّة النعمان والبلقاء بأنها بلد أو بلدة، والبيرة بأنها بليدة، هذا بينما وصف الباب والنَّبَك وسرمين بأنها قرى كبيرة، في حين وصف قرى أخرى مثل تل موس وعين زال ونصيبين وقره دره وخان شيخون وقاره والعُلى بأنها مجرد قرى، وعد نواحي أخرى مثل: بريج، الزرقاء، المزيريب، القطران، عنيزة، المدورة، ذات حج، تبوك، الأخيضر، المعظم، آبار غنم، هدية، قلاعاً، وإن وجد حول بعضها عدد من البيوت. وليس من العسير تحديد معاييره في هذا التصنيف، إذا ما حللنا طبيعة المعلومات التي أوردها عن كل صنف من أصناف المستوطنات هذه، فالمدينة هي التي تتميز بوجود دار للحكم (سلطة سياسية وإدارية) وأسواق متنوعة، وخانات للتجار والمسافرين (نشاطات اقتصادية) وجوامع كبيرة، ومدارس، ووفرة في العلماء (نشاطات ثقافية وروحية) فضلاً عن الأسوار والحصون وبعض المظاهر الأخرى. أما البلدة، فالأوصاف التي أوردها عن بلدة كمعرة النعمان، تشير إلى أنها تلك التي تتميز بوجود أسواق، وجامع كبير، وحمام، وليست البلدان الكبيرة – على ما نفهم من وصفه لتكريت وأسكي موصل – إلا مدناً قديمة، أدى خرابها إلى فقدانها صفتها (كمدن) ولكنها لم تبلغ حد أن تتساوى مع (بلدات) ناشئة ليس لها تراثها أو شهرتها. وعلى هذا الأساس نفسه عد مدناً لها مكانتها السالفة كنصيبين مجرد قرى لأنها «مشرفة على الخراب لا جمعة فيها ولا جماعة».

وتتميز القرى، بحسب وصف السويدي، بوجود بساتين قريبة، مما يدل على غلبة النشاط الزراعي على أهلها، ومع ذلك فإنه وصف قرية حسية الصغيرة بأنها «لها خان كبير

لأبناء السبيل فيه جامع يخطب فيه، وفيه بركة ماء كبيرة، وخارج القرية بركة أكثر من عشر في عشر»، ووصف قرية النبك بأن في «ظاهرها خاناً لأبناء السبيل، وفي داخله خانات للشتاء وفيه جامع خطبة»، وذكر أن لقرية قارة «جامع خطبة» وأنَّ لقرية قطيفة خاناً كبيراً واسعاً» مما دل على النمو الذي أصابته بعض القرى في ذلك العصر، بسبب موقعها من الطرق التجارية، بل إن كثيراً من القلاع التي رآها، ووصفها، كانت مهمتها حماية تلك الطرق والإشراف على حركة النقل، فيها، وقد بدأت بالتحول إلى قرى يسكنها المعنيون بتقديم الخدمات إلى القوافل في عهده نفسه، فقد لاحظ هو أن بعض القلاع قد نمت بقربها بيوت.

ب – وصفه للمدن القديمة:

اهتم السويدي، فيما اهتم به في رحلته، بوصف الآثار الشاخصة أو الدارسة من العصور التالدة، من تلال أثرية، وبقايا قصور وقلاع ومدن دائرة. وفي الواقع فإن مجرد أن تسترعي هذه الآثار اهتمامه يدل على تحسسه البارع لتاريخية المواضع التي كان يجوس خلالها في أثناء رحلته تلك، وهو ما يجعله يقف ضمن أوائل المثقفين العراقيين الذين نالت آثار بلادهم المادية جانباً من اهتماماتهم العلمية، في عصر انحصرت فيه معظم تلك الاهتمامات، لدى علماء آخرين، بالترجمة للأحياء وتسجيل ما أخذوه عنهم من إجازات، وما رووه عنهم من روايات وأخبار. قال واصفاً تل كوش الأثري، إلى الشمال من بغداد بأنه «تل صغير مستطيل أحمر على كتف دجلة الغربي» وحاول، في أثناء مروره ببقايا قصر العاشق الأثري، في ضواحي سامراء القديمة، أن يقدِّم تفسيراً لوجود تسميتين مختلفتين لهذا القصر في عهده، إحداهما العاشق والأخرى المعشوق، وكان الناس، في أيامه، قد نسجوا قصصاً متنوعة حول هاتين التسميتين، فقال هو ناقلاً من القاموس المحيط: إن المعشوق قصر بسر من رأى، ولكنه استدرك بقوله: فلعله غيره، لأن العاشق في الجانب الغربي من دجلة، وسر من رأى في الجانب الشرقي، فلعل هذا البناء يسمى بالعاشق، والقصر الذي يسمى بالمعشوق.. والعاشق هذا بناء قديم لم يبق منه إلا أثر الجدران مبني

بالآجر والجص.

ولاحظ، وهو يمر بالخانوقة، في طريقه إلى الموصل، أن هذا الموضع يتألف من «تلال عظام من تراب مستديرة، بعضها إلى جانب بعض كهيئة القلعة والسور».

ووصف آثار مدينة ثمود الأثرية، في طريقه إلى وادي القرى، ولاحظ عدم صحة ما كان يتداوله الناس حول كونها قد قلبت بسبب غضب الله عليها، فقال «ديار ثمود وتسميها العامة ديار صالح.. وهي أرض موحشة.. وفيها بيوت ذوات أبواب، على سطح كل باب هيئة الدرجين المعكوسين، تظن العامة أنها مقلوبة وليس كذلك كما هو ظاهر لمن تأمل البناء وعقد الأبواب والأواوين، وأكثر البيوت علا عليها الرمل». وإشارته إلى «تأمل البناء وعقد الأبواب والأواوين» لافتة للنظر حقاً، لأنها تدل على أن مروره بتلك الآثار الشاخصة، لم يكن مرور عابر سبيل اعتيادي، وإنما كان مشاهدة، ودرساً، واهتماماً.

ج – وصفه المدن القائمة:

شغف السويدي بوصف عمارة المنشآت المهمة في المدن التي أقام بها أو زارها، ولم يكن وصفه لها مجرد إشارات عابر سبيل، أو تنويه بوجودها فحسب، وإنما وصف تأمل وتدبر، فيه من دقة الملاحظة وحسن التصوير ما هو جدير بالالتفات، ولذا فقد حفلت رحلته بفقرات مسهبة عن عدد من تلك المنشآت، كالمساجد والمدارس والخانات والقلاع. ونحن نراه حين يعمد إلى وصف عمارة منشأة ما، يحيط بالعناصر الرئيسية المكونة لها، على نحو متوازن لا خلل فيه؛ ففي حديثه عن المساجد لا يغفل عن وصف عناصر المسجد الرئيسية: القبة والمحراب والمصلى والصحن والمئذنة، وربما قارن بعض هذه العناصر بغيره مما سبق أن شاهده في مساجد أخرى، واستفاد من النصوص والكتابات الأثرية على المسجد نفسه في التعرُّف على تاريخ إنشائه أو تجديده. قال في وصفه لجامع دُنَيْسر «لها جامع كبير واسع قديم من محاسن الدنيا بناءً وعمارة، إلا أن نصف قبته ساقطة والباقي متداعٍ.. وله محراب في غاية الجودة عليه كتابة عربية وكوفية مكتوب عليها بعض آيات قرآنية، وعليه اسم من

عمّره وهو السلطان خالد تحيط به جدران عالية شامخة، تكتنفها منارتان رفيعتان في غاية الجودة والحسن تشبهان منارة الجامع الكبير في حلب، إلاّ أن هاتين أحسن وأحكم بناءً، وللمصلى الداخل باب عن يمينها وعن شمالها آخر، ويكتنفها أربعة شبابيك يميناً وشمالاً».

وكلامه عن جامع حمص يكشف عن دقة ملحوظة في تتبع تاريخ البناء وما مر عليه من تطورات، وفي تسجيل الكتابات الأثرية التي فيه، وفي إحصائه لأساطين الجامع وأحجامها، وما إلى ذلك من أمور، يقول «جامع كبير في صحنه بركة وعواميد سُمَّاقية ملقاة ومطروحة على الأرض، وأعلى المصلى مسقف بالخشب وظاهر البناء يدل على أنه كان عقداً، فأُخْبِرتُ أن تيمور الخبيث هدمه. وعلى باب الجامع المذكور من خارج كتابة فيها اسم الباني وهو السلطان المالك الملك المجاهد المرابط المؤيد المنصور أسد الدنيا والدين ملك المسلمين أبو الفتح شيركوه بن محمد بن شيركوه ناصر أمير المؤمنين في شهر رجب سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.. وفي داخل المصلى عواميد من الرخام في غاية الغلظ والطول، وهي سبعة عشر عموداً طول الواحد نحو أربعين شبراً، ودوره قدر مايحضن الإنسان ماداً يديه بمرة ونصف».

ووصف جامع معرة النعمان ومئذنته بأنه «جامع كبير في أحسن ما يكون من العمارة، وله منارة رفيعة حسنة البناء مربعة» كما وصف الجامع الأموي في دمشق مجملاً فقال «وهذا الجامع كبير واسع في غاية الحسن من العمارة والنقش والاسطوانات والرواقات بحيث يعلق في كل ليلة من رمضان نحو اثني عشر ألف قنديل كما قيل»، وجاء وصفه لعمارة جامع السليمانية بدمشق ومدرسته دقيقاً، تطرق فيه إلى ما كان يحفل به من برك وفوارات وحجر ومآذن، قال «هو جامع جليل تحيط به البساتين من جوانبه الأربعة، في وسط صحنه بركة ماء واسعة فيها خمس فوارات، وفيه مطبخ يطبخ فيه الطعام، وله حجر متعددة، سقوفها قباب مطلية بالرصاص. وكذا قبة الجامع، وله منارتان حسنتان، والحاصل أنه جامع من عجائب الدنيا إلاّ أن مصلاه صغير.. ويتصل به مدرسة السليمانية، وهي ذات حجر كثيرة في صحنها بركة ماء عشر في عشر ذات فوّارات خمس، وموضع التدريس قبة واسعة

عظيمة تفتح شبابيكها على البساتين من الجوانب الأربع، وجميع قباب الحجر وسطوحها مصفحة بصفايح الرصاص».

واستأثرت الخانات (فنادق المسافرين) بجانب من عناية السويدي، فخصَّ عدداً منها بوصف شامل لمرافقها في ذلك العصر، ويظهر مما ذكره أن هذه المنشآت كانت تمر بمرحلة من الازدهار نتيجة لتطور أحوال التجارة ونموها وبخاصة تجارة النقل في المشرق العربي في أواسط القرن الثامن عشر، وازدياد اهتمام السلطات المحلية بها بوصفها مراكز لحماية التجار، مصدر تمويل تلك السلطات آنذاك. قال واصفاً أحد الخانات عند مدخل مدينة حمص «هو خان كبير مشتمل على خانات، فإذا دخلت بابه رأيت صحناً كبيراً واسعاً في أطرافه حجر لأبناء السبيل وعن يمين الصحن باب كبير فيه خان فيه أواوين وحجر واصطبل، ومقابل الوجه باب كبير أيضاً فيه أواوين وحجر أيضاً وجدول ماء صغير متشعب من العاصي، وعن يساره صحن طويل يشقه جدول من العاصي وعليه ناعورة صغيرة».

كما أشار إلى خانات أخرى في المدن والطرق التي مر بها، منها قزل خان وخان الأغوات (في الموصل)، وخان تومان، وخان حماة وخان القطيفة وخان الزبيب، وغيرها.

ومن ناحية أخرى فإن رحلته حافلة بإشارات مهمة إلى عدد من قلاع المدن، والقلاع التي على الطريق، مثل قلاع شمسين، وبريج، والقطيفة، والمزيريب، والزرقاء، والقطران، وعنزة، والمدورة، وذات حج، وتبوك، والأخيضر، والمعظم وغيرها. ولم يغفل أن ينوه أحياناً بالقرى الكبيرة التي ليس لها سور يحميها.

ونظراً لاهتماماته الدينية والتاريخية فقد سجَّل لنا ما كانت تحفل به مدن تلك العهود من قبور الصحابة، والأولياء، فضلاً عن المقامات المنسوبة للأنبياء، وما هو مشيد عليها – أحياناً– من قباب ومبان.

٦ – عنايته بالجغرافية البشرية:

عُني السويدي بتقديم ملاحظات علمية ذكية عن المجتمعات البشرية التي مر بها، مما يدخل ضمن نطاق ما يعرف بالجغرافية البشرية، فقد تكلم عن الصفات الموروثة لبعض

الجماعات. قال واصفاً أهل ناحية قزل خان «ولهم نسل في بغداد في مشهد الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال لهم القُزُلْخانية، والغالب عليهم الشقرة»، وتطرَّق أحياناً إلى تحديد العروق التي ينتمي إليها سكان بعض النواحي، فقال عن سروج إن «حولها ضيعة تركمان»، وأفاض في مواضع عديدة في وصف الأخلاق العامة لبعض المجتمعات، فوصف سكان بعض القرى بأن «أهلها ليس لهم ملاءمةُ مع الغرباء، وهم من الوحشة التي يستوحشها الغريب على جانب عظيم». وقال عن سكان مدينة حلب «أهلها في غاية الرقة واللطف ونهاية الشفقة والعطف»، وعن قرية سرمين إن «أهلها ليسوا من أهل الأنس» ومثل هذه الأوصاف، على إيجازها، تدل على إحساس قوي لدى رحالتنا بـ(مجتمعات) تلك المدن والقرى التي صادفها، وليس بأفراد منها، يأخذ عنهم الإجازات العلمية أو ينقل عنهم أخبارهم الأدبية، كما كانت تنحصر مهمة الرحالين المحليين السابقين.

ولم يقف السويدي عند تسجيل السمات الظاهرة لبعض ما صادفه من مجتمعات زمانه، وإنما حاول سبر مكنونات هذه المجتمعات، بالنظر إلى ما تضمنه من فئات وشرائح مختلفة، والملاحظات التي ساقها بشأن مجتمع دمشق تقف دليلاً على عمق نظرته العامة، ووعي ظاهر بالقوى الاجتماعية السائدة يومذاك، فلقد لاحظ أن هذا المجتمع يتألف من ثلاث «مراتب» أو «طبقات» اجتماعية، أعلاها ما يسميه بـ«الطبقة العليا من أكابر وعلماء ومشايخ طريق» وأدناها «المرتبة السفلى من الينكجرية (الأنكشارية) ومن كان على طريقتهم من الأرذال الأنذال »أما المرتبة الوسطى فهم« أهل الحرف كالعطارين والبزازين والبقالين وبعض العلماء ومن ينحو نحوهم» وهو حينما يوجّهُ إلى الطبقة العليا انتقاداته القاسية «فراعنة كذابون مراؤون لا علم ولا عمل» فإنه يعلم أنه إنما ينتقد الطبقة التي طالما وقفت على قمة الهرم الاجتماعي للمدينة العربية، والتي تتألف غالباً من القوى الإقطاعية التقليدية (أكابر) وحلفائها من العلماء الكبار وزعماء الطرق الصوفية (علماء، مشايخ)، ولكنه يحس الآن بأن هذه الطبقة أخذت تفقد مبررات احتفاظها بتلك المرتبة، نتيجة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية الآخذة بالظهور في عهده (القرن١٢ هـ / ١٨م)

والمتمثلة بصعود الطبقة الوسطى المنتجة بالدرجة الأساس، وبما أن الطبقة العليا لا تعمل، إذ إنّها تستمد ثرواتها من ملكياتها الواسعة للأرض الزراعية خارج المدن ذاتها، فإنها تفرز قيماً وممارسات سلبية (التسلط، الكذب، المراءاة) .

أما المرتبة أو الطبقة الوسطى، وإليهم ينتمي السويدي فعلاً، فواضح أنها تضم جميع الفئات المنتجة في المجتمع (أهل الحرف) ومن هنا فإنها تفرز قيماً إيجابية تحفظ للمجتمع تماسكه «فلهم رقة وديانة وصلاح وأمانة وإكرام للغرباء وحسن ظن بالصلحاء، يوادّون الغريب، ويكرمونه ويبجلونه» .

ولناأن نلاحظ هنا أن موقف السويدي من فئة العلماء – وهو نفسه معدود منهم – كان موقفاً مركباً، فهو لم ينظر لهم(ككتلة اجتماعية) واحدة، ومن ثمّ فإنه لم يلحقهم، بهذه الصفة، بإحدى الطبقتين العليا، والوسطى، وإنما نظر إليهم من داخلهم، فرأى أن بعضهم قد تحالف مع الطبقة الأولى حفاظاً على مصالح مادية بحتة إذ كان «لهم طريق إلى جلب الدنيا» وهم يحاولون تعزيز مواقعهم بتأكيد دورهم الروحي والثقافي لدى الفئات الأخرى «يودون أن كل أحد يقبِّل أيديهم ويأخذ عنهم الطريق ولا يبالون بأحد، يظهرون للعوام أنهم الهداة المرشدون.. لهم حالة يجلبون بها قلوب العوام ويموِّهون عليهم ويراؤونهم»، وليس لهؤلاء من همٌ سوى جمع الثروات ولو بوسائل غير شرعية، إذ «لهم مظالم، ويتعاطون الربويات، ولهم بيوت صرفوا عليها ما لا يعد ولا يحصى، شاهقة نحو السماء بحيث لو تباهي فرعون لأنكر عليه» .

أما الطبقة الأخيرة، وهي التي يسميها «المرتبة السفلى» فلا يمكن فهم موقف السويدي منها إلا عند دراسة مكوناتها، إذ من الملاحظ أنه عد «الينكجرية» على رأس هذه الطبقة، بينما نعلم أن هؤلاء هم ضباط وجنود فرق الانكشارية العسكرية المكلفة رسمياً بحماية النظام والمدينة، وليس ذلك بغريب إذا ما علمنا بتحول هؤلاء – منذ قرن سابق – إلى مجرد مرادف دقيق لكلمة (رعاع) فقد انقطعت صلاتهم بالدولة المركزية، إلاّ نادراً، ومن ثم تلاشت مظاهر ضبطهم العسكري، بل انخرطت في سلكهم فئات عديدة، طلباً للحماية أو

– في الأكثر – دفعاً لضررهم، وتمثلت فرقهم جميع ما هو قائم بين تلك الفئات من علاقات وخصومات، فكثر رهجهم وزادت مشاكلهم «فهم اجلاف جفاة لادين ولا مروءة»، ومن الطبيعي أن يلحق بالطبقة الوسطى، (وجلُّها من أهل الأسواق والحرف)، أكبر نصيب من آثار الفوضى التي يلحقها الانكشاريون وأتباعهم بأمن المدينة وسكانها.

ويبقى لنا أخيراً أن نقول: إنَّ السويدي هو أول مثقف عربي – فيما نعلم – حلَّل مجتمع المدينة العربية في القرون الأخيرة إلى (طبقات) اجتماعية، متميزة، لكل منها أخلاقها المستمدة من طبيعة ما تقوم به من دور، وهو بالتأكيد أول من أعطى تعبير (الطبقة) بعداً اجتماعياً اقتصادياً ثقافياً واضحاً على النحو الذي شرحناه.

وفي الرحلة، بعد هذا، فوائد جمّة عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية،فقد تطرق – مثلا – عند حديثه عن عادات أهل دمشق، إلى الكلام على زي العلماء الفاخر من «الفرى السمورية والسنجابية والقاقُمية وغيرها بحيث يساوي مالاً جزيلاً».

ووصف عمائمهم، وعمائم من يقلدهم من الناس، ونوّه، وهو في بعض قرى جنوبي الأردن، بأكلات فاخرة، ووصف مكوناتها» من أنواع الحلويات السكرية والكاهي والخروف المحشو والمصارين المحشوة والأكارع والرؤوس المطبوخة أحسن طبخ وعليها ماء الليمون والبلاو المزعفر وعليه قطع اللحم السمينة والحريرة المطبوخة مع ماء الليمون، والمخلل المعمول من الزيتون والقرع وغير ذلك».

كما أشارأيضاً إلى عادات اجتماعية، وتقاليد مرعية، وأعراف شائعة، انتقد بعضها، وأقر البعض الآخر، وهي – على أية حال – تفيد الباحث في رصد الحياة الاجتماعية في المدينة العربية إبان ذلك العهد.

٧- اهتمامه بالجوانب الثقافية:

يمكننا أن نعد رحلة السويدي إحدى الوثائق النادرة، عالية القيمة، التي رصدت الحياة الثقافية في المشرق العربي إبان القرن الثامن عشر، وأوضحت عمق الصلات الثقافية بين العلماء والأدباء في المدن العربية آنذاك، فقد سجَّل فيها أسماء العلماء الذين التقى بهم،

وترجم لبعضهم، ونوه بعلومهم ومعارفهم، ودوَّن عنوانات مؤلفاتهم، وثبَّت شيئاً مما جرى بينه وبينهم من محاورات ومناقشات علمية، وما أخذه عنهم من إجازات، وما أخذوه هم عنه، وتبرز أهمية تلك الإجازات في أنها احتوت قوائم دقيقة بالعلماء الذين أخذ عنهم صاحب الإجازة، فبيِّنَتْ من ثَمَّ طرق تسلسل العلم، وأخذ الرواية.

كما أنه سجل نماذج من نصوص بعض الرسائل الأدبية المتبادلة بينه وبين معاصريه من العلماء والأدباء، وفيها فوائد جمَّة تُعبِّر عن روح العصر وذوقه السائد.

ولم يقصُر رحالتنا اهتمامه على العلماء الذين التقى بهم، وإنما تطرق أيضاً إلى وصف حالة المدارس الكبيرة التي زارها، بيد أنه انتقد تدنّي المستوى العلمي فيها، وتدهور أحوال التدريس في بعضها، فالمدرسة السليمانية بدمشق «لا عيب فيها سوى أن أصوات العلم فيها خامدة، ولا يصرف عُشر العُشر من أوقافها وإنما يأكله الجهلة»، ومدرسة سليمان باشا بدمشق أيضاً «العلم فيها معدوم»، أما المدرسة العمرية فهي «عامرة ذات أوقاف كثيرة لا عيب فيها إلاّ أن العلم والتدريس مفقود بها»، ويقول «أخبرني غير واحدٍ أن في الصالحية مدارس عدد أيام السنة إلاّ أن أكثرها اندرس وأوقافها يأكلها ذوو الرتب من أهل الجهل»، والمدرسة العادلية من أحسن المدارس إلاأنها خربة»، بل شمل نقده جانباً، من النظام التعليمي كله، إذ ذكر أنه سمع أن في دمشق «نحو ألف مدرسة أكثرها اندرس والباقي صار منازل للناس وأوقافها يأكلها هؤلاء الجهلة. ومما اعتادوه أنهم يذهبون إلى الدولة العلية ويشتري له مرتبة تدريس على قانون علماء الأتراك فيكتسب بذلك الكبر والظلم..». وهكذا فإنه أدرك أن جزءاً من الخلل في العملية التعليمية يكمن في قيام بعض من لا يستحق بدفع الرشاوى كي يتولى مناصب علمية، لا بسبب رغبته في ممارسة التعليم فعلاً، وإنما للاستفادة مما هو موقوف على المؤسسات التعليمية من أموال.

وصف النسخ المعتمدة.

خَلَت فهارس المكتبات العامة والخاصة التي راجعناها من إشارة إلى النسخة الأصل التي كتبها السويدي بخطه، ولذا فقد اعتمدنا في تحقيقنا للنفحة على نسختين منقولتين عن

نسخة المؤلف مباشرة، هما:

١ - نسخة بخط علي بن ملاّ طالب البغدادي، فرغ منها في ٨ صفر سنة ١١٥٩ هـ/ ١ آذار ١٧٤٦، أي بعد الفراغ من الرحلة نفسها بنحو سنة واحدة، وتقع في ٢٢١ ورقة، في كل منها ١٧ سطراً، وهي بخط النسخ الجيد، مشكولة، واضحة، إلاّ أن رطوبة أصابتها فطمست معالم كلمات، وفقرات، ومواضع عديدة منها. وهي محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني تحت العدد Add.٢٣٣٨٥ . وفي خزانتنا نسخة مصورة عنها.

٢ - نسخة كتبها محمد سعيد لأستاذه ملاّ عبدالرحمن أفندي دُرّي زاده [العباسي الدوري السُّهْرَوردي] على نسخة المؤلف، في الحجرة الفوقية التي على المصلى من الجانب الشمال في المدرسة المرجانية ببغداد بتاريخ ٥ ش (شوال) سنة ١٢٤٥ هـ/ ٢٩ آذار ١٨٣٠م. وفي أوله تمليك باسم محمد عبدالمحسن [السهروردي] وآخر باسم السيد محمد سعيد مدرس [مدرسة جامع] المرادية، وتقع في ١١٤ ورقة، في كل منها ٢٢ سطراً، وهي بخط نسخ عادي، واضح. وهي محفوظة في مكتبة المتحف العراقي تحت العدد ٦٣٣٥ وفي خزانتنا نسخة مصورة عنها.

ولما كانت هاتان النسختان قد نقلتا من أصل المؤلف مباشرة، وهما واضحتان تماما، باستثناء ما أصاب النسخة الأولى من رطوبة، ومتطابقتان إلاّ نادراً،فإنّنا لم نجد ثمة ضرورة إلى اعتماد نسخ أخرى وردت إشارات إليها في بعض خزائن المخطوطات، لأن ذلك لن يعود على الكتاب بنفع، بل يؤدي إلى أن تتضخم الحاشية بالإشارة إلى الأخطاء التي لابد أن يقع فيه النساخ حين ينسخون الكتاب. وهذه النسخ هي:

١ - نسخة بخط حديث، في مكتبة المتحف العراقي برقم ١٢٤٩٦ .

٢ - نسخة بخط المرحوم إبراهيم الدروبي انتقلت إلى مكتبة مدرسة يحيى باشا الجليلي في الموصل.

٣ - نسخة في مكتبة المتحف البريطاني أيضاً برقم Add.٧٣٣٧.

٤ - نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٥٥٨٠ .

٥ – نسخة في مكتبة كتبخانه ملي ملك في طهران منقولة عن نسخة محمد سعيد ابن المؤلف.

٦ – نسخة في المدينة المنورة، برقم ٢٥٩ .

وثمة مختصرات للرحلة، وقطع منها، في مكتبات عدة، منها:

١ – قطعة من الرحلة ضمن مجموعة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ببغداد برقم ٤٤ .

٢ – رسالة منتخبة من النفحة المسكية في الرحلة المكية، في مكتبة جامعة برنستن في الولايات المتحدة، ضمن مجموعةرقمها ٢١٠ / ١٣ .

٣ – قطعة مختصرة من الأصل. في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد برقم ١٣٧٩٧/١ .

٤ – مختصر في مكتبة المتحف العراقي برقم ١١٥٠٦ .

٥ – مختصر في المكتبة نفسها برقم ١١٦٦٩ .

منهجنا في التحقيق:

١ – اعتمدنا نسخة المتحف البريطاني، التي رمزنا لها بنسخة أ أصلاً، وقابلناها على نسخة المتحف العراقي، التي رمزنا إليها بنسخة ب، فأكملنا، أو استوضحنا ما طُمِسَ منها، وأثبتنا ذلك وسائر الاختلافات في الحواشي.

٢ – تابعنا المؤلف في خط سير رحلته، فعرَّفنا بالمعالم الجغرافية التي مر بها، من مدن وقرى ومحطات وأنهار وغيرها، كما عرفنا بمعظم العلماء والأدباء الذين التقى بهم، وبالمتون والشروح والحواشي التي وردت الإشارة إليها في الرحلة. وضبطنا أسماء الأعلام ونسبتهم بالرجوع إلى مصادر ترجمتهم.

٣ – شرحنا الغامض من اللفظ، وبخاصة المصطلحات الحضارية التي كانت شائعة في عهده، بمايوضح مبهمه.

٤ – خرَّجنا الآي الكريم والأحاديث الشريفة وأثبتنا ذلك في مواضعه.

٥ – قابلنا مقتبساته من الأصول المختلفة على تلك الأصول ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً،

وأثبتنا ذلك في مواضعه أيضاً.

٦ - لم نشأ أن نثقل الحواشي بإثبات اختلافات النساخ المألوفة، والأخطاء الإملائية الشائعة كجعل الممدود مقصوراً أحياناً، أو جعل المقصور ممدوداً، فأصلحنا ذلك كله دون إشارة في الحاشية.

٧ - حولنا التواريخ الهجرية إلى ما يقابلها بالتقويم الميلادي وأثبتنا ذلك في الحواشي.

٨ - وضعنا عنوانات جانبية لكل مرحلة من مراحل الرحلة، وحصرناها بين عضادتين.

وبعد، فهذا هو كتاب النفحة المسكية في الرحلة المكية نقدمه للمهتمين بادب الرحلات، والمعنيين بتاريخنا الثقافي والاجتماعي والجغرافي إبان القرون الإسلامية المتأخرة، والله تعالى نسأل أن ينفع به، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

بغداد ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

النَفْحَة المِسْكيّة في الرِحْلَة المَكّيَّة

النص – التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللّهم يا من سَهَّلت لمن أمَّ بيْتَك صُعوبة المسالك، [1] ومنَحتَه – فضلاً منك – بأن وفقتهُ لمعاطاة جميع المناسك، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من لَبَّى بالعُمرة والحج، وأمثل من أتى بنسك العج والثج،[2] وأنبل من سلك لعبادتك كل فج، وأشرف الساعين لما هنالك، وعلى آله وأصحابه الكرام البررة الخَيَرة العظام، الذين رَوَوْا عنه شعائر الإسلام، حتى انتشرت مَعالِم النُّسك في جميع الممالك ما طاف بالبيت طائف، وما التجأ إلى الحرم خائف، وما قصدته الرواحل في المشاتي والمصائف، في الليال البيض، والدياجبر الحوالك.

[أما بعدُ] فيقول العبد المفتقر إلى لُطْفِ مولاه الأبدي، الراجي سبب عفوه المديد السرمدي، أبو البركات خادم الحديث الشريف عبدالله (ا ب) المعروف بالسويدي: إنه لماتعلقت الإرادة الأزلية بأن يُعفِّر هذا الجاني مُحيَّاه، بصعيد مهابط الوحي في تيك البقاع العلية، حركت سلاسل عزمه، وشدّت حيازيم[3] حزمه، فجزمت نيته، وصفت طويته، فبادر بالإجابة حين حيعل[4] داعي الغيب، واستسهل المهالك بلا شك ولا ريب.

ولما كانت شنشنة[5] السلف، وهجيرى [6] الخلف، أن يحرِّروا ما وقع لهم في أسفارهم، ويُودعوه بطون أسفارهم،اقتفيت آثارهم الحميدة. واقتديت بآدابهم السديدة، فجمعت مما وقع لي في السفر، وذكرت منازل مرتبة على الأثر، وسميته (بالنفحة المسكية في الرحلة المكية)، وأحببت أن أقدِّم قبل الشروع في المقصود فصلين، وإن لم يكونا عن ذلك

---

(١) من هنا إلى آخر الصفحة اصاب نسخة ا خرم وتلف، فاكملناها من ب

(٢) العج: عجَّ. عجّاً، وعَجَّة، وعجيجاً، رفع صوته وصاح، يقال: عَجَّ إلى الله بالدعاء وعجَّ بالتلبية في الحجِّ.. المعجم الوسيط، ج٢ مادة (عجَّ).، والثج: سيلان دم الهدي.

(٣) الحيزوم: وسط الصدر، وشد الحيازم، كناية عن الصبر.

(٤) يريد من قول القائل: حي على، دعوة إلى النهوض بأمر.

(٥) الشنشنة: الخلق والطبيعة.

(٦) الهجيري: العادة والداب.

أجنبيين، أحدهما في ترجمتي اقتداء بعلماء الحديث، كالجلال الحافظ عبد الرحمن السيوطي رحمه الله، ولما سمعته من لفظ شيخنا العالم النحرير، والجهبذ الشهير تذكرة السلف، وعمدة الخلف، زين الملة والدين، الشيخ حسين نوح الحديثي الحنفي(١) تغمَّده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته. ونوح هذا عمُّهُ فنسب إليه، وكفله ورباه فعُرِفَ به. وكان نوح المذكور من العلماء العاملين، والنساك الصالحين، (٢ أ) إنه قال ما معناه: إن الحج وأعماله كناية عن الموت وما بعده، فتأهُّبُهُ وإيصاؤه كناية عن احتضاره، وخروجه من بيته كناية عن موته، وخروج أحبابه لوداعه كنايةعن تشييع جنازته، وغسله للإحرام كناية عن تغسيله بعد موته، ولبسه الإزار كناية عن تكفينه، ووقوفه بعرفة كناية عن موقفه للحساب، ونفره من عرفة كناية عن انقضاء حسابه، إلى آخر ماذكره، تغمده الله تعالى برحمته.

(٢) وثانيهما في السبب الظاهري الذي أوجب هذه الرحلة، ودعا إلى هذه النقلة.

في الترجمة

وذلك لأن الحج - كما تقدم - كناية عن الموت، وهو الرحلة الحقيقية، فناسب ذكر ترجمتنا وماوقع لنا في هذه الدار الفانية مما يليق أن يذكر على وجه مختصر قريب من المجمل، لأنه يتعذر الإحاطة بالمفصل. فأقول وأنا الفقير الجاني، أبو البركات عبدالله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين السويدي :عرفت بالسويدي، أما تسميتي بعبد الله فهي وقعت ثانياً في الغرض، لما حدثتني به أمي - رحمها الله تعالى - أنها قالت: سمَّاك أبوك يحيى باسم عمّ لك تُوفِّي قبيل ولادتك، وكنت أكره أن تسمَّى بذلك تطيراً وتشاؤماً، حيث إن صاحب هذا الاسم، وهو عمك، لم يعش مدة طويلة، (٢ ب) فسميت بمرتضى، ثم عرض لك مرض شديد بحيث ضعفت وصرت عظاماً في جراب، وأنت طفل رضيع،

---

(١) من كبار علماء بغداد في عصره، اثنى عليه المؤلف فيما يأتي من رحلته، وذكر أنه تولى التدريس في المدرسة العمرية سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م، وتلقى هو العلم على يديه، فدرس النحو، وأتقن على يديه حفظ الآجرومية وشروحها وألفية ابن مالك وشروحها ايضاً، وعدداً من كتب النحو المعتبرة. ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٢) من هنا إلى آخر الصفحة مطموس في أ فأكملناه من ب.

فدخلت بعض نساء الجيران فرأتك على ذلك الضعف، فقالت: كأنه عبدالله، تريد بعض مجاورينا، وكان نحيفاً في غاية النحافة، فغلب عليك هذا الاسم ولزمك، قلت: والحمد لله على ذلك لأن عبدالله أشرف الأسماء على الإطلاق، وذلك لأن الله تعالى خاطب نبيه – صلى الله عليه وسلم – في أشرف المقامات بالعبد، فقال في مقام الوحي ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾،[1] وقال في مقام الدعوة ﴿لما قام عبدالله يدعوه﴾،[2] وقال في مقام إنزال الكتاب ﴿الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾، وقال في مقام الاسراء[3] ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾[4] الآية، فلو كان له – صلى الله عليه وسلم – اسم أشرف من هذا الاسم لخاطبه به في هذه المقامات الجلية. قال الشاعر:

لا تدعُني إلا بيا عبد   فإنه أشرف أسمائي

ويلي عبدالله في الشرف عبدالرحمن، فمحمد فأحمد فإبراهيم.

وأما كُنيتي بأبي البركات فقد كناني بها أخي الشيخ الفاضل الشيخ محمد بن الصالح الناسك الشيخ حسين المعروف بابن الغلامي الموصلي، [5] وذلك (عندما) كنا نقرأ شرح هداية الحكمة للقاضي حسين على حاشية اللاري،[6] فجاء (٣أ) في تلك الحاشية:

---

(١) النجم ١٠

(٢) الجن ١٩

(٣) من هنا إلى آخر الصفحة مطموس في أ فاكملناه من ب.

(٤) الإسراء الآية ١

(٥) أديب نحوي، من آل الغلامي الأسرة الموصلية المعروفة، التي يرتقي نسبها إلى بني نجمة من زبيد، له تخميس همزية البوصيري، قدّمه لوالي الموصل الوزير محمد امين باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي (نشره محمد رؤوف الغلامي سنة ١٩٤٠)، وهو غير معاصره الشيخ محمد بن مصطفى الغلامي صاحب كتاب (شمامة العنبر) المتوفّى سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م .

(٦) هداية الحكمة كتاب جمع فيه مؤلفه أثير الدين مفضل بن عمر الابهري (حدود ٦٦٠هـ) بين المنطق والطبيعي والإلهي، وشرحه للقاضي مير حسين بن معين الدين الميبدي الحسيني (توفي سنة ٩٠٤هـ)، وعلى هذا الشرح حاشية لمصلح الدين محمد بن صلاح اللاري(توفي سنة ٩٧٧).

واعترض عليهم الشيخ أبو البركات البغدادي، (وكنت أدعى في الموصل بالبغدادي)[1] فكناني الشيخ محمد المذكور بذلك. وأما نسبتي إلى السويدي فهي نسبة إلى سويد أبي عمي من الأم، وسببها أن صاحبنا العالم الفاضل، والمحقق الكامل، الشيخ حسين بن عمر الراوي،[2] نسبة إلى راوة[3] قرية من أعمال عانة،[4] لما سافر إلى عانة بقصد زيارة أهله، كان يراسلني، فيكتب في عنوان الكتاب: عبدالله بن أخي أحمد بن سويد،[5] فاستطال ذلك فكتب مرة بدل ذلك كله: عبدالله السويدي، فغلبت هذه النسبة عليَّ، وإلا فنحن ندعى بأولاد مرعي جدنا.

وأما أبي حسين فكان من الأخيار الأجواد، ذا عقل رصين وشجاعة وبراعة، كبير قومه وعشيرته، يرجع أمرهم إليه، يستنيرون برأيه، ويهتدون بعقله. وكان ذا مالٍ غزير صرفه كله على الفقراء والضيوف حتى افتقر آخر عمره، فكان يبيع من متاع البيت ويصرفه على

---

(١) ليست في ب.

(٢) هو حسين بن عمر بن حسن بن عبدالله الراوي، عالم مدرس شاعر، وردت بعض أخباره فيما سيورده المؤلف فيما يأتي من رحلته، وفيما ساقه ابنه عبدالرحمن السويدي في كتابه (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء)، وله ترجمة موسعة في كتاب تاريخ الأسر العلمية في بغداد للسيد محمد سعيد الراوي (بتحقيقنا، بغداد ١٩٩٧ ص ٣٨ – ٥٣) وفيه انه تولى التدريس في المدرسة العمرية بعد وفاة الشيخ حسين بن نوح، ثم التدريس في مدرسة الإمام أبي حنيفة، واختاره والي بغداد مفتياً للجيش الذي قاده لفتح مناطق من غربي إيران، وتوفي شهيداً على يد بعض الأشقياء، في أثناء رحلة له إلى راوه سنة ١١٦٥ هـ / ١٧٥١م فدفن هناك.

(٣) راوة بلدة على الشاطىء الشرقي لنهر الفرات في محافظة الانبار، تقابل بلدة عانة (عانات القديمة) وتعد من الناحية الإدارية ناحية تابعة لها، غمرت أغلبها مياه حوض سد حديثة، ولم يتبق منها إلاّ ما كان مرتفعاً على سفوح الجبال.

(٤) بلدة على الشاطىء الغربي لنهر الفرات، تبعد عن مدينة الرمادي، مركز محافظة الانبار، بنحو ٢١٢ كم، عرفتها المصادر البلدانية العربية باسم (عانات)، واللفظ محور عن (آنات) اسم المستوطن البابلي الآشوري والذي ورثته. وذكر ياقوت الحموي (معجم البلدان ج٤ ص ٧٢) أن اسمها كان يطلق على «قرى مضمومة إلى هيت».

(٥) من هنا إلى آخر الصفحة مطموس في أ فاكملناها من ب.

الفقراء والضيفان حتى مات مديناً. وكان له معرفة تامة بأحوال الخيل العتاق، فكان إذا شهد بفرس أنه عتيق، أو أنه هجين، أمضيت شهادته لدى أرباب الخيل، فلم يستطع أحد أن يقول بخلافه.

وأما الدوري (٣ب)، فهي نسبة إلى الدور (قرية)[١] شرقي دجلة، على شاطئها، فوق سر من رأى، وبها مشهد عظيم يزار ويتبرك به، وله أوقاف وجامع خطبة يقال: إنه مشهد الشيخ محمد الدوري، وقد خرج من هذه القرية علماء وصلحاء لا يحصون، وهي عن مدينة السلام بغداد أربع مراحل، لكن مسقط رأسي بغداد في الجانب الغربي في محلة الكرخ. وولدت ليلاً قبيل الفجر عام أربع ومائة وألف، يجمعه حروف غدق.[٢] ومات أبي وأنا ابن خمس سنين تخميناً، وخلّف من الأولاد غيري، شقيقي مرعي وموسى،[٣] وشقيقتي حليمة، وأخي لأبي محمد، وشقيقته آمنة. (و) مات موسى عام اثنين وثلاثين ومائة وألف [٤] في طاعون بغداد،[٥] وكذا أمي ماتت بهذا التاريخ بعلة الطاعون رحمهم الله تعالى. وماتت شقيقته آمنة بعد موت أبيها بقليل. والحاصل أنه بعد وفاة أبينا بقينا لحماً على وضم،[٦] لا حال ولا مال، ولا لبد[٧] ولا سند، ولا تالد ولا طريف، ولا ناطق ولا صامت، أيتاماً لا كافل لنا ولا مربي، ولا ينظر إلينا أحد ممن كان مغموراً بإحسان أبينا، (٤أ) فبقينا بعد ذلك برهة من الزمن تغزل أمنّا القطن وتنفق علينا منه. وكان عمنا أخو

---

(١) ليست في ب. وانظر عن الدور: مقدمة التحقيق.

(٢) بحساب الجمل: غ ١٠٠٠ د٤، ق ١٠٠، فالمجموع ١١٠٤

(٣) من هنا إلى اخر الصفحة مطموس في أ فاكملناها من ب.

(٤) وأولها ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٧١٩م.

(٥) حدد عبدالرحمن السويدي، وهو ابن المؤلف، تاريخ هذا الطاعون الداهم (حديقة الزوراء ج١ ص ٨٣) بانه حدث في أواخرسنة ١١٣١، وذهب عن أهل بغداد في سنة ١١٣٢ وقدر عدد الموتى بانه بلغ الفاً أو يزيد في اليوم الواحد، حتى اضطر والي بغداد إلى الخروج بعسكره إلى سامراء» بينما هرب سائر الناس إلى مختلف الفيافي والنواحي.

(٦) الوضم: ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير، وتركهم لحماً على وضم: أوقعهم فذللهم واوجعهم.

(٧) اللبد هنا: ما يلتزق به.

أبينالأمه الشيخ العارف العامل، والعالم الكامل، المتلقي سائر الفنون، ولا سيما التصوف، عن مشايخ عظام وعلماء، سيدي الشيخ أحمد ابن سويد الصوفي،(١) غائباً عن البلد في القسطنطينية،فلما سمع بموت أبينا أخيه، شدَّ الرحل على الفور، وتوجه إلى مدينة السلام بغداد، فجاءنا ونحنُ على آخر رمق، فكفلنا وربانا وأحسن تربيتنا،إلاّ أن كسوتنا غالبها على أمِّنا على طريقتها السابقة، فبعد مجيئه بثلاثة،(٢) أرسلنا إلى الكتاب، والشيخ فيه إذ ذاك شيخنا الصالح الناسك الورع التقي العالم العامل الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ محمود، من أهل ما وراء النهر، (٣) فختمنا عنده القرآن، وأقرأنا رسالة في التجويد، وتعلمنا عنده الكتابة، رحمه الله رحمة واسعة في الدين والدنيا(٤) والآخرة.

ثم أن عمَّنا ضمنا إليه ليعلمنا حسن الخط، وكان له خط في غاية الجودة ثلثاً ونسخاً على قواعده المعلومة عند الكتَّاب، فأخذ يعلمنا قواعد الكتابة إلى أن مهرنا بها غاية المهارة، لأنه – رحمه الله تعالى – كان (٤ب) يحرضنا عليها ويحثنا على تعلمها إلى أن بقيت أسود مشقي على ضوء القمر. ثم إنه – رحمه الله – أرسلنا إلى الشيخ حسين نوح المتقدم ذكره لتعلم العلم. وكان شيخنا هذا يدرس بالمدرسة العمرية، نسبة إلى والي بغداد إذ ذاك عمر باشا (٥) – رحمه الله تعالى – وهو قد بناها لأجل شيخنا المذكور، فهو أول من درَّس بها

---

(١) كان يتولى أوقاف جامع الشيخ معروف في الجانب الغربي من بغداد، وقد أثنى عليه المؤلف ثناءً جميلاً فيما يأتي من الكتاب، وفصل القول في العلوم والمعارف التي تلقاها عنه. ولم تعلم سنة وفاته.

(٢) كذا في النسختين، ولا ندري إذا كان يقصد: ثلاثة أيام أو ثلاثة أشهر.

(٣) ذكر السيد محمود شكري الآلوسي (مساجد بغداد وآثارها، بتهذيب محمد بهجة الأثري، بغداد ١٣١٤هـ ص ١٣٤) أنه رجل من الأفاضل، ابتنى له عمر باشا المدرسة العمرية ليدرس فيها. قلنا: ونص السويدي التالي يوضح أن أول من درَّس في العمرية هو الشيخ حسين نوح الذي تقدمت الإشارة إليه. أما الشيخ عبدالرحمن فكان مدرساً في الكتاب الذي تردد إليه السويدي، وسيثني عليه فيما يأتي من الرحلة. ولكنه سكت عن تحديد تاريخ وفاته.

(٣) من هنا إلى آخر الصفحة مطموس في أ فاكملناها من ب.

(٥) وذلك سنة ١٠٩٠، وكان قد تولى بغداد من ٢٠ رمضان ١٠٨٨ الى ١ جمادي الأولى سنة ١٠٩٢ ينظر مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد ١٩٦٧، ص ٢٨٣

التدريس العام. وهذه المدرسة على كتف دجلة في الجانب الغربي،[1] شرقي جامع القمرية، بفتح القاف والميم ملاصقة له، فأمرني الشيخ – رحمه الله – بحفظ الأجرومية متناً وإعراب أمثلتها، فحفظتها وأتقنتها غاية الإتقان، فكان إذا وقف أحد من الطلبة في إعراب بيت أو مثال، يقول: سلوا الأسد، يعنيني، رحمه الله. هذا وفي أوان اشتغالي كان إخوتي يتعاطون أمور الدنيا، وكانت والدتي – رحمها الله – بلهاء، وكان نساء المحلة يضحكن عليها، يقلن لها: أيش ينفعك العلم، وأنت امرأة أرملة، وابنك الكبير لا يساعدك في شيء؟ فكانت – رحمها الله – تقول: يا ولدي! نحن فقراء، وأنتم أيتام. هب أن عمَّك يطعمك فمن يكسوك، وأنا لا أصغي لها، حتى ألحت (أ٥) علي في ذلك وقطعت كسوتها عني، كل هذا نشأ من بلهها وإغراء نساء الجيران إيّاها، وإلاَّ فهي في حد ذاتها مباركة، رحمة الله عليها. فبقيت أيام الطلب في غاية الاحتياج بحيث إني لا أجد ما أشتري به شمعاً أو شيرجاً لمطالعة دروسي، وكنت أطالع على ضوء القمر وعلى سرج السوق أيام مبيتي في المدرسة المرجانية[2] وبقيت مدة مديدة ما أكلت لحماً، لأني وقت العصرْ آخذ من بيت

---

(١) وصف السيد محمود شكري الآلوسي هذه المدرسة بقوله: «وكانت في هذه المدرسة حديقة مشتبكة الأغصان، وخزانة كتب يعجز عن وصفها لسان التحرير، وهي اليوم خراب، لامدرس ولاطالب، ولاتقرير ولا كتاب» (مساجد بغداد وآثارها ص ١٣٥) وجددت هذه المدرسة سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م على يد (الحاج عبدالقادر البحرية) كما نطقت بذلك الكتابة المثبتة على الآجر المزجج التي كانت في واجهتها، وقد نقضت المدرسة عند تجديد جامع القمرية الأخير سنة ١٩٧١ – ١٩٧٢م وادخلت أرضها في ساحة مدرسة إعدادية الكرخ للبنين.

(٢) من كبريات مدارس بغداد في القرون المتأخرة، وأمر بإنشائها والي بغداد الجلائري الخواجة أمين الدين مرجان ابن عبدالله بن عبدالرحمن (٧٥٨ – ٧٦٥هـ/١٣٥٦ –١٣٦٣م) مولى الشيخ أويس الجلائري، لتدريس الفقه الشافعي والفقه الحنفي، ووقف عليها، وعلى دار الشفاء التي أنشأها على دجلة عند باب الغربة (أحد أبواب دار الخلافة في العصر العباسي) أوقافا جمة أثبتها في وقفيته التي كتبها بالآجر على باب الخان الكبرى الذي أنشاه بالقرب منهما (خان مرجان) ومنها أربعة خانات ودكاكين متفرقة في جانبي بغداد ومزارع وبساتين خارجها. ينظر نص الوقفية في مصطفى جواد: مجلة لغة العرب، الجزء ٧ (سنة ١٩٢٩)ص ٦٩٠ ومازال جزء من المدرسة قائماً،بضمنه مدخلها والمئذنة القائمةعلى كتفه، بينما نقضت الأجزاء الاخرى وأدخلت في شارع الرشيد عند توسعته، وشيد عند مدخل المدرسة القائم مسجد جامع كبير عرف بجامع مرجان، ومازال آهلاً بالمصلين إلى الآن.

عمي رغيفاً من الخبز وأذهب إلى المرجانية إلى ثاني يوم أفعل مثل الأوّل، وكان العشاء[1] عادة يؤكل بعد المغرب، فلذلك ما أكلت لحماً هذه المدة. وكان [في] هذا الرغيف بركة كثيرة، فكنت أنا والشيخ حسين الراوي والشيخ محمد العاني[2] والشيخ أحمد الالوسي[3] نأكل منه وتبقى منه لقيمات. وكذلك أيام كنت بالمدرسة الأصفهانية المسماة اليوم بالمدرسة الأحسائية،[4] وهي على شاطىء دجلة الشرقي، على يسار محكمة القاضي،[5]

---

(١) من هنا إلى آخر الصفحة مطموس أو غير واضح في أ فاكملناها من ب.

(٢) هو محمد بن محمودالعاني أصلاً والبغدادي، وقفنا على نسخة من حاشية القليوبي على شرح خالد الأزهري على الأجرومية في المكتبة القادرية العامة ببغداد كتب بعضاً منها بخطه (كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج٣ ص ٢٧٠).

(٣) لم نقف له على ترجمة، وهو سابق على أول من عرف من الأسرة الآلوسية الشهيرة، بالعلم في بغداد، وهو السيد عبدالله صلاح الدين المتوفّى سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، (محمد بهجة الأثري: أعلام العراق، القاهرة ١٣٤٥ ص ١١) فلعله واحد من أسلافها الذين سكتت المصادر عن الترجمة لهم.

(٤) إشارة المؤلف إلى أن المدرسة الأحسائية كانت تعرف سابقاً بالأصفهانية مما انفرد به في هذا الكتاب، ومن ثم فلا نعلم سبب هذه النسبة، وقد درّس فيها الشيخ أحمدمحمد بن الأحسائي، وهو عالم مؤلف، ودفن فيها سنة ١٠٨٣ هـ/ ١٦٧٢م، فنسبت إليه، وربما عرفت بجامع الاحسائي أيضاً، ولبثت كذلك حتى أقام فيه الشيخ خالد النقشبندي، مجدد الطريقة النقشبندية في العراق والعالم الإسلامي (المتوفّى سنة ١٢٤٢ هـ/١٨٢٧م) عند عودته من الهند سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٥م، فكان أن عمرها له والي بغداد يومذاك الوزير داود باشا، وقف عليها الأوقاف سنة ١٢٤٠ هـ فعرفت بالتكية الخالدية نسبة إليه. وممن جدد بناءها والي بغداد محمد نجيب باشا سنة ١٢٦٣ هـ/١٨٤٦ (الآلوسي: مساجد ص ٢٧) ولما تزل هذه التكية قائمة إلى اليوم، إلا أنها تدعى (جامع التكية الخالدية) فقد انقطعت عنها حفلات الذكر وحلقاته، لتتخذ مصلى لأبناء المحلات المجاورة. وتقع على شاطىء دجلة، في الجانب الشرقي، وينفذ إليها بزقاق ضيق متفرع من شارع النهر (شارع المستنصر).

(٥) هي المحكمة الوحيدة في بغداد عهد ذاك، وعرفت – بعد إنشاء غيرها من المحاكم المتخصصة – بالمحكمة الشرعية، وقد أشار إليها الرحالة التركي اوليا جلبي (أوليا جلبي سياحتنامه س ج ٤ ص ١٢٠) في أثناء مروره ببغداد في منتصف القرن الحادي عشر للهجرة، كما أشير إليها أيضاً في وقفية حسين افندي بن عبدالله الغرابي المؤرخة في سنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٦م (كتابنا: معالم بغدادص٣١٧) ثم جددت عمارتها على نحو شامل السيدة عادلة خاتون بنت الوزير أحمد باشا (المتوفاة سنة ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨م) ولما تداعى بنياتها نقضته وزارة العدلية (العدل) وشيدت على أرضها بناية جديدة سنة ١٩٣٤م، وتعرف بمحكمة الأحوال الشخصية في الرصافة.

[و] وكنت أنا، والشيخ محمد بن عبدالرحمن الأحسائي، والحاج إبراهيم الصديقي،(1) نأكل من هذا الرغيف وتبقى منه لقيمات حتى تجمع عندي لقم كثيرة في الأسبوع. وكنت إذا لبست(٥ ب) الثوب لا أخلعه حتى يتمزق لعدم الصابون. وكان يطول شعري كثيراً فلا أجد ما أحلقه به، وكان إذا أصابني الاحتلام أغتسل بالماء البارد أيام الشتاء البارد بالماء البارد البائت، وكنت إذا نمْت أيام الشتاء أنام بلا غطاء خشية أن أستغرق في النوم فتفوتني المطالعة. والحاصل وجدت أيام الطلب من المشاق والجوع والسهر والعري والإفلاس ما لا طاقة [لي] به لولا إسعاف الله ولطفه.

وكنت مع هذه المشاق أجد للطلب لذة عظيمة،(2) حتى إني - والله - إذا رأيت أبناء الملوك وأهل الرفاهية أقول في نفسي: هؤلاء لا لذة لهم في حياتهم. وبقيت على هذا الجد والاجتهاد حتى فقت أقراني، ومن كان في الطلب قبلي بسنين، بل ولقد فقت(3) أكثر مشايخي حتى إن بعضهم شرع في القراءة عليّ.

ثم إني سافرت إلى الموصل عام سبع وعشرين ومائة وألف،(4) لتحصيل علم الحكمة والهيئة، فبقيت في الموصل ثلاثة عشر شهراً حتى أكملت جميع الفنون. ومن منن الله تعالى عليّ أيام كنتُ بالموصل أنّه لما جاء الخريف، وكان الوقت بارداً، ولم يكن عندي ماأتغطى به سوى عباءة، وكان لي عادة (٦أ) أني (ما)(5) أنام في ثيابي بل أخلعها وألبس غيرها، ولم يكن عندي غيرها إلا قباء(6) عتيق، فكنت ألبسه وأتغطى بالعباءة، فخطر في بالي ليلة من الليالي كيف يكون حالي إذا دخل كانون وشباط؟ ثم إنَّ الله ألهمني أن قلت:

---

(١) لم نقف لهما على ترجمة.

(٢) من هنا إلى آخر الصفحة غير واضح في أ فأكملناها من ب.

(٣) في ب (وقفت)ولا وجه لها.

(٤) أولها ٧ كانون الثاني (يناير) ١٧١٥

(٥) ليست في ب.

(٦) رداء خارجي يتسم بالطول، يقفل من الأمام بأزرار، ومقور في موضع الرقبة (دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ترجمة أكرم فاضل، بغداد ١٩٧١، ص ٢٨٤

يا عبدالله! أما قرأت العقائد حيث ذكروا أن الشبع والدفء يخلقهما الله عند الأكل واللبس لأنهما يدفعان الجوع والبرد، يمكن أن يشبع الإنسان بلا أكل، ويدفأ بلا لبس، لأن الله هو الفاعل لذلك. فنمت على هذه العقيدة، فرأيت كأن قائلاً يقول لي: اقرأ ما على طوقك، فنظرت إلى طوقي فلم أستطع ذلك، فقلت: إني لم أستطع ذلك، فاقرأ أنت ذلك، فقال: مكتوب على طوقك هذه براءة من العزيز الجبار لعبدالله من البرد والحر والنار! فانتبهت وأنا غرقان من شدة الحر. ومن فضله تعالى ما وجدت برداً ولا حراًّ مع شدة البرد والحر في تلك السنة، وأنا أرجو من الله أن لا أجد ألماً يوم القيامة.

ومما وقع لي أيام الطلب في الابتداء أني ما حفظت الأوجه الخمسة في ﴿لا حول ولا قوة﴾، فنمت فرأيت رجلاً يلقنني إياها، (٦ ب) فانتبهت وأنا أحفظها على الإتقان، وكنت إذ ذاك أقرأ الأجرومية[١] وشرحها. ومما وقع لي أيام حفظي لألفية ابن مالك المسماة بالخلاصة،[٢] أني وظفت على نفسي كل يوم[٣] حفظ خمسة أبيات، فكنت قبيل المغرب أنظر في الكتاب مرّة واحدة وأطبقه وما في حفظي من وظيفتي شطر بيت، فإذا أصبحت وجدتني أحفظ الأبيات الخمسة. والحاصل أني نلت في الطلب نهاية التعب، وغاية النصب، مع عدم المساعد والمعين والناصر والظهير، حتى حصلت على أكثر الفنون من سائر العلوم، شرعية وعقلية، أصولية وفقهية، ولا سيما العلوم العربية. وبرحلتي إلى الموصل كمّلت جميع الفنون سوى الرَّمل والزيج[٤] والسحر.

---

(١) المقدمة الأجرومية، متن مشهور في النحو، ألفه محمد بن دادود الصنهاجي المعروف بابن أجروم، المتوفي سنة ٧٢٣، وقد شرحها كثيرون.

(٢) الخلاصة الألفية في النحو، منظومة في ألف بيت، استوعب فيه ناظمها محمد بن عبدالله الطائي بن مالك، المتوفى سنة ٩٧٢هـ، معظم النحو، وتعد من المتون المشهورة التي كان على الطلبة حفظها عن ظهر قلب في أول عهدهم بالطلب.

(٣) الوظيفة: ما يقدر لك في اليوم من طعام أو رزق أو نحوه (القاموس المحيط) وهي هنا مقدار من العلم يتعين على طالب العلم حفظه، وما زال هذا المعنى شائعاً بين تلاميذ المدارس في العراق حتى اليوم، يريدون به ما يسمى في أقطار أخرى بالواجب البيتي.

(٤) الزيج (جمعة: أزياج وزيجات): جدول حسابي يبين مواقع النجوم وحساب حركاتها.

ثم أنه تعالى مَنَّ عليَّ بزوجة صالحة موافقة، فصبرت على فقري، وكانت تحرضني على الاشتغال بالعلم، فجاءني – والحمد لله – منها أولاد نجباء صلحاء علماء، يبرون بي، فلا يصدر عنهم عقوق، ولا يقصرون معي في حق من الحقوق، أجلهم وأسنهم أبو الخير عبدالرحمن الشعراني نسبة يكون(1)، وذلك أني كنت أطالع المنن (2) لسيدي الشيخ عبدالوهاب الشعراني، وذلك بعد أن بنيت بزوجتي (17أ) بأسبوع أو اقل من ذلك أو أكثر،فرأيت فيها قول الشيخ: ومّما منَّ الله به عليَّ أن ولدي عبدالرحمن من زوجتي فاطمة لا يخالفني ولا يعقني. هذا معنى ما ذكره الشيخ، واتفق أن اسم زوجتي فاطمة أيضاً، فقلت لها: يا فاطمة! انظري إلى ما قال الشيخ، فإنْ منَّ الله علينا بابن لأُسميَنَّهُ عبدالرحمن، تبركاً باسم ابن الشيخ، لأنه عبدالرحمن بن فاطمة، وهذا عبد الرحمن ابن فاطمة، ولأجعلن نسبته الشعراني، نسبة إلى الشيخ الشعراني.

ولد عبدالرحمن هذا في ليلة عشر ذي القعدة، بعد نصف الأربعاء بقليل، عام أربع وثلاثين(3) ومائة وألف،(4) وهو – ولله الحمد –(5) في هذا العصر من أهل الفضل في أكثر الفنون، شرعية وعقلية وعربية، وله مؤلفات في بعض الفنون وحواش متفرقة، وله ديوان شعر، ونظمه في غاية الجودة، وفَّقَهُ الله لطاعاته، وأدرَّ عليه غيوث مبراته، ورضِيَ عنهُ رضاء لاينقطع عدده، ولا ينتهي مدده.

ثم يليه في السِّن البنت العفيفة المصونة الساكنة الصالحة العالمة العاملة أم الخير رقية،

---

(1) كذا في أ، وفي ب (بترك) ولا وجه له.

(2) في النسختين: المتن، بتاء معجمة، والصحيح ما اثبتناه، واسمه الكامل (لطائف المنن والاخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى على الإطلاق) وهو للشيخ عبدالوهاب بن احمد الشعراني المتوفّى سنة ٩٧٣هـ/١٥٦٥م.

(3) من هنا إلى آخر الصفحة مطموس في أ فاكملناها من ب.

(4) ويوافق ١٢ اب (أغسطس) سنة ١٧٢٢م.

(5) في ب (الحمد لله).

والحاصل على تسميتي لها برقية أنّي لما وصلت في شرحي (٧ ب) لدلائل الخيرات[١] إلى عدِّ أولاده – صلى الله عليه وسلم – فنمت فرأيت كأني جالس، مع النبي – صلى الله عليه وسلم – وبضعته الطاهرة سيدتي رقية مضطجعة كأنها نائمة، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يداعبها [و] يقول: من فات مات، مراده – صلى الله عليه وسلم – بذلك إيقاظها كي تجلس، فانتبهت وحمدت الله على أن جعلني مَحْرماً مع أهل بيته – صلى الله عليه وسلم – فنذرت إن جاءتني أنثى لأسمِّيَنَّها برقية تبركاً باسم بضعة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وكانت بنتي رقية إذ ذاك حملاً، والحمد لله أن بركة السيدة رقية ظاهرة عليها فإنها قرأت القرآن أربعين[٢] وحفظتْ رسائل التجويد كالمقدمة الجزرية.[٣] وقرأتْ شمائل الترمذي[٤] والبخاري والشفاء للقاضي عياض[٥] ولها إجازات في سائر كتب الحديث، وحفظت الأوراد والأحزاب، وقرأت شرح بانت سعاد، وقرأت الفقه الشافعي، والفقه الحنفي، وحفظت طرفاً من الأجرومية. وهي إلى الآن في جدٍ في طلب العلم، وفقها الله لطاعاته، ورضي عنها رضاء يستدر جميع خيراته، وقد أجزتها جميع مايجوز لي وعني روايته، (٨أ) ونساء عصرها ممَّن هن من أهل الفضل يستجزن منها الحديث. ولدت رابع عشر شوال، ضحى يوم الاثنين من سنة سبع وثلاثين ومائة وألف.[٦]

ويليها في السن أبو السعود محمد، وكان سبب تسميته بذلك أني كنت وقت حمله أطالع فضل التسمية بمحمد، فنذرت إن جاء هذا الحمل ذكراً لأسمِّيَنَّهُ محمداً، فجاء – والحمد لله – فسميته محمداً، وكنيته بأبي السعود. و– الحمد للّه – هو اليوم من أهل

---

(١) دلائل الخيرات وشوارق الانوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، تاليف محمد بن سليمان الجزولي الحسني المتوفّى سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م، وقد تقدمت الإشارة إلى شرح له في مقدمتنا لرحلته هذه.

(٢) لعله يريد: أربعين مرة.

(٣) منظومة في علم التجويد للشيخ محمد بن محمد الجزري المتوفّى سنة ٨٣٣هـ.

(٤) شمائل النبي صلى الله عليه وسلم للإمام محمد بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ.

(٥) الشفا في تعريف حقوق المصطفى للحافظ عياض بن موسى اليحصبي المتوفّى سنة ٥٤٤ هـ.

(٦) ويوافق ٢٥ حزيران (يونيو) سنة ١٧٢٥م.

الفضل في قراءة القرآن مع تجويده، وفي قراءة النحو والتصريف والفقه والمنطق والاستعارات والعروض ماهر مُحقِّق. وله شعر رائق، ونثر فائق، وصلاح تام، واشتغال عام، وهو إلى الآن في طلب العلوم، وفقه الله لصالح الأعمال، ورضي عنه على مَرِّ الليالي والأيام، آمين، ولد ضحى رابع عشر محرم الحرام يوم الجمعة من سنة أحدى وأربعين ومائة والف.(١)

ويليه في السن أبو الفتوح إبراهيم، كُنِّي بذلك لأنه عام ولادته دفع الله نادر شاه عن بغداد،(٢) وإبراهيم هذا صغير الآن، لم يبلغ الحلم، لكنه قرأ القرآن، وشرع بحفظ متن الأجرومية. ولد في ذي القعدة عام ١١٤٦.(٣)

ويليه في السن سارة، وهي الآن صغيرة، ولدت ضحى يوم (٨ب) الخميس العاشر من محرم سنة.(٤) ١١٥٠ .

ويليها شهاب الدين أحمد، وهو الآن صغير ابن أربع سنين، ولد يوم الأحد، السابع والعشرين من جمادى الآخر سنة(٥) ١١٥٣ وصفية، وهي الآن رضيعة، ولدت ليلة الجمعة ٢٨ من رجب سنة (٦) ١١٥٥ ومات لي ابنان عبدالوهاب وحسين، وبنتان زينب وحفصة.

والحمد لله: إنه صار لي جهات (٧) ووجه معيشة، ونصبت مدرساً في آستانة(٨) قطب العارفين سيدي أبي صالح محيي الدين عبدالقادر الجيلي، قُدِّسَ سرُّهُ، وصرت - والحمد لله - بحيث يشار إليَّ بالبنان، يوقِّرُني العامة والأعيان، ويرفع محلي الولاة، وتتمنى رؤيتي القضاة، مسموع الكلمة، نافذ الأمر. سبحانك! لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت

---

(١) ويوافق ١٩ آب (أغسطس) سنة ١٧٢٨م.

(٢) حاصر نادر شاه بجيشه مدينة بغداد، لأول مرة في صيف سنة ١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢

(٣) في ب (سنة ١٢٤٦).

(٤) ويوافق ٩ آيار (مايو) من سنة ١٧٣٧م.

(٥) ويوافق ١٨ أيلول (سبتمبر) سنة ١٧٤٠م.

(٦) ويوافق ٢٧ أيلول (سبتبمر) سنة ١٧٤٢م.

(٧) الجهة هنا اصطلاح يراد به الجهة الموقوفة التي يدر عائدها على متول لها، أو مدرس، أو بحسب نص الواقف.

(٨) آستانة، لفظ فارسي - عثماني، من معانيه: الحضرة والعتبة.

على نفسك. وكل هذا أيها الواقف على هذه الرحلة من بركات العلم وخدمته، فالحمدلله الذي جعلنا[1] بمنه وأكرمنا بإكرامه.

وقد عنَّ لي أن أذكر مشايخي وما رويت عنهم وقرأته عليهم، نفعنا الله بهم، فأقول: أخذت متن الحديث من جماعات أعلام، وأئمة كرام، منهم المحدث الكبير، والعالم الشهير، رحلة[2] المحدثين، وعمدة المحققين، ذو (٩ أ) النسب الأعلى، والحسب الأبهى، الزاهد الورع، سيدي أبو الطيب أحمد بن أبي القاسم بن محمد المحمدي المغربي ثم المدني،[3] المنسوب إلى حمزة بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن إبراهيم[4] بن محمد [ذي] النفس الزكية بن عبدالله المحض[5] بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

ومنهم سيدي وعمي بركة العباد، وعلم الرشاد، مشكاة المعارف الربانية، ومهبط التنزلات الرحمانية، الجامع بين الحقيقة والشريعة، والحائز من الكمالات كل روضة ريعة،[6] سيدي ووالدي الشيخ أحمد بن سويد الصوفي، تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته، آمين. ومنهم سيدي خاتمة المحققين، وسلطان المدققين، الجامع بين المعقول والمنقول، ومخرج الفروع والأصول، البارع في الفنون العربية المقصود في حل الغوامض الأبية، سيدي جمال

---

(١) كذا في ب، وفي أغير واضحة ولعلها: جلنا.

(٢) الرحلة: العالم الكبير الذي يشد الطلبة الرحال إليه من الآفاق لطلب العلم واكتساب الفوائد.

(٣) ترجم له المرادي (سلك الدرر ج٤ ص ٩١) ترجمة ضافية، ولكنه سماه محمد بن محمد بن محمد بن موسى الشرفي الفاسي المالكي الشهير بابن الطيب، وأثنى عليه ثناء جميلاً، وذكر أنه ولد بفاس سنة ١١١٠ ونشا بها وأخذ عن علمائها وعن علماء كبار غيرهم، ودرس بالحرم الشريف النبوي، وأقام مدة في الشام ومصر، وله كتب كثيرة، منها مسلسلاته في الحديث وهي تنوف على الثلاثمائة، توفي بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ/ ١٧٥٦م.

(٤) في عمدة الطالب لابن عنبة (النجف ١٩٦١ ص ١٠٦) وغاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار (النجف ١٩٦٣ ص ٢٦) أن إبراهيم هو ابن محمد بن عبدالله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية.

(٥) في النسختين: المحصن.

(٦) راع، يريع: نما وزاد، والريعة بالكسر: الجماعة.

الملة والدين الشيخ سلطان بن ناصر الخابوري الجبوري الشافعي،[١] رحمه الله رحمة تدفقت حياضها، وتأنقت رياضها.

ومنهم سيدي السالك مسالك الرشاد، والمتمسك بجميع أحواله بعروة السداد، المتبحر في المعارف الإلهية، والمشار إليه بأنه ذو الرتبة العلية، الصالح الناسك الورع (٩ ب) الصوفي، الشيخ محمد بن عقيلة المكي الحنفي.[٢]

ومنهم سيدنا الفقيه الصالح، والعالم الناجح، ذو الأخلاق الرضية، والأحوال السنية، سيدي الشيخ علي الأنصاري من بني النجار الأحسائي الشافعي.[٣]

وممن أجازنا السيد السند عبدالقادر المكي الحارثي.[٤]

وممَّن أجازنا بالأثبات والسندات، صاحباي العلمان المتبحران الصالحان الناسكان اللذان أخذا من التحقيق أوفر نصيب، وحازا جميع الفنون بالفرض والتعصيب، سيدي ذو التصانيف العديدة، والتحارير المفيدة، الملقب بالسيوطي الصغير، الشيخ أبو بكر جمال الشريعة ابن شيخنا محمد بن عبدالرحمن المفتي ببغداد[٥] على المذهب الشافعي، رحمهم

---

(١) من كبار علماء العراق في عصره، برع في القراءات والعربية حتى صار رئيساً للقراء، وإليه انتهت إجازات عدد من العلماء، وبخاصة في علم القراءات، وسيذكر المؤلف انه اخذ عنه أيضاً علوم الحساب. درَّس في مدرسة الشيخ عبدالقادر الكيلاني وفي المدرسة المرجانية، وفي المدرسة الإسماعيلية، وله مؤلفات مهمة منها (العقود المجوهرة واللآلي المبتكرة) ألَّفه في المدرسة المرجانية سنة ١١١٤، ورسالة (القول المبين في تكبير سنة المكيين) ألفه في المدرسة الإسماعيلية سنة١١١٨ وعرف بجودة خطه، رحل إلى دمشق والحجاز، وتوفي في طريق الحج سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م.و لنا رسالة مخطوطة في سيرته.

(٢) هو الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد المكي، المعروف والده بعقيلة، جمع بين علم الحديث والتصوف، ونبه أمره فيهما، وقصد العراق والشام فتتلْمذ عليه كثيرون، ثم درَّس في بعض مدارس دمشق مدة، وعاد إلى مكة حيث توفي سنة ١١٥٠ ،وله مؤلفات أكثرها في الحديث وسلاسل الرواة والتصوف، كما وضع كتاباً في التاريخ. سلك الدرر ج٤ ص ٣٠

(٣) لم نقف على ترجمته.

(٤) لم نقف على ترجمته.

(٥) من آل الرحبي، وهي أسرة بغدادية قديمة أصلها من رحبة الشام، توارثت إفتاء الشافعية حيناً من الدهر، وسيشير المؤلف إلى محمد بن عبدالرحمن فيما يأتي.

الله. وأبو بكر هذا أخدعن الفقير، فصار حديثنا مديحاً.

وسيدي ذو التحقيق الباهر، والفهم الذي يتوقد توقد النيران في الدياجر، والمحدث الأصولي، أبو محمد الشيخ حسين بن عمر الراوي، الملتجيء إلى الحرم المكي، رحمه الله رحمة واسعة في الدنيا والآخرة، آمين. وهذا الشيخ حسين قد قرأ عليّ فصرنا معه كالشيخ أبي بكر المتقدم.

وممن أجازنا بالأثبات والسندات جماعةٌ كثيرون من أهل العصر، غفر الله لنا ولهم آمين.

ولبست الخرقة، وكانت عرقية،[١] عن شيخنا (١٠أ) الشيخ محمد بن عقيلة، أيام إقامته في بغداد عام ١١٤٥، وأخذت عنه تلقين الذكر وجميع مسلسلاته التي جمعها في تآليف له، وهي خمسة وأربعون مسلسلاً.

وأخذت حديث المصافحة عن العارف بالله، والدّال عليه، الشيخ المرشد، المسلك، مربي المريدين، ومرشد السالكين، سيدي السيد مصطفى البكري الصديقي،[٢] سبط الحسنين الأحسنين. وحديث المصافحة هذا هو قوله، صلى الله عليه وسلم: من صافحني أو صافح من صافحني بست أو سبع دخل الجنة. وفي رواية: من صافحني أو صافح من صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة. لا حديث المصافحة المشهور المروي عن أنس، رضي الله عنه، حيث قال: صافحت بكفي هذه كفّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما مسَّت خزّاً ولا حريراً ألين من كفه صلى الله عليه وسلم، إلى آخره.[٣] والحاصل أني أروي جميع ما تضمنه ثبت

---

(١) لباس للرأس، يصنع من القطن، أو الكتان، ويوضع على الرأس مباشر، تحت العمامة، دوزي: المعجم المفصّل لأسماء الملابس ص ٢٤٤.

(٢) هو مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين الصديقي الحنفي الدمشقي البكري. عالم صوفي كثير التآليف، ترجم له المرادي (سلك الدرر ج ٤ ص ١٩٠) وكان قد قصد بغداد في رحلة طويلة بدأها من القسطنطينية، وسجل وقائعها في كتاب سماه (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان) واقام في بغداد نحو شهرين، من شهور سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م (مخطوط منه نسخة في مكتبة جامعة كمبردج)، والراجح ان السويدي أخذ عنه الإجازة في اثناء إقامته تلك.

(٣) لم أجد هذين الحديثين، على شهرتهما في عصر المؤلف، في الصحيحين والسنن الأربعة ومسندي أحمد والدارمي وموطا مالك.

الشيخ أحمد النخلي[١] المتصل إليَّ عنه بواسطة الشيخ حسين الراوي، وبواسطة الشيخ عبدالكريم الشراباتي الحلبي.[٢]

وبواسطة الشيخ محمد بن رفة،[٣] وبواسطة الشيخ العالم الكبير، والفاضل (١٠ ب) الشهير، سيدي السيد محمد الطرابلسي،[٤] وبواسطة سيدي الشيخ علي الدباغ. الحلبي.[٥] وجميع ما تضمنه ثبت الشيخ عبدالله بن سالم المكي المشهور بالبصري،[٦] المتصل إليَّ عنه بواسطة هؤلاء المذكورين. و جميع ما تضمنه ثبت الشيخ محمد بن سليمان

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالنخلي الصوفي النقشبندي المكي الشافعي، ولد بمكة سنة ١٠٤٤ هـ/ ١٦٣٤ ممن أخذ العلم عن كبار محدثي عصره، ودرَّس في الحرم المكي حتى وفاته في أوائل سنة ١١٣٠ هـ / ١٧١٧م. (سلك الدرر ج١ ص ١٧١) وثبته هذا هو المسمى (بغية الطالبين لبيان المشايخ المحققين المعتمدين).

(٢) هو عبدالكريم بن أحمد بن علوان الشراباتي، علامة حلب في عصره، وشيخ الحديث بها، ولد سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ ممن أخذ الحدث عن علماء حلب ودمشق ومكة. وأخذ العلم على يديه علماء عديدون، وله رسائل، واشتهر بعلو إسناده، توفي سنة ١١٨٧ هـ/ ١٧٦٤م (سلك الدرر ج ٣ ص ٦٣). وسينوِّه المؤلف فيما يأتي من رحلته ببعض اخباره.

(٣) لم نقف له على ترجمة، وآل رفة أسرة بغدادية قديمة برز منها علماء وتجار، ينظر إبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد (بغداد ١٩٦١ ص ٩٣) وإبراهيم الدروبي: البغداديون (بغداد ١٩٥٨ ص ١٥٤).

(٤) هو محمد بن محمد السندروسي الحنفي الطرابلسي، فقيه مؤرخ، تولى الإفتاء في طرابلس مدة يسيرة، وله كتاب في أسماء الصحابة، توفي سنة ١١٧٧ هـ/ ١٧٦٣م. (سلك الدرر ج ٤ ص ٢٤).

(٥) هو علي بن مصطفى الدباغ المعروف بالميقاتي الحلبي، ولد سنة ١١٠٤ هـ / ١٦٩٢م وارتحل إلى دمشق، أخذ العلم عن كبار علمائها وغيرهم، ترجم له المرادي (سلك الدرر ج ٣ ص ٢٣٣) وذكر انه « كان له المعرفة التامة بالأنساب والرجال والتاريخ » وأن له شرحاً على صحيح البخاري لم يكمله وله شعر رقيق. ونقل المؤلف فيما يأتي من رحلته فهرسة بشيوخه ومصنفاته.

(٦) هو عبدالله بن سالم بن محمد بن عيسى البصري الأصل المكي، محدث، ولد في مكة سنة ١٠٤٠ هـ/ ١٦٤٠ وتوفي فيها سنة ١١٣٤ هـ/ ١٧٢٢م له (الضياء الساري على صحيح البخاري) والثبت الذي يشير إليه السويدي هنا، هو المسمى (الإمداد بمعرفة علو الإسناد) ينظر إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج ١ ص ٤٨٠

المغربي[1] المشتمل على كتب كثيرة وطرق ومسلسلات، المتصل إليّ عنه بواسطة الشيخ البصير الشيخ عبدالكريم الشراباتي، عن والده الشيخ أحمد الشراباتي. وجميع ما تضمنه ثبت الشيخ محمد بن عبدالله المغربي[2] المتصل إليّ عنه بواسطة الشيخ حسين الراوي، والشيخ محمد الطرابلسي، والشيخ عبدالكريم الشراباتي. وجميع ما تضمنه ثبت الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني[3] بواسطة الشيخ عبدالكريم عن أبيه عن الشيخ إبراهيم المذكور. وبواسطة الشيخ مصطفى [4] عن شيخ العراق على الإطلاق، شيخنا الشيخ خليل الخطيب البغدادي[5] عن الشيخ إبراهيم. وجميع ما تضمنه ثبت الشيخ أبي بكر أفندي رئيس الكتاب في الدولة العثمانية[6] المرسل إليه من المدينة المنورة، المتصل إليّ بواسطة الشيخ أحمد بن سويد. وجميع ما تضمنه ثبت الشيخ عبدالغني النابلسي[7] المتصل إليّ بواسطة

---

(١) هو محمد بن سليمان المغربي الرودني، المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ/١٦٨٣م. له (صلة الخلف بموصول السلف) و(جمع الفوائد)، وأولهما هو الثبت الذي يشير إليه السويدي. ينظر: محمد الكتاني: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ص ١٧٦

(٢) هو محمد بن عبدالله السجلماسي الأصل، الفاسي الدار، المدني المالكي، المعروف بالمغربي، محدث له فهرسة في أسانيده، توفي سنة ١١٤١هـ/ ١٧٢٨م. ابن سوده: دليل مؤرخ المغرب ص ٣٥٤

(٣) هو إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري الشافعي النقشبندي، نزيل المدينة المنورة، محدث، صوفي، ولد سنة ١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦ وتوفي سنة ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م له مؤلفات كثيرة اغلبها في التصوف والأذكار والعقائد، والثبت الذي يشير إليه السويدي هنا هو كتابه (الأمم لإيقاظ الهمم) فقد ذكر فيه أسانيده ومن روى عنهم، وهو يتضمن طائفة كبيرة من علماء الشام والحجاز من مشايخ المؤلف في القرن الحادي عشر، البغدادي: هدية العارفين ج١ ص ٣٥ والآثار الخطية في المكتبة القادرية ج١ ص ٢٥٤

(٤) يريد مصطفى بن كمال الدين الصديقي البكري، وقد تقدم.

(٥) لم نقف له على ترجمة.

(٦) الراجح أنه أبو بكر بن مصطفى باشا الحنفي القسطنطيني، أحد كبار الكتاب في الدولة العثمانية، وقد ترجم له المرادي (ج١ ص ٥٣) وذكر أنه كان «من أرباب المعارف والكمال». توفي سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧م.

(٧) هو عبدالغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي الدمشقي، وُلِدَ سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م وأخذ العلم عن كبار علماء مدينته، ثم رحل إلى معظم مدن الشام، ومصر، والحجاز، حيث أخذ عن علمائها، اشتهر بوفرة التأليف حتى قيل: إن مصنفاته «لا تحصى».. وتوفي سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م. سلك الدرر ج٣ ص ٣٠

الشيخ عبدالكريم الشراباتي. وجميع[1] (١٣أ) ما تضمنه ثبت الشيخ عبدالله الكنكسي[2] المتصل إليَّ بواسطة السيد محمد الطرابلسي عن الشيخ أحمد الملوي. وجميع ما تضمنه ثبت الشيخ علي العقدي،[3] وثبت الشيخ منصور المنوفي[4] وثبت الشيخ عبدالرزاق البشيشي[5] المتصلات إليَّ بواسطة الشيخ محمد الطرابلسي عن مؤلفيها، وجميع ما تضمنه كتاب مسلسلات الشيخ محمد بن عقيلة عنه.

واعلم أن السيد محمد الطرابلسي، والشيخ عبدالكريم الشراباتي، والشيخ علي الدباغ، والشيخ محمد الزمار،[6] وهؤلاء كلهم استجازوا مني، واستجزت منهم، فأحاديثنا ورواية بعضنا عن بعض من قبيل حديث المديح.

وقرأت مصطلح الحديث شرح ألفية العراقي له [7] على شيخنا نادرة الدهر، وغرَّة جبهة العصر، ذي التآليف التي دلَّت على طول الباع، وأنه الذي انعقد عليه الإجماع، سيدي حسين أفندي نظمي زاده.[8] ومن شرح النخبة[9] وبعض شرح ألفية المصطلح للشيخ زكريا

---

(١) أحدث مجلد النسخة أ هنا خللا في ترتيبه أوراقها، فأصلحناها على وفق ترتيبها في ب.

(٢) سيتردد ذكره، فيما يأتي من هذه الرحلة ولم نقف على ترجمته.

(٣) لم نقف على ترجمته.

(٤) هو منصور بن علي بن زين العابدين المنوفي البصير الشافعي، فقيه محدث، توفي سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م. الجبرتي :عجائب الآثار ج١ ص ٧٤

(٥) لم نقف على ترجمته.

(٦) هو محمد بن حسين بن مصطفى الشهير بالزمار الشافعي ترجم له الطباخ (اعلام النبلاء ج٦ ص ٥٣٣) فقال: إنه في الأصل من تدمر، ونبه في العلم، وانتفع به كثير من أهل حلب، وغيرها،و نقل عن ابن ميرو الحلبي أنه «بركة حلب ومعتقدها». وسيترجم له المولف فيما يأتي من رحلته.

(٧) الالفية في مصطلح الحديث نظمها عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي المتوفَّى سنة ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٤م، وشرحها الذي يشير إليه المؤلف هنا هو كتاب سماه (فتح المغيث). السخاوي: الضوء اللامع ج٤ ص ١٧١

(٨) من علماء بغداد النابهين، أتقن لغات عديدة، وكان أستاذاً في العلوم العربية والتفسير ومصطلح علم الحديث. له (لغات تاريخ وصاف الحضرة) تطرق فيه إلى اللغات التركية والمغولية. وتوفي سنة ١١٣٠ هـ/ ١٧١٧م. عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق ج٢ ص ٣٣

(٩) يريد كتاب (نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر) وهو متن في مصطلح علم الحديث، تاليف احمد بن علي=

الأنصاري،[1] بقراءة أخينا الشيخ سليمان بن الشيخ أحمد الواعظ ابن تاج العارفين، على شيخنا الشيخ سلطان[2] رحمه الله.

وأخذت الفقه (١٣ ب) وأصوله والفرائض عن شيخنا الذي عقمت النساء أن يلدن مثله، وانعقد الإجماع على أنه لا أحد يداني فضله، الملقب بالشافعي الصغير، وابن حجر الكبير، سيدنا شيخ الإسلام والمسلمين، وزين الملّة والدين، الشيخ محمد بن عبدالرحمن الرحبي[3] المفتي على المذهب الشافعي ببغداد، رحمه الله رحمه واسعة انتشر عطرها وفاح، وأينعت رياضها في الغدو والرواح، آمين. قرأت عليه شرح المنهج لشيخ الإسلام.[4]

وشرح جمع الجوامع للجلال المحلي،[5] مع مراجعة حاشية شيخ الإسلام[6] وحاشية الشيخ ابن قاسم العبادي[7] المسماة بالآيات البينات. وقرأت عليه شرح المنظومة الرحبية للخطيب الشنشوري.[8] وسمعت عليه طرفاً من ابن حجر.

=ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ، وقد شرحها عديدون فلا يعلم اي شرح منها أراد.

(١) يريد كتاب التبصرة والتذكرة في علم مصطلح الحديث، تاليف زكريا الانصاري المتوفّى سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٩م.

(٢) يريد سلطان بن ناصر الجبوري وقد تقدم.

(٣) ترجم له عصام الدين عثمان العمري (الروض النضر في ترجمة أدباء العصر ج٣ ص ٩٠)، كما ترجم لأبيه عبدالرحمن، وأثنى عليهما لكنه سكت عن ذكر تاريخ وفاتهما .و ذكر الدروبي (البغداديون ١٣٦) أنه كان لآل الرحبي مجلس حافل في محلة باب الشيخ ببغداد تصدَّر فيه العلامة محمد الرحبي المذكور.

(٤) الراجح أنه يريد كتاب (منهاج الطالبين) في فروع الشافعية، تاليف يحيى بن شرف النووي المتوفّى سنة ٦٧٦ هـ. وله شروح عديدة، أشهرها (تحفة المحتاج لشرح المنهاج) تاليف أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي المتوفّى سنة ٩٧٣هـ.

(٥) جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين عبدالوهاب بن علي بن السبكي المتوفّى سنة ٧٧١هـ، وأحسن شروحه لجلال الدين محمد بن احمد المحلي المتوفّى سنة ٨٦٤هـ.

(٦) يريد حاشية القاضي زكريا بن محمد الانصاري المتوفّى سنة ٩١٠ هـ على شرح المحلي المذكور.

(٧) هو أحمد بن قاسم العبادي المتوفّى سنة ٩٩٤ هـ/ ١٥٨٥م.

(٨) شرح المنظومة الرحبية في علم المواريث، تاليف عبدالله الشنشوري المتوفّى سنة ٩٩ هـ/ ١٥٩٠م.

وأخذت علم التفسير عن شيخنا الشيخ حسين أفندي نظمي زاده، قرأت عليه تفسير جزء عم للقاضي البيضاوي.[١] وقرأت على ذلك درساً حاشية المولى عصام الدين[٢] مع ما كتب عليها. وحضرت بعض دروس شيخنا الشيخ سلطان في تفسير البيضاوي مع حواشي عصام.

وأخذت علم التجويد والقراءات على عمّي الشيخ أحمد بن سويد، وعلى الإمامين الهمامين، تذكرة الكسائي وأبي عمرو،[٣] الحائزين الفنون الجمة،و الموجودين رحمة لطلاب الأمة، سيدي السيد درويش (١١أ) العشاقي،[٤] وسيدي الشيخ محمد بن محمد المصري، رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنهم فسيح جنته دار القرار، أمين.

وقرأت علم الكلام على شيخنا ذي الفنون العديدة، والتصانيف المفيدة، الفتح الموصلي[٥]. وقرأت عليه شرح مختصر المنتهى للقاضي عضد الملة والدين[٦]. وقرأت عليه أيضا حواشي السيد الشريف[٣] على الشرح المذكور. وسمعت طرفاً من علم الكلام على شيخنا الشيخ سلطان، وقرأت عليه شرح الورقات[٨]، وقرأت عليه حاشية القليوبي[٩]

---

(١) يريد القاضي عبدالله بن عمر البيضاوي المتوفّى سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م.

(٢) لمحمد بن عربشاه عصام الدين المتوفّى سنة ٩٥١ هـ/ ١٥٤٤م حاشية على تفسير البيضاوي المذكور.

(٣) يريد علي بن حمزة الكسائي وأبا عمرو ابن العلاء البصري. من أبرز ائمة علم القراءات.

(٤) إن اضطراب ترتيب ارقام الأوراق في نسخة أ مستمر إلى هنا بسبب خطا مجلدها.

(٥) هو فتح الله أفندي ابن الصباغ، عالم من أهل الموصل، وصفه محمد أمين العمري (منهل الاولياء ج١ ص ٢٦٥) بأنه كان «عالماً متوقد الفكرة، لوذعياً فائق الفطنة، ماهراً في كل فن ، متضلعاً في كل علم، له تآليف عديدة، وحواشي وتعليقات مفيدة» وذكر أنه انتقل من الموصل إلى درنده سنة ١٤٠ هـ/ ١٧٢٧م ثم توفي هناك، وسكت عن تاريخ وفاته.

(٦) شرح مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، تاليف عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي المتوفّى سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م.

(٧) السيد الشريف الجرجاني المتوفّى سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م.

(٨) الورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله الجويني الشافعي المتوفّى سنة ٤٧٨ له شروح عديدة، فلا يعلم أي شرح أراد هنا.

(٩) هو أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي المتوفّى سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م. هدية العارفين ج١ ص ١٦١

عليه[١]، وحواشيه هو على الحاشية.

وأخذت النحو عن شيخنا الشيخ حسين نوح. قرأت عليه الأجرومية، ثم شرحها للشيخ خالد الأزهري[٢]، وبعضا من شرح الأزهرية[٣]. وقرأت عليه بعد مدة شرح ألفية ابن مالك للجلال السيوطي بالنهجة المرضية، مع مراجعة حواشيها لشيخ مشايخنا أحمد محمد الأحسائي[٤]. وقرأت عليه مغني اللبيب لابن هشام[٥]، وحواشيه للشمني[٦]. وعن شيخنا، سيبويه زمانه، الشيخ سلطان، أتممت عليه شرح الازهرية. وقرأت عليه شرح القطر للمصنف[٧]، وسمعت عليه شرح قواعد ابن هشام للشيخ خالد[٨] بقراءة بعض الإخوان.

وأخذت علم الصرف عن شيخنا الشيخ حسين[٩] المذكور، وعن شيخنا الشيخ سلطان سمع(١١ب) عليه شافية ابن الحاجب[١٠] وشرحها للنيسابوري[١١] بقراءة أخينا الشيخ احمد العاني.

وأخذت المعاني والبيان والبديع على شيخنا حسين أفندي نظمي زاده، قرأت عليه الشرح

---

(١) كتب القليوبي حاشيته على أحد شرحين وضعهما احمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة ٩٩٢ هـ / ١٥٨٤م على الورقات. ينظر كشف الظنون ص ٢٠٠٩

(٢) يريد شرح المقدمة الأجرومية لخالد بن عبدالله بن أبي بكر الأزهري المتوفّى سنة ٩٠٥ هـ/ ١٤٩٩م.

(٣) يريد شرح المقدمة الأزهرية لخالد الأزهري.

(٤) هو تقدم التعريف به في ص ٧٠.

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، متن في النحو، لعبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري المتوفّى سنة ٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠م.

(٦) (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام) تاليف احمد بن محمد التميمي الداري الشمني المتوفّى سنة ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٧م.

(٧) قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، ويريد بالمصنف ابن هشام نفسه.

(٨) لعله لأبي عبدالله بن سليمان الكافيجي المتوفّى سنة ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م.

(٩) يريد حسين نوح المتقدم.

(١٠) الشافية كتاب تعليمي مختصر في علمي الصرف والخط، تاليف عثمان بن عمر بن الحاجب المتوفّى سنة ٦٤٦هـ.

(١١) شرح الشافية لحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المعروف بنظام الدين الأعرج (كان حياً سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤م.

المختصر على التلخيص مع مراجعة الشرح المطول[١] وسمعت حصّة منه على شيخنا الشيخ سلطان بقراءة أخينا الشيخ عبدالله الشطيحي[٢]. وعلى الشيخ سلطان ألفية المعاني والبيان نظم الجلال السيوطي[٣]، بقراءة أخينا الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأحسائي الحنبلي. وسمعت عليه حصة كبيرة من شرح مقدمة الاستعارات للملا عصام[٤] مع قراءة حواشيها للزيباري[٥]، ومراجعة حواشي حفيده[٦] بقراءة بعض الإخوان، وقراءة رسائل المنطق، كشروح إيساغوجي[٧] لحسام كاتي[٨]، وللفناري[٩] مع حاشية قول أحمد[١٠]، وشرح الشمسية[١١] مع حاشية السيد، وشرح التهذيب للجلال الدواني.[١٢]

---

(١) يريد الشرح المختصر الذي وضعه سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفّى سنة ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩م على كتاب تلخيص المفتاح في المعاني والبيان تأليف جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق المتوفّى سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م. والشرح المطول له ايضاً.

(٢) كذا ضبطت في أ ولم نقف على ترجمته.

(٣) نظم جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الفية المعاني والبيان من القسم الثالث من مفتاح العلوم لسراج الدين يوسف السكاكي المتوفّى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م.

(٤) يريد إبراهيم بن محمد بن عربشاه الشهير بعصام المتوفّى سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م. ورسالة الأستعارات لأبي القاسم الليثي السمرقندي.

(٥) هو حسن بن محمد الزيباري.

(٦) في النسختين: حفيه، والصواب ما أثبتناه، يريد انه قرأ الحاشية التي وضعها علي بن صدر الدين حفيد عصام المذكور.

(٧) إيساغوجي متن مشهور في المنطق لاثير الدين الابهري المتوفّى سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١م.

(٨) حسام الدين حسن الكاتي المتوفّى سنة ٧٦٠ هـ ١٣٥٨م.

(٩) محمد بن حمزة الفناري المتوفّى سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م.

(١٠) قول احمد بن محمد بن خضر المتوفّى سنة ٩٥٠ هـ/ ١٥٤٣م.

(١١) الشمسية متن في المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي المتوفّى سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣م ولها شروح عدة، ونرى أنه يقصد هنا الشرح الذي وضعه قطب الدين محمد بن محمد التحتاني المتوفّى سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م لقوله فيما يأتي: إنه قرأ حاشية السيد عليه، والمقصود بالسيد، الشريف علي ابن محمد الجرجاني، والمعروف أن حاشية الأخير تقع على الشرح المذكور.

(١٢) يريد شرح تهذيب المنطق والكلام تأليف محمد بن أسعد الصديقي الدواني، جلال الدين المتوفّى سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢والأصل لمسعود بن عمر التفتازاني.

مع حاشية مير أبي الفتح[1] بعضها، على الشيخ العلامة، والحبر الفهامة، جامع المعقول والمنقول، حائز الفروع والأصول، سيدي الشيخ مصطفى أفندي الغلامي[2]، وبعضها على الشيخ الفتح الموصلي، وبعضها على المحقق المدقق سيدي يوسف أفندي الموصلي[3].

وأخذت علم الوضع على الشيخ سلطان، وعلى يوسف أفندي وعلى غيرهما.

وأخذت علم آداب البحث عن الشيخ(١٢أ) يوسف وغيره.

وأخذت علم الهيئة ورسائل الاسطرلاب وربع المجيّب وذات الكرسي عن البحر الجامع، والغيث الهامع، سيدي سليم أفندي الموصلي[4].

وأخذت الحساب عن أخينا الشيخ حسين، قرأت عليه بعض شرح الزمزمية، وعن الشيخ سلطان، قرأت عليه وعلى غيره خلاصة الحساب للبهائي[5].

وأخذت الهندسة عن بعض العصريين. وأخذت أصول الفقه الحنفي عن يوسف أفندي،

---

(١) حاشية على الشرح المتقدم تأليف محمد بن أمين بن أبي سعيد السعيدي الأردبيلي الشهير بمير أبي الفتح المتوفّى سنة ٩٧٦ هـ/ ١٥٦٧م.

(٢) ترجم العمري (منهل الأولياء ج ١ ص ٢٥٢) بقوله «كان إماماً مبرزاً في فقه الشافعية وأصول مذهبهم، وحواشيه تدل على كمال فطنته ورسوخ قدمه فيها، فلذلك كان فقيههم وإمامهم، وكان له معرفة تامة بباقي العلوم قرأ في الموصل على شيوخها، ورحل في طلب العلم فحصل منه كل نادرة». وذكر أنه مات ظناً سنة نيف وثلاثين ومائة وألف. وترجم له ولده محمد الغلامي (شمامة العنبر ص ٩٧) فقال إنه رحل إلى القسطنطينية ومات هناك.

(٣) هو المعروف بيوسف النائب، أثنى عليه محمد أمين العمري (منهل الأولياء ج ١ ص ٤٠٢) وقال إنه كان خبيراً بدقائق الفقه وأصوله والفرائض والحساب. وكذلك إليه المدرسة الجرجيسية. وذكر أنه توفي بعد سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧م. كما ترجم له الغلامي في شمامة العنبر ص ٢٥٨ وعصام الدين العمري (الروض النضر ج١ ص ٤٠٢) وليس فيما ذكراه إلا الإطناب في الثناء.

(٤) هو سليم أفندي الواعظ الموصلي المتوفّى سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧م، وكانت له اليد الطولى في الحساب والزيج والاسطرلاب. عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك في العراق ص ٢٦٠

(٥) خلاصة الحساب تأليف محمد بن حسين بن عبدالصمد الحارثي العاملي الهمداني، بهاء الدين، المتوفّى سنة ١٠٣١ هـ/ ١٦٢١م وله شروح من أشهرها شرح جواد بن سعد بن جواد الكاظمي المتوفّى سنة ١٠٦٥ هـ/ ١٦٥٤م.

سمعت عليه التلويح[1]. وبهذا نختم لما قرأناه ليكون الختام مسكا مع الترجيح.

وقد قدّمنا أن تاريخ الولادة (غدق)، والتاريخ في هذا الوقت سبع وخمسون ومئة والف، فقد بلغت الآن من العمر ثلاثة وخمسين عاما، وعلى الله إتمام باقي العمر بالخير. نسأل حسن الخاتمة والعفو والعافية في الدين والآخرة، آمين. وقد بلغت مؤلفاتي الآن عشرة مؤلفات، وإنْ منَّ الله عليّ بطول العمر خدمت صحيح البخاري بتعليق شرح عليه، وأكملت محاكمتي بين الدماميني والشُّمّني[2] الواقعين على مغني اللبيب[3].

---

(١) يريد التلويح على التوضيح، لسعد الدين مسعود التفتازاني، والتوضيح شرح لتنقيح الاصول، في أصول الفقه، وكلاهما لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي المتوفّى سنة ٧٤٧ هـ/ ١٣٤٦م.

(٢) ينظر ما تقدم عن مؤلفاته في مقدمتنا للكتاب.

(٣) هنا ينتهي الفصل الاول، من الفصلين الذين أضافهما المؤلف على كتاب رحلته، أما الفصل الثاني فهو يختص بذكر المناقشات العقائدية دارت بينه بصفته ممثلاً عن الجانب العثماني، وبعض العلماء الإيرانيين الذين كانوا بصحبة نادرشاه. ولا صلة لها بالرحلة، فضلا عن أنها تؤلف رسالةمستقلة تماماً منها نسخ خطية عدة في خزائن مختلفة، وقد طبعت مستقلة مرات عدة، منها بعنوان (الحجج القطعية على اتفاق الملل الإسلامية) ومرة بعنوان (مؤتمر النجف). وجميع هذه المناقشات تعبر عن اختلافات مذهبية بحتة، والذي نراه أن المؤلف أقحم هذه الرسالة على رحلته إقحاماً، فلا صلة لموضوعها بغاية الرحلة وسياق وقائعها، وعليه فلم نرَ وجها لإثباتها هنا. وهي تشغل الأوراق من ١١٥أ إلى ١٣٤أ من نسخة أ.

[الرحلة]

(٣٤أ)

وأشرع في المقصود فأقول:

كان استئذاننا لأجل الحج من الوزير المحترم، والدستور المكرّم، حضرة أحمد باشا[١] ـ أدام الله نصره ـ يوم السبت الثامن عشر من ربيع الأول عام سبع وخمسين ومئة وألف من الهجرة[٢]. وإنما احتجت إلى الاستئذان لأن العادة في بغداد إذا كان لأحد جهة تدريس أو خطابة أو إمامة لابد له من أن يستأذن من والي بغداد، وقدّمت في صدر الاستئذان قصيدة داليّة[٣]:

كم للهوى من رياقٍ فوق أجياد ... شوقاً إلى ساكني أكنافَ أجيادِ
وللجفون انهمالٌ لا يشابهه[٤] ... من السواري هتُون رائحُ غادي
صبٌ يبيتُ على فُرْشِ الضنّا وله ... قلب ثوى بين أعواد وعُوّاد
يهيمُ وجداً إذا سار الحجيجُ ضُحىً ... وتستحث قواه نغمة الحادي
تزيده شجناً[٥] ورقاء إن صدحت ... وذكرت[٦] نغمات الشادن الشادي
إذا تذكرت والذكرى تهيج جوى ... مهابط الوحي شبّت نار إنكادي

(٣٤ب)

من لي بكوماء مرسال تُبلّغني ... أرض الحجاز لتطفي نارَ أكبادي

---

(١) والي بغداد وقد تقدم التعريف به في المقدمة.

(٢) الموافق ليوم ٣٠ نيسان (أبريل) سنة ١٧٤٤م.

(٣) ديوان عبدالله السويدي ص ٢٢ ـ ٢٣

(٤) في الديوان (يشابهها).

(٥) في الديوان (شجناً).

(٦) في الديوان (فذكرت).

مــوافــيــاً مكة الغــراء ذا جـــذل بُشــراي إذ ذاك في عُــرس وأعـــيــاد
مــتى أراني للأكــســوار ممتطيــاً أفــري فــيــافي أغــوار وأنجــاد
وكلمـــا نهـــضت آمـــال مُكتــئب فــالعـجــز يقـعـدها قـهـراً بأقـيـاد
وكــيف يبــرد قلبــاً باتَ مــضطرمـاً وجـــذوة في حـــشــاه ذات إيقـــاد
وكــيف يهـدأ طرفُ ظلَّ منســجـمـاً والقلب ظمــآن وجــد شــيّق صــادي

(٣٥أ)

يَئِســْتُ لولا رجــائي بالذي سطعت بــه مـــــآثــر آباء وأجـــــداد
هو الوزير الذي عـــمّت مــواهبــه داني الحــواضــر والقــاصي من البــادي
هو الغـــيـــاثُ إذا مـــا أزمـــة فــدحت وهــو المرام لِقُـــــصـــاد ووراد
كــهـفُ العـفـاة مـلاذُ المسـتـجـيـر به غـــوث الصـــريخ به غـــيـثُ لمرتاد
مُجندِلُ الشُّوس والهـيـجـاءُ في سُعُرٍ مُـــردي الكمـــاة ببــتّــار ومــدّاد
يدبّر[1] الأمـــر والأخطارُ مــعــضلةٌ جِـــدّاً فــيُلبــســهـــا أثواب إرشــاد
بحــرٌ ولكـنـمــا عَــذْبٌ مــذاقــتــه يولي الورى عـرفـه من قـبل مـيـعـاد
ذَلّتْ لسطوته صُمُّ العـــتـــاةِ وقـــد كــان الجــمــيع أبيــاً غــيــر مُنقــاد
له التــدابيــر أغنتْ عن مُـضــاعــفــةٍ من العــســاكــر قــد مُـدّت بأجناد[2]

(٣٥ب)

لا ســيــمــا ثالث الوقــعــات حين أتى ديارنا الشــاهُ يبـغي ضـبط بغـداد[3]
في مــحــفل كــالحــصى والرمل عـدّتُه تكلّ عن جـــمــعــه أرقـــام أعـــداد
توهّم الشـــاهُ أن الجُند كـــثــرتهـــا تَرُوّعُ أحـــمـــد أو تقـــضي بأنكــاد

---

(١) في الديوان (مدبر).

(٢) في الديوان (بأجياد).

(٣) يريد بثالثة الوقعات حصار نادرشاه لبغداد سنة ١١٥٦ هـ/ ١٧٤٣م، والوقعتان السابقتان هما حصاره لها سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م وسنة ١١٤٦ هـ/ ١٧٣٣م.

ظن القنابر والأطواب تُفزعه | أو من صواعقها يخشى وإرعاد
فمال للسلم إذعاناً وذا نادر[1] | لما رآه ثبوتاً طود أطواد
واختار من بعد رفض مذهبهم | فصار في الحال سُنّياً بأشهاد
وشدد النهي عن سبّ الصّحابة بل | قد شاب هذا بتهديد وإبعاد
ورتَّب الخلفاء الراشدين على | عقائد السُنّة الأولى بإرشاد
فكم خلاف[2] وكم كُفر وكم بدع | أزال وهو على كل بمرصاد

(١٣٦)

وحتَّمَ الأمرَ أن يدعو خطيبُهُم | على المنابر للخنكار[3] في النادي
وقد عَلِمْنا يقيناً إنما فَعَل | الذي ذكرنا حذار الضيغم العادي
والله والله أيماناً مغلظة | لولا أبو عدلةٍ والمفخر البادي[4]
لكان أطفالنا أسرى الأعاجم بل | كنا رهائن أجداث وألحاد
فالله يكلؤه والسعدُ يخدمه | والنصر يقدمه فوزاً بإسعاد
فيا أبا عدلة لا زلت ذا ظفر | إذنا ومنا بإحسان وإرفاد

والاستئذان الذي كانت هذه القصيدة في صدره هو هذا:

اللهم يا ذا المن الذي لا ينفد إمكانه، والإحسان الذي لا يحد إحسانه، إنا نتوسل إليك بجلال ذاتك، وكمال صفاتك، ان تديم على الأنام، ولا سيما سكان مدينة السلام، ظل الوزير

---

(١) في الديوان (بلاجدل).

(٢) في الديوان (خلاق).

(٣) الخنكار: السلطان العثماني.

(٤) يريد بأبي عدلة الوزير احمد باشا، وعدلة هي عادلة خاتون ابنته الكبرى، وقد تزوجت من سليمان باشا أبي ليلة أحد مماليك والدها وكتخداه (مساعده ونائبه) سنة ١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢م، فلما اختير الأخير والياً على بغداد وتوابعها خلفاً لسيده سنة ١١٦٣ هـ/ ١٧٥٠م، انتقل الحكم إلى ولاة من المماليك، ولبث بأيديهم بصفة مطلقة تقريباًحتى سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م. كتابنا: عادلة خاتون، بغداد ١٩٩٧

الذي ألبسته الهيبة والجلالة، (٣٦ ب) ومنطقته السؤود والعدالة، وقصمت بسطوته ظهور القساة المتمردين، وأحييت برأفته العفاة المقلين، ونشرت بأوامره أعلام العدل والأمان، وطويت بزواجره كل بغي وعدوان، آمين. فالمعروض على السدة التي سمت على السماكين [١] قدراً ونمت على النيرين رفعة وفخراً، لازالت لجباه الأمراء الأفاخم مساجد، ولا برحت مقبلة بشفاه الأعاظم الأماجد.

بقيت بقاء الدهر يأكهف أهله   وهذا دعاء للبرية شامل

هو أنه من الأمور المقررة، والأحكام المحررة، مما هو معلوم لديكم، وغير خفي عليكم، أن النطف أجابت من كل فج سيدنا إبراهيم حين أذن بالحج، فصممت نفس هذا الداعي على أن تتبع القول بالعمل، وتجمع بين جوابي الأرواح والأشباح، ليطابق الحال في الأزل، فنزعت نزوع الطفل بعد فطامه إلى الرضاع، إلى أن تعفر محياها مهابط الوحي من تيك البقاع، لترمي من أشواقها جَمَرات، وترضع من ثدي زمزم رضعات، وتقف على عرفات الغفران، وتسعى بحط الأوزار (٣٧أ) باستلام الأركان، وتطوف حول حمى الملك الغفار، قائلة: هذا مقام العائذ بك من النار، ولما تيقنت أن العمر قد ذهب أطيبه، وغبر أعذبه، وأن الجسم قد وهى ورقَّ، والعظم قد وهن ودق، والبدن كشن[٢] بالية وعما يصلحها عارية خالية، وتذكرت حديثاً سمعته من الثقات الجهابذة الأثبات، أنه صلى الله عليه وسلم قال، أو كما قال: (اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك) الحديث سارعت بالاستئذان مستدرة عوائد الإحسان:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة   سكوتي بيان عندها وخطاب

ولله عليَّ إذا شاهدت تلك المشاهد، وتعهدت هاتيك المعاهد، أن تكون هجيراي المستمرة، وشنشنتي الدائمة المستقرة، خير الدعاء لكم في تلك الأماكن الشريفة، والبقاع السامية المنيفة، فلازلت مغموراً بالنعم، مدفوعاً عنك النقم، آمين.

---

(١) السماكان: كوكبان نيران يقال لأحدهما السماك الرامح والآخر السماك الأعزل، يضرب بهما المثل بالعلو.

(٢) الشن: القربة الخلقة اليابسة (أي: مثل شنّ).

فخرج الإذن ذلك اليوم، ووكلت على تدريسي في آستانة قطب العارفين، وسلطان الموحدين، سيدي أبي صالح محيي الدين عبدالقادر الجيلي – قدس سره العزيز – ولدي النجيب (٣٧ب) العالم الفاضل، أبا الخيرعبدالرحمن،لازال سعيداً ماكَرَّ الجديدان، آمين.

ثم خرجنا من بغداد دار السلام قبيل الظهر، الاثنين، الثامن والعشرين من ربيع الأول من العام المذكور[١]، فخرج الأولاد والمحبّون لوداعنا، فجرت منّا العبرات، وتلظت منا الزفرات، وفاضت دموع العيون،و تراكمت على الفؤاد الشجون.

وبما جـرى في مـوقف التـوديع من ... ألـم الـنوى شـاهدت هول الموقف

[تل كوش]

ونزلنا تل كوش، على أربعة فراسخ من بغداد، وهو تلّ صغير مستطيل أحمر، على كتف دجلة الغربي. ولعلٌ نسبته إلى كوش بن كنعان. وأقمنا فيه يوم الثلاثاء، ومنه كتبت للولد القلبي النجيب الأمجد، حسين بك ابن الأكرم كتخدا[٢] محمد باشا.[٣] وصورة الكتاب:

سلام كـروض حين باكـره الحـيـا ... فـأضـحى نـضـيـراً ذا رواء وذا نـشـر

سـلام كـأنفـاس النسـيـم تعلـه ... يمشط قـضـبـان الرياحين والزهر

سـلام كـريا الرَّنْد جـادت به الـصـبـا ... على مـسـتـهـام عـام في لُجَّـةِ الفكرِ

---

(١) الموافق ليوم ١٠ أيار (مايو) سنة ١٧٤٤م.

(٢) الكتخدا: لفظ فارسي مركب يعني حرفاً صاحب الدار، رب البيت، واصطلاحاً في هذا العصر: نائب الوالي ومساعده.

(٣) من المماليك الذين جلبهم والي بغداد أحمد باشا، ونال تعليمه وتدريبه ببغداد، وأعتقه أحمد باشا وزوّجه (خديجة خانم) بنت أخته صفية خانم، سنة ١١٤١ هـ/ ١٧٢٨م، وبرز دوره العسكري في حملته على قبائل شمَّر في نواحي الجزيرة سنة ١١٤٦ هـ / ١٧٣٣م، ثم ولاه أحمد باشا ولاية شهرزور برتبة (مير ميران) سنة ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦م، ولبث في منصبه إلى أوائل عهد سليمان باشا أبي ليلة سنة ١١٦٢ هـ، وانقطعت أخباره بعد ذلك، وخلّف أربعة أولاد ذكور، أحدهم حسين بك ممدوح الشاعر. محمد ثريا: سجل عثماني ج٢ ص ١٤٩ وديوان عبدالرحمن السويدي، تحقيقنا بمشاركة وليد الأعظمي، ص ٦٧ بغداد ٢٠٠٠.

(٣٨أ)

سلام كأمثال العبير تضوعت ... به بقع الأكوان في كل ما قطر
سلام يفوق الدر حسناً وبهجة ... فلله ما أبهاه في النظم والنثر
سلام كوصل من حبيب مهاجر ... تمادى على الإعراض والصد والهجر
على الكامل الأسنى الحسين الذي سما ... على تربه في المجد والفضل والفخر
فشوقي إليه لايزال مجدداً ... ولست بساليه ولو صرتُ في قبري

كيف أقول الشوق ينقضي وهو في كل لحظة بازدياد، وإني أقول الصبر يسعفني وهو قد فرَّ قبل البعاد:

فهذا ولمّا يمض للبين ليلة ... فكيف إذا جد المطي بنا عشراً

قد وهى جلدي حين خانني صبري، واشتغل لدى كمدي ذهني وفكري، شوقاً إلى طلعة المحيّا الزاهر، ذي الحسب الأسمى والكمال الباهر، جامع المحاسن الوافرة، حائز المفاخر (٣٨ب) الباهرة الزاهرة، صاحب الشمائل التي ما حواها إلاّ النزر من أفذاذ الدهر، والمناقب التي ماحواها إلاّ القليل من أفراد العصر، فاق أقرانه منذ هو يافع، وسما على أترابه بما تشنف به المسامع، النجيب الذي هجيراه اقتناص شوارد العلوم وقصاراه افتضاض أبكار المنطوق والمفهوم، قرَّة عيني، وحشاشة مهجتي، وهو دون ما سواه مرامي، وبغيتي ، عين الإنسان، وإنسان العين، فرع دوحة الأكارم والأعلين، ولدي الأعز أبي المحاسن حسين بك، لا زال راقياً أوج المعارف إلى نهاية لا تجارى، ولا برح ممتطياً صهوات الكمالات إلى غاية لا تمارى، آمين. ثم الدعاء الذي رفع على أجنحة القبول، وبسطت له راحات المنى والسول، للنجيب الذي تربى بمهود السعود، وترعرع في المجد الذي تسلسل إليه من أكارم الجدود، ولدي العزيز ذي الفخر الجلي، والقدر الرفيع العلي، أبي المفاخر سيدي علا – إن شاء الله – على مراتب الإجلال، وقارن به السعد والإقبال، آمين.

[نهر الحسيني]

وتلي المرحلة الأولى مرحلة نهر الحسيني، وهو جدول يخرج من دجيل، والمسافة أربعة فراسخ.

[حمارات]

وتليها مرحلة (١٣٩) نزلنا فيها على نهر من مزارع حمارات[١]، وهي قرية من قرى دجيل، وكان نزولنا عند شجرات جذوعها كجذوع السدر، وأوراقها وأغصانها كالرمان، ولها ورد أصفر كصورة الجلنار إلاّ أنه يخالفه في اللون، [و] في أسفل كل وردة نقطة تشبه العسل لوناً وطعماً، ولها دبق كدبق العسل، ولقد ذقتها فوجدت طعم العسل فيها إلاّ أن النقطة إذا قرب جفافها يصير فيها شائبة مرارة، وأهل تلك الأرض يسمونها بشجيرات العسل على صيغة التصغير، ويزعمون ان الإمام عليّ بن أبي طالب دقَّ وتداً وربط فيه دابّته فتفرّع منه تلك الشجرات، والمسافة أربعة فراسخ أو أكثر بقليل.

[الفرحاتية]

وتليها مرحلة نزلنا فيها على نهر يسمى بالفَرْحاتية، بفتح اللام وسكون الرّاء وبحاء مهملة بعدها ألف وبتاء وياء مشددة للنسبة، في آخرهاهاء تأنيث. وهي من أعمال دجيل أيضاً، وكان نزولنا في برّ أفيح ذي[٢] حصى دقاق، والمسافة ستة أميال ونصف تقريباً.

[المحادر]

وتليها مرحلة تسمى بالمحادر، لا عمارة فيها، وسميت بالمحادر لما فيها من الانحدار والهبوط، وهو قبالة سرَّ من رأى، وقرأنا الفاتحة ودعونا لنا ولأحبابنا متوسلين (٣٩ب) بالسَّيِّدَيْن الطّاهِرَين، والكوكبين الزاهرَيْن، سلالتي النبي الهادي سيدينا الحسن العسكري

---

(١) كذا في النسختين، ولعلها (جبارات)، وهو تل واسع يقع على الضفة الشرقية من مجرى نهردجلة القديم، يمر بقربه نهر مهجور، وهو نهر العلث المتفرع من نهر دجيل، والراجح انه بقايا مدينة قديمة ازدهرت في العصر العباسي لكونها تقع على طريق البريد العام بين بغداد وسامراء. ينظر احمد سوسة: ري سامراء ج١ ص ١٧٩.

(٢) في النسختين: ذا.

وعلي الهادي رضي الله عنهما، والمسافة ستة فراسخ.

[مُهَيْجير]

وتليها مرحلة مهيجير، بضم الميم وفتح الهاء وسكون المثناة التحتية وجيم مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة وآخر الحروف راء مهملة. وهو تل صغير مدور قريب دجلة.(١)

[العاشق]

ومررنا في هذه المرحلة على العاشق بوزن اسم الفاعل، كذا هو المشهور، ورأيته في مسامرة ابن العربي(٢) بهذه الصيغة، لكن قال في القاموس: والمعشوق قصر بِسُرَّ من رأى.(٣) فلعلَّه غيره لأن العاشق بالجانب الغربي من دجلة وسرَّ من رأى في الجانب الشرقي، فلعل هذا البناء يسمى بالعاشق، والقصر الذي يسمى بالمعشوق.(٤) (وللعوام قصة مشهورة ينقلونها عن)(٥) العاشق والمعشوق تقتضي أنهما بناءان متقابلان يسمى أحدهما باسم العاشق والآخر بالمعشوق. والعاشق هذا بناء قديم ولم يبق منه إلا أثر الجدران، مبني بالآجر والجص.

---

(١) تل مهيجير، يقع إلى الشمال من ناحية دجيل، على الضفة الغربية لنهر دجلة، من المعتقد انه يحوي بقايا قصر عباسي قديم من عصر سامراء. وقد اعلنت اثريته في جريدة الوقائع العراقية تحت العدد ٢٧٩٢ في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٩م.

(٢) يريد كتاب «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» المنسوب للشيخ محيي الدين محمد بن علي بن عربي المتوفّى سنة ٦٣٨هـ، ج٢ ص ٤٣٢ (بيروت ١٩٦٨). و يقول ناشر كشف الظنون (إستانبول ١٩٤٧) إنه ليس لابن عربي، وإنما لمؤلف عاش بعده بما لا يقل عن مائة سنة.

(٣) القاموس المحيط ج٤ ص ٢٥٧

(٤) لم يعرف في تاريخ سامراء وخططها إلاّ قصر واحد باسم المعشوق، والعاشق تسمية متاخرة له، وهو من بناء الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩هـ) ومازالت بقاياه شاخصة إلى يومنا هذا. أما استنتاج المؤلف فغير دقيق، لان سامراء في عهده محصورة في جانب واحد من النهر الشرقي، بينما ترامت أحياء المدينة وقصورها في العصر العباسي على مسافات واسعة من الجانبين معاً.

(٥) سقط من ب.

[مدينة المنصور]

وحاذينا في طريقنا مدينة المنصور(1) في الجانب الشرقي، قرب سر من رأى والمسافة ستة فراسخ.

[تَكْريت]

وتليها مرحلة تكريت بفتح التاء، سميت بتكريت بنت وائل، وهي بلدة قديمة كبيرة لم يبق منها الآن إلا القليل، وأكثرها خراب، رسومه(2) ظاهرة، (١٤٠أ) والمسافة ستة فراسخ، ومنها كتبت للولد القلبي حسين بك كتاباً صورته: من محب سالمه سهاده، وحاربه رقاده، وخانه جلده، ووفى له كمده. ترامت به البلدان والأقطار، وتقاذفت به الفلوات فاقصتهُ عن الديار:

يومـاً بحَـزْوى ويومـاً بالعـقـيق وبالعـذيب يومـاً ويومـاً بالخليـصـاء

تأجَّجتْ زفراته، واضطرمت لوعاته،و هاضَت(3) أشواقه حين أساء عليه فراقه، جل عن أن تصفه الأقلام،و عظم أن تحيط به الأرقام:

والشـوق أعظم أن يحيط بوصفه قلم وأن يطوى عليـه كـتـاب

والله مـا أنا منصف إن كـان لي عـيش يطيب وجـيـرتي غـيـاب

وأيمُ الله لا يرد على سروري، ولا يعيد عليَّ حبوري، ولا يرد جيش همومي، ولا يزيح تراكم غمومي، إلا التملي بمحيا الأمجد الذي علا حسبه وسما نسبه وشرفت أخلاقه، وزكت أصوله وأعراقه، وعذبت موارده ومصادره، وسمت مكارمه ومفاخره، ذي المعارف التي جلَّت عن التعريف، والعوارف التي لا يحيط بها التوصيف، فالواصف وإن أطرى

---

(١) يريد الموضع الأثري المعروف بتلول إمام منصور، ويقع في منطقة دجيل، ضمن محافظة صلاح الدين. ويرقى إلى العصور الإسلامية، وقد أعلنت أثريته في الوقائع العراقية تحت العدد ٢٥٣ في ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٤٢م.

(٢) في ب (رسومها).

(٣) هاضت: أسرعت.

وأطنب، (٤٠ب) وأطال وأسهب، لا يدرك معشار المعشار من أوصافه، ولايجمع بعض البعض من سَنيّ الطافه، صاحب التحصيل للكمالات السنية، والحائز للمفاخر السنية السمية، نور عيني وجلاها، وحياة روحي ومناها، كريم الأصلين، ولدي أبي المحاسن حسين، لازال السعد يقدمه، والإقبال يخدمه، آمين. أيّها الولد! علم الله وكفى به عليماً: إني على الدعاء لم أزل مقيماً، لم أنس تلك الطلعة الزاهرة، ولم أسلُ هاتيك الأوقات الناضرة، قد قرَّحَ الدمع أجفاني، وأحرق القلب أشجاني، أتذكرُ تلك الليالي فتهيج زفراتي، وتضطرم لوعاتي، وكلما خيَّلتُ ربعكم المعمور بالمسرات، وبادرتني العبرات والحسرات:

لم أنس معهدنا والأنس مجتمعُ — والعيش غض وربع الأنس معطار
فها أنا بَعْدَ بُعْد عنهُ في قلق — وقد نبتْ بِيَ أرجاء وأقطار
تمضي الليالي وأشواقي مجددة — وما انقضت لي من الأحباب أوطار

(١٤١أ) – أسأل الله – وعليه المعوّل – أن يجمعنا قبل انخرام الأجل، أيها الولد!

دخلنا تكريت يوم الاثنين السادس من شهر ربيع الثاني، ولما وقع مني عليها النظر، زادت وساوسي والفكر، وقلت بديها، وأنا فيها[١]:

قد أضرم الوجد في الاحشاء كبريتا — لما حللت مغاني القوم تكريتا
وكلّما شاهدت عيناي مرتعاً — توهمته من الأكدار سبريتا[٢]
بعدت عن أهل ودي والجوى جلل — أدير شوقاً إلى مغناهم لَيْتا
جمعت جمع فنون الوجد في كبر — حتى دُعيت خبيراً فيه خريتا[٣]
كوى فؤادي النوى والعين ساجمة — حكيت في لوعتي الحرّى مقاليتا[٤]

---

(١) ديوان عبدالله السويدي ص ٤١

(٢) السبريت: القفر الذي لا نبات فيه.

(٣) الخريت: الدليل الحاذق.

(٤) الماء الغامر.

والهم أنحلني والصبر فارقني أضحت همومي[1] على ضعفي عفاريتا

[وادي الفَرَس]

وتليها مرحلة وادي الفرس بفتح الفاء والرّاء، ولعلّه الموضع الذي كان لهذيل،[2] والمسافة ستة فراسخ.

[قزل خان]

وتليها (٤١ ب) مرحلة قِزِلْ خان بكسر القاف والزاي وسكون اللام، لغة تركية معناها الخان الأحمر. وهو خان قديم متسع سمي بالأحمر لأن آجره كله أحمر، رحل منه أهله لفساد الأعراب وعُتوِّهم، ولهم نسل في بغداد في مشهد الإمام أبي حنيفة – رضي الله عنه– يقال له القزلخانية والغالب عليهم الشقرة، والمسافة سبعة أميال تقريباً.

[الغُرابي]

وتليها مرحلة الغُرابي بضم الغين المعجمة نسبة إلى غراب، وهو عين ماؤهاعذب، والظاهر أنه موضع كما في القاموس[3] سمي بذلك لأن الماء في مقره أسود يشبه الغراب فإذا أخرج منه صار لونه كسائر المياه يتلوّن بلون إنائه، ولعل المقر أسود فيتلون بلونه، بل هو الظاهر. والمسافة ستة فراسخ ونصف تقريباً.

[البلاليق]

وتليها مرحلة البلاليق، والعامة تبدل القاف كافاً،[4] وهي عيونُ كثيرةُ عذبة المياه في

---

(١) في الديوان (همومي).

(٢) في القاموس المحيط (ج٢ ص ٢٣٤): فرس، موضع لهذيل.

(٣) ج١ ص ١١٢

(٤) قال ياقوت (معجم البلدان ج١ ص ٤٧٨): البلاليق: جمع بالوقة، وهي فجوات في الرمل تنبت الرخامي وغيره، وهو بقل، موضع بين تكريت والموصل، ويقال لها البلاليج بالجيم موضع القاف. انتهى. فإبدال القاف جيماً أو كافاً فارسية قديم، وليس هو من عمل العامة في عصر صاحب الرحلة أو العصور السابقة له، القريبة منه، ومازال موضع البلاليق معروفاً، ويقع في منطقة الدبس إلى الشمال من بلدة بيجي.

وسط جبل صغير سميت بذلك لأن الأماكن التي حواليها بلق بيض،و جبلها لا شجر فيه فهو أبلق، والمسافة ستة فراسخ تقريباً.

[الخانوقة]

وتليها مرحلة الخانوقة، بالخاء المعجمة فألف فنون مضمومة فواو ساكنة فقاف مفتوحة آخرها هاء التانيث، وهي على شاطىء دجلة. قال في القاموس: والخانوقة بلد (١٤٢أ) على الفرات. فتبين أن هذه غيرها، وهي فويق قلعة التراب، وهذه القلعة تلال عظام من تراب مستديرة بعضها إلى جانب بعض كهيئة القلعة والسور[١]، والمسافة تقريباً ستة فراسخ ونصف.

[القيَّارة]

وتليها مرحلة القيارة[٢] بفتح القاف وتشديد المثناة التحتية فألف فراء مهملة وآخر الحروف هاء تانيث.و هي عيون من قير على حافة دجلة، والمسافة تقريباً ستة فراسخ ونصف.

[المصايد]

وتليها المصايد بوزن مقاعد، فسألت عن سبب تسميتها بذلك فقيل إن ماء دجلة

---

(١) وصف عبدالرحمن السويدي هذا الموضع، في أثناء حديثه عن حملة عسكرية قادها والي بغداد حسن باشا على بعض الأعراب الذين تحصنوا فيها سنة ١١١٧هـبقوله« هي وهدة على شاطىء دجلة امامها الماء وسكر عظيم من السكور القديمة بحيث لا يستطاع العبور إليها من شدة جريانه، كما لا يمكن المرور عليه، بل يقضي على الماربالغرق من آنه، وغربيها غيل ملتف، وشجر محتف، وخلفها وشرقيها جبال باذخة، وكهوف شامخة، وهذه تقرب من الموصل بثلاث مراحل» (حديقة الزوراء، الورقة ١٣ نسخة المتحف البريطاني).

(٢) سميت بهذا لوجود عيون يسيل منها القار. ذكر ابن جبير عند مروره بهذه الناحية سنة ٥٧٠ هـ، أنها تقع بمقربة من دجلة وبالجانب الشرقي منها، وعن يمين الطريق إلى الموصل، ووصفها، وما فيها من عيون، في كتاب رحلته ص ١٨٦، ونقل ابن بطوطة كلامه لكنه أسقط منه تحديد موضع العيون من دجلة، من يمينها أو من شمالها.و عيون القيارة لما تزل موجودة، لكنها تقع في الجانب الغربي، أي عن شمال الطريق إلى الموصل، لاكما قال ابن جبير، وهي اليوم مركز ناحية تابعة إلى قضاء الشورة على دجلة.

يتعوج فيها لما فيها من الانحراف فكانها تصيد الكَلَك بفتحتين، وهو الطوف، والمسافة سبعة أميال.

[حمَّام علي]

وتليها مرحلة عين حمَّام علي، وهي على شاطىء دجلة، ماؤها حار جداً إذا كان علا القير على وجه الماء، فإذا رفع طاب بحيث يتحمله بدن الإنسان، يزعم أهل الموصل أنها تنفع من الجذام[١]، وقد اتفق لي أني اغتسلت فيها ذلك اليوم مرتين، والمسافة ثمانية فراسخ.

[الموصل]

وتليها مرحلة الموصل بوزن موئل، والمسافة تقريباً أربعة[٢] فراسخ، فدخلنا الموصل يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر ربيع الثاني[٣] فكان عدة مراحلنا من بغداد إليها غير يوم الإقامة بتل كوش ستة عشرة مرحلة.

فنزلت الخان المعروف (٤٢ب) بخان الأغوات[٤] فما مكثت فيه ساعة حتى جاء الأمجد

---

(١) تبعد بلدة حمام علي عن القيارة بنحو ٤٧كم. قال ياقوت «حمام علي باصطلاح أهل الموصل، هي بين الموصل وجهينة قرب عين القار، غربي دجلة، وهي عين ماؤها حار، كبريتية، يقول أهل الموصل إنّ بها منافع والله اعلم» وهي اليوم مركز ناحية الشورة.

(٢) في النسختين (أربع).

(٣) الموافق ٢٧ أيار (مايو) سنة ١٧٤٤م.

(٤) خان شيَّدَهُ إسماعيل آغا وإبراهيم آغا وخليل آغا أبناء عبدالجليل، إلى جانب جامعهم الذي يعد أول جامع بناه الجليليون في الموصل،فعرف الخان بخان الأغوات نسبة إليهم، كما عرف الجامع بجامع الاغوات للنسبة نفسها، ومثله المدرسة الملحقة به، وكان إنشاء هذه المؤسسات سنة ١١١٤ هـ/ ١٧٠٢م، أي قبل تولي أولهم، إسماعيل آغا (باشا فيما بعد) الحكم في ولاية الموصل سنة ١١٣٩ هـ/ ١٧٢٦م بمدة.وجاء تحديد موضع الخان في وقفية جامع الاغوات على النحو الآتي «الخان المعد للتجار الفاصل بينه وبين الجامع والمدرسة الشريفة المذكورة، والطريق المار من القلعة إلى سوق الغزل والميدان» وخصصت الوقفية ربع الخان للإنفاق على الجامع والمدرسة».

بلا التباس عثمان آغا بن درباس وهو من ذوي أرحامنا فأخذني إلى بيته فجعلت أبات في داره المعمورة، وفي النهارأخلى لي حجرة من حجر الخان الذي هو تحت إجارته، وفرشها وعين لي من يخدمني فيها. وهذا الخان على يسار الجسر[1] مشرف عليه، والحجرة فوقانية لها شباك يطل على الجسر وعلى نينوى قرية سيدنا يونس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترى قبته الشريفة[2] وكذا البر الشرقي، فبقيتُ ضيفاً عنده مدة إقامتي يزيد في إكرامي كل يوم جزاه الله عني خيراً.

واجتمعت بواليها الوزير المكرم، والدستور المفخم، مولانا حسين باشا عبد الجليل زاده[3] - وفقه الله بالحسنى وزاده - فأكرمني وأعزني وبقيت معه من العصر إلى المغرب، ونقلت له قصة مباحثتي مع العجم، ونقل لي هو قصة حصار نادر شاه للمحروسة الموصل.[4] ورأيت

---

(١) هو الجسر الوحيد للموصل في القرون المتأخرة، وكان منصوباً على زوارق (جساريات)، ويرجح أنه في الموضع الذي شيد فيه مروان بن محمد الأموي، في أوائل القرن الثاني للهجرة، أول جسر للمدينة. ينظر سعيد اليوه جي: جسر الموصل في مختلف العصور، مجلة سومر، المجلد ١٢، بغداد ١٩٥٦

(٢) هي القبة التي أمر ببنائها جلال الدين إبراهيم الختني على قبر النبي يونس عليه السلام سنة ٧٦٧ هـ/ ١٣٦٥م، بمناسبة تجديده للمشهد آنذاك، ويقع هذا المشهد على تل عال عرف في العصور الإسلامية بتل التوبة، وهو في الأصل الحصن الشرقي الذي بناه الملك الآشوري أدد نيراري الثالث ٨٠٥ - ٧٨٢ق. م من حصون العاصمة الآشوريةنينوى، الديوه جي: جوامع الموصل ص ٧٤ - ٧٥

(٣) هو والي الموصل الحاج حسين باشا بن إسماعيل باشا الجليلي، ثاني من تولى الموصل من أسرته، ولد سنة ١١٠٧ وقيل ١١٠٦ هـ، ووجهت له ولاية الموصل من رجب إلى شوال ١١٤٣ هـ، ثم تولاها ثماني مرات، آخرها من سنة ١١٧١ إلى ١١٧٢، كما تولى أيضاً ولايات عديدة في الدولة العثمانية، ولقاء صاحب الرحلة به جرى في اثناء ولايته الخامسة الموصل من ١١٥٤ إلى ١١٦٠، وقد عرف بحسن تدبيره، وشجاعته، ورغبته في الإصلاح والعمران، وحبه للعلم وتشجيعه للادب إذ دافع عن الموصل مرتين حاصرها فيهما الإيرانيون، الأولى سنة ١١٤٥ هـ. والأخرى سنة ١١٥٦ وهي التي يشير إليها صاحب الرحلة هنا. وتوفي سنة ١١٧٢ وترجم له كثيرون من معاصريه ومدحه شعراء عصره.

(٤) جرى هذا الحصار سنة ١١٥٦ هـ، أي قبل عام واحد من زيارة المؤلف للموصل.

في دار الحكم تلا عظيماً كله قلل[1] القنابر والأطواب التي رماهم بها،[2] فالحمد لله الذي ردّ كيده في نحره، ومنح الإسلام منحة نصره.

واجتمعت في مجلسه بعلي أفندي[3] مفتي الشافعية - قلَّل الله في المسلمين (١٤٣أ) أمثالهم - ما أجهله وما أسخفه! ظنّ المسكين أن العلم والرياسة في التجنب عن أهل الفضل، ولكنه معذور يخشى على نفسه الفضيحة، فربما تُعْرَضُ عويصة فيظهر جهله. فبقيتُ، مدة إقامتي في دار عثمان آغا، وهو و جاره بيت بيت[4] فلم يأت لزيارتي، ولا راعى قولهم القادم يزار. ومثله في الجهل مفتي الحنفية،[5] عصمنا الله تعالى عن الخصال الدنية، واجتمعت بمجلسه أيضاً بمفتي الحنفية السابق محمد أفندي، وهو ليس ببعيد منهما.

وممن زارني من علمائها الكرام، وفضلائها الفخام، شيخنا المحقق الجليل، والمدقق الذي

---

(١) جمع قلة، الفارسية كولة وكلولة، كرة صماء كانت تقذفها المدافع القديمة.

(٢) قدَّر المعاصرون عدد ما ألقي على الموصل، خلال الأيام الخمسة الأولى فقط من بدء الحصار، بأربعين ألف أوخمسين ألف قنبلة مدفع، ومائة ألف قذيفة هاون. كتابنا: الموصل في العهد العثماني، ص ١٠٩ (النجف ١٩٧٥).

(٣) هو علي أفندي بن مصطفى الغلامي، المتوفّى سنة ١١٩٢ هـ، ترجم له محمد أمين العمري بقوله «صاحب محاضرات ولطائف ومشاركة في العلوم والشعر، وله الخبرة التامة في الفتاوى والمسائل الشافعية، وتصدر للإفتاء بعد والده، وعاشر ملوكنا (ولاتنا)وحظي عندهم، فكان جليسهم ونديمهم، وكان فيه تيه وصلف ونبوة..» (مهل الأولياء، ج ١ ص ٢٥٣، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٦٨). والمرادي: سلك الدرر ج٣ ص ٢٥٨

(٤) يريد: بيت يجاور بيتاً.

(٥) إن مفتي الحنفية في وقت زيارة السويدي للموصل هو السيد يحيى بن فخر الدين، وهو أول من تولى الإفتاء من آل الفخري، ووجهت إليه الفتوى سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، وهي سنة تولي حسين باشا الجليل الموصل، ووصفه محمد أمين العمري بقوله «كان عليماً بالفتاوي خبيراً بدقائق رموزها وأسرارها، ماهراً في علم التفسير» وتوفي سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م. (منهل الأولياء ج١ ص ٢٣٩ والمرادي: سلك الدرر ج٤ ص ٢٣٣).

ليس له مثيل، ذو الخلق السليم، مولانا سليم أفندي،[1] زارني مرتين، لا زال سعيد الدارين. والشيخ النحوي، والعلامة الشهير ذو الفضل الجليّ والقدر العلي، الحاج محمد العبدلي،[2] أمدَّ الله في حياته وأفاض عليه بحور هباته. والشيخ الفاضل الكامل، والعالم والنحرير الفاضل، ذو الإفادة والاستفادة، سيدي الحاج محمد بن الشيخ حسين غلامي زاده[3]، زارني مرّات عديدة، والشيخ العالم الفقيه الصالح الناسك سيدي زين الملة والدين، الشيخ عبدالعزيز، فقد خدمني مدة إقامتي ثمة، نفعني الله بصالح دعواته، ومنَّ عليَّ بإمداد بركاته. والشيخ (٤٣ب) الفقيه المحبوب، سيدي الشيخ يعقوب، حفظ الله الجميع آمين. ومما منَّ الله تعالى به عليَّ أن عفرت خدِّي بصعيد الدر المكنون والسرِّ المصون سيدي نبيِّ الله ذي النون، صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، فدعوت واستشفعت به لي ولأحبابي، وأنا واقف قبالة وجهه المكرم، صلى الله على نبينا وعليه وسائر الأنبياء والمرسلين.

ومما منَّ الله تعالى عليَّ، زيارة الجُّوهر النفيس، سيدي نبيّ الله جرجيس[4]، على نبينا

---

(١) هو سليم افندي الواعظ الموصلي، وقد تقدم التعريف به.

(٢) من أشهر علماء الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة، عرف برسوخه في العلوم البحتة، وبخاصة الرياضيات والطب، ولقب برئيس أطباء الموصل، وهو الذي كان يداوي جرحى الموصليين في أثناء حصار نادرشاه للموصل سنة ١١٥٦ هـ. قال محمد أمين العمري «وعامة أطباء بلدنا ونواحيها أخذوا عنه الطب بواسطة وبدونها» (مهل الأولياء ج١ ص ٢٦٨).

(٣) تقدمت الإشارة إليه.

(٤) يريد جامع النبي جرجيس، وهو من أبرز معالم الموصل التاريخية، زاره الرحالة ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م فقال «وخص الله هذه البلدة بتربة مقدسة فيها مشهد جرجيس عليه السلام، وقد بني فيه مسجد، وقبره في زاوية من أحد بيوت المسجد عن يمين الداخل إليه» (رحلة ابن جبير ص ١٨٩). عمَّره تيمور لنك عند احتلاله الموصل سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م ووسعه، على الرغم من تنكيله باهل الموصل نفسها! والحقت به مدرسة، وأضاف إليه والي الموصل إسماعيل باشا الجليل داراً للقرآن سنة ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م ثم تولى ابنه والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي إعادة تعميره على نحو شامل بين سنتي ١١٤٧ هـ/ ١٧٣٤م، ينظر سعيد الديوه جي: جوامع الموصل في مختلف العصور ص ١٠٨ - ١٢٧

وعليه وعلى سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه، فدعونا لنا ولأحبائنا، وسألنا الشفاعة لنا ولهم.

وكتبت منها كتاباً للعالم النحرير عبدالرحيم أفندي المارديني[1]، وقد راسلني بكتاب وأنا ببغداد، وصورة الكتاب الذي أرسلته إليه، وكان على سبيل العجلة:

سلام مثلما فاحت رياض ... وقد مرت بها ريح الشمال

سلام كالصبا هبت سحيراً ... على مضنىً أسيف ذي اعتلال

سلام نظمه يسمو افتخاراً ... على نظم الجمانة واللآلي

(٤٤أ)

سلام عطَّر الأكوانَ طيباً ... سلام مثل لذات الوصال

على عبدالرحيم أبي المعالي ... سليل المجد، مفقود المثال

أني بضبط القلم أوصافه، وقد عجزت عنه أقلام الكتاب، وأن تجمع الألفاظ نعوته وقد قصرت دونه أرقام الحساب:

وإن قميصاً حيك من نسج تسعة ... وعشرين حرفاً في علاه قصير

كيف وهو العالم المتفرد بين أفذاذ الدهر وأفراده، الجهبذ المتوحد الذي أذعن له نحارير أقرانه وأنداده، وأقرَّت بفضله أعاديه، وسلمت بأن التحقيق مقصور على ناديه، وإنه لا نظير له تحت أديم الخضراء، ولا شبيه له فوق بساط الغبراء، والفضل ما شهدت به الأعداء. ذو التحقيقات التي لاتجارى، والتدقيقات التي لا تمارى، إن عدَّت الفنون كان له منها القدح المعلى، وإن ذكرت الفضائل كان ذا التاج المحلَّى، علامة العلماء، واللج الذي لا ينتهي، ولكل لج ساحل، سيدي الذي به افتخرت ماردين على سائر الأقاليم، (٤٤ ب) الحبر البحر أبو المعالي عبدالرحيم، لازالت قضايا قياسات تحقيقاته منتجة الإفادة، ولا برحت كليات تدقيقاته موجبة خاصة الحسنى وزيادة

---

(١) في ديوان عبدالله السويدي ص ٣٠ أنه (مفتي ماردين).

آمين آمين لا أرضى بشالثة   حتى أضيف ألف آمينا

أما بعد، فإن نفحت العطف من ذلك الخاطر العاطر، أو تموج بالسؤال عباب ذلك البحر الزاخر، عن أحوال داعيه، وحافظ وده ومراعيه، فهو - والحمد لله - في نعم وافرة، وآلاء جمة متكاثرة، غير أن الاشتياق أجج الزفرات، وأضرم اللوعات، ولا يخفى أن من الأمور المقررة، والقضايا المحررة، الصادرة عن صدق خاتم فص الرسالة وينبوع السيادة والجلالة والبسالة، أن النفوس إذا تعارفت في عالم الأرواح لا بدَّ وأن تتآلف في عالم الأجساد والأشباح، فلهذه الحكم الربانية، والمصالح الصمدانية، تحركت نفس مولانا الزكية، وقصدت تطابق العالمين في هذه (القضية، فشرّف)[1] أدنى خدمة بكتاب تسطع الفصاحة من خلال مبانيه، وتشرق البلاغة في مجاري أفلاك معانيه، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (١٤٥أ) كاد يبلغ حدّ الإعجاز حيث اشتمل من البلاغة على أقصاها، فكان الحري بأن أنشد فيه وأتمثل بقول السلف الأول:

أتاني كتاب لو يمر نسيمه   بقبر لأحيا نشره صاحب القبر
وأذكرني شوقاً وما كنت ناسياً   ولكنه تجديد ذكر على ذكر

وهذا الداعي لما تحقق أنه لا يستطاع الإتيان بمثله، ولا يدخل تحت قواه مقابلة بعضه، فضلاً عن كله، أضرب عن المقابلة صفحاً، ورأى السكوت فائدة وربحاً، واستوت سفينة عجزه في اليم، وجنح إلى السَّلم، والسَّلم أسلم، لعلمه أنّ هذه مضائق لا يسلك فيها إلاّ خريت، وأن هذه الطرق وعرة سبريت[2]، لكن لما اعتقد أن شيم المولى الإغضاء عن العوراء، والصفح عن الزلة الشنعاء، تجرأ هذا الداعي على المكاتبة، وأقدم بعد أنْ كان يقدم رجلا ويؤخر أخرى، في ولوج عباب هذا اليم، فالمأمول من شيم مولانا الرضية، ومكارمه الشاملة السنية، مسامحته عن مثل هذه الترهات، وأن يدفع السيئات بالحسنات، فإن الجالب قليل

---

(١) غير واضحة في أ.

(٢) سبريت: المسكين المحتاج، وسبروت: القفر الذي لا نبات فيه، والظاهر أنه قصد المعنى الأخير.

البضاعة، (٤٥ ب) وهذا الكتاب ابن ربع ساعة.

ومن منن الله العميمة، وألطافه القويمة، أن أوقع في قلب هذا الداعي حج البيت الحرام، فعسى أن يكون ذلك ذريعة للتملّي بمحيّا الحبر الإمام. نسأل الله القريب الودود أن يبرز ذلك للوجود، آمين. ومنها أيضاً كتبت كتاباً للأكرم ذي الفضل المبين، محمد أمين ويودة[١] ماردين، (وصورته)[٢]: دعاء بسطت له راحات الآمال، ورفعت لأجله أكف التضرع والابتهال، راجية عوائد القبول، مؤملة فرائد بلوغ المنى والسول، لجناب من سما على السماكين فخره، وعلا على النيرين قدره:

من كان فوق محل الشمس موضعه   فليس يرفعه شيء ولا يضع

ذي المجد الراسخ، والحسب الشامخ، والنسب الباذخ، والآراء الصائبة، والأفكار الثاقبة، والشجاعة التي بهرت كل شجاع، والبراعة التي أفحمت كل مصقاع، والكرم الذي عمَّ وطم، وطوى ذكر حاتم طي وغم، فما هو في سخائه، وغشرة[٣]، وما ابن مامة في شمائله، وما ابن سعدى في فضائله، إلا غيض من فيض، وإلا قُلٌّ[٤] (٤٦ أ) من كل الأكرم، الأنبل الأمثل، والأمجد الأحمد، الأفضل جامع المكارم على اليقين، سيدي محمد أفندي أمير ماردين، لازال السعد ثاوياً ببابه، ولا برح مقيماً على أعتابه. والمعروض إلى الحضرة العلية، لازالت مصونة عن كل بلية، هو إن هذا المخلص في وداده، الصادق في تصافيه واتحاده، لم

---

(١) لفظة روسية الأصل voivode وتعني حرفياً الجندي السائق، وأطلقت في الإدارة العثمانية على من يتولى تحصيل الإيراد للوزراء، أو على من يقوم بجباية الضرائب للدولة (د. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، القاهرة ١٩٨٩، ص ٢٣٧) ثم أصبحت اسماً لوظيفة إدارية بمعنى (متسلم البلدة) وهو من يكون ينوب عن الوالي في حكم إحدى مدن ولايته، وقد اختص متسلم ماردين بهذا الاسم أيام كانت هذه البلدة جزءاً من ولاية بغداد في عهد ولاتها من المماليك.

(٢) الزيادة من ب.

(٣) كذا، والغثرة: السعة.

(٤) القل: الجبل.

يزل مقيماً على الدعاء، ولم يبرح مديماً للثناء، متذكراً تلك الأوقات التي أزرت[1] بالأعياد المجردة العارية عن الأكدار والأنكاد، ملتاحاً إلى التملي بطلعتكم البهية، مشتاقاً إلى التلذذ بمسامرتكم الشهية، فلم أزل إذا هاج وجدي وغرامي، أنشد قول الحائك اللاّمي:

لم أنس أياماً مضت ولياليا سلفت وعيشاً بالصريم تصرماً[2]

إذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نخف صرف الزمان ولا نطيع اللوّما

والعيش غض والحواسد نَوَّمٌ عنا وعين البين قد كحلت عمى

فالله المسؤول، وعليه المعول، أن يمنّ بعدُ ويجمع[3] أشتات شتاته، ويعيد علينا السرور في أسعد أوقاته، (٤٦ب) فنقتص من النوى والبعاد، ونفوز بنيل المنى وبلوغ المراد، آمين.

(ومنها)[4] أيضاً كتبت للولد القلبي حسين بك[5] (كتابا صورته)[6]: أن أبهى ما تقلدته[7] الحور في النحور، وأشهى من مسامرة الغواني في ليالي السرور، وألذّ من الوصال بعد الهجران، وأحلى من التلاقي بعد نبو الأوطان، تحيّات أشعرت بخلوص الوداد، ودلت على صدق الاتحاد، وتسليمات بهرت القمرين، ونافت على درر البحرين، على من شب في الكمالات الفائقة، وترعرع في المعارف الرائقة، ربيب المجد العالي، سليل الحسب المتلالي، قرة عين الزمان، وواسطة عقد العصر والأوان، ذي الأدب الباهر، والعقل الآمر الناهر، أبي المحاسن حسين ذي العرق الطاهر، لا زال راقياً في أوج السعادة، ممتطياً صهوات المجد والسيادة، آمين. غب الدعاء وعقيب الثناء، إني إليك أشوق من الصادّي إلى الزلال، وأتوق

---

(١) في النسختين: ازت.

(٢) الصريم: الليل.

(٣) في ب (يمن بعد بجمع).

(٤) الزيادة من ب.

(٥) هو حسين بك بن محمد باشا الكتخدا وقد تقدم.

(٦) الزيادة من ب.

(٧) في ب (تقلد به).

من المهجور إلى لذيذ الوصال، فهل يعود جمع الشمل بديار الأنس والأفراح، وهل نفوز بالتلاقي فتزول عنا الأكدار والأتراح، وأيم الله لا أنسى تلك المغاني، ولا أسلو دياراً (٤٧أ) هي المنى والأماني،و لم أزل أتمثل بقول السلف الأول:

يـاديـار الســــــرور لازال يـبـكـي فـيك إذ تضحك الرياض غـمـام

رب عيش صحبته فيك غض وعُيون الفراق عنا نيام

وفي ليال كأنهن أمان في زمان كأنه أحلام

وكأن الأوقات فيه كؤوس دائرات وأنسهن مدام

زَمن مُسْعِدٌ وإلْفٌ وَصُولٌ ومنى تستلذها الأوهام

فعسى المولى الرحمن ينعم بالجمع في تيك الأوطان، فنبدد شمل الفراق، إذ طالما طل دمي وأراق.

وكتبت أيضاً منها إليه كتاباً صورته: ما مسامرة الغواني ربات الحجال، وما منادمة الكواعب ذوات الغنج والدلال، بالذّ من تسليمات نوافجها تزري بالعبهر[1] والجادي[2]، ويضوع رياها في كل وادٍ وكل نادي، نشات من ودود سلم من داء الملق وده، وتخلّص من عضال الهزل جده، ذي أشواق تتلظى زفراتها، وتتوقد في الأحشاء جمراتها،و تجري بها من الجفون عبراتها، وتتصاعد من الأفئدة (٤٧ب٩ حسراتها، شوقاً إلى ذي الطلعة الميمونة، والحضرة المأنوسة المصونة، البارع في آدابه، السامي على أترابه، جدَّ في تحصيل الكمالات فانقادت إليه، ودأب في اقتناص الشاردات فانحازت لديه، سما مجده على السمّاك، وهو الحري بذلك، فرع شجرة المفاخر، ينبوع عيون المآثر، يعجز عن وصفه كل واصف، ويقف دون ساحل معارفه كل عارف، الولد الأنجب الأسعد الأكمل أبي المحاسن حسين الأنبل الأمثل، لا زالت شموس سعده في أفلاك الدوام جارية، وأقمار مجده في بروج السيادة

---

(١) العبهر: النرجس.

(٢) الجادي: الزعفران.

سارية، آمين. أيها الولد! وأيم الله، قد نفد صبري، وتحيرت في أمري، فأنا أسير بُعْدٍ وأشواق، وطريح وَجْدٍ وفراق، تبت يدا البعاد[1] كأنه أبو لهب، فلقد لقيت منه ما يقضي على العجب:

تبت يدا من عن الأحباب ألوانا[2]　　　أضحى يجرعنا للحتف ألواناً
(تبت يداه لقد أضحى أبا لهب)[3]　　　يذيب أفئدة منا وأبدانا

أما الدموع فهي دماء، وأما نوحي فنواح[4] الخنساء، وأما (٤٨ أ) شوقي فالسعير بالنسبة إليه زمهرير، وأما نومي فمشرد ليس له إلى الأجفان عود ومصير، لا تألف جنوبي المضاجع، ولايغسل دم أجفاني سح المدامع، بل الدمع أنفدته ساعة الوداع، وخلفه الدم فصار الدمع دُمَّاع[5]، فإيم الله إن امتدَّ البعاد فلا الدم يفي ولو كان البحر له مداد[6]. ولما هاض شوقي، وضاق عنه طوقي، نظمت هذه الأبيات، وإن كانت غير جيدات، لكنهانفثة مصدور، وأنة مهجور، وحسرة مأسور، وتعلة مقهور، فقلت[7]:

دمع يفيض على الخدود مسلسلاً　　　وجوى تضرم في الجوانح مشعلاً
وإذا تهب من الأحبة شمأل　　　زادت بي البلوى فبت مبلبلا
غادرت قلباً بالعراق مضيعاً　　　والجسم في ذا الوقت[8] حل الموصلا

---

(١) في النسختين: البعاد ولا وجه لها.

(٢) ألوى: أبا وقصر. وفي ب (أكوانا).

(٣) مطموسة في أ.

(٤) في ب (نوح).

(٥) الدماع: ماء العين من علة أو كبر.

(٦) في أ (البحر له دماً).

(٧) ديوان عبدالله السويدي ص ٤٣ - ٤٤.

(٨) في ب (ذا القلب).

أواه ما فعل البعاد بمغرمٍ   ألف التلاف وذاق كأسا حنضلاً[1]

أواه من حر النوى وحريقه   فلقد أراني الموت أحلى منهلاً

(٤٨ب)

أواه من وصب الفراق وجوره   فقد وجدت الصعب فيه أسهلا

أواه قد جار الزمان بغدره   فقضى ببعدي عن مناي وأسجلا

أواه شوقي قد تلظت ناره   أيلام صبُ أن ينوح[2] ويعولا

ويلي على جفن تقرح دامياً   فغدت دماه من السحايب أهطلا

ويلي على عين تمكن سهدها   فنفى الرقاد ورام جفني منزلاً

ويلي على قلب تقطع بالنوى   أنى يرى من بعد ذاك توصلا

ويلي على نفس تذوب صبابة   أضحى تمنيها التلاق تعللا

ويلي على جسم تضاعف ضعفه   أضناه بعد للديار وأنحلا

آه على ذاك الزمان وطيبه   ما كان أحلاه عليّ وأجملا

آه على عيش تصرَّم وانقضى   ما كان أهناه عليَّ وأفضلا

آه على تلك الأحبة سادة   ما حال قلبي عنهم أو بدّلا

(٤٩أ)

آه على سكن ألفت وداده   (لم ينس قلبي وده ولاسلا)[3]

آه على دار السلام مغاني   القوم الكرام ذوي السيادة والعلا

فالله أسأل أن يمن بفضله   ويردني نحو الديار تفضُّلا

وكان مدّة إقامتنا في الموصل اثني عشر يوماً، وخرجنا منها يوم الاثنين، السابع والعشرين

---

(١) في الديوان (غادرت قلباً بالعراق مضيعاً   الف التلاف وذاق كأساً حنضلاً).

(٢) في ب (يبوح).

(٣) لا وجود لهذا الشطر في الديوان، وترك مكانه بياضاً.

من ربيع الثاني.[١]

[بادوش]

وكان مرحلتنا بادوش، بتحتية موحدة، فألف فدال مضمومة فواو ساكنة فشين معجمة آخر الحروف، وهو خان قديم على كتف دجلة حواليه بيوت قليلة، والمسافة نحو بريد.[٢]

[الموصل القديمة أو أسكي موصل]

وتليها مرحلة الموصل القديمة والترك يقولون أسكي موصل، وهو المشهور المتداول على ألسنة العامة. وهي بلدة كبيرة خراب، رسوم سورها وأسواقها وأبوابها ظاهرة، وهي أيضاً على دجلة، والظاهر أن لها اسماً غير هذا فنسي،[٣] إذ لم أظفر في شيء من كتب التواريخ بأن الموصل بلدتان قديمة وحديثة. والمسافة خمسة فراسخ.

[تل مُوْس]

بفتح التاء وتشديد اللام وضم الميم وسكون الواو بعدها سين مهملة آخر الحروف. و(هو)[٤] تل عالٍ مدور (٤٩ب) وحوله عين ماء عذب صاف حار يخرج من تحت الجبل،

---

(١) الموافق ٨ حزيران سنة ١٧٤٤م.

(٢) قرية أشار إليها ياسين العمري، بعد نحو نصف قرن من زيارة السويدي لها، بقوله «عامرة غربي الموصل، عنها بنصف مرحلة» (منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٥٥ ص ١٣٥) ومازالت عامرة.

(٣) بلدة قديمة على ضفة دجلة اليمنى، عرفت في الكتابات الآشورية باسم (بلط) وبهذا الاسم، أو ببلد المأخوذة عنها، عرفت في العهود الإسلامية. أشار البلدانيون العرب إلى أن فيها مشهد عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، وقبر أبي جعفر محمد بن علي الهادي. وقد نبه من أهلها جماعة عرفت بالعلم والفضل (ينظر الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات ص ٦٥ وياقوت: معجم البلدان ج١ ص ٤٨٤). ويروي ياسين العمري (منية الأدباء ص ١٣٠) بعض الروايات التي كان يرددها العامة في تفسير تسمي البلد بالموصل القديمة، وليس في هذه الروايات ما يركن إليه.

(٤) ليست في ب.

وحوله قرية صغيرة قديمة هي الآن خراب[١] والمسافة نحو بريد .

[عين زال]

وتليها مرحلة عين زال بزاي معجمة فألف فلام آخر الحروف[٢]، وهي عيون كثيرة على وجه الأرض، وماؤها عذب إلاّ أنه دون عين تل موس عذوبة وصفاء، وحولها قرية صغيرة خراب، والمسافة سبعةأميال .

وفي هذه المرحلة أخذ جمالنا نوع من الجنون فنفرت وألقت أحمالها وأقتابها[٣]، فبعد تعب شديد، ومشقة عظيمة، حتى ضبطت، ومات واحد منها في الحال وواحد نفر فلم يقدر على رده فضاع ولم يعلم خبره. والحاصل أن الجمال الباقية بقيت سكْرى إلى آخر اليوم، فسألت عن سبب ذلك فقيل:

إنها أكلت شجرة الغزوح[٤]، وكل حيوان حتى بنو آدم إذا أكلوا منها اعتراهم شبه الجنون، حتى أن بعض الناس يضعها في التتن[٥] فإن شربها الإنسان أخذته خفة وطرب وجنون، يتخيل له أشياء لا وجود لها، فتارة يضحك، وتارة يبكي، وتارة يخيل له أنه في بحر مغرق، وتارة يخيل له أنه على ظهورالخيل، (وتارةيغني وغيرذلك من الأمور غير المنتظمة. وقد رأيت هذه الشجرة)[٦] فإذا هي قضبان (٥٠أ) دقاق خضر لها ورد أصفر

---

(١) هكذا ضبطه المؤلف على وفق نطق اهل زمانه، ومازال يعرف بهذا الضبط إلى الآن، والصحيح (تل موسى) فإنه منسوب إلى الأمير موسى التركماني أحد أمراء الموصل في عهد الدولة السلجوقية، وكان قد قتل سنة ٤٩٥ هـ فدفن على تل قرب قرية كراثا، ثم عرف هذا التل به، بل اشتهرت كراثا بتل موسى، وتقع هذه القرية على طريق المسافر من الكسك إلى عين زاله. ينظر محمد أمين العمري: منهل الاولياء ج١ ص ١٠٤

(٢) كذا ضبطها المؤلف، والمشهور اليوم (عين زاله).وهي بلدة اشتهرت بعيون النفط فيها، وتعد أحد حقول النفط المهمة في العراق .

(٣) القتب : الرحل .

(٤) في ب (القزوح)، ولم نقف عليها فيما راجعناه من المعاجم وكتب النبات .

(٥) التتن : هو التبغ بلهجة اهل العراق .

(٦) مطموسة في أ فاكملناها من ب .

صغير أشبه شيء بالشيح.

[صُفَيَّة]

وتليها مرحلة صُفَيَّة كسمية مصغراً، وهي عين ماؤها في غاية الصفاء، يجري أولاً على أحجار كالصفي، سميت بذلك إما لصفاء مائها أو لكونها تجري على صفاة[١]، وماؤها عذب يشبه ماء دجلة، والمسافة كالتي قبلها ستة فراسخ.

[الرميلة]

وتليها مرحلة الرميلة بالتصغير، وهي عين ماؤها عذب خفيف، قيل: إنه أخف المياه، سميت بذلك لأن مقرها ومجراها رمل، والمسافة ستة فراسخ[٢]. وعند هذه العين خرج علينا ونحن نزول قُطّاع طريق من نحو جبل سنجار فاستاقوا من جمال القافلة، وهي في المرعى، سبعة وتسعين جملاً فأدركهم الطلب فلم يردوا جملاً منها. وأخذت عشر أفراس منا، وقتلت فرس، وجرح اثنان أحدهما مشرف على الهلاك.

[المتفلتة]

وتليها مرحلة المتفلتة، اسم فاعل من تفلت، في آخره هاء التأنيث، وهي عين ماء عذب، سميت بذلك لتفلت مائها وقت السيل، والمسافة أربعة فراسخ ونصف.

[أزناوور]

وتليها مرحلة أزناوور، بهمزة مفتوحة فزاي ساكنة فنون فألف فواو مضمومة فواو ساكنة فراء مهملة[٣]. وهو نهر يخرج من عين أو اسم العين، أو اسم لتل عظيم ثمة مشرف على النهر، (٥٠ ب) والمسافة نحو خمسة فراسخ ونصف.

---

(١) الصفاة: الحجارة.

(٢) موضع على طريق القوافل من سنجار إلى الموصل، نسب اسمه إلى طبيعة الأرض الرملية التي حوله، مر به الرحالة الإنجليزي بكنكهام سنة ١٨١٦م ويفهم مما ذكره انه كان محطة للمسافرين يستقون من مائها ما يحتاجونه فيما يلي من الطريق (رحلتي إلى العراق، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٦٨، ج١ ص ٣٩).

(٣) سماها الرحالة بكنكهام (أزروار) ينظر (رحلتي إلى العراق ج١ ص ٧).

[نصيبين]

وتليها مرحلة نصيبين على صيغة جمع المذكر السالم لنصيب. وهي قرية وخمة، وهواؤها رديء وخم، وماؤها أردأ، وجوه أهلها صفر من كثرة الحمى التي فيها، وهي مشرفة على الخراب[1]، لا جمعة فيها ولا جماعة، وأهلها مجردون عارون من الفضائل والكمالات، بل وعن جميع الطبائع الإنسانية. واجتمعنا فيها مع صاحبنا محمد أفندي حاكم ماردين، وأعطانا بغلة شهباء. دخلناها يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى[2]، وأقمنافيها ثلاثة أيام غير يومي الدخول والخروج. وخرجنا منها يوم الأحد العاشر من الشهر المذكور، فالحمد لله على أن نجانا منها، وفيها أقول:

عرِّج ركابك لا تنزل نصيبينا ... واربَحْ جمالك بل دنياك والدنيا
أرض تصيد بها الحمَّى على عجل ... طيرَ الفلاة وإن سامى السماكينا
أرض بها الدين و الإسلام مفتقد ... والخير عنها بعيد نازح حينا
أرض بها الشر لم يبرح ببقعتها ... مستوطنا دهره حتما وتمكينا

والمسافة خمسة فراسخ ونصف. ومنها كتبت للولد القلبي حسين كتاباً ولم أوِّدعهُ في الرحلة لضيق الوقت.

---

(١) هي نسيبيس Nisibis الرومانية، تقع في أعالي نهر الهرماس: ازدهرت في العصور الإسلامية حتى عدت من أعظم مدن الجزيرة شأناً، بيد أن الخراب أخذ يطرقها بعد تعرض المشرق الإسلامي إلى الاضطراب في القرون المتأخرة، فذكر ابن بطوطة الذي زارها في القرن الثامن للهجرة أن أكثرها قد خرب (تحفة النظار ج٢ ص ١٣٩) وقد لاحظ أبو طالب خان حينما زار البلدة سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م أنها ظاهرة التخلف، وأنه ليس حولها إلاّ اللصوص قطاع الطريق (رحلة أبي طالب خان، ترجمة مصطفى جواد، بغداد ص ٣٥٠) ووصفها الآثاري الألماني كونراد برويسر الذي زارها في أوائل القرن ٢٠م بأنها اليوم قرية منسية لكن بيوتها تحوي كثيراً من بقايا النقوش المعمارية القديمة (المباني الأثرية في شمال بلاد الرافدين، ترجمة علي يحيى منصور، بغداد ١٩٨١، ص ٥٩).

(٢) ويوافق ١٦ حزيران (يونيو) ١٧٤٤م.

[قره دره]

وتليها مرحلة قره دره، وهي لغة تركية معناها الوادي الأسود. نزلنا على ماء عذب جار، هي فوق دارا بنصف فرسخ، وسميت بذلك باسم قرية عند منبع هذا الماء، كذا قيل. والمسافة خمسة فراسخ.

[دُنَيْسَر]

وتليها مرحلة دنيسر بضم الدال فنون مفتوحة فياء للتصغير ساكنة فسين مهملة مفتوحة فراء مهملة آخر الحروف، والترك يسمونها بقوج حصار، معناه حصار واسع كبير[١].

وهي بلدة قديمة تدل آثارها أنها كانت عظيمة ولم يبق فيها الآن إلاّ بيوت قليلة، وليس فيها جمعة ولاجماعة إلاّ أن هواءها معتدل، وماؤها عذب خفيف، وتربتها طيبة، لها جامع كبير واسع قديم من محاسن الدنيا بناء وعمارة إلا أن نصف قبته ساقط والباقي متداع، فدخلته واعتكفت فيه نصف ساعة، وله محراب في غاية الجودة عليه كتابة عربية وكوفية، مكتوب عليه بعض آيات قرآنية[٢]، وعليه اسم السلطان خالد بن أيوب[٣]. وللجامع صحن واسع تحيط به جدران عاليه (٥١ب) شامخة، تكتنفه منارتان رفيعتان في غاية الجودة والحسن، تشبهان منارة الجامع الكبير في حلب، إلا أن هاتين أحسن وأحكم بناء، وللمصلى الداخلي باب، عن يمنيهِ محراب وعن شماله آخر، ويكتنفهُ أربعة شبابيك يميناً

(١) قوجه، بجيم تركية مثلثة: عظيم، جسيم، قديم، وحصار، بفتح أوله: سور بلد، حصن، مدينة. فارس افندي الخوري: كنز لغات، بيروت ،١٨٧٦ ودنيسر في الأصل قلعة رومانية ثم نمت عندها قرية في العهود الإسلامية وصفها ياقوت بأنها مدينة صغيرة، ثم اتسعت فكانت في القرن السابع للهجرة مدينة ذات أسواق عظيمة وحولها بساتين غناء (معجم البلدان ج٢ ص ٤٧٨ وليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد ١٩٥٤، ص ١٢٦) وتعد اليوم تابعة لولاية ديار بكر التركية.

(٢) يذكر شمس الدين سامي أن في دنيسر آثاراً معمارية عربية، منها مصنع (خزان للمياه) وجامع أمسى في عهده خراباً (قاموس الأعلام، استنابول ١٣١٤، ج٥ ص ٣٧١٦).

(٣) لم نتبين اسم هذا الحاكم فيما راجعناه من تواريخ.

وشمالاً. وفي وسط البلدة منارة قديمة إلا أن جامعها مندرس وفي موضعه بيوت للسكنى، وفي خارجها في سفح التل العظيم المطل عليها منارة أرفع من تينك وأحسن، حواليها ضيعة نصارى. والمسافة تسعة فراسخ، وأقمنا فيها يومين غير يومي الدخول والخروج، وخرجنا منها يوم الخميس الخامس عشر من الشهر المذكور.

[مشقوق]

وتليها مرحلة مشقوق على صيغة مفعول، وهي جبال صغار،و ذات جنادل سود، سمي بذلك لكون جبالها متشققة يحقن فيها ماء المطر ويبقى إلى العام القابل، والمواضع المجوفة التي يحقن فيها الماء تزيد على مائتي موضع، والمسافة أربعة فراسخ.

[دده قرخين]

وتليها مرحلة دده قرخين، بوزن غسلين، وهو مشهد ولي من أولياء الله تعالى، على قبره قبة صغيرة، وبجانبه واد كثير الأشجار طيب الهواء والماء، يكتنفه جبلان وهو بينهما، على حافتيه (٥٢أ) أشجار السدر، وماؤه من الأمطار، وعليه قنطرة لهاثمانية طاقات وذلك لأن الوادي المذكور يمتلىء ماء أيام المطر فيمنع الناس، فبنى المرحوم المبرور الحاج عمر الموصلي هذه القنطرة، جزاه الله تعالى خيراً، والمسافة تقريبا أربعة فراسخ ونصف.

[العطشان الطويل]

وتليهامرحلة العطشان الطويل، وهو تل عظيم ذو جنادل سود(١)، ولقد رقيت عليه فوجدت على ظهره قبوراً ظاهرها أنها ليست قبور المسلمين. وعنده قليبان(٢) ماؤهما عذب ترد القوافل منهما، والمسافة نحو ما قبلها.

[أصلان جايي]

وتليها مرحلة أصلان جايي، وهو عبارة عن واد يحقن فيه ماء المطر، يكتنفه كهف

---

(١) ذكر الغزي (نهر الذهب ج ١ ص ٥٦٠) أن عطشان قرية من أعمال سروج.

(٢) القليب: البئر، وقيل: البئر القديمة.

عظيم من حجر، والمسافة عشرة أميال تقريباً.

[مرج ريحان]

وتليها مرحلة مرج ريحان بفتح الميم وسكون الراء فجيم. وريحان هو النبت المعروف، وفيه عين ماؤها في غاية العذوبة. والمسافة اثنا عشر فرسخاً ونصف وأقمنا في هذه المرحلة يوماً لتستريح الدواب.

[الرها]

ويليها مرحلة الرها، بضم الراء. وهي بلدة [١] طيبة التربة معتدلة الهواء عذبة الماء، ذات بساتين وأشجار كثيرة الفواكه والثمار. أهلها ذوو أخلاق رضية، ومكارم سمية، بها (٥٢ب) الدين ظاهر، والعلم زاهر، والصلاح ذائع، والخير شائع، عمر ها الله بالخيرات، وحفظها بأنواع المسرات.

دخلناها يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأولى[٢]، وخيمنا في ميدان الجريد[٣] في ظاهرها، وكان فيها بقية طاعون فانقطعت ونحن هناك والحمد لله تعالى. دخلنا يوم الخميس داخل البلد، وتفرجنا على أسواقها وخاناتها وحماماتها وبيوتها، فإذا هي أحسن

---

(١) هي أدسا الإغريقية Adssa سماها العرب الرها تحريفاً لاحد اسمائها القديم وهو كلر هو callirhoe وتقع عند منابع أحد روافد البليخ، استولى عليها الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٨م ثم استعادها عماد الدين زنكي سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م. وظلت المدينة تعرف باسمها هذا حتى ضمها العثمانيون إلى دولتهم فعرفوها باسم (أورفه) المحرف عن (الرها)، وكانت تعد بحسب تنظيمات القرن العاشر للهجرة (١٦م) مركزاً لإيالة قائمة بذاتها، ثم أمست في أواخر عهد العثمانيين سنجقا (لواء) تابعاً لولاية حلب، وهي الآن داخلة في الأراضي التركية. وقد برز من أهلها عدد كبير من اهل العلم والفضل (ياقوت: معجم البلدان ج٣ ص ١٠٦ وليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٤ وسامي: قاموس الأعلام ج٢ ص ١٠٧٤).

(٢) الموافق ٣٠ حزيران (يونيو) ١٧٤٤م.

(٣) الجريد لغة: قضبان النخل المجردة من خوصها،واصطلاحاً العصا التي يرمى بها في لعب الجريد، وهو رمي الفرسان بعضهم بعضاً بالعصي في الميدان.

بلاد الإسلام مساكن وساكنا، ودخلنا مدرسة الوزير واليها أحمد باشا حمَّال أو غلي[1]، وفيها جامع حسن البناء وبستان زاهية زاهرة، [و] ما في المدرسة عيب سوى مدرسها. وشاهدنا العين المسماة بعين خليل الرحمن، فإذا هي بحيرة ماء فيها سمك كثير، يزعم أهل تلك الناحية أن هذه العين نبعت حين ألقي سيدنا إبراهيم الخليل في النار[2]. ورأيت تمثالين يزعمون أنهما على صورة المنجنيق الذي ألقي فيه (سيدنا)[3] إبراهيم – على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام – والذي ذكره القاضي البيضاوي في التفسير[4] وغيره: أن المكان الذي ألقي فيه سيدنا إبراهيم (٥٣ أ) كوثا بلدة في إقليم بابل والله تعالى أعلم.

وصلينا الجمعة في جامع المدرسة المذكورة، واجتمعنا بخطيبه العالم الصالح الناسك محمد أفندي، فأكرمنا غاية الإكرام، واحترمنا نهاية الاحترام، وجلس معنا متأدباً أدب التلميذ مع شيخه، وسألنا الدعاء، وفّقه الله لصالح الأعمال، وسلك به أحسن الأحوال آمين.

وجاء إلى زيارتنا ونحن في المخيم عالم الرها وفريدها وفاضلها ووحيدها، العلامة بالإجماع، والفهامة بلا دفاع، سيدي حسن أفندي المنصوري المعروف بحليم زاده، المدرس بمدرسة كاتب العربية، فجلس معنا متأدباً متواضعاً، والتمس منا أن ننقل له مذاكراتنا مع علماء العجم فنقلناها، وهو مصغ متأدب غاية الأدب، وسألنا الدعاء، حفظه الله من كل بلاء. وثاني يوم زيارته لنا قصدنا زيارته في مدرسته فأكرمنا وأعزنا،و جرت بيننا عبارة

---

(١) قائد عثماني، تولى البصرة سنة ١١٤٦ هـ/ ١٧٣٣م والرقة سنة ١١٤٨ هـ/ / ١٧٣٥م وتوفي سنة ١١٥٨ هـ/ ١٧٤٤م (محمد ثريا:سجل عثماني ج١ ص ٢٤٩)

(٢) وصف الرحالة الهولندي راوولف الذي زار الرها (أورفة) سنة ١٥٧٣م هذه البئر، بأنها بئر فياضة ذات رغوة أكثر بياضاً من بقية المياه الأخرى، وماؤها عذب حلو المذاق (راوولف: رحلة المشرق، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٨٧، ص ٢١٧) ومن الشائع أن موطن إبراهيم عليه السلام هو مدينة أور في جنوبي العراق، ومنها انتقل إلى حران ثم إلى فلسطين، وليس في البلدانيات العربية إشارة إلى حديث البركة هذه.

(٣) كذا في ب وهو المناسب، وفي أ (السيد).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المطبعة العثمانية، ١٣٠٥ هـ، ص ٤٣٣ .

القاضي البيضاوي الواقعة على قوله تعالى ﴿وقالوا لو كنا نسمع أونعقل ما كنا في أصحاب السعير، فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾[١] حيث قال[٢]: والتغليب للإيجاز انتهى. وكنت أنا(٥٣ ب) السائل فأخرج حواشي شيخي[٣] زاده وغيرها فتكلموا عليها، فأوردت على ذلك إيرادات سلمها، وهذا الموضع تكلم عليه جميع مُحَشّي البيضاوي، فمنهم من تمحل له جواباً، ومنهم من استشكله حتى إن سنان باشا في حواشيه[٤] وسعدي أفندي[٥] والشهاب الخفاجي[٦] قالوا: إن هذه العبارة من مشكل هذا الكتاب. قلت: وهذا هو الواقع، فقدرأيت لعلماء العجم نحو أربعة عشر جواباً كلها منظور فيها، ولعلماء الروم نحو سبعة أجوبة منظور فيها، والله تعالى أعلم وسيأتي الكلام عليه أيضاً. ثم سألته عن عبارة الملا عصام[٧] في حواشي البيضاوي على قول البيضاوي في قوله تعالى﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾[٨] حيث قال البيضاوي[٩]: أكد

---

(١) الملك الآيتان ١٠ – ١١ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٧٤٩

(٣) يريد: حاشية محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي، المعروف بشيخ زاده، المتوفّى سنة ٩٥١ هـ / ١٥٤٤م، على أنوار التنزيل للبيضاوي، وتقع في ستة مجلدات، ويقول الحاج خليفة: هي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعاً وأسهلها عبارة (كشف الظنون ١٨٨).

(٤) لعله يريد سنان الدين يوسف البردعي الشهير بعجم سنان، أو سنان الدين يوسف بن حسام، فكل منهما الف حاشية على أنوار التنزيل.

(٥) هي الحاشية التي وضعها سعد الله بن عيسى الشهير بسعدي أفندي المتوفّى سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨م.

(٦) هي الحاشية التي وضعها أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي شهاب الدين، المتوفّى سنة ١٠٩٦ هـ/ ١٦٨٤م. على أنوار التنزيل المذكور.

(٧) يريد إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفرائيني المعروف بعصام الدين، المتوفّى سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م، وله حاشية على أنوار التنزيل أهداها إلى السلطان سليمان القانوني.

(٨) البقرة آية ١٤٥ .

(٩) أنوار التنزيل ص ٣١

تهديده من عدة وجوه[١] فقال عصام: قد عد المحقق التفتازاني وجوه المبالغة من عشرة أوجه،فعدها، إلى أن قال: ولو جعل كنت بمعنى صرت لكان أعلى كعباً، إلى آخر عبارته.

فقلت له: ليس لفظ كنت في الآية ولا في عبارة البيضاوي، فتأمل كثيراً واستشكل الأمر فذكرت له الجواب، فطار به فرحاً، واستحسنه كثيراً، (٥٤ أ) وكان في حجرته تلامذته وكلهم ذوو استعداد في المعقول والمنقول، فقبلوا يدي وسالوني الدعاء، لطف الله بنا وبهم آمين.

وفي هذا اليوم دعانا، ومعنا حسن أفندي، النجيب السعيد عبدالله بك ابن أحمد باشا والي الرها، فأضافنا ضيافة عظيمة، وأكرمنا إكراماً جزيلاً، وكذا أضافنا مرة ثانية، وخدمني بنفسه، وفَّقه الله للخير. وصار لهذا الفقير في الرها شهرة حسنة بحيث يشار لي بالأصابع، فما أحسنها من بلدة وما أحسن أهاليها، عمَّرها الله تعالى وصانها عن الآفات آمين. وأقمنا فيها سبعة أيام غير يوم الدخول والخروج. وخرجنا منها يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الأولى[٢].

[سروج]

وكان مرحلتنا بر سروج[٣] في واد على بئر عذب، حولها ضيعة تركمان، والمسافة تقريباً ستة فراسخ.

[الجبجيلي]

وتليها مرحلة الجبجيلي، بالجيم التركية[٤]، على بئر عذب، والمسافة كالتي قبلها.

---

(١) اختصر المؤلف هنا عبارة البيضاوي، وإلاّ فهي «أكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه» وذكر هذه الأوجه.

(٢) الموافق ٩ تموز (يوليو) ١٧٤٤م.

(٣) مدينة قديمة من ديار مضر، فتحها عياض بن غنم صلحاً سنة ١٧ هـ، وطارت شهرتها بنسبة الحريري إليها أبا زيد بطل مقاماته (ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٦)، وخربها تيمور لنك، وكانت تعد في عهد الدولة العثمانية سنجقا في إياله الرهاء، وهي إلى الجنوب الغربي من حلب بمسافة ٤٠ كم.

(٤) أي بالجيم المثلثة، التي يكتبها المصريون (تش).

[البيرة]

وتليها البيرة، مؤنث بير، وتسمى بيرة الفرات[1]، وهي بليدة على كتف الفرات لها سور قديم وعمارة جيدة، ولا سيما التي تلي شاطىء الفرات، وسميت [كذلك][2] لكونها في وهدة عميقة كالبئر. (٥٤ ب) وأهلها ليس لهم ملاءمة مع الغرباء، وهم من الوحشة التي يستوحشها الغريب على جانب عظيم، لاعقل ولا فكر ولا كرم ولا مروءة، قلّل الله في المسلمين أنسالهم.

[الكرموش]

وخرجنا منها ثاني يوم، وهو يوم الأحد الثاني من جمادى الآخر، ونزلنا على نهر يُسمَّى الكرموش، بكاف عجمية مفتوحة، ثم راء مهملة مفتوحة، فميم مضمومة، فواو ساكنة، فشين معجمة آخر الحروف. والمسافة خمسة فراسخ ونصف.

[ساجور]

وتليها مرحلة ساجور، بالسين المهملة، فألف فجيم مضمومة، فواو ساكنة، فراء مهملة آخر الحروف، وهو نهر ماؤه كثير شديد الجريان، عذب في جودة العذوبة، والمسافة تقريباً أربعة فراسخ.

[الباب]

وتليها مرحلة الباب، بموحدتين تحتيتين بينهما ألف، وهي قرية حسنة ذات أشجار كثيرة. ونزلنا في ظاهرها على نهر عذب يسمى عين الذهب لعذوبته وصفائه، وكثرة منافعه، وقد مدحه الأديب مصطفى أفندي البابي [3] في موشح، وسأذكره عند ذكر ضيافة

---

(١) بلدة وصفها ياقوت بقوله: قلعة حصينة ولها رستاق واسع (معجم البلدان ج١ ص ٥٢٦) وسماها العثمانيون (بيره جلك) وكانت تعد في عصرهم من أعمال أورفه، حيث تبعد عنها بنحو ٨٠كم من الجنوب الغربي.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في النسختين (الباني) والصحيح ما أثبتناه، وهو مصطفى بن عبدالملك، وقيل عثمان، البابي، نسبة إلى قرية الباب التي يتحدث عنها المؤلف. كان أديباً شاعراً، نشأ في حلب، وأخذ العلوم على ايدي علمائها، ثم رحل إلى دمشق حيث اخذ من علمائها أيضاً، ثم سلك مسلك القضاء، فتولاه في دمشق ثم مغنيسيا ثم=

الشيخ السيد (محمد)[١] الطرابلسي [٢] في بستان طه زاده، والمسافة ثمانية فراسخ.

[حلب]

(وتليها مرحلة حلب وهي جنة)[٣] الدنيا وخزائن الإسلام، (١٥٥ أ) رفيعة البناء، حسنة الأسواق والخانات والحمامات، فيها العلم ظاهر نبراسه[٤]، ومحكم أساسه، رفيعةأعلامه، منيعة حصونه وآكامه، فيها العمل الصالح مشهور، والخير عنها مأثور، أهلها[٥] في غاية الرقة واللطف، (ونهاية الشفقة والعطف)[٦]، لهم جد في تحصيل العلوم، وكثرة اشتغال في معرفة المنطوق والمفهوم، ومواظبة على الجمعة والجماعات، ومداومة على تعاطي المبرات، ما دخل حلب (غريب)[٧] من العلماء إلا ونال من إحسانهم،وتمنى أن يكون وطنه[٨] من جملة أوطانهم، فلله درهم فلهم أخلاق مسكية، وشمائل ذكية، ولين الجانب، وخفض الجناح للأجانب، لهم حسن ظن واعتقاد، مزايلون الإنكار[٩] والانتقاد فوالله إن أولادها الذين هم أطفال أينما رأوني يقبلون يدي، ويقولون: يا سيدي أدع لنا! فوالله إن عمر أحدهم ما يصل ست سنين وهذه حالتهم، فما بالك بشبانها وكهولها ومشايخها.

=بغداد ثم المدينة المنورة، وتوفي في مكة حاجاً سنة ١٠٩١ هـ. قال محمد راغب الطباخ: وأشعاره كلها نفيسة فاتنة مطربة رائعة، وهي في الجزالة والفصاحة فوق شعر المفلقين من المتقدمين (إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ج٦ ص ٣٦٢) وقد طبع ديوانه في بيروت سنة ١٨٧٢م.

(١) الزيادة من ب.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) مطموسة في أ.

(٤) في ب (برأسه).

(٥) في ب (وأهلها).

(٦) سقطت من ب.

(٧) سقطت من ب.

(٨) في ب (وطنه أن يكون).

(٩) في ب (الأفكار).

وفيها من العلماء أساطين، ومن الفضلاء سلاطين، وفيها حفاظ لكتاب الله ومجودوه، وفيها مدرسون (مقيمون لصرح العلم ومشيدوه)[١] (٥٥ ب) والغالب عليهم من الفنون فن الحديث والفقه الشافعي والتفسير والمعاني والبيان والنحو. ورغبتهم في العلوم العقلية قليلة إلاّ أنهم يقرؤنها[٢] تحصيلاً للكمالات. ولأهلها قدرة على الكلام، وفطنة وقادة لا غباوة فيهم في معاملاتهم ومحاوراتهم، رضي الله عنهم وأرضاهم وحصن محلهم ومأواهم، فلقد رأيت منهم من الإكرام ما لاأستطيع ضبط بعضه فضلاً عن كله.

دخلت حلب المحروسة يوم الأربعاء السادس من جمادى الآخرة[٣]، والمسافة كالتي قبلها، ودخلنا من باب الفرج[٤] تفاؤلاً بالفرج، واستُضِفنا عند أخينا الحاج محمد بن الحاج هاشم البغدادي، فإنه كان جاراً لنا في بغداد ثم ارتحل إلى حلب واستوطنها، فاستكرمنا وأحلّنا داره، وخدمنا هو وأولاده خليل ومصطفى وأبدال ومحمود، وفقهم الله تعالى بكل خلق ووصف محمود، ولم يزل كرمه يتضاعف ويتزايد، ونحن ضيفه، مدة إقامتنا في حلب، وصنع لي كسوة للشتاء وما أحتاج إليه في طريق الحج من لحاف وإبريق ومطارة وغير ذلك، ومع هذا كله أمدّني بنقود غير قليلة، جزاه الله عنا خير جزائه، وأسبل عليه ستره (الجميل، وصانه من بلائه، وأسبغ)[٥] عليه نعمه، ودفع عنه نقمهُ آمين (٥٦ أ).

وثاني يوم الدخول دعاني الكرماء الأمجاد، والنجباء الأسياد، ذوو الشهامة السامية، والفخامة الشامخة النامية، نجوم فلك السيادة، وأقطار السعادة، حضرات علي آغا وخليل أفندي وصالح آغا وعمر آغا وسعيد آغا وإبراهيم آغا أولاد المرحوم المبرور الحاج حسين

---

(١) مطموسة في أ.

(٢) في ب (يقرؤها).

(٣) الموافق ١٧ تموز (يوليو) ١٧٤٤م.

(٤) باب الفرج يلي باب الفراديس، في غربي حلب، ينظر محمد كامل الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب ج ١ ص ٩ .

(٥) مطموسة في أ.

عجيمي زاده[1]، بلغه الله منازل السعادة آمين، فاكرموني غاية الإكرام، وعظموني نهاية الإعظام،فاضافوني في ديارهم المعمورة مرّات عديدة، وفي بستانهم الفريدة كرّات مديدة، وبتنا ليالي في بستانهم الذي زهت أشجاره، وترنمت أطياره، وتسلسلت أنهاره، ونضجت أثمارها، فنسيت الأهل والوطن، وكانت تلك الليالي من غرر الزمن:

فلا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسيان الأحبّة والوطن

فلعمري إنها ليال تعد من نفائس الأعمار، آمنة من شوائب الأنكاد والأكدار:

ذكرت بها عهد الصبا فكأنما قدحت بنار الشوق بين الحيازم

ليالي لا ألوي على رشد ناصحٍ عناني ولا أثنيه عن غي لائمي

(٥٦ ب) اللهم يا ذا الطول المديد، إمنحه مد الدهر بعيش رغيد. وقد وصلني منه كسوة تامة فاخرة في صحبتها، دراهم غير قليلة، جزاهم الله خيراً، ودفع عنهم مكروهاً وضيراً.

وممن أكرمنا السيد السند الذي طاب نجاره، وشمخ فخاره، ذو الأخلاق دونها العطر المسكي، ولا يقاربها العنبر الذكي، صاحب العلم والعمل الصالح جامع الشريعة والحقيقة، فاكرم به من ناجح فالح، كم أعان عانياً من الخطب الفادح، وكم أنقذ هالكاً من أنياب الدهر الكاشح، سلالة البضعة الهاشمية، وفرع الدوحة الفاطمية سيدي الأمجد الأكرم، والأنبل الأفخم، السيد يونس بن ولي الله السيد إبراهيم المعروف بابن أدهم[2]، فلقد

---

(١) أشار المرادي في ترجمته لابي السعود الكواكبي (سلك الدرر ج ٢١ ص ٥٨) إلى أن من شيوخه الذين أجازوه الشيخ حسن العجيمي المكي، وذكر اسم أبيه عرضاً في ترجمة عبدالرحمن البعلي (ج٢ ص ٣٠٤)، ووصفه بالمحدث الكبير، ونوه بجودة سنده، فلعله هو، وعلى أية حال فيفهم من هذا ان الأسرة مكية الاصل، وان من رجالها من عرف بالعلم والتدريس.

(٢) إن يونس المذكور ليس ابناً مباشراً لإبراهيم المعروف بابن ادهم، وإنما من احفاده، وذلك للمسافة الزمنية بين الرجلين، فإبراهيم هذا هو ابن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن احمد الاعرابي بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى الكاظم، ومن الراجح – بحساب الاجيال – انه قد عاش في اواخر القرن الخامس للهجرة، ولا=

أكرمني هذا السيد الجليل، وأمدني بنقد كثير غير قليل، ووقف في أشغالي، وبلغني آمالي، وصار لي مداحاً بين الناس، لايفتر من مدحي عدد الأنفاس، وأضافني مرات، وأنعم عليَّ غير ما تقدم كرات، وفّقه الله بطاعته، وأسبغ عليه مبراته وخيراته، آمين.

وممن أكرمنا من أعيان حلب الأمجد الذي عز عن المثيل في عصره، وجل عن النظير في أوانه ودهره، الأكرم الجليل سيدي إسماعيل آغا المعروف بابن ميرو[١]، فلقد أضافني في داره، وجمع لأجلي علماء البلد، كالشيخ (٥٧أ) الطرابلسي، والشيخ طه الجبريني[٢]، والشيخ قاسم البكرجي[٣]، والشيخ علي الدباغ، والسيد عبدالسلام الحريري[٤] وغيرهم،فما وجدت في حلب طعاماً ألذ وأهنأ وأمرأ وأنفس من طعامه، ووصلني بنفقة من الدراهم.و كتب لي كتاباً لأمير الحج وغيره، جزاه الله عني كل خير. وممّن أكرمنا من أعيان حلب السيد الرفيع، ذي المجد المنيع، والفكر الثاقب، والرأي الصائب، فريدة عقد المكارم،

=يعلم مكان سكناه، إلا ان بعض احفاده، وهو السيد عبدالمحمود بن حسن بن ظاهر بن الحسين بن علي بن محمد بن إبراهيم المذكور، اختار «هيت» على الفرات سكناً له، ولاسرته من بعده، ودفن هو فيها سنة ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٣م، ومن هذا الأخير الأسرة الأدهمية المعروفة في العراق، ومنهم من عرف بآل الواعظ أيضاً. ينظر محمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا، ملحق للمحقق رقم ٢ ص ٣٩٢ .

(١) من مشاهير آل ميرو، الأسرة الحلبية القديمة المعروفة بالتجارة والفضل، وهو الحاج اسماعيل آغا بن الحاج حسين آغا بن الحاج عبدالوهاب، كان من سراة حلب، من آثاره أنه وقف أوقافاً على بعض المساجد في حلب في وقفية تاريخها سنة ١١٧٦ هـ/ ١٧٦٢م. ينظر محمد راغب الطباخ: أعلام النبلاء ج ٧ ص ٥٥ .

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) هو قاسم بن محمد المعروف بالبكرجي الحنفي الحلبي، ترجم له المرادي (سلك الدرر ج ٤ ص ١٠) بقوله: من أجلاء حلب.. كان عالماً بالحديث والفقه والفرائض، وله قدم راسخ في العربية والفصاحة والبلاغة والبديع والشعر، ونظمه حسن رائق، وذكر ان له مؤلفات منها شرح على الخزرجية «لم يسبق بمثله». وتوفي سنة ١١٦٩ هـ/ ١٧٥٥م.

(٤) من علماء حلب، اشار إليه المرادي في تضاعيف تراجم عدد من العلماء، وإن لم يفرد له ترجمة مستقلة، ويفهم من تلك الإشارات أنه كان نحوياً، ومن تلامذته عبدالقادر الديري (سلك الدرر ج ٣ ص ٦١).

واسطة قلادة الأماثل الأفاخم الذي حصل الكمالات، فدعي بالمحصل، واصل المكرمات، فهو المؤسس والمؤصل، الأكرم الأفخم حمزة آغا محصل حلب ابن طعمة البغدادي، لازالت من الله تهطل عليه الأيادي، وأضافني بكسوة من الفرق إلى القدم، وأمدّني بنفقة من النقود كثيرة.

وممن زارنا وصاحبنا من علماء حلب، العالم الفريد في قطره، والفذ في عصره ودهره، ذو التحقيقات الباهرة، والتدقيقات الفاخرة، من محاسن حلب وافتخارها، بل هو فريد الدنيا في أرجائها وأقطارها، جامع المنقول والمعقول، وحائز الفروع والأصول، سيدي السيد محمد الطرابلسي نزيل حلب، لازال أعلام إفادته منشورة على كراهل الطالبين، ولا برحت أظلة تقريراته وارفة، محيطة بالمستفيدين آمين، فقد رأيته بحراً لا ينزف، ووفاءً لا يوصف، حوى ٥٧ ب) نهاية الرقة واللطافة،و غاية المحاسن والطرافة، وله كرم يزري بالبحر الزخار، والغيث الهاطل المدرار، وقد أضافني – حفظه الله – في بستان الوزير حسين باشا القازوقجي[1]، ومعنا في الضيافة السيد الحسيب النسيب السيد يونس الأدهمي، والأكرم الأمجد خليل أفندي عجيمي زاده ومولانا الحاج محمد بن هاشم.و تكلف بأطعمة شتى مع الإكرام والإجلال، ولا سيما ما انضمَّ من ذلك من حسن أدبه، بحيث يتلمذ لي. ومن عذوبة منادمته وسرعة بديهته، والله إنه لأذكى من إياس، وله مزاج حسن، ومداعبة لطيفة، بحيث تخلب الألباب، وتذهب بالعقول.

[بستان حسين باشا القازوقجي]

واما البستان المذكورة فهي جنة من جنان الدنيا، ماؤها رقراق، ونهرها دفاق، تصدح فيها الحمائم والبلابل، وتغرّد فيها الشحارير والعنادل، رق نسيمها حتى عاد كالعليل، وطاب

---

(١) والي حلب من سنة ١١٥٥ هـ/ ١٧٤٢م إلى سنة ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤م، وفي عهده قدم السويدي إلى حلب. وسيذكر المؤلف في الورقة ٢١٩ ب أن هذه البستان كانت تعرف ببستان الكتاب، فاشتراها القازوقجي المذكور.

ظلها وهو ظل ظليل، ذات أشجار مختلفة الثمار، تطل على نهر قويق[1]، وعلى بساتين مد البصر، رفيعة المباني والعمران، مزخرفة بسائر الألوان، فانبسطنا ودام لنا السرور، وحصلنا على الأفراح والحبور. وكان حفظه الله مابين يوم ويوم يأتي لزيارتي وتحصل بيننا مذاكرات ومحاورات من سائر العلوم من منثور (٥٨أ) ومنظوم، فالغالب يكون الصواب معي، وهو حفظه الله وافر الإنصاف، مجانب الاعتساف، حتى إنه اتفق لي معه مذاكرة في إنَّ العام إذا خصص بغير إلاّ هل تكون دلالته ظنية أم قطعية؟ وما الذي رجحه علماء الأصول؟ فامتد البحث بيننا ثلاثة أيام، ووافقه على دعواه الشيخ طه الجبريني مع إقامة الدلائل من الطرفين، والمعارضة من الجانبين، حتى كثر الصخب، وارتفعت الأصوات، مع مراعاة قوانين المناظرة، فاجتمعت به خلال اليوم الثالث، فأول ما وقع نظره عليَّ قال لي: يا سيدي إن الصواب معك ونحن مخطئون! وما كفاه هذا إلاّ أنه أينما جلس عند الأكابر والأعيان يقول: جرت بينناوبين الشيخ البغدادي مباحثة والصواب معه ونحن كنا مخطئين، ولم يزل ينوه بذكري، ويقول إنه شيخنا ونحن تلامذته، فلله دره من عالم ما أكثر إنصافه وماأجزل ألطافه وإسعافه مع مداعبته وملاءمته وتفرده في حلب علما وجاها. وأضافني مرة ثانية في بيته ومعنا رفيقنا الشيخ عبدالوهّاب الموصلي الإمام بالحضرة الجرجيسية، والشيخ طه الجبريني، والشيخ عبدالكريم الشراباتي، والشيخ السيدحسين الديري[2]، وغيرهم. وجرت في ذلك المجلس (٥٨ب) محاورات ومذكرات أكثرها عبارات الشيخ ابن حجر[3] في شرح المنهاج عارضني

(١) هونهر مدينة حلب، ذكر ياقوت أنه يخرج من شناذر قرية على ستة أميال من دابق، ثم يمر في رساتيق حلب ثمانيةعشر ميلاً إلى حلب ثم يمتد إلى قنسرين اثني عشر ميلاً، ثم إلى المرج الأحمر اثنى عشر ميلاً، ثم يغيض في أجمة هناك (معجم البلدان) وقد جفت مياهه مؤخراً.

(٢) حسين بن محمد الديري، منسوب إلى الدير بقرب رحبة مالك، عالم حلبي شافعي، قرأ على أبيه، وكان عالماً أيضاً، وعرف بالصلاح، توفي سنة ١١٧٤ هـ/ ١٧٦٠م. الطباخ: أعلام النبلاء ج٧ ص ١٤

(٣) يريد أحمد بن علي ابن حجر الهيتمي المكي في شرحه لكتاب (منهاج الطالبين) للنووي.

فيها الشيخ طه الجبريني، وكان الحق معي آخراً. وكان معنا السيد محمد قزيزان[1]، وهو رجل حسن الصوت، حسن النغمة، معرفته بالألحان الموسيقية تامة، وما سمعته يلحن في إنشاده ولو بحركة. ومن عادته أنه لا ينشد إلا الرقيق من الأشعار، فمما أنشدنا في ذلك المجلس ميمية الشريف الرضي[2]:

يا ليلة السفح هلا عدت ثانية	سقى زمانك هطال من الديم
ماض من العيش لو يفدى بذلت له	كرائم المال من خيل ومن نَعَم
لم أقض منك لُبانات ظفرت بها	فهل لي اليوم إلا زفرةُ الندم
فليتَ عهدك إذ لم يبق لي أبداً	لم يُبقِ عندي عقابيلاً من السقم[3]
تعجبوا من تمني القلب مؤلمه	وما دروا أنه خِلْوٌ من الألم

(١٥٩أ)

ردوا عليَّ ليالِيَّ التي سلفت	لم أنسهن وما بالعهد من قدم
أقول للائم المهدى ملامته	ذُقِ الهوى وإن اسطعت الملام لُم
وظبيةٍ من ظباء الأنس عاطلة	تستوقف العين بين الخمص والهضم[4]
لو أنها بفِناء البيت سانحة	لصدتها وابتدعت الصيد في الحرم
قدرتُ منها بلا رقبى ولا حذر	على الذي نام عن ليلي ولم أنم
بتنا ضجيعين في ثوبي تقى وهوى	يلفنا الشوق من فرع إلى قدم
وأمست الريح كالغيرى[5] تجاذبنا	على الكثيب فضول الرِّيط واللمم

---

(١) كذا ضبطها ناسخ أ بفتح القاف، ولكنه سيضبطها فيما يأتي بالضم.

(٢) الديوان، المطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٣٠٧ هـ، ج ٢ ص ٧٢٢

(٣) العقابيل: بقايا العلة.

(٤) عاطلة: لم يكن عليها حلي، والهضم خمص البطن ولطف الكشح.

(٥) الغيري: الغيورة.

يشي بنا الطيب أحيـاناً وآونة يضيئنا البرق مجتازاً على إضم[1]
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داج من الظلم
وبيننا عفة بايعتها بيدي على الوفاء لها والرعي للذمم
يولع الطل بردينا وقد[2] نسمت رويحة الفجر بين الضال والسلم[3]

(٥٩ب)

وأكتم الصبح عنها وهي غافلة حتى ترنم[4] عصفور على علم
فقمت أنفض برداً ماتعبقه[5] غير العفاف وراء الغيب والكرم
وألمستني وقد جد الوداع بنا كفا تشير بقضبان من العنم[6]
وألثمتني ثغراً ماعدلت به أري الجنى ببنات الوابل الرزم
دين عليك فإن تقضيه أحي به وإن أبيت تقاضينا إلى حكم
عجبت من باخل عني بريقته وقد بذلت له دون الأنام دمي
ماساعفتني الليالي بعد بينهم إلا بكيت ليالينا بذي سلم[7]
لاتطلبن لي الأبدال بعدهم فإن قلبي لا يرضى بغيرهم

ومما أنشدنا ثمة تائية ابن الفارض[8] من قوله

---

(١) اضم: الوادي الذي فيه المدينة المنورة.

(٢) الضال: السدر البري، والسلم شجر من العضاة.

(٣) في النسختين إذا، وما أثبتناه من الديوان.

(٤) في الديوان: تكلم.

(٥) في الديوان: تعلقه.

(٦) العنم: شجرة لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب.

(٧) هنا بيت لم يورده المؤلف، يراجع الديوان.

(٨) هو أبو حفص عمر بن علي بن المرشد الحموي الأصل المصري، المعروف بابن الفارض، المتوفى سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٥م. والتائية هذه هي ثاني قصائد ديوانه، وهي غير التائية الكبرى المسماة بنظم السلوك.

متى أوعدت أولت وإن وعدت لوت[1] وإن أقسمت لا تبرىء السقم برت

وسرد منها عشرين بيتاً.

[بستان آغا زاده]

وأضافني ثالثة في بستان آغا زاده، ومعنا في الضيافة الشيخ طه الجبريني، والشيخ عبدالكريم الشراباتي، والشيخ عبدالسلام الحريري، (٦٠ أ) والشيخ الناسك السيد علي العطار، والشيخ السيد حسين الديري، والشيخ محمود الكردي المدرس بالشعبانية[2]، والشيخ عبدالوهاب الموصلي الإمام بحضرة نبي الله جرجيس، والشيخ محمود الكردي الغريب، والسيد محمد[3] نائب المحكمة الصلاحية[4]، وغيرهم ممّن كان يحضر تدريسه في البيضاوي[5]، فدخلنا البستان فإذا هي ملتفة بالأشجار، مزينة بالأوراد والأزهار، فيها البلابل تترنم طربا، والنسيم يشق له من خلالهاسرباً، يشقها النهر المسمى بقويق نصفين، وهو نهر صاف عذب لأهل تلك الديار فيه أشعار كثيرة، منها قول القائل:

هو الماء أن يوصف بكنه صفاته فللماء إغضاء لديه وإطراق

---

(١) في النسختين: وإن وعدت الوت وإن أوعدت لوت.. ولاوجه له، وما أثبتناه من الديوان، دار صادر ببيروت، ص ٣٥

(٢) من كبريات مدارس حلب، أسسها شعبان آغا بن أحمد آغا، وكان محصلاً للاموال الاميرية، سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م، وصفت بانها «مدرسة عظيمة عامرة». أسعد طلس: الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب، دمشق ١٩٥٦، ص ١٤٧

(٣) هو محمد بن حسن التفتنازي، سيشير إليه المؤلف فيما يأتي من رحلته، وسيترجم لأبيه.

(٤) تنسب هذه المدرسة إلى مؤسسها الأمير صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدواتدار، وقفها سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م على المذاهب الأربعة، وكانت تعرف قبلاً بدار ابن العديم، وقد اتخذت في عهد الدولة العثمانية محكمة للشافعية زمناً طويلاً، ثم تركت وأشرفت على الخراب وضاعت أوقافها، فقام بتعميرها المتولي عليها بهاء الدين أفندي القدسي سنة ١٢٦٠ هـ/ ١٨٤٤م وأعادها مدرسة كما كانت. الغزي: نهر الذهب ج٢ ص ١٩٣

(٥) يريد: تدريسه تفسير عبدالله بن عمر البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

ففي اللون بلور وفي اللمع لؤلؤ   وفي الطيب قنديل وفي النفع درياق
إذا عبثت أيدي النسيم بوجهه   وقد لاح[منه] أبيض الوجه براق

(٦٠ ب)

فطوراً عليه منه زرق[١] حقيقة   وطوراً عليه جوشن منه رقراق

وهي طويلة، وفيما ذكرنا كفاية.

ويمد هذا النهر قناة حلب، قيل: إن هذه القناة هي عين إبراهيم عليه السلام،وهي من حيلان قرية شمالي حلب[٢].

رجع[٣]، فانبسطنا يومنا كله، وقضيناه ما بين مذاكرة ومداعبة وإنشاد شعر، وكان منشدنا السيد محمد قزيزان، فمما أنشدنا ذلك اليوم موشح الأديب مصطفى أفندي البابي في وصف نهر عين الذهب، وهو نهر ذو فوائد كثيرة، ومنافع غزيرة، ينبئك عما فيه من العجب تسميته بعين الذهب، وقد نزلنا عليه في مرحلة الباب، وأشرنا ثمة إلى بعض ذلك، والموشح هو هذا:

بأبي وأيأبي وبي جرعة من ماء عين الذهب

يارعاه الله من واد وسيم   رقّ فيه الماء واعتل النسيم
تعرف النُّضرة فيه والنعيم

عيشنا فيه رخي اللبب   غفلت عنه عيون النوب
حيثما يممت روضٌ وغديرٌ   وإلى جانبه ظبي غرير

---

(١) في ب (رزق).

(٢) هي ثلاثة عيون لا عين واحدة، تعرف أولاهما ببركة الشيخ خليل، والثانية ببركة العبد أو بركة النيلوفر، والثالثة ببركة هيلانة أوبرك الرشح، ويجري ماء هذه العيون من حيلان إلى جهة حلب فيسقي البساتين ويفنى هناك. الغزي: نهر الذهب ج ١ ص ٥٨

(٣) يريد :رجعنا إلى حديثنا السابق.

(٦١أ)

وفراش متقن الوشي وثير

كـــملت فـــيـــه دواعي الطـرب   يؤخـــذ الصـــيـــد به عن كـــثب

في نديم شب في حجر الدلال

لو عـصـرت الظرف من عطفـيـه سـال   وإذا ســـاجـلـتــــه بـالأدب

قـــمـــر ينظر من عـــيـني غـــزال   يملأ الدلو لعـــقـــد الكـرب

قم بنا ننشق أرواح السحر

قـبـل أن تـصـدى بأنفـاس البـشـر   هذه الـورق تغنّتْ في الشـــجـــر

وتـنـاجـت في رؤوس القـــضـب   كل من ضـــيـع ذا الوقـت غـــبـي

دأبنا شم ورود وخدود

وعـنـاق من غـــصـــون وقـــدود   والهـــوى لف خـــصـــوراً بزنود

لـذة مـــا شـــانهـــا من أشب[١]   خلصت من مـــوبقـــات الريب

نفح روح الراح في جسم الزجاج

إنما يســـمـــر عن غـــيظ المزاج   أيهـــا الســـاقي فـــبـــادر بالعـــلاج

رصـع الـشـــمـس لنا بالشـــهـب   واسـكـب الفـــضـــة فـــوق الذهب

(٦١ ب)

وممَّن وصفه، كما في التاريخ، أبو نصر المنازي[٢] حين تفيأ في واديه وقال[٣]:

---

(١) الأشب : الكسب يخالطه حرام.

(٢) هو أحمد بن يوسف السليكي المنازي، ترجم له ابن خلكان (وفيات الأعيان ج١ ص ١٤٤) فقال « كان من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء، وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر. . وكان فاضلاً شاعراً كافياً، وترسل إلى القسطنطيني مراراً، وجمع كتباً كثيرةثم وقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد، وهي إلى الآن موجودة بخزائن الجامعَيْن،و معروفة بكتب « المنازي » وذكر ان له ديواناً لكنه عزيز الوجود، وتوفي سنة ٤٣٧ هـ.

(٣) هذه الأبيات ذكرها ابن خلكان في ترجمته للشاعر.

وقـــانا لفــحـــة الرمـــضـــاء واد سقاه مضاعف الوبل[1] العميم

نزلنا دوحة حنّت علينا حنوّ المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمأٍ زلالا ألذّ من المدامة للنديم

يصد[2] الشمس أنّى قابلتنا[3] فيحجبها ويأذن للنسيم

تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وهذا البيت الأخير مما يخلب بالألباب، ويذهب بالعقول. قال ابن الشحنة في تاريخه[4]: يعني أن العذراء التي في عنقها عقد إذا وقفت عليه ونظرت خيال عقدها في مائة تظنّ أن عقدها قد انفصم ووقع فيه فتلمسه، وقد يكون المعنى أنهاتشبه الحصى الذي في النهر بعقدها. قلت: وقد نزلنا على هذا النهر، ويحق للناظم ذلك، لأنه لم ير الفرات ولا دجلة، فإن أدنى نهر من أنهارها الطف وأرق وأعذب وأسلس مما ذكر ولاأحد يذكره في بيت أو شعر أو مثل. ومما أنشدنا ذالية ظافر الحداد[5]، وهي:

لو كان بالصبر الجميل ملاذه ما شح وابل دمعه ورذاذه

ما زال جيش الحب يغزو قلبه حتى وهَى وتقطعت أفلاذه

لم يبق فيه من الغرام بقية إلا رسيس يحتويه جذاذه

---

(١) في ابن خلكان: النبت، وفي نسخة أخرى منه: الغيث.

(٢) في ابن خلكان: يراعى

(٣) في ابن خلكان: قابلته، وفي نسخة أخرى منه: قابلتنا.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد الحلبي الحنفي المعروف بابن الشحنة، مؤرخ جليل، توفي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م له (روض المناظر في علم الأوائل والأواخر) اختصر به تاريخ ابي الفداء وذيله إلى زمانه سنة ٨٠٦ هـ. السخاوي: الضوء اللامع ج ١ ص ٣ - ٦ والشوكاني: البدر الطالع ج ٢ ص ٢٦٤ والبغدادي: هدية العارفين ج٢ ص ١٨٠ وكحالة: معجم المؤلفين ج ١١ ص ٢٩٥

(٥) هو ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي الإسكندري المعروف بالحداد. ترجم له ابن خلكان (وفيات الأعيان ج٢ ص ٥٤٠) فقال «كان من الشعرا المجيدين،و له ديوان شعر أكثره جيد». وذكر قصيدته الذالية هذه، وقال «وهذه القصيدة من غرر القصائد».

من كـان يرغب في السلامة فليكن | أبداً من الحدق المراض عياذه
لا تخدعنَّك بالفتور فإنه | نظر يضر بقلبك استلذاذه
يا أيها الرشا الذي من طرفه | سهم إلى حب القلوب نفاذه
در يلوح بفيك مَنْ نظامُهُ | خمر يجول عليه مَنْ نباذه
وقناة ذاك القد كيف تقومت | وسنان ذاك اللحظ ما فولاذه
رفقاً بجسمك لا يذوب فإنني | أخشى بأن يجفو عليه لاذه
هاروت يعجز عن مواقع سحره | وهو الإمام فمن يرى[1] أستاذه
تا لله ما علقت محاسنه[2] امرءاً | إلا وعزَّ على الورى استنقاذه
مالي أتيت الحب[3] من أبوابه | جهدي فدام نفاره ولواذه
إياك من طمع المنى فعزيزه | كذليله وغنيه شحاذه

(٦٢ب)

ومما أنشدته ثمة قول سيف الدولة ابن حمدان، وقيل لابن المعتز[4]

وساق صبيح للصبوح دعوته | فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كَأنجم | فمن بين منقض علينا ومنقض
وقد لبست أيدي الجنوب مطارفاً | على الجو ركباً والحواشي على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأحمر | على أصفر من أخضر إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل | مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومما أنشدنا أيضاً ثمة يائية ابن الفارض، من قوله:

---

(١) في الوفيات: ترى.

(٢) في الوفيات: محاسنك.

(٣) في الوفيات: الحظ.

(٤) لم أظفر بهذه الأبيات في ديوان ابن المعتز، وليس لسيف الدولة الحمداني ديوان ليراجع فيه.

يا أُصيحابي تمادى بيننا ولبعد بيننا لم يقض طي[١]

[إلى قوله][٢]

غير ما أوليت من عقدي ولا عترة المبعوث حقاً من قصي[٣]

وإنما لم أكتب الأبيات التي أنشدها من تائية ويائية سيدي عمر ابن الفارض لشهرتها بين الناس بشهرة ديوانه.

وحضرنا مرّات عديدة درسه في البيضاوي، [فهو] يدرس في الأسبوع يوم الأحد في بيته، ويحضر في حلقة درسه غالب أجلاء حلب، منهم سيدنا الشيخ طه الجبريني، وسيدنا الشيخ (١٦٣أ) عبدالكريم الشراباتي، وسيدنا السيد علي العطار وهو المملي للتفسير، وسيدنا الشيخ فتيان، والسيد محمد نائب الصلاحية التفتنازي[٤]، وسيدنا الشيخ محمود وغيرهم. وهؤلاء كلهم محققون فضلاء مدققون، لهم تآليف كثيرة، وتصانيف شهيرة، ويحضر في الدرس من الحواشي حاشية شيخي زاده، (وحاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري)[٥]، وحاشية سعدي أفندي[٦]، وحاشية عصام، وحاشية سنان باشا و(حاشية)[٧] الشهاب الخفاجي[٨]. ويورد في الدرس كل ما في ذلك[٩] من إشكال وغموض غير ما تستنبطه الأذهان في ذلك الآن. وهو – حفظه الله – كالبحر إذازخر،

---

(١) ديوان ابن الفارض ص ٢١

(٢) الزيادة يقتضيها السياق.

(٣) الديوان ص ٢٥

(٤) سيترجم له المؤلف باختصار فيما يأتي، الورقة ١٨٦أ.

(٥) ليست في ب.

(٦) في ب (سعدي جلبي).

(٧) ليست في ب.

(٨) تقدم التعريف بهذه المؤلفات.

(٩) في ب (ويورد في ذلك كل ما في الدرس).

والليث إذازأر، والجمل إذا (هدر)[١]، والسيل إذا انهمر. كيف لا! وقد مكث في الجامع الأزهر أربعة عشر عاماً يطلب فيها العلم، وقرأ أيضاً على علماء الحرمين وغيرهم، حتى حصل جميع الفنون. حدثني أنه أخذ التفسير عن الشيخ (أحمد)[٢] الملوي، وهو أخذه عن الشيخ عبدالله الكنكسي وثبته مشهور، وأخذ الحديث عن الشيخ أحمد النخلي وثبته المشهور، وعن محمد (٦٣ ب) بن عبدالله المغربي وثبته مشهور، وله إجازة بثبت الشيخ علي العقدي عنه،و بثبت الشيخ منصور المنوفي عنه، وبثبت الشيخ عبدالرؤوف البشبيشي عنه، وبثبت الشيخ عبدو الديوي عنه، وأخذ المعاني والبيان والنحو والصرف وسائر العربية والأصولين والمنطق عن الشيخين الشيخ منصور والشيخ أحمد الملوي. وأخذ الفقه الحنفي عن الشيخ عليّ العقدي[٣]، وهو عن عمه عيسى عن الحمودي، شارح الأشباه[٤]. وأخذه عن الشيخ حسن الشرنبلالي[٥]، وهو عن أبيه مؤلف الحاشية[٦]. وأخذ علم الكلام عن الشيخين الشيخ أحمد الملوي، والشيخ محمد بن عبدالله المغربي، وأخذ الحديث أيضاً عن الشيخ محمد الميت ضد الحي[٧].

---

(١) ليست في ب.

(٢) زيادة في ب.

(٣) تقدم التعريف بهؤلاء العلماء.

(٤) هو أحمد بن السيد محمد مكي الحسيني الحموي شهاب الدين المصري الحنفي المدرس بالمدرسة السليمانية والحسنية بالقاهرة، المتوفّى سنة ١٠٩٨ هـ/ ١٦٨٦م، له مؤلفات جمة منها شرحه لكتاب الاشباه والنظائر لابن نجيم في الفروع، وقد سماه (غمز عيون البصائر على محاسن الأشباه والنظائر). البغدادي: هدية العارفين ج١ ١٦٤ .

(٥) هو الحسن بن الحسن بن أبي الإخلاص الحسن بن عمار الشرنبلاي المصري الحنفي المتوفّى سنة ١١٣٩ هـ/ ١٧٢٦م.

(٦) هو حسن بن عمار بن علي الشرنبلاي الحنفي، المتوفي بالقاهرة سنة ١٠٦٩ هـ/ ١٦٥٩م، وله مؤلفات جمة، منها حاشيته على كتاب الدرر والغرر لمنلاخ سرو في فروع الحنفية، وهو الذي يشير إليه المؤلف هنا.

(٧) هو محمد بن محمد بن محمد البديري الدمياطي الشافعي الشاذلي الشهير بابن الميت، وكان فقيهاً محدثاً، تولى الإفتاء بدمياط، وتوفي فيها سنة ١١٣١ هـ/ ١٧١٨م. البغدادي: هدية العارفين ج٢ ص ٣١٩, وأشار إليه المرادي عرضاً في شيوخ عبدالكريم الشراباتي الحلبي (سلك الدرر ج ٣ ص ٦٣) ونسبته في هذه الإشارة (البدري).

والتمسَ مني أن أؤلف ثبتا باسم (ولده) [1] السيد مصطفى، وأذكر فيه سنداتي إذا وصلت إلى وطني بغداد، وأرسله إليه فأجبته والله الموفق. و قد طلب مني – حفظه الله – أن أجيزه، وولده النجيب السعيد السيد مصطفى، بجميع ما يجوز لي وعني روايته، فأجزته وولده بجميع ما لي فيه رواية البديري الدمياطي[2] وطلبت منه الإجازة لي ولولدي (القلبي أبي المحاسن)[3] حسين وأمه أم الفضل خديجة (٦٤أ) وأخيه علي، ولأولادي الصلبيين أبي الخير عبدالرحمن، وأبي السعود محمد، وأبي الفتوح إبراهيم، وشهاب الملة أبي المحامد أحمد، وأم الخير رقية، وأم العفاف سارة، وأم السعد صفية، فأجازني وإياهم بجميع ما رواه عن مشايخه المتقدمين، وكانت الإجازتان، إجازتي وإجازته ضحى يوم السبت الثامن عشر من شعبان عام[4] ١١٥٧هـ.

عوداً على بدء. وإن عادة هذا الشيخ في تقريره على التفسير لا يستعجل بل يقرر بتوءدة وتأنّ، من غير همهمة ولا هذرمة والاعتراضات عليه كرشق النبال، فيجيب من غير إمهال. ومما منَّ الله به عليَّ أنه ما جرى بحث في التفسير أو الحواشي إلاّ كنت المصيب، والحاضرون لهم إنصاف عظيم، وتسليم للحق القويم، لا عناد ولا خلاف، ولا خبط ولا اعتساف، ولا نزاع ولا شقاق، ولا خداع ولا نفاق، بل إنّهم –كثر الله في الإسلام أمثالهم – يتبعون الحق، ويأخذون العلم ولو عن أدنى منهم، فكان الشيخ الطرابلسي يجلسني في مكانه ويجلس هو مع سائر الطلبة، فالداخل يظن أني أنا المدرس، وكلما قرَّر هذا الشيخ ينظر إلى كالمستفهم، ويقول: يا سيدي أليس كذا؟ وهذا كله من محاسن (٦٤ب) أخلاقه حفظه الله تعالى. وكانت العادة عند تمام درسه يسرع السيد محمد قزيزان بإنشاد قصيدة، وبفراغه

---

(١) في ب (والده) وليس بصواب.

(٢) في ب اضيفت في الهامش. وهو نفسه محمد الميت المتقدم.

(٣) طمست في أ.

(٤) الموافق ٢٥ أيلول سنة ١٧٤٤م.

من الإنشاد ينفض مجلس الدرس. فمما أنشد (عقب الدرس)[1] قول (ابن الخياط الدمشقي)[2]:

خذا من[3] صبا نجد أماناً لقلبه ... فقد كاد رياها يطير بلبه
وإياكما ذاك النسيم فإنه ... متى هبَّ كان الوجد أيسر خطبه
خليلي لو أحييتما لعلمتما ... محل الهوى من مغرم القلب صبه[4]
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى ... يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه ... وشوق على بعد المزار وقربه
وفي الركب مطوي الضلوع على أسى ... متى يدعه داعي الغرام يلبِّه
إذا خطرت من جانب الرمل نفحة ... تضمن منها داؤه دون صحبه
ومحتجبٍ بين الأسنة معرض ... وفي القلب من إعراضه مثل حجبه
أغار إذا أنَّت و في الحي أنةُ ... حذاراً و خوفاً أن تكون لجبه[5]

ومما أنشدنا عقب درس الطرابلسي من همزية البوصيري[6] (٦٥ أ)

---

(١) زيادة في ب.

(٢) في أ (الأرجاني) والقصيدة ليست في ديوانه، تحقيق الدكتور محمد قاسم مصطفى، الموصل ١٩٧٩ – ١٩٨١م. فالظاهر أنها لابن الخياط، وهو حسن المعروف بالخياط الدمشقي. ترجم له المرادي (سلك الدرر ج٢ ص ٣٧) ترجمة مختصرة ولكنه أورد نماذج لابأس بها من شعره، وقال «ورأيت له مجموعة بخطه أكثرها شعره ونظمه وأحجياته والغازه، فذكرت هنا ما استحسنته».

(٣) في ب (خذ من صبا).

(٤) في ب (من مغرم محل الهوى).

(٥) جب: قطع.

(٦) هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي، المعروف بالبوصيري، والبوصيري، نسبة إلى أبو صير بمصر شاعر، صوفي، اشتهر بقصيدته الهمزية التي مدح بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وطار صيتها لما اشتملت عليه من وصف سيرته وما اقترن بها من كرامات، توفي سنة ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦م. محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، بولاق ١٢٨٣، ج٣ ص ٢٥٦ ومقدمة ديوانه لمحمد سيد كيلاني، القاهرة ١٩٧٣ .

من قوله:

فتنزّه في ذاته ومعانيه استماعاً ما عزّ منها اجتلاء[١]

إلى قوله: شق عن صدره.. البيت[٢]

وكان من جملة ما أنشده من هذه، قوله[٣]:

فإذا ما ضحا محا نوره الظل وقد أثبت الظلال الضحاء

فكأن الغمامة استودعته من أظلت من ظله الدفاء[٤]

فقلت في المجلس: كيف تفهمون هذا البيت؟، فإن الشيخ الجوجري[٥] قال: لم يظهرلي معناه، والشيخ ابن حجر شرحه[٦] إلا أنه لم يظهر لي المراد منه، فما معنى عبارة ابن حجر؟ فتوقفوا في البيت، وفي شرح ابن حجر، وراجعوا، فوجدوا الشيخ حسن البوريني[٧] كتب عليه بعدما ذكر (ما)[٨] للشارحين فيه من الكلام الذي حاصله يرجع إلى ان الدفاء بفائين،

---

(١) البيت ١٢٣

(٢) البيت ١٤٣

(٣) البيتان ١٣٦ و١٣٧

(٤) الدفاء: الجماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يسيرون معه (من حاشية الديوان).

(٥) يريد محمد بن عبدالمنعم بن محمد الجوجري القاهري الشافعي، ولد بجوجر من أعمال دمياط بمصر وإليها نسب، وعاش في القاهرة حيث نبه بالفقه والنحو، وتوفي فيها سنة ٨٨٩ هـ/ ١٤٨٤م، من مؤلفاته (شرح القصيدة الهمزية في المدائح النبوية) للبوصيري المذكور. السخاوي: الضوء اللامع ج٨ ص ١٣٢ وكشف الظنون ص ١٣٤٩

(٦) يشير إلى شرح أحمد بن حجر المكي الهيثمي المتوفّى سنة ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥م المسمى (المنح المكية).

(٧) هو حسن بن محمد بن محمد الصفوري الأصل الدمشقي البوريني الأشعري القادري، المتوفّى سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م. له مؤلفات ذكرها مترجموه (هدية العارفين ج ١ ص ٢١٩) وليس من بينها شرح على همزية البوصيري.

(٨) ليست في ب.

وأظلت فيه بالظاء المشالة، إلى أن قال: والذي فيه عندي أنه تحرف عليهم أجمعين، وإنما هو كذا، فكأن الغمامة استودعته مذ أظلت من ظله الدقعاء[1]، فاستودعته وأظلت[2] مبنيان للمفعول، ومذ بميم مضمومة، وذال معجمة، والدقعاء[3] بدال مفتوحة وقاف[4] وعين مهملة، ثم مد، بمعنى الأرض، (٦٤ ب) والمعنى أن الغمام إنما أظلَّه لئلا يمس ظلّه الأرض، فلهذا أخذه[5] وديعة عنده ليصونه عن مس التراب، وهذا معنى بديع يعرفه من ذاق حلاوة الشعر وعرف مغزاه.

وفي قوله: مذأظلت. انتهى. معنيان أحدهما مذ مس ظله التراب،والآخر مذ صارت الأرض كلها في حمايته لأنه ظل الله. وفي معناه رباعية لي:

ما جر لذيل أحمد أذيال ... في الأرض كرامة كذا قالوا
هذا عجب وكم له من عجب ... والناس بظله جميعاً قالوا

وفي التائية المنسوبة للإمام السبكي الذي نظم فيهامعجزات النبي صلى الله عليه وسلم[6]، وشرحها بعض المتاخرين:

لقد نزه الرحمن ظلك أن يرى ... على الأرض ملقى فانطوى لمزية
وأثر في الأحجار مشيُك ثم لم ... يؤثر برمل فوق بطحاء مكة

قال شارحها: قيل إنَّهُ عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظله على الأرض لأنه نور

---

(١) في ب (دففاء).

(٢) في ب (وأظلته).

(٣) في ب (والدففاء).

(٤) في ب (وفاء).

(٥) في ب (خذوه).

(٦) في فهرست المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية) بالقاهرة ج١ ص ٣٣٤ قصيدة اسمها (القصيدة المدنية في مدح مهدي الأمة الأمية) في معجزاته صلى الله عليه وسلم، نظمها محمد السبكي سنة ١٢٧٥ هـ، فاسم القصيدة ونسبة ناظمها متطابقان، ولعل في التاريخ خطأ والله أعلم.

روحاني:

مـــالطـه رأى البـــرية ظـلاً ... هـو روح ولـيس لـلـروح ظـل

(٦٦ أ)

والنور لا ظل له، إلى آخر كلامه، وهو كلام حسن لو كانت الرواية مثلما ذكر، وأحسن مارأيت في شرح هذا البيت ما ذكره بعض الشارحين حيث قال: ودفيف الطائر مدة فوق الأرض، والدفيف الدبيب وهو السير اللين، فدفقاء على فعلاء جمع داف، كعالم وعلماء، وهو خبر كان. وجملة استودعته حال من الغمامة على إضمار قد، والهاء في استودعته تعود على الظل المحو بنوره عليه الصلاة والسلام. والمعنى كأن الغمامة الدفقاء، والحال أنها قد أودعت الظل (من النبي)[1] عليه الصلاة والسلام التي أظلته من ظله:

مـا قـال إلا ظللته غـمـامـة ... هي في الحـقـيـقـة تحت ظل القـائل

(انتهى)[2].

ومما أنشدنا في ضيافة الطرابلسي في بستان طه زاده قول الشيخ عبدالرحمن الموصلي[3]:

إلى عليـاك تعنـو الأنبـيـاء ... ومن نجـواك يقـتـبس الضـياء

وكـيف وأنت يا باهي المحـيّـا ... عـلـيـك أتـى مـن الـلـه الـثـنـاء

وزادتك الشـفـاعـة يوم حـشـر ... كـذاك الحـوض فـخـراً واللواء[4]

(٦٦ ب)

براك اللـه من نـور نـبـيـاً ... ولا أرض هـنـاك ولا سـمـاء

فكنت وآدم في ظـهـر غـيـب ... ولاطـين هـنـاك ولـيس مـاء

---

(١) في ب (لنبي).

(٢) ليست في ب.

(٣) هو عبدالرحمن الموصلي الشيباني الميداني المتوفى سنة ١١١٨ هـ/ ١٧٠٦م، اديب له ديوان شعر مخطوط. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٩٣

(٤) عجز البيت مطموس في ب.

فـبـدء الكون أنت بغير شك ... وسر الكائنات ولا امتراء
وأحسن منك لم تر قط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

وأنشدنا قصائد كثيرة بعددروس البيضاوي، وفي بعض الضيافات ما كتبتها لضيق الوقت، وقد سألته – حفظه الله تعالى – عن قول عصام[1]: ولوجعل كنت، بمعنى صرت، لكان أعلى كعباً الواقعة على قول البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾[2] أكد تهديده، وبالغ فيه من عدة وجوه، انتهى. وهذه العبارة ما رأيت أحداً أجاب عنها، بل غالبهم يقول: إنها سهو، ولمافتح الله لي بحلها سجدت لله شكراً وأنا في بغداد. وأما هذا الشيخ فثاني يوم [بعد] السؤال قال: المراد من كنت في قول (١٦٧أ) عصام هي: كنت التي تقدمت في آيات كثيرة في قوله تعالى ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾[3] الآية، وهو عين الجواب الذي أجبت (به)[4]. وقد كتبت على كونه أعلى كعباً كلاماً حسناً على هوامش الحاشية العصامية، والله[5] الموفق.

ومما وقع السؤال عنه عبارة القهستاني في شرحه لصدر الشريعة[6] عند قول الماتن:

---

(١) يريد عصام الدين إبراهيم بن محمد الاسفرئيني المتوفى سنة ٩٤٣ هـ في حاشيته على (أنوار التنزيل) للبيضاوي.

(٢) البقرة آية ١٤٥، لم يذكر في ب تمام الآية، واكتفى بلفظة (الآية).

(٣) البقرة آية ١٤٣

(٤) في ب (عنه).

(٥) في ب (وهو).

(٦) يريد به الشرح الذي وضعه محمد بن حسام الدين الخراساني القهستاني الحنفي المتوفى سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م وسماه (جامع الرموز) على كتاب (النقاية مختصر الوقاية) لصدر الشريعة عبيدالله مسعود الحنفي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ. كشف الظنون ص ١٩٧١ وهدية العارفين ج٢ ص ٣٤٤

ويغسل يديه إلى رسغيه ثلاثاً للمستيقظ، حيث قال بفتح القاف، وإن اشتهر كسره، لموافقة الحديث، ولأن هذا التصريح بعد الكتابة لا يخلو عن شيء، انتهى. فلم يجب أحد منهم سوى الشيخ الطرابلسي فإنه كتب عليه، وهو غير ما كنت أفهمه[1] أولاً. وصورة ما كتب: المراد من الحديث الموافق: إذا استيقظ أحدكم من منامه، الحديث. ووجه موافقة المستيقظ بفتح القاف (له)[2] أنه يكون حينئذ مصدراً ميمياً واللام فيه للوقت، فيفيدان سنية غسل اليدين وقت الاستيقاظ من النوم كإفادة الحديث لذلك. وقوله: ولأن الخبر علة ثانية لمخالفة المشهور. ووجه التعليل إن التصريح أي الإتيان (٦٧ب) بالاسم الصريح الظاهر بعد الضمير المسمى بالكناية[3]، الواقع في يديه ورسغيه لا يخلو عن شيء، أي عن نكتة حاملة له على العدول عن الإضمار إلى الإظهار، وتلك النكتة هي إفادة الموافقة، وإنها لا تكون على زعمه إلا بفتح القاف المخالف للمشهور، هذا ما وصل إليه الفهم الموصوف بالفتور. وفي كل من الوجهين نظر، إذ الموافقة للحديث حاصلة مع الموافقة للمشهور، أما بجعل اللام في المستيقظ للعهد، والمعهود هو الأحد المذكور في الحديث، وأمابأن المراد أول أزمان الاتصاف بهذه الصفة، وما ذكره علة للعدول يجري فيما ذكرناه من غير نكول، انتهى.

ومما وقع مني السؤال أيضاً في التفسير المذكور، في قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[4] فقد ذكر في [تفسير سورة][5] هود أن الفعل تعلق [بخلق][6]، وفي سورة الملك نفى التعليق[7]، والآية في الموضعين واحدة، وهو تبع صاحب الكشاف في

(١) في ب (وهو عين ما كنت أفهمه).

(٢) ليست في ب.

(٣) في أ بالكتابه ولا وجه لها.

(٤) هود آية ٧

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) الزيادة من أنوار التنزيل للبيضاوي ص ٣٩١

(٧) في أنوار التنزيل ص ٧٤٨ «ليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبراً فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين».

الموضعين[1]، فجرى البحث فيها كثيراً من جواب ورد، ثم انتقل الكلام إلى ما ذكر المحشون، فذكر سعدي أفندي، وشيخه شيخ الاسلام زكريا الأنصاري، تلفيقاً وتوفيقاً بين المحلين، إلا أنه (٦٨أ) تلفيق وتوفيق إقناعي لا يجدي نفعاً فليراجع. ثم وذكر سنان باشا في حواشيه كلاماً طويلاً، ثم قال: وبالجملة إن هذا من مشكل هذا الكتاب، ولقد أنصف. ثم نشأ من عبارة الكشاف التي هي صريحة في أنّ المعلق لا يكون إلاّ قبل الجزءين، فلو تقدم على المفعول الثاني فقط دون الأول لا يكون تعليقا[2]، وتبعه البيضاوي في جميع ذلك. سؤال، وهو أنه هل أحد قال بتعليق المفعول الثاني فقط؟ فقلت: نعم، كما في قولنا علمت زيداً (أبو من) هو[3]، ونقله الجلال السيوطي في شرح الألفية عن الناظم في الكافية. ثم رأيت شيخ الإسلام قال في هذا الحل أنه مذهب الأكثر.

ومما وقع مني أيضاً السؤال عن عبارة البيضاوي، عند قوله (تعالى)[4] في سورة (ص): ﴿مقرنين في الأصفاد﴾[5] وسمّي به العطاء، إلى أن قال: وفرقوا بين الفعلين، فقالوا: صفده إذا قيده وأصفده إذا أعطاه عكس وعدو، أو عدو، (وهي)[6] في ذلك نكتة، فوقع البحث في تعيين النكتة، فأتوا بالحواشي كحاشية سعدي[7] أفندي، وحاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وحاشية شيخي زاده، فاختلفت الحواشي (٦٨ب) في تعيين النكتة، ولم يقرب إلى الصواب إلا شيخ الإسلام وجوابه في الحواشي مسطور، ولكن للنظر فيه مجال لايخفى على فحول الرجال.

---

(١) جار الله محمود الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل، بولاق ١٣١٨هـ، ج٢ ص ٧٤ وج٣ ص ٢٠٣

(٢) في أ (تلفيقاً) ولا وجه له.

(٣) في ب (يؤمن).

(٤) ليست في ب.

(٥) إبراهيم آية ٤٩

(٦) زيادة في ب.

(٧) في النسختين: سعد.

ومما وقع السؤال عنه في التفسير المذكور: كثير، لكنه ليس من البحث المشهور، وذلك كمعلق جار ومجرور، وإرجاع ضمير، ووصل وفصل وإعراب.

ومما وقع السؤال عنه عبارة الملاّ عصام عن قوله تعالى ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجدا﴾[1] الآية. فإنه هناك نقل كلام المحقق التفتازاني معترضاً، ويفهم من عبارته الجواب عن الاعتراض المذكور وهو غير ما اعترض به التفتازاني فلينظر هناك، وقد أجبتُ عنه بجواب استحسنه الجميع، ولم تحضرني عبارة عصام هذا الوقت، وإلا لكنت ذكرت الجواب بعد تشخيص الإشكال.

وممن زارنا وصاحبنا وامتزج معنا امتزاج الروح بالجسد سيدنا ومولانا العالم الذي لا يجارى، والفاضل الذي لا يمارى، ذو التحقيقات التي تشهد بأنه البحر الزخار، والتدقيقات التي تخبر بأنه الشمس، الشيخ طه الجبريني بن مهنا، نسبة (٦٩أ) إلى جبرين، قرية من قرى حلب، فجرت بيننا وبينه أنهار المذاكرة، ودارت علينا كؤوس المباحثة والمناظرة، وهو – حفظه الله – أول من زارنا من علماء حلب، فلم يزل يوقع المسائل في غضون كلامه، ومطاوي صحبته، يوردها بالمناسبة، فطال ما بيني وبينه من المذاكرات في سائر الفنون، فإذا هو عالم علامة، وفاضل فهامة، مع ما اشتمل عليه من النسك والعبادة والصلاح – وفقه الله لطاعته آمين – فقد حصلت لي معه مباحثات شتى، حتى إنه كل يوم يعرض عليّ عبارات (الشرح)[2] المطول[3] وسواداته، وسبب ذلك أنه كان يقرأ المطول إذ ذاك ويعرض عليّ عبارات البيضاوي، لأنه من جملة من يحضر درس الطرابلسي في التفسير، ويعرض عليّ أحاديث البخاري وعبارات شروحه، لأنه كان يقرأ البخاري في الجامع الكبير عند المحراب

---

(١) البقرة آية ٥٨

(٢) ليست في ب.

(٣) تقدم التعريف به.

الأصفر[١] في مصلّى الشافعية. وأما المسائل المتعلقة بتحفة ابن حجر وبالنحو والصرف وسائر الفنون فهي أكثر من أن تحصى، وكان – حفظه الله – بحاثاً بحيث كان يتعبني في المباحثة إلاّ أن الغالب عليه عدم إظهار التسليم (٦٩ ب) إلاّ أن يلزم إلزاماً لامناص له منه.

وممّا منَّ الله عليّ أني ما بحثت مع أحد منهم إلاّ وكان الصواب معي، فعظمت في أعينهم بحيث يعاملونني معاملتهم لمشايخهم. وكنت كل يوم أجتمع معه في الجامع الكبير، ويضيفني فيها، وتأدب معي غاية التأدب، والأبحاث بيننا غير منقطعه.

ومما وقع البحث فيه، قول الشاعر:

منينني بالوصل حتى إن مللتُ من التمني
عرضن لي بالوصل حتى قلت قد أعرضن عني

فقلت: فيكف يكون إعراضهن غاية لتعريضهن بالوصل، فتكلف في الجواب، ولم يقع على الصواب. والجواب إن (قد) هنا اسم فعل بمعنى كفى [و] ليست قد الحرفية.

ومما وقع البحث عنه قوله – صلى الله عليه وسلم – إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة. فسألته: ما معنى هذا الحديث؟ فتوقَّف. والجواب، كما نقله الشيخ أحمد المقري [٢] في تاريخ المغرب[٣] عن أبي مدين، أن معناه أعطي نصف جنة. قال: عوض عن الإضافة، كما هو مذهب الكوفيين، أو إنها للعهد كما هو مذهب البصريين، فلم يسلم لهذا الجواب ظاهراً. فاتفق أني صليت العصر في الجامع الكبير، وهو في درس البخاري، فسمعته، وهو لم يرني، يقرر هذا الحديث ويفسره بعين ما ذكرته له.

---

(١) في ب (الأصغر) ولا صحة له، والمحراب الأصفر هو المحراب الكبير في الجامع الاموي بحلب، عرف بهذا الاسم لانه مبني بحجر اصفر اللون، وقد كتب عليه ما يدل على أنه من إنشاء السلطان قلاوون في رجب سنة ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م. الغزي: نهر الذهب ج ٢ ص ٢٤٣

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني المقري المتوفّى سنة ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م.

(٣) يريد كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب).

ومما وقع السؤال عنه قوله صلى الله عليه وسلم: ما أسلم من عواصي قريش إلا المطيع بن سالم[١]، فتحير في الجواب، وجوابه كما ذكره ابن الأثير في النهاية[٢]: إن المعنى ما أسلم ممن تسمّى بالعاص إلاّ مطيع، ومطيع هذا كان اسمه أولاً العاصي فغَيَّر النبي صلى الله عليه وسلم اسمه، فسَمَّاه المطيع، فالعَواصي جمع العاصي علماً لا صفة.

ومما وَقَع السؤال عنه، على طريقة المداعبة، أني قلت له: إن بعض الناس يقول: إن أبا هريرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الجملة تمَّ الحديث، وأفاد معنى حكماً شرعياً، فأين مقول القول الذي يتوقف عليه المعنى؟ فتوقف. والجواب: إن قال الثاني من القيلولة لا من القول.

ومما جرى بيني وبينه أنّا حضرنا عقد نكاح، فرأيتهم يحرصون على حضور العدول، فقلت: ولم هذا؟ فقال: حتى يصبح العقد على مذهب الإمام الشافعي. فقلت: لايصح في هذا المجلس، لأن الولي وأكثر (٩٢ ب) الحاضرين لابسون حريراً، ولبس الحرير من الكبائر التي يفسق بها الولي والشهود، بل يفسق من كان جالساً معهم وله قدرة على دفع المنكر، أو يقدر على مفارقتهم، فأنكر أن يكون لبس الحرير من الكبائر، فأخرجت له الزواجر لأبن حجر[٣]، فذكر أن لبس الحرير من الكبائر. وذكر في موضع آخر: أن الاجتماع معهم، مع القدرة على جفاوتهم كبيرة، فلما رأى ذلك قال: لا أسلم ذلك! إنما أريد كتاباً في الفقه ذكر ذلك، فنظرنا عبارة التحفة[٤]، فأحال الكبائر ومعرفتها على الزواجر. وعرضت عليه عبارة الذهبي فإنه صرح بأن ذلك كبيرة، وعبارة الشبراملسي فإنه قال: وهو من الكبائر، فتوقف حتى إني غضبت عليه، فقلت: لم هذا العناد مع تصريح الشيخ ابن حجر وأنت أولاً

---

(١) لم نجد هذا الحديث: والذي سبقه، في الصحيحين والسنن.

(٢) النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات مبارك بن محمد، ابن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٠٦هـ.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر لشهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي المتوفّى سنة ٩٧٤هـ.

(٤) يريد كتاب تحفة المحتاج لشرح المنهاج لابن حجر الهيتمي ايضاً.

تفتي الناس بصحة نكاحاتهم ووقوع طلاقهم وتستند إلى قول ابن حجر فلم لم تقبله إذا كان عليك؟ فسكت ولم يردّ علي.

ومما وقع السؤال عنه، عبارة الشيخ ابن حجر عند قول النووي في المنهاج، وقد أكثر أصحابنا – رحمهم الله – من التصنيف من المبسوطات والمختصرات، حيث قال: قيل والإيجاز لكونه (٧١أ) حذف طول الكلام، وهو الإطناب، غير الاختصار، لأنه حذف تكريره مع اتحاد المعنى ويشهد له فذو دعاء عريض وفيه تحكم واستدلال بما لا يدل، إذ ليس في الآية حذف ذلك العرض فضلاً عن تسميته، فالحق ترادفهما كما في الصحاح، فسألته عن معنى هذه العبارة، فقرر خلاف المراد، ثم ذكرت له المعنى المراد من العبارة، فمنع منعاً مجرداً وأصرَّ على ذلك. فاتفق ثاني يوم البحث، فرأيت بين أوراقه ورقة كتب فيها المعنى الذي ذكرته له ولم يخبرني بأنه رجع عما قال فيه إلى ما قلته، وأنا كذلك ما ذكرت له أني اطلعت على ورقتك، وإن فيها كذا وكذا. ولنرجع إلى عبارة الشيخ ابن حجر فنقول: معناها إجمالاً إن صاحب هذا القيل ادعى أن الإيجاز غير الاختصار، لأن الإيجاز حذف طول الكلام، والمسمى بالإطناب، والاختصار حذف تكريره الذي هو عرضه[1]، واستشهد على الفرق بقوله: فذو دعاء عريض، فرده الشيخ بأن في هذا الفرق تحكّماً أي دعوى بلا دليل، وإن فيه أيضاً استدلالاً بما لا يدل، فإنه استدل بالآية وليس فيها حذف ذلك العرض المسمى بالتكرير فضلاً عن تسميته اختصاراً، بل الذي في الآية لفظ دال على التكرير، (٧١ ب) لا أنه تكرير وحذف، فانظر يا أخي إلى أحوال الشيخ طه! فإنه – والله – عالم فاضل، محقق مدقق، له نظر في العبارة وقوة حافظة في ضبط القواعد من سائر العلوم، مع أدبه وتواضعه، فلا عيب فيه سوى أنه لا يسلم ظاهراً في غالب أحواله، ويستفيد من الخصم مع إنكاره ظاهراً، فسبحان من لا عيب فيه، غفر الله لنا وله.

---

(١) العرض هنا: النظير.

وممّا وقع فيه السؤال، عبارة الشيخ ابن حجر في قول النووي: وكذا الباب المردود والشباك في الأصح حيث قال ثمة: وبما تقرر علم صحة صلاة الواقف على أبي قبيس بمن في المسجد، وهو ما نص عليه، ونصه على عدم الصحة محمول على البعد، وعلى إذا ما حدثت أبنية بحيث لا يصل إلى بناء الإمام لو توجه إليه من جهة إمامه إلا بازورار وانعطاف، بأن يكون بحيث لو ذهب إلى الإمام من مصلاه فلا يلتفت إلى جهة القبلة، بحيث يبقى ظهره إليها. فقلت: إن لا في قوله لا يلتفت زائدة من قلم الناسخ لأنه في صدد بيان الازورار والانعطاف، وهما يقتضيان الالتفات عن جهة القبلة لا عدمه، فكابر وعاند، وادعى أن قوله بأن يكون بحيث انتهى بيان لعدم الازورار. فقلت: عدم الازورار غير مذكور (٧٢أ) حتى يكون هذا بياناً، فقال هو مفهوم بطريق المخالفة وأصر على ذلك.

ومما وقع السؤال عنه، عبارة الشيخ ابن حجر، ونصها: وبحث الأسنوي[١] أن هذا في غير شباك بجدار مسجد، وإلاّ كالمدارس التي بجدر المساجد الثلاثة صحة صلاة الواقف فيها لأن جدار المسجد منه، والحيلولة فيه لا تضر، ورده جمع وإن انتصر له آخرون بأن شرط الأبنية في المساجد تنافذ أبوابها على ما مر، فغاية جدار المسجد أن يكون كبناء فيه، فالصواب أنه لابد من وجود باب أو خوخة[٢] فيه يستطرق منه إليه من غير أن يزور كما مر في غير المسجد، فقلت: صريح عبارة ابن حجر أن الازورار في المسجد يضر، وإن ذهب غيره إلى خلافه، كالحلبي وغيره. فقال الشيخ طه: لا تقتضي العبارة ذلك، وتمحل لها تمحلات بعيدة وتكلفات واهية غير سديدة تماماً. ثم إنّا توافقنا أن نجعل الشيخ الطرابلسي حكماً في المسالتين، وقلنا: إنه رجل حنفي ولا يعرف حكم المسألة عند الشافعية إلا من مدلول اللفظ، فنعرض عليه العبارتين ونساله تقريرهما، فإن وافق تقرير أحدنا ينبغي للآخر أن يسلم.

---

(١) يريد نور الدين إبراهيم بن هبة الله الاسنوي المتوفّى سنة ٧١٢ هـ في اختياره لكتاب الوسيط في فروع الشافعية لأبي حامد الغزالي وتصحيحه لبعض شروحه.

(٢) الخوخة: باب صغيرة في باب.

فعرضنا عليه العبارتين (٧٢ ب) فقرر طبق ما قررت - والحمد لله - فإن النزاع طال وامتد إلى سبعة أيام.

ويوم اجتمع بي، وجرت بيني وبينه المذاكرت، أنشدني متمثلاً:

لم تزل مناشدة الركبان تخبرني — عن أحمد بن علي أطيب الخبر

فلما التقينا فلا والله ما سمعت[1] — أذني بأحسن مما قد رأى بصري

أخذ الشيخ طه المذكور الحديث والفقه والأصول والنحو والمعاني والبيان وغير ذلك عن الشيخ عبدالله بن سالم البصري ثم المكي، وعن الشيخ عيدالبرلسي المصري، وعن الشيخ تاج الدين القلعي المفتي بمكة المكرمة، وعن الشيخ عبدالقادر المفتي بها أيضاً، وعن الشيخ يونس المصري، وعن الشيخ أبي الحسن السندي. وأخذ الفقه والنحو أيضاً عن الشيخ مصطفى الحفسرجاوي ثم الحلبي، وعن الشيخ أحمد الشراباتي الحلبي. وأخذ الحساب والنحو عن الشيخ حسن التفتنازي ثم الحلبي.

والمنطق عن الشيخ محمد شلبي البرلسي المصري[وأخذ] هداية الحكمة عن الشيخ عبدالله الصاوق بلاقي الكردي وغيرهم.

والتمست منه أن يجيز أولادي الصلبيين والقلبيين، وهم (٧٣أ) أبو المحاسن وأمه أم الفضل خديجة، وأبو المفاخر علي، وأبو الخير الشيخ عبدالرحمن الشعراني، وأبوالسعود محمد، وأبو الفتوح إبراهيم، وأبو المحامد شهاب الدين (أحمد)[2]، وأم الخير رقية، وأم العفاف سارة، وأم السعد صفية، فأجازهم بثبت الشيخ عبدالله بن سالم، وجميع ما يجوز له وعنه روايته، وذلك في واحد والعشرين من رجب الأصب من العام المذكور[3]، منحه الله أعظم الأجور، آمين. وممَّن زارنا وصاحبنا الصحبة الأكيدة، ووادنا المودَّة المديدة، سيدنا

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: حتى.

(٢) ليست في ب.

(٣) ٢٩ آب ١٧٤٤م.

ومولانا العالم المحدث الثقة الثبت، تذكرة ابن الصلاح رواية، وخليفة ابن الأثير دراية، وجامع الفنون العديدة، وحائز العلوم المفيدة، الشيخ عبدالكريم ابن الشيخ أحمد الشراباتي الحلبي البصير، عَمِيَ - فيما أظن - عام سبعة وثلاثين ومائة وألف، له فكرة وقادة، وفطنة نقادة واشتغال تام، لا يفتر عن الإفادة والاستفادة يوماً من الأيام أمين على العلم بحيث إذا ظهر خطؤه ولو بعد شدة النزاع رجع وأذعن وأقر بأنه كان مخطئا، لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا تعتريه فيماإذا أخطأ ندامة نادم، لين (٧٣ب) العريكة، صافي السريرة والطوية، مخلص العزم في أعماله، حسن النية. عاشرني معاشرة ارتفعت فيما بيننا الحشمة[١]، ومكنني من جميع كتبه، بل من جميع ما في بيته. وأول ما وقع عليه نظري وصافحني قال: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. وأنا قلت حين المصافحة: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم، اللهم اغفر لي ولأخي هذا، وذلك لأنه المأمور به وقت المصافحة كما جاء في ذلك أحاديث كثيرة، وأخبار معروفة شهيرة، وكأنه استشعر مني الإنكار عليه، فقال: روينا عن الأذكار النووية[٢] أنه، صلى الله عليه وسلم، ماأخذ بيد رجل وفارقه إلا قال: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. وكان - حفظه الله تعالى - لا يخاطبني إلا بيا شيخنا. وكان يقول: والله علمنا الشيخ البغدادي كيفية البحث والمناظرة، واستفدنا منه شيئاً كثيراً. وكان سخي النفس جداً، دعاني مراراً عديدة، وأول ما وقع نظري عليه أحبه قلبي محبة كثيرة، فقلت له (٧٤أ): يا شيخ عبدالكريم! إني أحبك لله، فقال: أحبك الذي أحببتني لأجله.

نقل مرة مسألة عن كتاب فلم توجد فيه وإنما الموجود عكس ما قال، فقال :إني أحفظها

---

(١) الحشمة هنا: الانقباض.

(٢) يعني كتاب (حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار) لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفّى سنة ٦٧٦ هـ.

من غير هذا الكتاب، فقلت: يا شيخ إن العلم أمانة، وإنك ادّعيت أنك لا تحفظها إلاّ من هذا الكتاب، فسكت طويلاً ثم قال: جزاك الله خيراً، وعيناه تدمعان. قال صلى الله عليه وسلم: العلماء أمناء الله فانظروا عمَّن تأخذون دينكم، أو كما قال. وأنا والله لا أحفظها إلاّ من هذا الكتاب، لكن الأمر التبس عليّ فأنا مخطىء في حفظي! فبقي مدة كلما جرت مسألة يقول: جزاك الله خيراً، العلم أمانة، ثم يتكلّم بالمسألة.

حضرت درسه في المشكاة في الجامع الكبير[1]، قبالة ضريح السيد زكريا[2]، على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام، فبقي أينما جلس يقول: حضر درسنا الشيخ البغدادي، فانقطع نفسي، وتلجلج لساني من هيبته، أو كما قال، ولم يزل - حفظه الله - يسألني عمّا أشكل عليه طالباً الاستفادة. وبالجملة هوعالم عامل، والتمس مني أولاً أن أجيزه بصلاة الشيخ عبدالسلام بن بشيش[3] (٧٤ ب) فأجزته بها، واستجزت بها أيضاً فأجازني، وسنده أعلى من سندي بواحد، والتمس مني ثانياً أن أجيزه بجميع مروياتي فأجزته بما يجوز لي وعني روايته، واستجزته أيضاً لأولادي الصلبيين والقلبيين فأجازنا بجميع مروياته، منها ما تضمنه ثبت الشيخ أحمد النخلي، وثبت الشيخ عبدالله بن سالم البصري، وبما رواه عن جميع مشايخه. وأجازني بمثال نعل المصطفى - صلى الله عليه

(١) يريد الجامع الأموي في حلب، وهو أوسع جوامعها وأقدمها، قيل إنه من إنشاء سليمان بن عبدالملك، وقيل إنه من إنشاء أخيه الوليد، وعلى أية حال فإن أغلب عمارته ترقى إلى عهد الدولة المملوكية في الشام، الغزي: نهر الذهب ج٢ ص ٢٣٥ وطلس: الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ص ٤٣

(٢) يريد الضريح الكائن في الجامع الأموي المنسوب إلى يحيى بن زكريا عليه السلام. ذكر ابن بطلان أنه لما احترق المقام في حادثة التتر سنة ٦٥٩ نقل رأس يحيى من القلعة إلى المسجد الجامع بحلب ودفن غربي المنبر. ويفهم مما ذكره ابن الوردي في تاريخه أن الرأس المذكور هو لزكريا عليه السلام لا يحيى وينظر الغزي: نهر الذهب ج٢ ص ٦٤٦).

(٣) كذا في النسختين، دون شكل، ونقل كحالة من كتاب له اسمه (شجرة الشرف) فرغ من تأليفه سنة ١١٣٦ هـ، محفوظ في دار الكتب المصرية، اسم أبيه (مشيش) بالميم في أوله (معجم المؤلفين ج٥ ص ٢٣٢).

وسلم - (عن شيخه والده)[1] عن الشيخ محمد الكاملي[2] عن الشيخ أحمد بن شاهين عن مؤلف فتح المتعال في أحوال النعال الشيخ [3]، وهذا السند أعلى من أسانيدي المتصلة إلى الشيخ أحمد المقري. أخذ الشيخ المذكور التفسير عن والده العالم الكبير، والفاضل الشهير، أحمد الشراباتي وعن الشيخ عبدالله بن سالم البصري، والحديث عن جم غفير، أشهرهم والده الشيخ أحمد، والشيخ أحمد النخلي، والشيخ عبدالله بن سالم، والشيخ أبو المواهب الحنبلي الدمشقي[4]، والشيخ (محمد)[5] الكاملي الدمشقي، والشيخ عبدالغني النابلسي الدمشقي، والشيخ أحمد الغزي مفتي الشافعية بدمشق[6]، (٧٥أ) والشيخ الملا إلياس الكردي الكوراني[7] والشيخ عبدالرحمن المجلّد الدمشقي[8]، والشيخ عبدالقادر المجلد التغلبي[9] مفتي الحنابلة في دمشق، والشيخ عبدالرحيم الأزبكي الكابلي[10]. وأخذ

---

(١) ليست في ب.

(٢) هو محمد بن علي الدمشقي الكاملي، شمس الدين، له ثبت، وتوفي سنة ١١٣١ هـ/ ١٧١٩م كحالة: معجم المؤلفين ج ٢٢ ص ٩

(٣) في كشف الظنون (.. في وصف النعال) وقال إنه للشيخ الاديب أحمد بن محمد المغربي المقري نزيل مصر المتوفّى سنة ١٠٤١هـ.

(٤) هو محمد أبو المواهب بن عبدالباقي البعلي الدمشقي، فقيه له تصانيف في الحديث، توفي سنة ١١٢٦ هـ/ ١٧١٤م، هدية العارفين ج٢ ص ٣١٢

(٥) ليس في أ.

(٦) أحمد بن عبدالكريم بن سعودي الغزي الأصل، الدمشقي الشافعي، محدث، له تصانيف، وتوفي بدمشق سنة ١١٤٣ هـ/ ١٧٣٠م. المرادي: سلك الدرر ج٢ ص ١١٧

(٧) إلياس بن إبراهيم بن داود بن خضر الكردي، عالم بالحديث وبعلم الكلام، أصله من العراق، وأقام في دمشق وتوفي بها سنة ١١٣٨ هـ/ ١٧٢١م، وله مصنفات. ترجم له المرادي (سلك الدرر ج١ ص ٢٧٢).

(٨) عبدالرحمن المجلد الدمشقي الحنفي، توفي سنة ١١٤٠ هـ/ ١٧٢٨م. كحاله: معجم المؤلفين ج ٥ ص ١٦٦.

(٩) في ب (التغلني).

(١٠) لم نقف على تاريخ وفاته، وذكره المرادي في شيوخ محمد التاجي المتوفّى سنة ١١١٤ هـ/ ١٧٠٢م، ويفهم منه أنه كان مستوطناً بعلبك (سلك الدرر ج ٣ ص ٥٣).

الأصول عن والده المرحوم، و(عن)[1] الشيخ مصطفى الحفسرجي. وأخذ المعاني والبيان عن الشيخ مصطفى المذكور، وعن الشيخ سليمان النحوي[2]. وأخذ النحو عن والده،و عن الشيخ سليمان المذكور، وعن الشيخ مصطفى الحفسرجي. وأخذ المنطق والاستعارات عن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حيدر الكردي الصفوي[3]. وأخذ علم الكلام عن الملاّ محمد أفندي الخشاني وأخذ الفقه عن الشيخ الحفسرجي، وعن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد اليخشي[4]. وأخذ سائر الفنون عن الشيخ أبي السعود الكواكبي[5] المفتي بحلب وغيرهم.

ولم تزل أولاده، الشيخ محمد، والشيخ مصطفى، وعبدالرحمن، في خدمتي، جزاه الله خيرا. ويوم وادعني أوقفني معه مستقبلي القبلة، ودعا لي وهو يبكي، ثم أنشد:

يا من يريد الرحيل عنا ... أسعدك الله في ارتحالك

كان لك الله خير واقٍ ... سددك الله في المسالك

---

(١) ليست في ب.

(٢) هوسليمان بن خالد المدرس الحلبي النحوي، نشأ في حلب، وتلقى العلم في دمشق، وعاد إلى بلده حيث ذاع صيته، ونبه في تدريس النحو في بعض مساجد حلب، وتوفي سنة ١١٤١ هـ/ ١٧٢٩م.ترجم له المرادي (سلك الدرر ج٢ ص ١٥٨).

(٣) إبراهيم بن حيدر بن أحمد بن حيدر، عالم بالكلام والمنطق، استوطن قرية (ماوران) قرب مدينة أربل، وتوفي فيها، وله مؤلفات جمة، ولم تعرف سنة وفاته. ينظر محمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، بتحقيقنا ص ١٢٨

(٤) كذا في أ دون ضبط، وفي ب (النخشبي)، وسترد نسبته فيما يلي من الرحلة (النجشي) و(النجشي). وذكر المرادي (سلك الدرر ج٣ ص ٦٣) أن من شيوخ عبدالكريم الشراباتي من اسمه (إبراهيم بن محمد البخشي).

(٥) من أعلام آل الكواكبي الأسرة المعروفة بالعلم والإفتاء في حلب، ولد بحلب سنة ١٠٩٠ هـ/ ١٦٧٩م وأخذ العلم على كبار علمائها، وتولى الإفتاء في حلب سنة ١١٢٥ هـ/ ١٧١٣م، ودرس في كبريات مدارسها، وأخذ عنه كثيرون، وتوفي سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م. ترجم له المرادي (سلك الدرر ج١ ص ٥٨).

(٧٥ب)

وآب إلينا بكل خير ... برغم من لا يريد ذلك

ثم قال: وجدت في تآليف السفيري[١] شارح البخاري أن هذه الأبيات ما أنشدت وودع بها مسافر إلاّ رجع سالماً مسروراً، والحمد لله على ذلك.

وممّن زارنا مراراً عديدة، وصاحبنا صحبة أكيدة، سيدنا السيد الأجل، والعالم الأكمل، المتضلع من سائر الفنون ولا سيما الفقه الشريف، السيد حسين ابن السيد محمد ابن السيد هاشم الحسني الحسيني الديري الشافعي، له سخاء وافر مع فقره، وتواضع ظاهر مع شرفه وفخره، أحببناه محبة خاللت الخلد، ورسخت في الفؤاد رسوخاً مؤكدا[٢]، أضافنا ثلاث مرات، مرتين في داره، ومرة في البستان على حافة قويق، وصحبتنا من الكتب المقامات الحريرية، وشرح الحكم للنفزّي، وشرح درة الغواص للشهاب الخفاجي، ومغني اللبيب لابن هشام، فقضينا نهارنا بانبساط وانشراح وسرور وأفراح ومذاكرة ومحاورة. وكان معنا السيد محمد قزيزان فأنشدنا ذلك اليوم قول الأرَّجاني[٣]:

كأنّك بالأحباب قد جدَّدوا العهدا ... وأنجزت الأيام من وصلهم وعدا

وعادوا لما كانوا عليه من الوفا[٤] ... وقد أنعمت نعم وقد أسعدت سعدى

أماني لا تدني نوى غير أنها ... تعلل منا أنفساً ملئت وجداً

---

(١) هو محمد بن عمر بن محمد السفيري الحلبي الشافعي، ولد بحلب سنة ٨٧٧هـ وقرأ العلم على شيوخ حلب ودمشق، ودرس بالجامع الكبير بحلب وبمدارس أخرى. وتوفى سنة ٩٥٦هـ ترجم له الغزي (الكواكب السائرة ج٢ص٥٦).

(٢) في النسختين: مؤكد.

(٣) ناصح الدين احمد بن محمد بن الحسين الأرّجاني، المتوفّى سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩م، الديوان، بتحقيق الدكتور محمد قاسم مصطفى، الموصل ١٩٧٩، ج ١ ص ٣٣٢ – ٣٣٤، الأبيات ١ – ١٦ والقصيدة في مدح الإمام المسترشد بالله العباسي.

(٤) في ديوان الأرّجاني: وعادوا إلى ما عودونا فاصبحوا.

وجـمـرة شـوق كلمـا لام لائم وردَّدَ من أنفـاسـه زادها وقـدا
أحن إلى ليلى على قـرب دارها حنين الذي يشكو لألافـه بعـدا
ولي سلك جـسـم مـاؤه در أدمع فلولا العدا أمسيت في جيدها عقداً
أكـتم جـهـدي حـبـهـا وهو قـاتلي وكـامن نار الزند لا يحـرق الزندا
هلاليـة قـومـاً وبعـد منازل فـهل من سنا منهـا إلى مقلة يُهدى

(٧٦ب)

غـزاليـة للناظرين إذا بدت إن انتقبت عيناً وإن أسفرت خدّاً
إذا رمتـهـا[١] جـر الرمـاح فـوارس لتقـصيدها ممن يروم لها فقدا[٢]
وحـالوا بأطراف القنا دون ثغـرها كمـا ثار يحـمي النحل بالأبر الشهدا
وآخـر عـهـدي يوم جـرعـاء مـالك بمنعـرج الوادي وأظعـانهم تحدى
ولما دنت والسـتـر مُـرْخىً ودونهـا غيـارى غدت تغلي صدورهم حقدا
تقـدمت أبغي أن أبيع بنظرة إلى جفنها[٣] روحي لقد رخصت جداً
أسـفت على ماضي عـهـود أحبـتي وهل يمكن المحـزون للفـائت الردا
أبوا أن يبيت الصب إلا مـعـذبا إذا بعدوا شوقـاً وإن قربوا صدّاً

فلما ابتدأ في مطلع القصيدة تذكرت الأحباب، ففاضت (٧٧أ) بالدموع عيوني، وثارت صبابتي وتضاعفت شجوني، وتكدر عيشي بعدما كان صافيا، وفر عني الصبر بعد أن كان وافياً. وقد طلب السيد المذكور الإجازة مني فأجزته بجميع رواياتي، وأجزت ولده السيد عبدالقادر بالمثال، مثال نعل المصطفى، وكذا أجزت أخاه السيد بكري، وحذوت في المثالين لكل واحد مثال.

---

(١) في الديوان: زرتها.

(٢) في الديوان: فيمن يريغ لها قصداً.

(٣) في الديوان: سجفها.

أخذ السيد المذكور التفسير عن قطب الزمان السيد محمد أفندي(١) مفتي حلب، وعنه أيضاً المعاني والبيان. وقرأ المطوّل والحديث عليه، وعلى يوسف أفندي(٢) المفتي بحلب، وعن أبي السعود أفندي الكواكبي المفتي(٣). وأخذ الفقه الشافعي عن والده السيد محمد، قرأ عليه شرح المنهج، وربع العبادات من تحفة ابن حجر المكي(٤)، وشرح التحرير، وعلم الفرائض. وأخذ النحو عن علامة الزمان الشيخ سليمان النحوي، وعن الشيخ إبراهيم النجشي(٥)، وعن السيد عبدالسلام الحريري، وكذا المنطق وعلم الآداب.

وممن زارنا وزرناه، وأضافنا في بيته العالم الكبير، الفاضل الشهير، ذو الأخلاق الرضية، والتحقيقات المرضيةو السخاء الوافر، والصلاح (٧٧ب) الباهر، عمدة في تحقيق العلوم،و عدة علماء الرسوم، علي أفندي الطرابلسي مفتي الحنفية بحلب، فلقد أكرمني (٦) غاية الإكرام وتادب معي غاية التادب. وهو شيخ معمر، لين العريكة، عليه أثر الصلاح ظاهر، واتفق يوم زارني هو وأخوه الشيخ عثمان، والشيخ يوسف، [أن](٧) أنشد المفتي بالمناسبة قول الشاعر:

على حاله لو أن في القوم حاتماً   على جوده لضنّ بالماء حاتم

---

(١) الراجح أنه محمد بن علي المشهور بجلبي المفتي الحنفي الانطاكي، ترجم له المرادي (سلك الدرر ج ٣ ص٦٩) بما مفاده أن أصله من انطاكية، حيث كان والده مفتياً فيها، وانه تولى الإفتاء بعده، ثم عزل عنه، وهاجر إلى حلب حيث تولى الإفتاء فيها، وتوفي سنة ١١٧٢ هـ/ ١٧٥٨م.

(٢) هو يوسف بن حسين الحسيني الحنفي الدمشقي، ولد بدمشق سنة ١١٧٣ هـ/ ١٧٥٩م وقرأ على أفاضل علمائها، ثم سافر إلى الروم وإلى حلب مرات، وصار نقيباً ومفتياً في حلب ودرّس في بعض مدارسها، ترجم له المرادي (ج٤ ص ٢٦٤) وأورد نماذج عدة من شعره الجزل.

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) يريد تحفة المحتاج لشرح المنهاج، تاليف أحمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي.

(٥) كذا في أ، وفي ب (النخشبي)، وقد تقدم الاختلاف في ضبطه.

(٦) في ي (أضافنا أكرمني) ولا وجه لها.

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

فرفع حاتما، فما تجرأت أن أراد عليه، فأعدت البيت، وجررت حاتماً، فرد أخوه الشيخ عثمان عليّ وقال: هو بالرفع فاعل لضن، فقلت: إنه مجرور بدل من الضمير في جوده، كما استشهد به النحاة على ذلك، ولولا أن القافية مجرورة لصح الرفع، إلا أن فيه حيث[١] إقامة الظاهر مقام المضمر والأمر فيه سهل، فراجعوا شواهد العين فرأوا الأمر كما ذكرت والحمد لله.

وكان في المجلس ممّن زارني ذلك اليوم السيد محمد الطرابلسي، والشيخ طه الجبريني، والشيخ عبدالكريم الشراباتي، ومحمد افندي الملقب بشكر أفندي.

وممن أضافني في بيته الشيخ السيد الصالح[٢] ذو الحسب (٧٨أ) الباهر، والنسب الزاهر، سيدنا الشيخ أبو المواهب مفتي الحنفية[٣] بحلب المحمية، فلقد زاد في إكرامي، جزاه الله عني خيراً.

وممّن زارني مرّات عديدة الشيخ الفاضل، والناسك الكامل، الفقيه الفرضي سيدي الشيخ عبدالقادر الديري[٤]، وأضافني في بيته، ومعنا (في الضيافة)[٥] السيد حسين الديري، والشيخ طه الجبريني، والسيد عبدالكافي، والشيخ المعمر الشيخ محمد الزمار، فأكرمني - حفظه الله - وقد تواتر في حلب أن الشيخ عبدالقادر المذكور افقه فقهاء (حلب)[٦] الشافعية، وأفرضهم.

---

(١) في النسختين حرف حاء، وقد سبق أن رمز بهذا الحرف إلى لفظ (حيث).

(٢) في ب (السيد صالح) ولا وجه له.

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) هو عبدالقادر بن محمد الشافعي الديري، ترجم له المرادي (سلك الدرر ج٣ ص ٦١) فذكر أنه ولد في دير رحبة من اعمال بغداد، وأنه قدم إلى حلب سنة ١١٣٦ هـ/ ١٧٦٣م حيث قرأ على علمائها وتفوق، فانتفع به كثير من الطلاب. وسكت عن تاريخ وفاته.

(٥) ليست في أ.

(٦) ليست في أ.

وممّن خدمنا كثيراً، وأضافنا السيد العالم العامل، والحبر الفاضل، حافظ كتاب الله المجيد البالغ في الصلاح ما لا عليه مزيد، خليلنا المصافي، السيد عبدالكافي إمام الشافعية في المحراب الأصفر، له - حفظه الله - لين عريكة[1]، وصغر نفس،و سخاء وافر، وفّقَهُ الله لمرضاته، وأدرّ عليه سحائب خيراته، آمين.

وممن زارنا الشيخ المعمر، والعالم الذي أزرى بالبحور وبهر، ذي العلوم الفائقة، والتقريرات الرائقة، الغيث المدرار، والبحر الزخار، سيدنا الشيخ (٧٨ ب) محمد الزمار[2] قيل إنه درس ستين عاماً إلى هذا التاريخ، وهو رجل لا يتردد إلى احد، ولا يلبس كسوة العلماء، فالذي يراه يظنه من العوام، له علم وافر، وصلاح ظاهر، طلب مني الإجازة فأجزته بجميع مروياتي، واستجزت منه لي ولأولادي المتقدمين، فأجازني وأجازهم، أمد الله في عمره، وقواه وأصلح فاسد أمره آمين.

أخذ الحديث والفقه والمعاني والبيان وجميع الفنون عن الشيخ أحمد الشراباتي، والشيخ مصطفى الحفسرجي الأزهري، وإجازة عن الملا إلياس[3]، وعن الشيخ عبدالله البصري، وعن الشيخ محمد البديري الشهير بابن الميت[4]، وقرأ المطول على الشيخ سليمان النحوي. وأخذ علم العربية عن الشيخ عبدالرحمن العارف[5] الرحاوي[6]. وممن زارنا العالم الذكي، والفاضل الألمعي ذو الحافظة المستقيمة، والطباع الخالصة السليمة، العالم الذي لا طريق إلى

---

(١) في ب (العريكة).

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) هو إلياس الكوراني الكردي، وقد تقدم التعريف به.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد البديري الحسيني الدمياطي الشافعي ، وقد تقدم التعريف به.

(٥) في هامش أ (العاري) والصواب ما اثبتناه، وقد وردت الإشارة إليه عرضاً في شيوخ محمد المواهبي (سلك الدرر ج٤ ص ٥٠).

(٦) في ب (الرهاوي).

التفضل عليه ولا مساغ، سيدنا الشيخ علي الدباغ[1] الموقّت في الجامع الكبير، له فنون غير قليلة، واطّلاعات جزيلة، ما رأيت أقوى[2] حافظة منه ولا سعة اطّلاع. طلب حفظه (٧٩أ) الله مني الإجازة فاجزته، واستجزت منه لي ولأولادي المتقدمين، فأجازني وأجازهم، وله - حفظه الله - تآليف تنوف على خمسين[3] مؤلفا، أطال الله بقاءه، وأسبغ عليه آلاءه آمين.

وممّن أضافنا في بيته الشيخ العالم الصوفي، والحبر البحر الوفي، سيدنا الشيخ محمد بن العالم الصالح الصوفي الشيخ صالح المواهبي[4]، له - حفظه الله - في العلوم باع طويل، وفي التصوف ذهن غير كليل، هو الآن شيخ الحلوية[5] يصنع فيها ذكراً بعد صلاة الجمعة، وله وعظ في الجامع الكبير، ياتي بالمواعظ التي تخلب القلوب، وتكشف أستار الغيوب، بالفاظ فصيحة وتقريرات رجيحة. وله تدريس في الحديث في الجامع الكبير، يدرس في الجامع الصغير[6] بتأنّ وتؤدة وإمهال من غير هذرمة ولا دمدمة ولا استعجال، نفعنا الله بصالح دعواته، وأفاض علينا وافر بركاته آمين.

وقرأ علي الشيخ محمد العقاد شرح الوضعية، وشرح رسالة آداب البحث، وأضافني في بيته ومعنا الشيخ طه الجبريني، والسيد يونس الأدهمي، وأتانا بقصاص قص لنا من بعض سيرة الظاهر بيبرس، فما رأيت (٧٩ب) أحفظ من هذا القصاص، [فإنه][7] أدرج في أثناء

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) في ب (أقوى اطّلاعات منه ولا حافظة).

(٣) في ب (الخمسين).

(٤) هو محمد بن صالح بن رجب المعروف بالمواهبي الحنفي الحلبي القادري، ولد بحلب، وتفقه على والده، وأخذ العلم على علماء مدينته، وحج، وكان صوفياً أخذ الطريقة عنه كثيرون، وتوفي سنة ١١٨٧ هـ/ ١٧٧٣م (سلك الدرر ج٤ ص ٥٠).

(٥) مدرسة في حلب، سياتي التعريف بها فيما يلي من هذه الرحلة.

(٦) يريد الجامع الصغير في الحديث للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفّى سنة ٢٥٦هـ.

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

القصة مقامة من مقامات الحريري، وأبيات ابن هاني المغربي الأندلسي[١] التي أولها[٢]:

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبرِ

حتى أتى إلى آخرها.

وأنشد معلقة زهير بن أبي سُلمى مع صحة الألفاظ والإعراب، وهذا من أغرب ما سمعت، والشيخ محمد العقاد فاضل ماهر لولا صغر سنه لتعين في حلب، له في الفقه والعربية والأصول والقراءات باع طويل.

وممن زارنا السيد محمد (السرميني)[٣] المعروف بالخاص، ومدحني بقصيدة، وإن كانت غير جزلة ولا فصيحة لكني أثبتها تبركاً بأنفاسه وهي[٤]:

يا ابن ودّي مر بي فديتك مني … لاح بدر قد فاق بدر السماء[٥]

مذ رأينا نور المهابة قلنا … ذا ضباه أنار بالشهباء

طيب النفس جهبذ ذو كاء … وسناه يزهو كشمس ضحاء

سيّدٌ ساد بالأصالة فرعا … ورقى سؤدداً على الفضلاء

وسما رفعة لأوج وقار … وغدا عمدة لدى العلماء

(١٨٠أ)

جاءنا زائراً بنية سعد … قاصداً بالتقى لخير الأنبياء[٦]

لولا هذا لما حظينا بفضل … مذ هدينا بوجهه اللألاء

وجنينا ثماره وسمعنا … نظمه الرايق الشهي بوفاء

---

(١) هو الشاعر محمد بن هاني بن محمد الأزدي الأندلسي، المتوفّى سنة ٣٦٢ هـ/ ٩٧٣م.

(٢) تنظر القصيدة في ديوان ابن هاني، طبعة دار صادر ببيروت، ص ١٦١

(٣) ليست في ب.

(٤) ي ب (وهي هذه القصيدة).

(٥) في ب (بدر فاق).

(٦) في أ (أنبياء).

لم يزل يرتقي مكانة عز		ذروة المجد حالة السراء
زاده الله في الأنام وقاراً		وارتقاء فوق العلا والسماء
ردّه الله للبلاد سليماً		مغمراً بالعطاء من ذي سخاء
ووقاه الإله كيد حسود		سالما في الدنا من البلواء
وتهنّا عبدالإله ببكر		حلة المجد صفتها من ثناء
واعذر الآن محمد الخاص إني		مامرامي سوى قبول دعائي

وهذا السيد محمد الخاص في عقله خلل كأنه مجذوب ومسلوب، نفعنا الله به وبأسلافه.

ومما أنشدنا السيد محمد قزيزان بعد درس البيضاوي في بيت الطرابلسي (٨٠ب) (قصيدة)[١]:

وكم حزن أهدى سروراً لربه		كما الدوح يعلو شامخاً أن يعلم[٢]
أرى زهرة الدنيا وريحان غيها		إذا ذبلاً في دمنة الحي ترتمي
ومن يك فرعاً للمكارم مثمراً		رفيعاً بأحجار الملامة يرجم[٣]
ومن يك في ماء الشباب معوجاً		فليس له غير اللظى من مقوم
ومن ينظر الدنيا بأجفان عبرة		على ما مضى أن فات لم يتندم
فليس به شيء يسر ويرتجى		وتحمد عقباه فسل عنه تعلم
سوى أنها مثوى لأشرفِ مرسلٍ		على فترة من بعد عيسى بن مريم
فمذ قبّلت أقدامه الأرض أصبحت		لنا معبداً رحباً وطهر تيمم
نبي أتى الذكرُ الحكيمُ بمدحه		بمعجز آي رائق النظم محكم
حكيمُ مزاج الدين صحَّ بطبّه		وكم من مريض الذنب للخوف يحتمي

(١) ليست في أ.
(٢) كذا في الأصل، ولعلها: أن يُقلَّم.
(٣) في ب (يرتم).

(٨١أ)

فإن نبضت أعراق شرك بنبضه … يعالجها مّما يريق من الدم
حليم فلا يسطو على الحلم غيظه … وليس حليم الخيم كالمتحلّم
نبي أتى الأنصار في أرض طيبةٍ … فحل محل البرء في رأس مسلم
وأضحت بيمنى رجله حرماً فلا … بها مرض يخشى ولا أمّ ملدم
يقول أنا الأمي في اللوح ناظر[١] … وفي مكتب الأرواح ربي معلمي
ودرثمين لم يهذبه كافل … وآدابه ليست إلى الناس تنتمي
إذا لاح في موضونة السر خلته … خضمّاً تردى بالغدير المسنَّم
أيا ابن الذبيحين الذي ذبح العدى … لُتطَبخَ في نار الجحيم المحطَّم
فديتك يا روحي فداء مؤكداً … بنفس وعين لا بعين ودرهم

(٨١ب)

عليك صلاة الله في كل فينة … وصحبك ثم الآل مورد من ظمي

ومما أنشدنا في حجرة الشيخ طه[٢] فائية ابن هاني الأندلسي (رحمه الله رحمة واسعة)[٣] التي مطلعها :

أليلتنا إذ أرسلت وارداً وحفا … وقدَّت لنا الظلماء من جلدها الحفا[٤]
وبات لنا ساق يصول[٥] على الدجى … بشمعة نجم لا تقط ولا تطفى

(حتى أتى إلى آخرها)[٦]

---

(١) في أ (ناضر) ولا وجه لها.

(٢) يريد طه الجبريني وقد تقدم.

(٣) ليست في ب.

(٤) هكذا في النسختين،والعجز في الديوان (وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا).

(٥)كذا في النسختين، وفي الديوان (يقوم).

(٦) ليست في ب.

ومما أنشدنا في بيت السيد حسين(الديري)[1] قول ابن الخيَّاط[2]:

هو الرَّسمُ لو أغنى الوقوف على الرَّسمِ — هو الحَزْمُ لولا طول عَهْدِكَ بالحَزْمِ
تجاهَلْتُ عِرفاني بهِ غيرِ جاهلٍ — وللشّوقِ آيات تدُلّ على عِلمي
عَشيّةَ جَنَّ القَلبُ فيها جُنونَهُ — ونازَعَني شوْقي منازَعةَ الخَصْمِ
وقَفْتُ أُداري الوَجْدَ خَوْفَ مَدامعٍ — تُبيحُ مِن السِر المُمَنَّع ماأحمي

(١٠٤أ)

أغالطُ بالشَكِ اليقينَ صَبابةً — وأدفَعُ في صَدْرِالحقيقةِ بالوهمِ
فلما أبى إلا البكاء لي الأسى — بَكيتُ فما أبقيت للرسم من رسم
وما مستفيضٌ من غروبٍ تنازعَت — عُراها السَّواني فهي سَجم على سَجم
باغْزَرِ من عَيني حين تَمَثَّلَت — على الظَّن أعلامٌ وبانت على الرّجم
كأني بإجراع الثنيّة مُسلمٌ — إلى ثائرٍ لايَعرِف الصَفْحَ عن جُرم
لقد وَجَدَتْ وَجْدي الدّيارُ بأهلِها — ولو لم تَجِد وجدي لما سَقمت سَقْمي
عليهُن وَسْمٌ للفِراق وإنها — علي به ماليس للنار من وسم
وكم قَسَّم البَيْن الصَبا بين مَنْزل — وبيني ولكنَّ الهوى جائر القَسْم
منازلُ أدراسٍ شجاني نحولها — فهلا شجاها ناحِلُ القلبِ والجِسم
سقاها الحَيا قَبْلي فلما سقيتها — بدَمعي رأتْ فَضْلَ الوليّ على الوَسْمِ
ولو أنني أنصفتُها ماعذلتها — عن الكَرَم الفَيَّاض والنائِل الجَمّ

وممن التمس مني إجازة الحديث الشيخ الصالح الناسك الشيخ مصطفى الغريب المقدسي، فكتبت في الإجازة: الحمد لله الذي أوصل بصحيح النية من انقطع إليه، وقوى

---

(١) ليست في ب .

(٢) هو احمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي الدمشقي المعروف بابن الخياط، وكان من الشعراء المجيدين طاف البلاد .

الضعيف الذي أطاعه بالحسن من الأعمال لما توكل (١٨٢أ) عليه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المرسل من أشرف قبيل، وعلى آله وأصحابه أكرم جيل.

وبعد، فيقول العبد الفقير إلى الله الغني، خادم الحديث، ابو البركات عبدالله السويدي: قد التمس مني الشيخ الصالح الناسك سيدي الشيخ مصطفى الغريب المقدسي نزيل حلب أن أجيزه بمروياتي فاجزته - بعد الاستخارة - بجميع ما يجوز لي، وعني، روايته من منطوق ومفهوم ومنثور ومنظور، ولاسيما كتب التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والحكمة والهيئة والتصوف وجميع الأحزاب والأوراد وسلسلة الطريق وغير ذلك، بحسب روايتي لذلك من مشايخي.

وأجزته بجميع مؤلفاتي من منثور ومنظوم، بشرط أن لاينساني، ومشايخي وأصولي وفروعي ومُحبِّيَّ من دعائه، وكتبه الفقير خادم الحديث أبو البركات عبدالله السويدي المدرس بآستانة[١] الشيخ عبدالقادر الجيلي، قُدِّسَ سِرّهُ العزيز.

ومما وقع السؤال عنه عبارة القاضي البيضاوي[٢] على قوله تعالى ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾[٣] حيث قال: (١٨٣أ):

والتغليب للإيجاز والتعليل والمبالغة[٤]. فكثر الكلام فيها، وطال النزاع، وجيىء بالحواشي المتعلقة بالبيضاوي، لم يشف أحدهم الغليل، لكن رأيت في بعض المجاميع عبارة منسوبة إلى زين العابدين، والظاهر أنه البكري الصديقي هي أحسن مما رأيت من الأجوبة وهي: أقول: لا منع[٥] إما أن يكون الدعاء بالسحق واقعاً في الدنيا، وفي قول الأفواج في

المجيدين طاف البلاد.

(١) آستانة، لفظة فارسية - عثمانية، تعني هنا: العتبة.

(٢) العبارة التي يدور السؤال عنها هنا هي من تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ص ٧٤٩

(٣) الملك، آية ١٢

(٤) في تفسير البيضاوي سبقت المبالغة التعليل.

الآخرة، أو يقدر وقوع أحدهم في وقت وقوع الآخر على ما يشعر به قوله ﴿ فاعترفوا بذنبهم ﴾ وعلى الأول[١]، اما جعل التغليب مجازاً فيما يشبه التغليب من تغيير النظم، كما يجعل لفظ التضمين في واضع من كلام المصنف مجازاً فيما يشبهه، وإنماجعله تغليبا للكفرة على فسّاق الموحدين على سبيل التهديد كما صرّح به المفسرون في الدعاء في الغضب واللعن الواقع على سبيل الإيقاع كما توُهم، فيكون من تغليب الأكثر من الجنس في وصف اتصف به على الأقل منه[٢] الخالي من ذلك الوصف كما اتفق عليه علماء البلاغة، فعدم إطلاق أصحاب على الفساق لاينافي ذلك كما لاينافي كون باب التغليب من المجاز كما لا يخفى على المتدرب، أو المراد تغليب الواقع على وجه على الواقع على وجه (٨٣ب) آخر، فإن باب التغليب باب واسع على ماقرر في محله، فيفيد الإيجاز من حيث أن ظاهر السوق أن يقال فسحقاً لهم ولسائر من يدخل السعير، ويفيد التعليل من حيث استحقاتهم للدعاء عليهم إنماحصل بسبب جعلهم أنفسهم الفسق، وأوجه في استحقاق مشاركة الاسم والرسم مع الكفرة بذلك إلى الأبد إنما نشأمن شؤم كفرهم، وحقيته كلمة العذاب وصحبة السعير عليهم على قاعدة ترتب الحكم على المشتق، وأيضاً يفيد المبالغة من حيث إنه فيه دعاء عليهم بالسحق، وإطلاقاً لوصف صحبة النار وملازمتها عليهم على الوجه الأعم المتجاوز عنهم، مع جعل الفساق الملحقين بهم بحسب الضم[٣] متساوين معهم في ذلك تهديداً، وعلى الثاني (وهو تقديراً وقوع أحدهما في وقت وقوع الآخر، فيكون تغليباً لأصحاب السعير بالفعل على الملقين في جهنم المغايرين لهم على ما يستفاد من قولهم ﴿ ما كنا في أصحاب السعير ﴾[٤] أي واقفين)[٥] فيهم بعداد جملتهم دون أن

---

(٥) كذا في ب، وفي أ (لا غ).

(١) في ب (وعلى الثاني).

(٢) في ب (اتصف به علماً لاقل منه).

(٣) هكذا يمكن أن تقرأ في ب، وفي أ (بحسب الغد) ولم نتبين وجهها.

(٤) الملك، من الآية ١١ .

يقولوا: ماكنا أصحاب[1] السعير. وإن كان أمر الكل راجعاً إلى صحبة السعير، وتوضيحه أن القائل في قوله: قالوا، وقوله: ما كنا، (٨٤أ) إن كان مجموع الأفواج فالمراد تغليب الشياطين الذين صحبوا السعير بالفعل قبل على ما دل عليه قوله تعالى ﴿واعتدنا لهم عذاب السعير﴾[2] كما صرح به المولى أبو السعود[3] لما فيه من الإشعار بتقدم وقوع صحبتهم عليهم ولا ينافي إطلاق أصحاب السعير على غيرهم، ولا التصريح بكون السعير معتدة لهم أيضاً في آيات أخر كما توهم، وإن كان كل واحد من الأفواج كما هو الظاهر من النظم الجليل، فالمراد تغليب من عداهم من الشياطين فقط أو مع الكفرة الذين وصلوا إلى صحبة السعير بالفعل قبل الفوج القائل وهو على التقديرين من تغليب ما وجد على ما لم يوجد، كما في قوله تعالى ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾[4] مع كون المنزل بالفعل حينئذ بعض القرآن لاكله المراد في المقام واستعمال الأصحاب في المركب من الذين صحبوا بالفعل والذين لم يصحبوا استعمال في غيرما وضع له كما هو قانون التغليب، وفيه إيجاز باعتبار أن ظاهر السَّوق :فسحقا لهم ولأصحاب السعير، وفيه تعليل لاستحقاق السحق يكون الكل أصحاب السعير، وأيضاً فيه مبالغة باعتبار اشتراك الفريقين في الحكم الواقع بالفعل على السوية، (٨٤ب) والإيماء إلى أنه لا فرق بين صحبتهم لهم وصحبة الأصحاب بالفعل إلا بمقدار من التقدم والتأخّر يقع مثله بين المشاركين في الاسم الواحد والوصف المعين، وأما ما قاله المولى الخلخالي[5] من أن التغليب إما هو بالفعل الماضي المقدر للفوج

---

(٥) ما بين نوسين مطموس في أ.

(١) في ب (في أصحاب) ولا وجه له.

(٢) الملك، من الآية ٥.

(٣) يريد: أحمد أفندي ابن الشيخ محيي الدين مصطفى المعروف بابي السعود العمادي، المتوفى سنة ٩٨٢ هـ، في تفسيره المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم).

(٤) البقرة آية ٤ .

(٥) هو حسن الحسيني الخلخالي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ/ ١٦٠٥م، وله حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي من

الذين سحقوا بالإلقاء في جهنم على الذين يسحقون بذلك، وإنه من تغليب الموجود على المترقب، وإطلاق اسم الجزء على الكل، فمع[1] بنائه على إخراج الجملة عن الدعاء سخيف من وجوه منها ان الحذف ينافي التغليب، ومنها أن السحق هو الإبعاد عن الرحمة،و هو لا يتوقف على الإلقاء في جهنّم، فلافرق في ذلك بين الأفواج،ومنهاانه على تسليم كونه ماضياً صرفاً مربوطاً بالإلقاء في جهنم يكون من قبيل ﴿ فصعق من في السموات ومن في الأرض ﴾[2] والأفواج كلها في عدم وقوع ذلك قبل يوم القيامة، وكذا في القول بأن متحقق الوقوع كالواقع على السوية، ومنها على أن لا يحصل للتعليل على ما له وجه ظاهر إلى غير ذلك، هكذا ينبغي أن يقرأ هذا المحل، انتهت عبارة زين العابدين. وقال اللاقاني[3]: بيانه أي قوله البيضاوي ان أصحاب السعير هم (١٨٥أ) الشياطين[4] بدليل قوله ﴿ وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير ﴾[5] وأن أصحاب جهنم هم الذين كفروا بربهم بدليل قوله تعالى ﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم ﴾[6] وسمى أحد الفريقين[7] أصحاب جهنم بخلودهم فيها، وصاحب لغة الملازم المستمر، وقوله تعالى بعد ذكر الفريقين وتسميتهما بما ذكر ﴿ فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ أراد به الفريقين معاً فاطلق عليهما معاً ما حقه أن يطلق حقيقة على الشياطين خاصة إطلاقاً على سبيل تغليب الشياطين على الذين كفروا دون العكس، لأن الشياطين هم بالأصل في الهوى والضلال، والذين كفروا تبع لهم

سورة ياسين إلى آخر القرآن، وهي التي يشير إليها المؤلف هنا.

(١) في ب (مع).

(٢) الزمر آية ٦٨

(٣) لم نقف على هويته بين شراح تفسير البيضاوي ومُحشّيه والمعلقين عليه. ينظر الحاج خليفة، كشف الظنون، ص ١٨٦ – ١٩٤

(٤) في تفسير البيضاوي ص ٧٤٩ (الشياطين وغيرهم).

(٥) الملك آية ٥ .

(٦) الملك آية ٦ .

في ذلك. وفوائد هذا التغليب ثلاث: الأولى الإيجاز إذ أصحاب السعير فيه إيجاز بالنسبة إلى الشياطين والذين كفروا، والثانية المبالغة في وصف الذين كفروا للإفراط في الكفر والضلال حتى كأنهم صاروا نفس الشياطين الذين هم أصحاب السعير حقيقة. الثالثة التعليل وذلك لأن قوله تعالى سحقا، معناه فبعداً لهم عن رحمته، أي عن جنته التي هي دار لرحمته، أي ثوابه وإنعامه، وقد علق بقوله تعالى لأصحاب السعير، والحكم إذا علق بوصف أشعر بعلية الوصف المعلق عليه للحكم المعلق كما هو (٨٥ب) مقرر في محله كقوله تعالى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا ﴾(١) ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا ﴾(٢) وللخفاء في أن كونهم أصحاب السعير الملازمين لها الخالدين علة لبعدهم عن الجنة التي هي دار رحمته، انتهى. قلت: وفي العبارتين محل(٣) تامل.

ومما وقع السؤال عنه، قوله تعالى ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾(٤) سالت الشيخ الجبريني(٥): لم أكّد الموت باللام مع كونه أمراً معلوماً لا ينكره أحد، ولم يؤكد البعث بهامع كون المنكرين له كثيرين؟ فلم يستطع الجواب وجوابه – والله أعلم – أن المخاطبين لما كانوا منهمكين في الدنيا مقبلين على شهواتها ولذاتها مغترين بزهرتها ونضارتها، غير مكترثين بالأمور الأخروية، بل إنهم معرضون عنها بالكلية نزلوا منزلة من اشتد إنكاره للموت فالقى إليهم الخبر مؤكداً باللام، وأما البعث فإنه لمّا قامت عليه الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة فكأنه محسوس مشاهد، نزلوا منزلة من لم يشتد إنكاره

---

(٢) في ب (وسمى احد اصحاب السعير).

(١) النور آية ٢ .

(٢) المائدة آية ٣٨.

(٣) في ب (وفي محل العبارتين تأمل).

(٤) المؤمنون الآيتان ١٦ و١٧

فالقى إليهم الخبر مجرداً عن اللام، وهذا أحسن من جواب الإمام الرازي[1] حيث قال: إن الواو العاطفة تشرك ما بعدها في الحكم (١٨٦أ) لما قبلها فكأن المعطوف مؤكَّدٌ باللام وهذا معنى كلامه، وللنظر فيه مجال.

وممن زارنا السيد الحسيب النسيب السيد محمد النائب في المحكمة الصلاحية ابن العالم الفاضل سيدنا السيد حسن أفندي التفتنازي، نسبة إلى تفتناز قريةمن قرى حلب. ذكر لي ولده السيد محمد أن والده كان من الفضلاء المحققين، وأن له من المؤلفات نظم السراجية وشرحه، وله ثلاثة مؤلفات في الفقه الحنفي، وله رسالة في علم المعاني والبيان ورسالة في شرح حديثين، أحدهما حديث (إن الله يبعث على رأس كل مائةمَنْ يجدد لها أمر دينها)[2] وثانيهما حديث (استعينوا بضعفائكم)[3]. توفي في مكة المكرمة سنة[4] ١١٣٩.

وممن زارنا الشيخ الفقيه الصالح الحافظ لكلام الله الشيخ عبدالرحمن الحنبلي الدمشقي[5] نزيل حلب، له محاضرة حسنة ونظم ليس بالعالي، وله مؤلفات في الفقه الحنبلي وفي الفرائض وفي النحو. طلب مني قراءة صحيح البخاري والإجازة فلم يتيسر ذلك،و عسى أن يكون خيراً.

---

(٥) هو الشيخ طه الجبريني وقد تقدمت الإشارة إليه غير مرة.

(١) هو فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وتفسيره هذا الذي يشير إليه المؤلف هنا اسمه (مفاتيح الغيب).

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة، ينظر سنن أبي داود، كتاب الملاحم، رقم الحديث ٣٧٤٠

(٣) عن أبي الدرداء (إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم) ينظر سنن الترمذي، كتاب الجهاد، رقم الحديث ١٦٣٤ وسنن النسائي، كتاب الجهاد، رقم الحديث ٣١٢٨ وسنن ابي داود، كتاب الجهاد، رقم الحديث ٣٢٢٧ ومسند أحمد، مسند الانصار، رقم الحديث ٣٠٧٣٨

(٤) الموافق أولها ٢٩ آب (أغسطس) ١٧٢٦

(٥) الراجح أنه يقصد عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد البعلي الدمشقي نزيل حلب، ترجم له المرادي وقال: كان فقيهاً بارعاً بالعلوم خصوصاً في القراءات وغيرها. ولد سنة ١١١٠ هـ/ ١٦٩٨م وتوفي سنة ١١٩٢ هـ/

واجتمعت مع الشيخ المجذوب المسلوب الشيخ علي شاتيله، وقبلت يده. يزعم أهل حلب أن له كرامات (٨٦ب) ظاهرة، نفعنا الله تعالى به. واجتمعت أيضاً بالأمير محمد الداراني[١]، وهو أيضاً من المجاذيب إلاّ أنه يصلي ويصوم ويقرأ العلم. قرأ عليّ وأنا في الموصل شرح تعليم المتعلم[٢] عام سبع وعشرين ومائة وألف[٣]، وكان إذ ذاك يلقب بالأخ العزيز لكثرة ما تجري هذه الكلمة على لسانه يقولها لكل من خاطبه، وكان إذ ذاك فيه نوع جذب، وأهل الموصل يعتقدونه، واليوم له في حلب نحو الستة عشر عاما، وأهلها يحسنون الظن به، نفعنا الله تعالى به، آمين. وممن دعانا للضيافة في بيته سيدنا العالم الفاضل السيد عبدالرحيم بن السيد أبي بكر الفنصاوي[٤] [و] هو ووالده من ذوي الرتب في حلب.

وممن دعانا إلى الضيافة في داره حسين آغا بن الحاج محمد المعروف بالجتجي البغدادي[٥] أضافنا ضيافة حسنة في الغاية [والنهاية][٦].

١٧٧٨م، وأشاد بعلو إسناده للحديث الشريف (سلك الدرر ج٢ ص ٣٠٤).

(١) في ب (الدراني)، ولعله منسوب إلى (الدارين)، ربض في حلب ذكره ياقوت (معجم البلدان ج٢ ص ٤٣٢).

(٢) تعليم المتعلم طريق التعلم كتاب مختصر في قواعد التعلم وآدابه، من تاليف برهان إبراهيم الزرنوجي المتوفى سنة ٦١٠ هـ، وله شرح لابن إسماعيل، وآخر لنوعي، اشار إليهما الحاج خليفة (كشف الظنون ٤٢٥) ولم نعلم أي شرح منهما اراد المؤلف.

(٣) ويوافق أولها ٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٧١٥

(٤) كذا في ب، وهي غير واضحة في أ.

(٥) آل الجته جي أسرة بغدادية قديمة، ورد اسم احدهم، وهو ملا محمد الله ويردي الجته جي في وقفية بغدادية تاريخها سنة ١٢٤٦هـ (عبدالرحمن حلمي السهروردي: تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر، بتحقيقنا بغداد ١٩٩٦، ملحق للمحقق ص ١٢٣)، وتحرف اسمها إلى (الجرجفجي) في النسخة المطبوعة من عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، تاليف إبراهيم فصيح الحيدري، بغداد ١٩٦١، ص ٩٩)، وفي نسخة خطية مضبوطة (بيت الجتجي، وهو بيت العز، ولهم قرابة نساء مع بيت متولي العادلية وبتلك القرابة نالوا تولية الجامع المذكور).

وفي خامس رجب الأصب[1] جاءني، وأنا في حلب، كتاب من ولدي الشيخ أبو الخير عبدالرحمن – حفظه الله من مكائد الشيطان وطوارق الحدثان – وصورته: العبد المملوك الذي أسره غرامه، وتيَّمه هيامه، ذو الشوق (٨٧أ) المتكاثر، المفصح عنه قول الشاعر:

والشوق أعظم أن يحيط بوصفه نظمٌ أو يطوى عليه كتاب

يقبل الأرض التي تشرفت بقدومك إليها، وتزخرفت بوطئك عليها، ويهدي سلاماً أبهى من النيرين، بل أسمى من الفرقدين، سلام لو تمثل كان دراً وياقوتاً يقلَّب باليدين، سلام صادر من محله إلى أهله، بالغ بلوغ الهدى إلى محله، وتحيات صافيات، ودعوات ضافيات بان يديم الله مولانا الذي شيد به ركن الدين، لما به رحمة للناس في هذا الحين، العالم العامل، والفاضل الفاصل بين الحق والباطل، أدام الله ظله، ولا أعدم مثله، ولازال السعد له اليفا، والأمان لحياته وركابه حليفاً، فأنا إليك أشوق، وبقول القائل أليق:

يا من له بين الضلوع مرابع أنا شيق أنا شيق أنا شيق

نسأل الله تعالى أن يجمعنا بعد قضاء الأوطار، ويزيل (٨٧ ب) عنا الكرب والأكدار، إنّه الفاعل المختار. سألتم عنا، فالحمد لله إنا نتقلب بالنعم بطناً وظهراً، ونسيرُ في وديان الثروة نجداً وغوراً، والأهل والأولاد والمحبون إليكم متشوقون، ولكم بالخير داعون. وممن زارنا الشيخ الصالح الناسك الشيخ أحمد بن العالم الفاضل الشيخ محمد الحافظ الحلبي. والتمس مني رواية حديث الرحمة المسلسل بالأولية، فرويته له، ثم التمس أن أكتب له سندي فيه، فكتبت ما صورته: الحمد لله الذي تتمّ بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيد السادات، ذو النعوت السامية الجلية، والمجد المسلسل بالأولية، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)[2] المرفوع ذكره، المرسل عن التقييد فخره، وعلى آله وأصحابه

---

(٦) الزيادة من ب.

(١) الموافق ١٣ آب (أغسطس) سنة ١٧٤٤م.

وجنده وأحزابه(١). وبعد، فلما كان الإسناد من الدين، ووصلة إلى سيد المرسلين، ولولاه لقال من شاء ما شاء، وخبط المحدث خبط عشواء، التمس الشيخ العالم الصالح الناسك الشيخ أحمد بن العالم المحدث الشيخ محمد الحافظ الحلبي أن أروي له حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وأبيِّن له رجاله (١٨٨أ) ذوي المناقب العالية، فاقول: أروي حديث الرحمة بطرق مختلفة، وأسانيد متنوعة، مسلسلا وغير مسلسل، (أشهرها ما رويته مسلسلا)(٢) عن شيخنا علامة الزمان، وفريد العصر والأوان، السيد الحسيب النسيب السيد أبو الطيب ابن أبي القاسم (محمد)(٣) المحمدي المغربي المالكي حين إقامته ببغداد، في بيته الذي هو قرب مرقد الشيخ عبدالكريم الجيلي(٤) في محلة العوينة(٥) في الجانب الشرقي من بغداد، وهوأول حديث سمعته منه، قال(حدثني به الشيخ أحمدبن محمد المعروف بالنخلي، وهوأول حديث سمعته منه قال)(٦): حدثنا في مكة المشرفة الشيخ يحيى الشاوي(٧) لما

---

(٢) الزيادة من ب.

(١) في ب (وحزبه).

(٢) ليس في ب.

(٣) في أ (ابن المحمدي) والزيادة من ب.

(٤) هو الشيخ عبدالكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبدالقادر الجيلي، أو الجيلاني، من كبار الصوفية في عصره، أقام في مكة، وفي زبيد مدة، ثم سافر إلى الهند، فعاد منها إلى اليمن، ثم انتقل إلى القاهرة حيث ألَّف أكثرمؤلفاته فيها، وله مؤلفات مهمة في التصوف، منها (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل) و(الناموس الاعظم والناموس الاقدم) و(الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم) و(حقيقة اليقين) وغير ذلك. توفي سنة ٨٢٣هـ، وقبره في بغداد يدل على أنه توفي فيها. وشيد عند قبره، في بعض العهود، مسجد لكنه أزيل في سبعينيات القرن الرابع عشر للهجرة، وشيدت الأوقاف في أرضه مدرسة. بحثنا: الشيخ عبدالكريم الجيلي، مجلة الاقلام ج٥ (بغداد، السنة ٥، ١٩٧٠) ص ١١٥ – ١٢٧

(٥) محلة قديمة تقع قرب محلة باب الشيخ (المنسوبة إلى الشيخ عبدالقادر الكيلاني)، كانت تسمى في العصر العباسي بمحلة الريان لوفرة المياه فيها، وعرفت في القرون الأخيرة بالعوينة تصغير – على غير قياس – لعين، والمقصود بها عين الماء، فالاسمان بمعنى واحد.

(٦) ليس في ب.

حج في سنة خمس وثمانين وألف [1] بحديث الرحمة المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعناه منه، قال: أخبرنابه الشيخ سعيد الجزائري الشهير بقدورة[2]، قال، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الشيخ المحقق سعيد بن محمد المقري، قال، هو أول حديث سمعته عن الولي الكامل أحمد حجي الوهراني، وهوأول حديث سمعته منه،عن شيخ الإسلام العارف بالله تعالى سيدي إبراهيم التازي، قال، وهو أول حديث سمعته منه، قال: قرأت على المحدث الرباني أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي، قال، وهو أول حديث قرأته عليه، قال :سمعت من لفظ شيخنا زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، قال، وهو أول حديث سمعته منه،قال: حدثنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم البكري الميدومي، قال، وهوأول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا النجيب أبو الفرج عبداللطيف بن عبدالمنعم الحراني[3]، قال، وهو أول حديث سمعته منه، قال أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي[4]، قال، وهوأول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن أبي صالح النيسابوري[5]، قال، وهو أول حديث سمعه منه، قال:

=سنة ١٠٣٠ هـ / ١٠٩٦م وتلقى علومه فيها وفي الجزائر، ثم نزل القاهرة حيث تصدر للتدريس في الأزهر، وأكثر مؤلفاته في العقائد والنحو. ترجم له المحبي (خلاصة الأثر ج٤ ص ٤٨٦)، والبغدادي (هدية العارفين ج٢ ص ٥٣٣).

(١) ذكر المحبي انه حج سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م.

(٢) المفتي بالجزائر، له حواش في العقائد والمنطق، وتوفي سنة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م. هدية العارفين ج١ ص ٣٩٣ ومعجم المؤلفين ج٤ ص ٢١٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) محدِّث، فقيه، له معجم في أسماء الشيوخ الذين أجازوا له. توفي سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م. هدية العارفين ج ١ ص ٦١٦ والزركلي: الأعالم ج٤ ص ١٨٢

(٤) عبدالرحمن بن علي بن حمد القرشي التيمي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي، المحدث الواعظ، صاحب المؤلفات الكثيرة في معظم حقول المعرفة، توفي سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١م وسيرته أشهر من أن تعرف.

أخبرنا والدي أبو صالح أحمد بن عبدالملك المؤذن(١) قال، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا أبو الطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي(٢) قال، وهوأول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى البزاز(٣) قال، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار(٤) عن أبي قابوس(٥) مولى عبدالله بن عمرو بن العاص، عن عبدالله بن عمرو(٦) - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)(٧). قال شيخنا أبو الطيب: إن السلسلة انقطعت من سفيان(٨)، وقال بعض مشايخنا ممن روينا عنهم حديث الرحمة: إن الرواية بالجزم في يرحمكم، روى هذا الحديث الترمذي، وقال: حسن صحيح، وجمع طرقه جماعة وهو أصح المسلسلات. وقد نظم هذا

---

(٥) من كبار الشيوخ الذين سمع منهم ابن الجوزي. ينظر ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ج١ ص ٤٠١

(١) هو احمد بن عبدالملك بن علي بن أحمد النيسابوري المعروف بالمؤذن، كان حافظاً ثقة، ترجم له ابن الجوزي (المنتظم ج٨ ص ٣١٤) وقال: «خرّج أبو صالح المؤذن الف حديث عن ألف شيخ»، توفي سنة ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٨م وله ترجمة في ياقوت: معجم الأدباء ج٣ ص ٢٢٤ وانظر معجم المؤلفين ج١ ص ٣٠٣ فيه مصادر اخرى لترجمته.

(٢) محدث، له مصنف في علم الشروط، وامال في الحديث، توفي سنة ٤١٠ هـ/ ١٠١٩م. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٨٢

(٣) محدث من كبار تبع الاتباع، توفي سنة ٢٤٣هـ.

(٤) محدث من دون وسطى التابعين، اقام في مرو الروذ، وتوفي سنة ١٢٦هـ.

(٥) محدث من دون وسطى التابعين.

(٦) عبدالله بن عمرو بن العاص، صحابي، اقام في مرو، وتوفي سنة ٦٣هـ.

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة رقم ١٨٤٧ بسنده الذي يتصل به المؤلف، واخرجه أبو داود، كتاب الأدب الرقم ٤٢٩٠ وأحمد، كتاب المكثرين من الصحابة رقم ٦٢٠٦ عن سفيان عن عمرو بن دينار عن ابي قابوس عن عبدالله بن عمرو.

الحديث جماعة من العلماء منهم الحافظ ابن عساكر[1] – رحمه الله تعالى – قال:

بادر إلى الخير يا ذا اللب مغتنما — ولا تكن عن قليل الخير منحرما
واشكر لمولاك ما أولاك من نعم — فالشكر يستوجب الأفضال والكرما
وارحم بقلبك خلق الله وارعهم — فإنما يرحم الرحمن من رحما

وللحافظ شهاب الدين أحمد بن حَجَر العسقلاني رحمه الله تعالى (رحمة واسعة)[2]

إن من يرحم في الأرض قد — جاءنا يرحمه من في السما

(٨٩ب)

فارحم الخلق جميعا إنما — يرحم الرحمن منا الرُّحَما

وللحافظ العراقي رحمه الله تعالى:

إن كنت لا ترحم المسكين إن عدما — ولا الفقير إذا يشكو لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن رحمته — فإنما يرحم الرحمن من رحما

وللشيخ رضوان بن حمد العقبي رحمه الله تعالى:

الحب فيك مسلسل بالأول — فارحم ولاتسمع كلام العذل
وارحم عباد الله يا من قد علا — من يرحم السفلي يرحمه العلي

ولشيخ الإسلام القاضي زكريا رحمه الله تعالى: من يرحم أهل السُّفل يرحمه العلي:
فارحم جميع الخلق يرحمك الولي

وللشهاب المنصوري رحمه الله تعالى:

---

(٨) هو أبو محمد سفيان بن يينه بن أبي عمران ميمون، أقام في الكوفة، وتوفي في مرو الروذ، سنة ١٩٨هـ.

(١) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م وتلقى الحديث في النظامية ببغداد، وفي مدن أخرى من المشرق الإسلامي، ثم تولى التدريس في بعض مدارس دمشق، وتوفي سنة ٥٧١ هـ/ ١١٧٦م، ويعد كتابه في تاريخ دمشق من أجل المؤلفات التاريخية العربية، فقد وقع في ثمانين مجلداً. ياقوت: معجم الأدباء ج ٥ ص ١٣٩ والسبكي: طبقات الشافعية ج٤ ص ٢٧٣ وبروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الترجمة العربية ج٦ ص ٦٩

أخلق بمن يظلم أن يظلما وبالذي يرحم أن يرحما
من لم يكن يرحم بالقلب من في الأرض لم يرحمه من في السما

وأرسلت من حلب، يوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، إلى الرها كتاباً لسيدي العالم الفاضل حسن أفندي الرهاوي (٩٠أ) المنصوري المعروف بحليم زاده، وصورته:

إن أمثل ما نسجته اليراعة، من حبر البراعة، وأفضل ما نظمته من درر البلاغة في سلك خير صناعة، تسليمات لاحت بروق الوداد من آفاق مبانيها، وبزغت شموس الاتحاد من أفلاك معانيها، سمت على النيرين قدراً، ونمت على السماكين، فخراً على العالم الذي كشف الغموض عن وجوه المشكلات، ورفع حجاب الخفاء عن محيّا المعضلات ولا بدع إذ هو المتفرد في دهره، والمتوحّد بين أبناء عصره، ولاغرو! فإن ليلة القدر من جملة الليال، وإن المسك بعض دم الغزال. سيدنا الذي اخذ من كلٌ فنّ أوفرنصيب، وجاز من كل علم على المعلي والرقيب، باهت به على جميع الأقطار التُرها، ولولاه لما اتّبع علم بها وزها، سيدنا الأمثل النبيل، الحري بأن أنشد فيه:

علامة الأزمان والدهور فهّامة الأديان والعصور
فهو الذي يسمو إلى أوج العلى بفضله المنشور والمشهور
مولاي ذو الفضل الذي لا يرتقى شمس المعالي حسن المنصوري

(٩٠ب) لازالت ألوية إفاداته منشورة على كواهل الطالبين، ولابرحت أظلة تحقيقاته وريفة، محيطة بالمستفيدين، آمين. أما بعد فيا أيها الحبر البحر الكامل، والجهبذ النحرير الفاضل، أن تموّج عباب خاطركم الزاخر، بالسؤال عن أحوال هذا الداعي في الباطن والظاهر، فهو قد أناخ ركابه في أفنية حلب الشهباء، لا زالت محط رحال المحققين الفضلاء، عمرها الله بالمسرات، وغمرها بالنعم والمبرات، واجتمع هذا الفقير بفضلاء يشار إليهم بالبنان، ولم يدان فضلهم احد من هذا الزمان، فجرت بيننا بعض المذاكرات، ودارت علينا كؤوس المحاورات، وأخذنا باطراف الفنون، وهصرنا عذبات البحث والحديث شجون،

فكلهم ألقى عصي التسليم وسلم،و استوت سفينة إذعانه على شاطىء اليم، فلله درُّهم من فضلاء قد جبلوا على الإنصاف، وزايلوا وعار الخبط والاعتساف، كثر الله أمثالهم ونصب على الحسنى أحوالهم آمين. هذا فإن الأشواق إلى ذلك الجناب جلّت أن تدخل تحت أعداد الحساب، ولم أزل أتذكر محاسن أخلاقكم الحميدة، (١٩١أ) وشمائلكم السامية السديدة، فنرجو الدعاء في خلواتكم وجلواتكم، وعقب الدرس الذي هو أنفس أوقاتكم، لازلتم معدن الإفادة، ولا برحتم في بحبوبة السعادة آمين، والمأمول من الجناب الرفيع تبليغ الدعاء الأتم، والثناء الأعم، إلى من طاب محتده ونجاره، وسما على الجوزاء فخاره، ولدنا العديم الأشباه بلا اشتباه، النجيب السيد عبدالله ابن المفخم والدستور المكرم أحمد باشا، والي الرها لازال لاقياً من الكمالات ما يسمو على السهى.

وأرسلت منها إلى بغداد كتاباً لولدي القلبي حسين بك، وصورته: الحمد الله الذي أنعم على من أمَّهُ وحجَّ إليه، وأكرم من طاف حول حماه وسعى إليه، وأجزل ثواب من أحرم بإخلاص النية، وعظم من لبى دعوته بسلامة الطوية، ورمى شيطان خلافه بجمرات الأعمال، والصلاة والسلام على كعبة القصاد، ومرام الوفاد، ومنبع الرشاد، وينبوع السداد، وختام الرسالة، ورئيس الجلالة، وواسطة عقد البسالة، ومركز دائرة العدالة، محمد المبعوث من أشرف قبيل، إلى أكرم جيل، وعلى آله الذين (٩١ب) طهروا من دنس الأرجاس، وأصحابه الذين هم نجوم هدى، لجميع الناس.أما بعد، فتحيات انتظمت بالبلاغة عقودها، وربطت بالبراعة مناطقها وبنودها، تزف إلى من جد في المعارف منذ فطامه، واجتهد في العوارف قبل إبّان احتلامه، ذي النسب الذي دونه مناط العيوق(١)، والحسب الذي هو أعز من بيض الأنوق(٢)، والمجد الذي قصر عنه رضوى وثهلان(٣)، وتقاعد دونه الخورنق وغمدان(٤)، فرع شجرة

---

(٢) زيادة في ب.

(١) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن.

(٢) الأنوق: العقاب والرخمة، مثل يضرب للمستحيل أو لما لا سبيل إليه.

(٣) رضوى: جبل في ينبع على مسيرة يوم من المدينة، وثهلان: جبل ضخم من جبال نجد. (ياقوت: معجم البلدان)،

المجد الأثيل، وغصن دوحة الكرم العريض الطويل، قرة العين، وزين كل زين، أبي المحاسن حسين،لازالت مراتبه رفيعة العماد، ومآثره شامخة الأعلام والأطواد آمين، فيا من حل من العين سواد سوادها، ونفى عنها الكرى بإقامة سهادها، من أين لي صبر وهو قد فر ساعة الوداع؟ كنت أظن أن تفي معي الدموع، والآن لم يبق سوى نفس يتردد، لا نوم ولارقاد، ولا شراب ولازاد، ومما. أنشدت بعض النظام(١):

يا جيرة بالنوى صبري لقد سلبوا ... فليتهم وهبوا بعض الذي نهبوا

(١٩٢أ)

أستودع الله في بغداد لي سكناً ... لم أقض بعض الذي من حقه يجب
أبا المحاسن مولاي الحسين له ... فوق السماكين مجد زانه حسب
ودَّعتُهُ ودموع العين جاريةٌ ... وفي الحشاشة من توديعه لهب
واستوثق القلب في بغداد مرتهناً ... والجسم مني قد أودت به حلب
فليت شعري وما الآمال نافعةٌ ... متى تزول عن العاني بهم كرب
وهل تعود ليال بالحمى سلفت ... كيما تعود لنا الأفراح والطرب
وهل أراني بذاك الحي ذا جذل ... حيناً وأني لنشر العلم منتصب
أُقري حسينا فنونا جل موقعها ... سعادة الدين منها صاح تكتسب
وهل ترى مقلتي أهلا أسر بهم ... لاسيما الولد إذ في بعدهم عطب
ففي فؤادي لهيب من فراقهم ... والعين مدمعها كالغيث منسكب

(٩١ب)

وهل تقر بهم عيناي منشرحا ... وتنجلي عني الأسواء والنوب
وهل أراني والتدريس شنشنتي ... أفيد علماً لمن في العلم قد رغبوا
وهل بدجلة يروي القلب من ظمأ ... فتنتفي علة الصادي وتستلب

---

(٤) الخورنق: قصر في الحيرة، وغمدان: قصر في صنعاء اليمن.

وهل على الجسر تسعى ساعة قدمي ‌ ‌ ‌ ‌ ومـــاء دجلة من تحـــتي له ســـرب

وهل أســرح طرفي في النخـيل ضـحى ‌ ‌ ‌ ‌ وإن فـاكـهـتي من حـملهــا الرطب

فــالله أســـأله قـــرب الديار فـــمـــا ‌ ‌ ‌ ‌ من غـــيـــره تطلب الآمـــال والأرب

ثم فصلت له جميع الحوادث والوقائع، وتركت كتابتها لأنها ليست بلازمة في الواقع.

وأرسلت إليه أيضاً كتاباً صورته: ما أنةُ مهجور تعوَّد الوصال، وماحسرة مأسور،ضاقت عليه الأغلال، وما حزن مقلاة[1] فقد وحيدها، وما ضيعة اطفال عدم كافلها ورشيدها بأعظم من أشواق زفرة في الجوانح، وتسعرت في أحشاء (٩٢أ) الصب الغريب النازح، لم تزل في الأفئدة شاعلة، وللأفكار والأذهان شاغلة، لم تطفها الدموع الهواطل، ولو مدت بكل هتان وابل، يحن حنين من فارق اليفهُ، وزايل مربعه ومشتاه ومصيفه، قد أنحل جسمه البعاد، حتى خفي على الزوار والعواد، لا يستطيع أن يبث ما لقي من النحول، ولا حول ولا قوة له على الوصول.

كـيف الوصـول إلى سـعــاد ودونهــا ‌ ‌ ‌ ‌ قلل الجـــبـــال ودونـهن حــتـــوف

لم يزل ديدنه الحنين إلى الديار، وهجيراه ادكار ماسلف فيها من الأوطار:

ولـنـا بـهـــــاتـيك الـديار مــــواسم ‌ ‌ ‌ ‌ كـــانت تقـام لطيـــبـهـــا الأســـواق

فـــأبانـنا عنهـــا الزمـــان بســـرعـــة ‌ ‌ ‌ ‌ وغـــــدت تعللنـا بـهـــا الأشـــــواق

يتشوق إلى العراق تشوق الصادي إلى الزلال، ويرتاح لذكره ارتياح من انعم بالوصال، كلما هب النسيم تنفس الصعداء، وكلما أومض برق ناح (٩٢ب) كما الخنساء شوقاً إلى ذي الجناب الذي سـمت مكانتـه، وشـيـدت بالمفـاخـر رصـانتـه، ألا وهو الذي شب على الأخلاق الرفيعة، وتربى بحصون الكمالات المنيعة، ولدي الذي سما فخره على النيرين، وناف سموه على الفرقدين، الأنجب الأسعد الأمد ابي المحاسن حسين لازال في سعادة أبدية، وسيادة دائمة سرمدية. أيها الولد! إني – والحمد لله – بنعمة وافية، وصحة وعافية، غير عافية. الله نسأل ان يمنَّ باللقاء، ويدفع عنا بلطفه خطوب اللأواء آمين.

---

(١) ديوان عبدالله السويدي ص ٤٥

وممن زارنا الشيخ العالم المتضلع من سائر العلوم، البليغ في سبك المنثور وسكب المنظوم، سيدي الشيخ قاسم البكره جي[١]، له بديعية بديعة شرحها بشرح نحو خمس عشرة كراسة، وذكر في آخر كل شرح سبع بديعيات، الأولى بديعية الصفي الحلي[٢]، والثانية للعز الموصلي، والثالثة لابن حجة الحموي، والرابعة لعائشة الباعونية[٣]، والخامسة لأبي الوفا العرضي الحلبي[٤]، والسادسة والسابعة للشيخ عبدالغني النابلسي فإن له بديعيتين، بديعية ذكرفيها ألقاب البديع لكنه [٥] لم يشرحها. وللشيخ قاسم شرح الخزرجية[٦] في العروض لكنه شرح مختصر، وله نظم العلل وألقاب العروض (١٩٤أ) وشرحها، وله نظم كثير من تغزُّل ومديح وألغاز وأحاجي. ثم إنه – رحمه الله تعالى – التمس مني أن أقرِّض على شرح بديعيته، فأجبته إلى ذلك، وصورة ما كتبته: نحمدك اللهم على ما أطلعتنا من بديع هذه الفرائد التي عزَّلها مراعاة النظير، وأوقفتنا على افتنان تفريع هذه الفوائد التي حسن فيها نوادر تدبيج للتصريف [٧] والتصدير، ونصلي ونسلم على من اتسم بالاشتقاق من مصدر أشرف العرب، ووسم بأنه المبعوث إلى كافة الخلق بالقول الموجب، وطلع من حسن مطلع فكانت البراعة فيه حين الاستهلال، وسبق الفصحاء في المذهب الكلامي وإن جدوا في الاستطراد والإيغال، سيدنا محمد الذي نزاهته أحرى

---

(١) هو قاسم بن محمد البكره جي وقد تقدم التعريف به.

(٢) هو عبدالعزيز بن سرايا الحلي، المتوفَّى سنة ٧٥٢ هـ، له بديعية سماها(الكافية البديعية) شرحها وسماها (نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية). كشف الظنون ٢٣٣

(٣) هي عائشة بنت يوسف الباعوني، المتوفاة سنة ٩٢٢ هـ، لها بديعية وشرحها. الغزي: الكواكب السائرة ج٢ ص ٢٨٧

(٤) هو أبو الوفاء بن عمر بن عبدالوهاب العرضي، المتوفَّى سنة ١٠٧١هـ، وله بديعية شرحها، وسماها (فتح البديع في حل الطراز البديع في امتداح الشفيع). المحبي: خلاصة الأثر ج١ ص ١٤٨

(٥) في ب (إلا انه).

(٦) القصيدة الخزرجية، وتسمى الرامزة، في العروض والقوافي، لناظمها ضياء الدين عبدالله الخزرجي المتوفَّى سنة ٦٢٦ هـ. كشف الظنون ج٢ ص ١١٣٥

(٧) كذا تقرأ في أ، وربما كانت (للتعريف)، وفي ب (للتفويق).

بإرسال المثل، وذاته أجدر بالتأديب والتهذيب في القول والعمل، وعلى آلهِ وأصحابه الذين قوّى للتشريع بهم الاحتباك[1]، وانتظموا في سلك حسن الاتباع بلا استثناء ولا استدراك . أما بعدُ، فإني وقفت على هذه البديعية وشرحها وقوف ذي انتقاد، ثم التفتُّ إليها التفات مستدرٍ نقَّاد، وكررت إليها المراجعة وثنَّيت عنان التوجيه بلا موادعة، وطابقتها مع أمثالها مطابقة (٩٤ب) القذة بالقُذَّة[2] على الترتيب، وقايستها مع نظائرها، مقايسة تحديد لا تقريب، فألفيتها في حسن الانسجام جلَّت عن المقابلة، وفي سلامة الاختراع عظمت عن المزاوجة والمشاكلة، قد جانس مبناها المعنى فكان الجناس التام، وأعجزت من بعدها فكانت لعقد رسائل البلاغة ختام. ولعمري – ولا مبالغة في ذلك ولا غلو ولا إغراق – أنها في تلخيص البيان وإيضاح المعاني من بنات الحقاق[3]، أقامت مبانيها دلائل الإعجاز، وفضّت معانيها بأسرار البلاغة من غير مجاز، فإذا كان الواجب على ما تقرر، أن أنشد فيها من الارتجال ما حضر[4]:

عقود من لجين أم نضار ... ودر ما رأينا أم دراري

نعم! ذي درة الغواص باهت ... على كيوان تسمو بالفخار

قضت أن لا يدانيها نظام ... وأن لا يزدهيها[5] من مبار

أرتني من بديع النظم وشياً ... فأنَّى للبديع بأن يجارى

شذاها يخلب الألباب طيبا ... فأزرى بالحميا والعقار

(١٩٥أ)

لقد رقّتْ مبانيها وراقت ... معانيها وجلَّت عن عَوارِ

تنادي من يناديها بنُصْحٍ ... حَذار اليوم من فتكي حذار

---

(٧) كذا تقرأ في أ، وربما كانت (للتعريف)، وفي ب (للتفويق).

(١) حبك: أحكم وشد، والاحتباك: الإحكام

(٢) القذة: ريش السهم.

(٣) الحقة، وجمعها حقاق: المرآة.

(٤) ديوان عبدالله السويدي ص ٣٢

كيف وهي نسيج من هو نسج وحده، فريد عصره وفريد عقده، البليغ الذي سحب ذيله على سحبان بن وائل، وألحق بإبداع بديعته البديعة الأواخر بالأوائل، فصحَّ قول الأديب الشاعر:

كم ترك الأول للأواخر

نعم! لو رآها جرير لجر ذيول الخجل، أو سمعها بليغ تغلب[1] لغلب وصمت أذناه ودعي بالأخطل، أو قرعت أذن الحلي[2] لحل بنود حُلَّته وحل في زوايا حِلَّته، وصرَّح بأن الرفض مذهبه، وأن التقية منهله ومشربه، أو شهدها ابن حجة[3] لسجل على نفسه بالعجز عن الحجة، وقال :و هت ودحضت حججي بأبي المعالي القاسم البكرة جي، لا زال فمه ينثر الدرر، ولا برح قلمه يوشي الحبر، آمين. أيُّها الناظر في هذا التقريض لا يذهب عليك أني جمعت فيه غالب أنواع البديع، فتأمل وتدبرا.

ثم إنه – حفظه الله تعالى – أرسل لي ورقة صورتها: سيدي ومولاي، علم التحقيق والتدقيق، وإنسان عين أهل التحرير والتوفيق، من جمع كل العلوم والتقوى (٩٥ب) وله القول الراجح وعليه الفتوى، فارس المنثور والمنظوم، ومالك أزمة المنطوق والمعلوم:

فلا تعجبوا من فضله وذكائه   فكم في ضمير الغيب سر يحجب

من إذا نظم فلا ينكر النظام[4] أنه الجوهر الفرد، وإذا نثر قضى له القاضي[5] أنه مالك

---

(٥) في الديوان (يزدريها).

(١) يريد: الشاعر الاخطل التغلبي واسمه: غياث بن غوث ويكنى ابا مالك.

(٢) يريد: صفي الدين عبدالعزيز الحلي.

(٣) يريد علي بن عبدالله بن حجة الحموي، المتوفّى سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م، أديب شاعر، له مؤلفات مهمة في الأدب، منها (ثمرات الأوراق) و(خزانة الادب).

(١) يريد إبراهيم بن سيار بن هانيء النظام، احد كبار مفكري المعتزلة، له مؤلفات عدة، ونظم على طريقة المتكلمين. توفي سنة ٢٣١هـ/ (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٦ ص ٩٧).

(٢) لعله يريد عبدالرحيم بن علي اللخمي العسقلاني، المعروف بالقاضي الفاضل، وهو كاتب شاعر ولي ديوان الإنشاء، وصار وزيراً للناصر صلاح الدين، واشتهر بالبلاغة والفصاحة، توفي سنة ٥٩٦هـ(ابن خلكان:

الحل والعقد، لازالت أغصان روضة فضائله يانعة، وكواكب سماء كمالاته نيرة طالعة، إلى الله أبسط أكف الابتهال بان يمن عليكم بانشراح البال، ولايزال اهل الفضل والأدب تطفَّل على موائدك، وتلتقط درر المعاني من فرائدك، ولا برح لسان المجد ينطق ببراعتك ورياض الفضل تغدق ببراعتك وصلت الفقير الفريدة والعقود النضيدة فجنيت بأنامل الفكر جني ثمراتها، واجتليت بإنسان التأمل محاسن مخدراتها، فإذا هي روضة فارقة وريحانة عبقة، ويتيمة مجد، ومطالع بدور كمال، ومشارق شموس إقبال من نثر مُفتّق الفكر(١)، ونظم متسق الدرر، فلم أدر أقطع جُمُان أم وشي حبر أم قلائد غوان، أم حدائق زهر (١٩٦أ)، كلا! بل هو سحر حلال يؤثر، بروق يمان أم بيان تالقت(٢) شوق صدور، أم سطور تالفت، فحنوت على فرائد جواهرها لكونها يتامى، وترشفت من كؤوس ألفاظها مداما، ومذ ملأت محاجر مسامعي دُرّاً قلتُ:

سبحان الله! إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً، فاقول:

بدور أسفرت تلك القوافي	بليل الوصل أم خل موافي
أهاتيك الفواصل وصل حب	أتانا زائراً والليل صافي
أتت تختال من تيه وعجب	أرتنا كيف تُنْتَظَمُ القوافي
فحيَّت ثم أحييتنا وقالت	حذار حذار من قول منافي
وكيف وقد أتت من عند ندب	همام بالفضائل غير خافي
أبي البركات عبدالله من جا	لداء النظم بالإتقان شافي
فريد العصر مولانا السويدي	كريم الخيم ذي ود مصافي
زكي(٣) ألمعي لو ذعي	طويل الباع من غير اختلاف

وفيات الأعيان ج١ ص ٣٥٧).

(١) في ب (متفق الفقر) ولا وجه له.

(٢) في ب (تالفت).

(٩٦ب)

إليك أبا الفضائل بنت فكر — شتيت ذي عبارات ضعاف
وعذراً أيها المولى وصفحا — عن العبد المقصر ذي اعتساف
لأني قد تركت النظم شغلاً — بما أبغيه من أمر العفاف
إذا أنا كنت(١) في سري وجهري — أقول الله حسبي وهو كافي

وأرسل لي بعض أبيات من نظمه أحب أن أودعها في الرحلة، فمنها قوله متغزلا:

قف بالمعاهد يا مُعنَّى — وانشد هناك فؤاد مُضني
قلب به حرق الأسى — لمّا رأى كمداً و حزناً
تلك المعاهد جادها — صوب الدموع حياً ومزنا
وغدوت أنشدُ عندها — من كل مغنى رق معنى

(١٩٧)

يا ظبية سفكت دمي — بالبيض من سود فتنا
ورمت حبال سوالف — شركا تصيد القلب منا
رفقاً بمن سلب الهوى — منه القوى وكساه وهنا
أضناه حب شويدن — ملأ الورى هيفاً وحسنا
لا زال أسمر قده — العسال يعمل فيَّ طعنا
وعيونه النجل المراض — بفعلها الماضي فتكنا
أمُعذِّبي كم ذا الدلال — بنار خديك احترقنا
يا مالكا رقي أما — يكفيك تعذيب المعنّى
أضرمت نار الحب في — كبدي إذا ما الليل جنا

---

(١) في ب (إذا ما كنت).

وله مشطراً:

هاك عهدي فلا أخونك عهدا — يا حبيباً لديه أمسيت عبداً
لا - وحق الهوى - سلوتك يوماً — وكفى بالهوى ذماماً وعقداً

(٩٧ب)

إن قلبي يضيق إن يسع الصبر — لأني فنيت عظماً وجلداً
وفؤادي لا يعتريه هوى الغير — لأني ملأته فيك وجداً
يا مهاة الصريم عيناً وجيدا(١) — وأخا الورد في الطراوة خدا
وشقيق الخنساء في الناس قلباً — وقضيب الأراك لينا وقدا
كيفما كنت ليس لي عنك بد — فأبحني ودا وإن شئت صدا
قد ملكت الفؤاد منّي كلاً — فافعلن ما أردت هزلاً وجدا
يا ليالي الوصال كم لك عندي — خلوات مع الغزال المفدّى
كم جنيناثمارك وهي عندي — من يد كان شكرها لا يؤدّى

(٩٨أ)

فسقتك الدموع من وابل — الغيث المديد البحار جزراً ومدا
وبكتك دماً عيوني من دمعي — بديلاً فهن أغزر وِردا
هل لماضيك عودة فلقد آن — جمال الحبيب أن يتبدا
كنت قدماً أعرتك اللهو وقد حق — لذاك المعار أن يستردا(٢)

وقال مضمنا:

وشادن من بني الأتراك ذي هيف — في ضيق مقلته النجلاء تخييل
يختال تيهاً على عشاقه وغدا — من عجبه كثرت فيه الأقاويل
له محيا كبدر لاح في غسق — وخط عارضه للحسن تكميل

---

(١) الصريم: الصبح.

(٢) كذا في الأصل والبيت مختل

فيروزج الخال في ياقوت وجنته ... كأنه أثر أبقاه تقبيل

وله مخمسا: (٩٨ب)

كوامن داء الحب حل بقلبنا ... وإن الذي نهواه ضن بطبنا
فعدنا نداوي ما بنا مع أننا ... بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

على أن قرب الدار خير من البعد

تدانيت منها كي أفوز بشافع ... إلى وصلها من كل ضد ومانع
فنادى منادي الحي في كل شارع ... ألا إن قرب الدار ليس بنافع

إذا كان من تهواه ليس بذي وِدٍّ

وله مُعَمًّى في كامل:

قال من كان في المحبة مثلي ... مُذْ رآني في ذي المحاسن مُغْرَم
أيّ بدْرٍ تهواه؟ قلت مجيبا ... كلُّ بدرٍ قد حاز قدًّا ومَبْسَم

وله معمى في اسم محمد:

ياعاذلي دع الملام واتئد ... واتبع طريقتي ولازم معها
فوجه محبوبي وجيده النقي ... قد أجريا من مقلتي مدمعها

(٩٩أ)

وله معمى في اسم صادق:

وصاحب كان عديل مهجتي ... ومنحه الوداد كان دأبي
صار بلا عاقبة فالجة[1] ... إذ رام قطع وده عن قلبي

وله معنى في اسم طالب:

وذي دلال[2] وعجب ... يجرّ أذيال فخر

---

(١) في أ فالحة، وفلج: قطع وقسم وهو ما يستقيم به المعنى.

(٢) كذا في ب، وفي أ (دلائل).

قــــوامــــــه غـــــــصـن بـان　　وقـلـبـــــه قـلـب صـــــخـــــر

وله معمى في اسم علي:

أياجــيــرة قــد صــيَّــروا القلـب والهـا　　أمــا للفـتـى من هجـركـم سـبـبٌ يُدْرَى

فــرقُّــوا لحــال المســتــهــام ترحــمــا　　فـمن هجـركم قـد صـار في تعبٍ شهـراً

وله محاجيا باسم سلامة:

أيـا مـن غـــــدا مـــــغــــرم　　بـكـشـف خــــفــــاء ذي الأحــــرف

أفـــــدنـي مـــــثـل مــــا قــــال　　المحـــاجي اطلبــــا أكـــــفـف

وله محاجيا باسم مريم:

يـا فــــاضــــلاً من ذكـــــاه　　بـين المـلا حـــــاز فـــــخــــرا

مـــــا مـــــثـل قــــول المحـــاجي　　لذي الحــــجــــا جــــاز بحــــرا

(٩٩ب)

وبقي من الأبيات التي أرسلها شيء كثير تركته خوف الإطالة.

ولما جاءت ورقته، وفي صدرها نثر، ونظم يتضمن الثناء عليَّ شطرت النظم وأرجعت مدح الكل إليه، وذكرت نثراً يضاهي نثره وإن لم يفضل عليه:

سيدي ومولاي العالم الذي بلغ في العلم أطوريه، ومارس المعضلات فانقادت إليه، جَرَّ على مجرى المجرة أذيال فضله، ونصب على هام السماكين فساطيط نبله، ذو التحقيقات التي هي أعز من بيض الأنوق، والتدقيقات التي دونها مناط العيوق، علامة العلماء، واللج الذي لا ينهى،و لكل لج ساحل، كيف وهو النحرير الذي إذا باحث أفحم، وإذاناظر ألز، وإذا قرر أفهم، وإذا ألف أحكم،و البليغ الذي نثره يزري بالدر المنثور، وشعره يسمو على الشعرى العبور، أقرت له بذلك أقرانه، وأذعنت له أخدانه، وأترابه، وشهدت بتفرده أضداده، وحكمت بأنه العلم المفرد (١٠٠ أ) أنداده، والفضل ما شهدت به الأعداء، ولا بدع في مزيته على ابناء نوعه، ولا غرابة في إذعان كل بطوعه، فإن المسك بعض دم الغزال،

وليلة القدر من جملة الليال:

لا غــــرو إن فـــاق الأنام بفـــضله   ومن الحـــجـــارة أثمـــد في الأعين

فالمطري[1] و إن أطنب وأطال وأسهب لم يبلغ عشر عشر العشر من ذاك، فالعجز عن إدراك الإدراك إدراك.

من كان فوق محل الشمس موضعه   فليس يرفـــعـــه شيء ولا يضع

سيدي جاءت إليَّ الخريدة، واليتيمة الفريدة، التي لم ينسج ناسج على منوالها ولم تستطع البلغاء أن تأتي بمثلها، جلَّت عن أن تجارى، وكبرت عن أن تمارى، بعبارات هي السحر الحلال، حرية بأن تضرب لها نواقيس الأمثال، جمعت فتناثرت فرائده، وحوت نغماً يود العقيان أن تحلى به قلائده، فكيف بالمعارضة ومبانيها، وأني بالمقابلة ومعانيها سدت ثغور المجاز، فاستوت سفينة (١٠٠ب) هذا الغبي الباقل[2] في اليم، ورأى أن التسليم لسحبان البلاغة أسلم، وترك المعارضة أجدى وأحرى بعد أن كان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، لما أن العاقل يستر بالسكون جهله،حين لم يكن للفضل محله وأهله، لكن الذي جراه على ما هناك، وسلكه مضايق هاتيك المسالك، علمه بأن مولاه يغضي عن ترهاته، ويبدل بسيئاته حسنات، فاختار التعجيز والتشطير ليكون دخيلاً في نظم الشيخ الكبير، مستجيراً به من وصمة الإنكار، مستغيثاً به من صولة الأخطار، فرد مدح الأصل والفرع إلى أستاذ النثر والنظام، لأن مدح أمثالي بماهو فوق ما فيه حرام، فالمؤمل أن تبردوا لوعته، وتؤمنوا روعته، فالمنسوب - كما قيل - محسوب، والمستجير يجب عنه دفع الخطوب، فقال:

بدور أســـفـــرت تلك القـــوافي   بأفق النظم أم زهر قـــــوافي

أم البـــرق اللمـــوع له ومـــيض   بليل الوصل أم خلّ مـــــوافي

أهاتيك الفـــواصل وصل حب   تمادى بالقطيـــعـــة والتـــجـــافي

---

(١) المطري: المبالغ في المدح والإطراء.

(٢) إشارة إلى باقل الإيادي: جاهلي ضرب به المثل في العي والبلاهة.

فـأحـيـا مـيـت الأحـيـاء لما		أتـانـا زائـراً والـلـيـل صـافـي

(١٠١أ)

أتَتْ تخـتـال في تيـه وعـجب		فـألفـينا التـلاف من التـلافي
وإذ في النظم تقـفـوها اللآلي		أرتنا كـيف نـنظم للقـوافي
فـحـيـتنا وأحـيـيت ثم قـالت		أمـا نظمي حـوى رشف السـلاف
فـلا تحـسـوا عـقـاراً غـيـر هذا		حـذار حـذار من قـول منافي
وكـيـف وقـد أتت من عند ندب		فـأني تحـتـوي عـيب الزحـاف
فـفـاقت حـيـث جـاءت من إمـام		همـام بالفـضـائل غـيـر خـافي
سليل الأكـرمين أبي المعـالي		أثيل المجـد حـقـاً غـيـر عـافي
أخص البكـرجي لقـد أتـانا		لـداء النـظم والإتـقـان شـافي
فـريد العـصـر للتـقـوى جناحٌ		به تقـوى القـدامى والخـوافي
غـزير الفـضل في علم وحلم		كـريم الجـود ذو ود مـصـافي
عـريض[1] بـاتـفـاق		طويل البـاع من غـيـر اخـتـلاف
إليك أبا الفـضـائل بنت فكر		تعـثـر بالخـجـالة في المطاف
وقـد جـاءت تلفع في نظام		شـتـيت ذي عـبـارات ضـعـاف

(١٠١ب)

وعـذراً أيهـا المولى وصـفـحـاً		فـاسـبل سـترعـفـوك فـهـو ضـافي
فـعـفـوا أيهـا المصـقـاع عـفـواً		عن العـبـد المقـصـر باعـتـسـاف
لأني قـدتركت النظم شـغـلاً		بما قـد دكّـه عـصف السـوافي
وإني قـد ولعت وذاك حق		بما أبغـيـه من أمـر العـفـاف
إذا مـا كنت في سـري وجـهـري		مـقـراً صـرت مـأمـون الخـلاف

---

(١) غير واضحة في أ، والبيت كله ساقط من ب.

فــــإن تعــــــذر فـــــذا لطفٌ وإلا أقـــول الله حـــــسبي وهو كـــافي

ومما وقع السؤال عنه عبارة سعدي أفندي[1] الواقعة على عبارة البيضاوي في قوله تعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾[2] حيث قال البيضاوي[3]: خلقه موفراً عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة، وخلقه بدل (من كل بدل)[4] الاشتمال، وقيل علم كيف قيمة المرء مايحسنه أي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان، وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف، فالشيء على الأول مخصوص بمنفصل، وعلى الثاني بمتصل، انتهى. قال سعدي افندي: قوله فالشيء على الأول مخصوص بمنفصل، يعني العقل، وفيه (١٠٢أ) بحث فإنه صرح في أوائل [سورة] البقرة أن الشيء في أمثاله بمعنى المفعول فلا يحتاج إلى التخصيص، فإن قيل: لو سُلّم [بـ] ذلك فالله هو موجد الصفات الجليلة في ذاته المقدسة، بل هو موجود ذاته أيضاً على ما زعم أكثر المتكلمين فما وجه الاحتياج إلى التخصيص؟ وما المانع عن الإبقاء على عمومه؟ قلنا: لفظ الخلق، فإنه الإخراج من العدم إلى الوجود لا الإيجاد مطلقاً، ولهذا كفَّروا من قال بخلق القرآن، وكذا صيغة أحسن تدل على الاختيار على ما حققه الإمام الغزالي في تهافت الفلاسفة، انتهى. قال العبد الفقير: لما وقفت على هذه العبارة وقف شعري، واقشعر بشري، حيث سلم أن الله موجد لذاته ولايقول هذا من له أدنى مسكة في الإسلام – عافانا الله من ذلك، وسلك بنا أحسن المسالك – فإنه لا فرق بين الخلق والإيجاد كا هو معلوم من كتب (اللغة)[5] المعتبرة. ثم

(١) هو سعد الله بن عيسى الشهير بسعدي افندي المتوفّى سنة ٩٤٥هـ، وقد تقدم التعريف بحاشيته.

(٢) طه من الآية ٥٠

(٣) البيضاوي: أنوار التنزيل ص ٤١٧

(٤) الزيادة من ب.

(٥) سقطت من ب.

وقفت على عبارة الشيخ الكواكبي [١] فلقد أحسن -رحمه الله - كل الإحسان، ونصها: أقول الشيء في الأصل وإن كان مصدراً أو يكون بمعنى المشيىء[٢] لكن إطلاقه لغة على ما يصح أن يخبر عنه فيعم الواجب والممكن والممتنع، فالتخصيص بناء. ثم قال سعدي أفندي (١٠٢ب) هنا ما نصه: ولو سلم ذلك إلى قوله موجد ذاته، أقول لا يخفى ما فيه من البشاعة والشناعة فالإيجاد إحداث الوجود كما أن الإعدام إحداث العدم، ولذا قالوا: إنه لا يتعلق بالوجود الممكن لما فيه من تحصيل حاصل فضلاً عن أن يتعلق بالواجب القديم الذي لا ينفك الوجود عنه. والذي عليه المتكلمون أن وجوده سبحانه مقتضى ذاته من غير احتياج إلى الغير، وأن صفاته واجبة به تعالى، وهذا لا يقتضي صحة أن يقال في حقه - سبحانه وتعالى - أنه موجود ذاته أو صفاته، كيف والإيجاد إخراج الشيء من العدم إلى الوجود. وأما الخلق فهو الإيجاد على قدر وتسوية كما ذكره القاضي[٣] وغيره، فهو أخص من هذا الوجه لا من الوجه الذي ذكره المحشي ويشتركان في إحداث الوجود، فلو عبر في الآية الكريمة بالإيجاد بدل الخلق لاحتيج إلى التخصيص أيضاً، فالإيجاد جعل الشيء موجوداً[٤] بعد أن لم يكن، أي لايتعلق بالقديم[٥] أيضاً، انتهى. وهو كلام حسن بل هو الصواب والله أعلم.

---

(١) يريد الشيخ محمد بن حسن بن احمد الكواكبي الحلبي، ولد سنة ١٠١٨ وتوفي سنة ١٠٩٦ هـ، أحد كبار علماء حلب في عصره، وصفه المحبي بقوله «مفتي حلب ورئيسها والمقدم فيها في الفنون العقلية التزم مع سعة الجاه وشهرة الصيت والأناة والحلم». وذكر ان من تآليفه حاشية على تفسير البيضاوي التزم فيهامناقشة سعدي، واخرى ناقش فيها عصام الدين (الاسفرايني) وحاشيته الأولى هي التي يشير إليها المؤلف هنا، وينظر أيضاً الطباخ: اعلام النبلاء ج٦ ص ٣٨٠ والبغدادي: هدية العارفين ج٢ ص ٢٩٩

(٢) كذا في أ، وفي ب (الشيء) ولا وجه لها.

(٣) هو القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري المتوفّى سنة ٩٢٦هـ، وله حاشية على تفسير البيضاوي،سماها (فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل) وهي التي يشير إليها المؤلف هنا.

(٤) في ب (موجداً).

(٥) في ب (التقديم).

وكتبت منها إلى الموصل، لقريبنا عثمان آغا ابن درباس الدوري ثم الموصلي[1] كتابا (١٠٣أ) صورته: إن أبهى ما حاكته اليراعة من الوشي المحبر، وأشهى من مواصلة الحبيب بعدما صد وهجر، تحيات صدرت من صدر عرى عن داء الملق، وسلم من عضال النفاق وبحسن الوفاق تخلق، واتخذ المودة ديدنه وشنشنته، وغرس المحبة في فؤاده فصارت خلقه وسجيته، تزف إلى من جر على مجرى المجرة ذيل مجده، وسما على كيوان فلك إقباله وسعده، تضوعت شمائله وأخلاقه، وزكت أصوله وأعراقه، وتخلص من الدنس محتده ونجاره، وعلا الجوزاء شرفه وفخاره، ذي الأخلاق التي يحاكيها المسك لولا فارته[2]، والسمات التي يشبهها الورد لولا مرارته، والجهم[3] الذي لاتقرع صفاته، والندس[4] الذي لا تناط صفاته، عزت نظائر أمثاله، وضن الدهر بأن يأتي بمثاله، ولدنا الأكرم المطهر من وصمة الأدناس، السالم نسبه من قذر الأرجاس، عثمان آغا بن درباس، لازالت ألوية سعده تخفق على كواهل الدوام، ولابرحت أعلام مجده منشورات على أعواد السمو بين الأنام.

وبعد، فإن منَّ مولانا بالسؤال عن حال ودوده (١٠٣ ب)، فهو مقيم على ما تعهد من عهود، إلا أن شوقه الشديد نغَّص عليه عيشه الرغيد، يتذكر تلك الشمائل التي أزرت بالعنبر الأشهب، والأخلاق التي بزَّت المسك فكيف الرند[5] والزرنب[6]، لم يزل يذكر تلك الليالي التي كلها أعياد، والأوقات التي تجردت عن الأكدار والأنكاد:

أحن إذا خلوت إلى زمان ... تقضَّى لي بأفنية الربوع

---

(١) في ب (الموصولي)، وقد سبق أن ذكر المؤلف أنه كان من أوائل من التقى به في الموصل، وانه نزل في بيته.

(٢) الفارة: نافجة المسك، والفار المسك، وسميت فارة المسك لفوران رائحتها، ويجوز همزها لانها على هيئة الفارة.

(٣) الجهم: العابس.

(٤) الندس: الفهم الكيس.

(٥) الرند: شجرة صغيرة طيبة الرائحة.

(٦) الزرنب: بقر الوحش.

وأذكـــــــــر طـيـب أيـام تـولـت لـنـافـــفـــيض من أسف دمـــوعي

نسأل الله أن يمنحنا رؤية محياكم، ويمنّ علينا بفضله بلقياكم، آمين.

وكـتـبت إليـه أيضـاً: تسليمـات زهـت أزهارها، وتـفـتـحت أنوارها، وترنمت عنادلهـا وأطيـارها،وتسلسلت جداولهـا وأنهـارها، على من ارتقى أفلاك السـيـادة، وامـتطى مـتـون السعادة، وربح في تجارة المفاخر، ونجح في بضاعة المآثر، فريد العصر والأوان، قرة عين الزمان، ووحيد الأتراب والأقران،ولدنا الأكرم الأمجد عثمان، لا زال سعده ثابتاً بثبوت ثهلان، ولا برح إقباله باقياً ما بقي الفرقدان، أما بعد، فإن هذا (١٠٤أ) الداعي مغمور بنعم الله الوفية، معمور الجوانب في آلائه الهنية، إلا أن الشوق تأججت زفراته، وتضرمت لوعاته، لم أنس أخلاقكم الحميدة، ولم أسل مكارمكم العديدة، عسى الله أن يمن باجتماعنا بعد البعاد، لنقضي[١] بالتملي بمحياكم غاية المراد، آمين.

وكتبت منها إلى الموصل، لسيدي الفقيه العالم الصالح الشيخ عبدالعزيز كتاباً صورته: من العبد المفتقر إلى عفو مولاه الغني أبي البركات عبدالله بن الحسين المعروف بالسويدي[٢] إلى العـالم الذي عـمل بماعلم، وتجرد من عـلائق الدنيـا، فـسلم وسلم، الناسك الذي شـد حـيازيم الهـمـة لطاعـة مولاه، وشمَّر عن ساق الخدمة في عـبادته ورضـاه، ورأى حطام هذه الفـانيـة عـرضـاً غير دائم، فطوى دونه كـشحاً ولم يرعـو لعـذل عاذل ولوم لائم، اتخـذ الليل جملاً، وقطع عن هواه أملاً، فأصلح لله عـملاً، ولم يبغ[٣] عن امتثاله حولاً، سيدي الشيخ عبدالعزيز،طرز الله أحواله أنفس تطريز، ونفعنا بدعواته الصـالحة، وجعل أحوالنا ببركة أنفاسه مستقيمة راجحة ناجحة.(أما)[٤] بعد، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو

---

(١) في ب (نتقضى).

(٢) في ب (عبدالله بن حسين السويدي).

(٣) في أ (يبلغ) والصواب ما اثبتناه.

(٤) ليست في أ.

وأصلي وأسلم على نبيه وحبيبه وصفيه سيدنا (١٠٤ب) محمد المبعوث من أشرف جرثومة، وأكرم أرومة، فهدى الأمة، وكشف الغمة، فكان كما أخبر الله للعالمين رحمة[١]، اللهم فصلِّ عليه صلاة تحيط بجنابه الأعظم العالي صلاة دائمة ما دامت الأيام والليالي، وعلى آله وأصحابه نجوم الاقتداء، وشموس الاهتداء. السلام عليك ورحمة الله وبركاته، وأني إلى ذلك المحيا[٢] الزاهر لشائق، وإلى ذلك الجناب الرفيع لتائق، نرجو الإمداد بدعائكم وهو إن شاء الله لا يرد، ونأمل أن تدخلونا في حصن نظركم، وهو نعم المعقل والمستند[٣]. ثم فصلت له أحوالي، وما وقع لي في حلب الشهباء، صانها الله عن كل (خطب)[٤] وبلاء، آمين.

وممن خدمنا وأكرمنا الشاب الصالح طه ابن الحاج عبدالله الزنيني[٥]، فلقد حوى ذكاء ولطفاً ورقة وظرفاً وكرماً وسخاء ومعرفة وحياء، وقد طلب دعاء يدعو به فأجزته بالدعاء المأثور عنه، صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر دعائه: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. بسم الله على نفسي ومالي وديني، اللهم رضني بقضائك، وبارك فيما قدر لي حتى لا أحب تعجيل (١٠٥أ) ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، وأذنت له بأن يقرأه بعد كل فريضة ثلاث مرات.

واستجازمني أيضاً الشيخ الصالح المعمِّر سيدي الشيخ بكري بن محرم الحلبي الأمشاطي دعاء يجعله ورداً له، فأجزته بما هو مأثور عنه، صلى الله عليه وسلم، وهو: اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمرى، وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، و تلهمني بها رشدي، وترد بها ألفتي

---

(١) في ب (كما أخبر الله رحمة للعالمين) وما في أ موافق للسجع.

(٢) في ب (المحب).

(٣) في ب (نعم المسند والمعقل).

(٤) ليست في ب.

(٥) في ب (الزيتي).

وتعصمني بها من كل سوء. فأجزته بقراءة ذلك بعد صلاة الصبح مرّة وبعد العصر مرة وبعد العشاء مرة.

وطلب مني الشيخ الصالح محمد أمين الخطيب ابن الشيخ خليل الإمام أن أجيزه بورد يتلوه، فأجزته بحزب سيدي السيد عبدالله بن علوي باحداد[1]، بأن يتلوه خلف المكتوبات مرة وهو: ياالله، يا لطيف، يا رزاق ياقوي، يا عزيزا أسالك تالها إليك، واستغراقاً فيك، وفناء عمن سواك، ولطفاً شاملاً جلياً وخفياً، ورزقاً طيبا هنياً ومرياً، وقوة في الإيمان واليقين، وصلابة في الحق والدين، وعفوا بك (١٠٥ب) يدوم ويخلد، وشرفاً يبقى ويتأبد، لا يخالطه تكبر ولاعتو، ولا إرادة[2] فساد (ولا علو)[3]، إنك سميع قريب، وسندي فيه عن شيخنا (السيد)[4] أبي الطيب المغربي، عن الشيخ أحمد النخلي، عن السيد عبدالرحمن باعلوي، تلميذ سيدنا السيد عبدالله الحداد، وزوج بنته عبدالله بن علوي الحداد باعلوي، مؤلف الحزب المذكور.

وطلب مني الشيخان الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالكريم الشراباتي والشيخ سليم مولى الحاج نعسان الحلبي أن أجيزهما بالدور الأعلى لسيدي شيخ المحققين وأستاذ العارفين الشيخ محيي الدين ابن العربي نفعنا الله تعالى به آمين، فأجزتها، وصورة ما كتبته في الإجازة:

الحمد لله الذي نصر حزبه الأنبياء في جميع أدوار القرون، وختمهم بسيدنا محمد المبعوث في الدور الأعلى من أشرف البطون، وعلى آله وأصحابه وجنده وأحزابه.

وبعد، فقد التمس مني الشيخان العالمان الفاضلان الصالحان الناسكان سيدي الشيخ ابو

---

(١) هو عبدالله بن علوي بن محمد بن أحمد المهاجر بن عيسى الحسيني الحضرمي المعروف بالحداد، من أهل تريم في اليمن، له مصنفات عديدة، في الفقه والأذكار والتصوف، وله ديوان شعر. ترجم له المرادي (سلك الدرر ج٣ ص ٩٢) والبغدادي (هدية العارفين ج١ ص ٤٨٠)

(٢) من هنا إلى نهاية الصفحة فيه طمس في أ، فاستوضحناه من ب.

(٣) ليست في ب.

(٤) الزيادة من ب.

الخير محمد ابن الشيخ عبدالكريم الشراباتي، وسيدي أبو الفضل الشيخ سليم مولى الحاج نعسان الحلبي، أن أجيزهما بالحزب المسمى بالدور (١٠٦أ) الأعلى المنسوب إلى الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي، فأجزتهما بذلك بشرط التأمل والفهم لكلام الشيخ - قدس سره - وبشرط الخشوع واستقبال القبلة، وأن يكونا على طهارة كاملة، وبشرط أن يدعوا لي ولمشايخي وأصولي وفروعي، وقد أجزتهما بقراءته أي وقت أرادا، لكن إذا اشتدت أزمة، أو قدحت نائبة، فليلازما قراءته ملازمة أكيدة، والله خليفتي عليهما،وفقني الله وإياهما لصالح الأعمال، وأحسن إلي وإليهما في جميع الأحوال آمين، وسندي فيه في عموم تآليف الشيخ محي الدين بن العربي عن الشيخين العالمين الشيخ محمد والشيخ حسين عن الشيخ عبدالله بن سالم البصري ثم المكي، وعن الإمام زين العابدين الطبري[1]، عن والده الإمام عبدالقادر الطبري[2]، عن جده يحيى بن مكرم الطبري، عن الحافظ عبدالعزيز بن الحافظ عمر بن فهد المكي[3]، عن والده النجم عمر بن فهد المكي[4]، عن

(١) و اسمه علي كما في المحبي: خلاصة الأثر ج٣ ص ١٦١ والبغدادي: هدية العارفين ج١ ص ٧٥٧، وهو مؤرخ نابه، من آثاره (التاريخ المكي) و(تحفة الكرام باخبار عمارة السقف والباب من البيت الحرام) وغير ذلك، توفي سنة ١٠٧٠ هـ/ ١٦٦٠م.

(٢) هو عبدالقادر بن محمد بن يحيى بن مكرم الطبري المكي الحسيني الشافعي، محيي الدين، عالم عاش حياته في مكة، وتوفي بها، له مؤلفات عدة منها (كشف الخافي من كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي) و(عيون المسائل) وغيرها، توفي سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م. المحبي: خلاصة الأثر ج٢ ص ٤٥٧ والشوكاني: البدر الطالع ج١ ص ٥٠ والبغدادي: هدية العارفين ج١ ص ٦٠٠ .

(٣) عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد المكي، عز الدين، محدث مؤرخ، له جزء في (المسلسل بالأولية)، توفي سنة ٩٢١ هـ ١٥١٥م. الغزي: الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ج١ ص ٢٣٨ والبغدادي: هدية العارقين ج ١ ص ٥٨٢ .

(٤) هو عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن فهد المكي، أبو القاسم، محدث مؤرخ، من آثاره (إتحاف الورى بأخبار أم القرى) وغيره. توفي سنة ٨٥٥هـ ١٤٨٠/م السخاوي: الضوء اللامع ج٦ ص ١٢٦ والشوكاني: البدر الطالع ج ١ ص ٥١٢ .

الجمال محمد بن إبراهيم المرشدي المكي، عن الشيخ أبي محمد عبدالله بن محمد بن محمد بن (سليمان)[1] النشاوري المكي، عن الإمام أبي أحمد رضي الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي[2] عن الشيخ الإمام محي الدين محمد بن علي بن العربي الحاتمي (١٠٦ ب) الطائي الأندلسي ثم المكي ثم الدمشقي.

---

(١) ليست في ب.

(٢) إمام مقام إبراهيم بالمسجد الحرام، عرف بكثرة سماعاته، حتى قيل إنه سمع ما يكثر عده من الكتب والاجزاء والحديث والفقه والسير واللغة والتصوف، توفي سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م. يوسف بن تغري بردي: المنهل الصافي ج١ ص ١٥٠ واليافعي: مرآة الجنان ج٤ ص ٢٦٧

فصل

ومن محاسن حلب ومزاراتها جامعها الكبير[١]،وفيه مرقد سيدنا زكريا[٢] – على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام – وقد زرته واستشفعت به لي ولسائر محبي. وعلى ضريحه جلالة ومهابة، قال أبو ذر في تاريخه[٣]: سيدنا زكريا نبي الله – صلى الله عليه وسلم – نشر بالمناشير، وبعض أهل حلب يقول: إن نشره كان مكان العامود الأسود في صحن الجامع الكبير، ولا أعرف صحته. وقطعة من رأسه الشريف بجانبها في الحائط القبلي بالقرب من المحراب الكبير، وعليه ستر وعليه جلالة، وقد شوهد النور عدة مرات يخرج من ذلك المحراب. أخبرني من شاهد ذلك، وفي بعض السنين ختم صحيح البخاري في الجامع، فخرج النور فشاهده الحاضرون، وضج الناس بالتسبيح والتهليل. وقد أخبرنا صاحبنا الشيخ طه الجبريني قال: كنت أقرأ البخاري عند المحراب الأصفر في مصلى الشافعية عن يسار المستقبل، فخرج نور من جهة قبره – صلى الله عليه وسلم – ولازال يُرى حتى وقف على المحراب المذكور ربع ساعة، والمستمعون يشاهدونه (١٠٧أ) عياناً. قال الشيخ طه: إلاّ أني لم أشاهده لكوني مستدبر القبلة ومستقبل الجماعة، وذلك عام خمس

---

(١) هو الجامع الاموي فيها على ما تقدم.

(٢) نوهنا – فيما سبق – باختلاف الروايات بشان هويةصاحب هذا الضريح، إن كان زكريا أو يحيى عليهما السلام. وثمةتفاصيل حول هذا الامر في الغزي: نهر الذهب ج٢ ص ٦٤٦, وقال محمد راغب الطباخ: وقد حققنا ان المدفون هنا هو راس سيدنا يحيى عليه السلام لا سيدنا زكريا عليه السلام كما هو مستفيض ومشهور بين الناس (أعلا م النبلاء ج٢ ص ٣٩٦ وج٣ ص ٣١٠).

(٣) هو أبو ذر سبط العجمي، موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل المتوفّى سنة ٨٨٤ هـ/ ١٤٧٩م وكتابه هذا سماه (كنوز الذهب في تاريخ حلب)، ذيل به على كتاب (الدر المنتخب في تراجم أعيان حلب) لكمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي، المعروف بابن العديم المتوفّى سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢م. (ينظر السخاوي: الضوء اللامع ج ١ ص ١٩٨ وكشف الظنون ج٢ ص ١٥٢٠).

وخمسين ومائة وألف[1]، انتهى.

وفي تاريخ ابن الشحنة[2] إنَّهُ قال: ولأبي بكر الصنوبري قصيدة مدح فيها حلب[3]، وذكر فيها المسجد:

حــــلــــب بــــــدر دجـــــى	أنجـــــمـــــهـــــا الزهر تـراهـا
حـــبـــذا المســـجـــد الجـــا[4]	مـع لـلـنـفـس تـقـــــاهـــا
مـــــــــوطـن يـرسـي ذوو	البـــــر بمرســــاه جـــبـــاهـا
قــــبلة كـــــرمـــــهــــا الله	بـنـور وحــــــــبـــــــاهـا
ورآهــا ذهــبـــــــــــاً فـي	لازورد مـــــــن رآهـــــــا
ومـــــراقـي منـبـــــرأعـظـم	شـيء مـــــــرتـقـــــاهـا
شـــــرفـــــات أنـقـــــا	ت مُــــــدٌ للطَّرف مـــــداها[5]
وذرى مـــــئــــذنـة طـا	لـــت ذرى الـــنـــجـم ذراهـــا
ولـفـــــوارتـه[6] مـــــا لـم	تـــراه لـــــــــــــواهـا
أبداً تـســتــقـــبل الســـحـب	بـحـب من غــــشـــــاهـا[7]
فـــهـي تُســقـى الغـيـث إن لم	يســـقـهــا أو إن ســـقـــاها

---

(١) في ب أثبت التاريخ رقماً لا كتابة.

(٢) هو أبو الفضل محمد ابن الشحنة المتوفّى سنة ٨٩٠ وقد نشر القسم الخاص بحلب من كتابه (نزهة النواظر) في طوكيو سنة ١٩٩٠، بتحقيق كيكو أوتا، بعنوان (تاريخ حلب).

(٣) أورد ابن الشحنة من هذه القصيدة خمسة أبيات، وهي كاملة في ديوان الصنوبري ص ٥٠٤ – ٥٠٩ وياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٨

(٤) في الديوان (حبذا جامعها).

(٥) هذا البيت لاوجود له في الديوان.

(٦) في الديوان (للنوارية).

(٧) في معجم البلدان (بسحب من حشاها).

كنفتها قبة يضحك منها[1] كفناها
قبة أبدع بانيها بناء[2] مذ بناها
ضاهت الوشي نقوشاً فحكته وحكاها
لو رآها مبتني قبة كسرى ما ابتناها
فبذا الجامع سور يتناهى من تناهى[3]
حييا السارية الخضراء منه حيياها
قبلة المستشرف[4] الأعلى إذا قابلتماها
حيث يأتي حلقة إلا داب منا من أتاها
من رجالات حبىً لم يحلل الجهل حباها
من رآهم من سفيه باع بالجهل[5] السفاها

وهي طويلة: ثم قال: وهذه السارية الخضراء كان يجتمع إليها المشتغلون بالأدب ومن قراء النحو واللغة، وقد ذهبت في الحريق. انتهى.

سميت البلدة بحلب باسم بانيها، وهو حلب من بني عمليق. وقيل إنما سميت حلب بفعل سيدنا إبراهيم الخليل، عليه السلام وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام، وذلك لما كان يرعى غنماً له حول تل كان بها وهو الآن قلعتها، وكان له وقت يحلب فيه الغنم وتأتي الناس إليه في ذلك الوقت فيقولون حلب إبراهيم، وسميت لذلك. وتلقب قلعتها والبلدة بالشهباء والبيضاء وذلك لبياض أرضها وأحجارها، لأن غالب أبنيتها كانت من الحجارة

---

(١) في الديوان (عنها).

(٢) في الديوان (بناء).

(٣) في النسختين (فبذا الجامع سور يتباهى من تباها).

(٤) في الديوان (المستشرف).

(٥) في الديوان (بالعلم).

الحوارة[1]، وفي ثمارها ومائها وسائر أقواتها من البركة مما لا يخفى على الفطن. قلت: فوالله إني رأيت نهرها وهو صغير جداً بحيث لو أراد أدنى الناس قطعه لقطعه، وهو يزيد على كفاية حلب مع ما فيها من كثرة البساتين والقساطل والخانات والبرك والأحواض، بحيث لو شاهد أحد ذلك لاعتقد أن دجلة تعجز عنه. و رأيت كرومها وأشجار التين والزيتون والفستق واللوز تعيش بلا ماء، كذلك البطيخ الأخضر والأصفر. ورأيتهم يبذرون في ترابها وهو جاف غاية الجفاف فينبت، وما ذلك إلا لطيب تربتها، الناشيء جميع ذلك من دعوة سيدنا إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - قال ابن العديم[2] في تاريخ حلب: كان فيها مقام إبراهيم الخليل واستوطنها، وكانت له، ثم أمر بالمهاجرة إلى الأرض المقدسة، فخرج عنها، فلما بعد عنها ميلاً نزل وصلى هناك، وهو إلى الآن يعرف ذلك المكان بمقام (١٠٨ب) إبراهيم الخليل، قبل حلب، فلما أراد الرحيل التفت إلى مكان استيطانه كالحزين الباكي لفراقها، ثم رفع يديه وقال: اللهم طيب ثراها وهواءها وحببها لأبنائها، فاستجاب الله دعاءه فيها، فصار كل من أقام في بقعة حلب ولو مدة يسيرة أحبها، وإذا فارقها التفت وبكى، انتهى. قلت: ومن نعم الله تعالي أني أحببتها حبا يوازي حب وطني، ولما فارقتها تأسفت عليها وحزنت، ولمابعدت عنها نحو ميل التفت إليها متباكياً اقتداءاً بالسيد إبراهيم الخليل. أما قلعتها فهي على تل عال، وهو الذي (كان)[3] يسكن فيه إبراهيم الخليل، وله فيها مقامان، أعلى بالمسجد الجامع، وهو الموضع الذي كان يحلب فيه الغنم، وموضع أسفل. وفي الجامع أيضاً رأس يحيى بن زكريا موضوع في جرن. وقد زرت جميع ذلك

---

(١) الحوارة هنا: البيضاء.

(٢) هو مؤرخ حلب النابه كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي، ابن العديم، المتوفى سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢م، أرخ لحلب في كتاب ضخم سماه (بغية الطلب في تاريخ حلب) في نحو أربعين مجلداً، حفظ الزمان منها عشرة مجلدات، وقد نشرها الأستاذ فؤاد سزكين بالتصوير عن نسخة آيا صوفيا باستنبول.

(٣) ليست في ب.

وتبركت به، ودعوت لي ولأحبابي، وأخذني عند ذلك خشوع من قشعريرة، وذلك يوم الجمعة، السابع والعشرين من رجب الأصب.

وفي هذا اليوم زرت قبر سيدي غوث، وهو في مسجد. ذكر ابن الشحنة أن الدعاء يستجاب فيه. ونقل عن ابن العديم (١٠٩أ) أن به حجراً عليها كتابة[1]، زعموا انه خط علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. وقيل إن غوثاً هذا منسوب إلى غوث بن سليمان بن زياد قاضي مصر، وكان قد قدم مع صالح بن علي بن عبدالله بن العباس[2] إلى حلب. انتهى[3]. قال الفقير: شاهدت الحجر والكتابة عليها، وتبركت بها، ودعوت لي ولسائر محبي وأخذني خشوع مع قشعريرة.

[مسجد الخضر]

ومما منَّ الله بن علي، أني زرت مسجداً يقال له مسجد الخضر، وهو في داخل القلعة عند بابها. قال ابن الشحنة في تاريخه[4]: ومن المساجد التي بالقلعة مسجد الخضر عليه السلام[5]. ذكر جماعة من سكان القلعة أنهم رأوا الخضر يصلي فيه. انتهى.

---

(١) النص كما في ابن العديم (بغية الطلب ص ٧٤) «وبها داخل باب العراق مسجد غوث، به حجر عليه كتابة..»

(٢) هو صالح بن علي بن عبدالله بن العباس الهاشمي، عم السفاح والمنصور، ولد سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م ولاه الأول مصر من سنة ١٣٢ إلى ١٣٦ ثم ضمت إليه فلسطين وإفريقيه، ومن اعماله العسكرية أنه دحر الروم في وقائع مرج دابق (شمالي حلب) ومن اعماله العمرانية انه انشأ مدينة أضنه في الأناضول، وتوفي سنة ١٥١ هـ/ ٧٦٨م. ينظر الطبري: تاريخ ج٧ ص ٤٢٣ و٤٤٠ و٤٥٩ و٤٦٥ و٤٧٣ و٤٩٦ و٤٩ - ٥٠٠ و٥١١ والذهبي: دول الإسلام ج ١ ص ٧٩

(٣) النص في ابن الشحنة: تاريخ حلب ص ٦٨ وأصله في ابن العديم (بغية الطلب ص ٧٤).

(٤) تاريخ حلب ص ٦٩

(٥) قال ابن العديم (بغية الطلب ص ٧٧) «ومن جهة الشمال من هذه الجبانة مشهد للخضر عليه السلام، قيل إنهُ رؤي فيه، وهو قديم وعليه وقف».

[جامع القلعة]

ومما منَّ الله به علي اني صليت الجمعة في جامع القلعة، وجامع القلعة - كما قال المؤرخ - كان في الأصل كنيسة[1]، وقبلها كان مذبحاً للخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكان به صخرة يجلس عليها لحلب المواشي، ثم صار مسجداً جامعاً في أيام ابن مرداس[2]، وكان يعرف بمقام إبراهيم الأعلى[3] وبه تقام الخبة، وهو موضع مبارك يزار[4].

---

(١) قال الغزي (نهر الذهب ج٢ ص ٢٩) أن أصل هذا المقام كنيسة، ولم يثبت من انشاه من ملوك الإسلام، سوى أن الملك العادل نور الدين محمود هو الذي جدده أيضاً وزخرفه وكان كثير التعبد فيه.

(٢) هو ثمال بن صالح بن مرداس، أبوعلوان، معز الدولة، من ملوك الدولة المرداسية بحلب، ولي الملك سنة ٤٣٤ هـ، وثار على الفاطميين ثم انحاز إليهم، وقضى بجيشه على ابن عمه الذي أعلن استقلاله في حلب، وتوفي في حلب سنة ٤٥٤ هـ/ ١٠٦٣م. ينظر ابن الأثير: الكامل ج٩ ص ٧٩ وابن شداد: الاعلاق الخطيرة ج٣ ق ٢ ص ٧٦ والزركلي: الأعلام ج٢ ص ٨٥

(٣) لهذا المقام باب عليه كتابة تدل على أنه أنشيء سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م. وقال الغزي واصفاً هذا المقام (نهر الذهب ج٢ ص ٣٧) أن فيه صحناً تحيط به ثلاثة أروقة من الجهات الثلاث.. وفيه «محراب إلى جانبه الشرقي خزانة مستورة بقماش أخضر اظن أن فيها كان الجرن المشتمل على رأس يحيى عليه السلام أو الجرن الذي كانوا يقولون إنه إبراهيم عليه السلام كان يحلب فيه مواشيه».

(٤) هو المسمى مقام إبراهيم، ومقام الصالحين، أشار إليه السائح الهروي (الإشارات إلى معرفة الزيارات ق٤) بقوله«وبالجبانة - قبلي البلد - مقام إبراهيم الخليل عليه السلام». ويقول الغزي (نهر الذهب ج٢ ص ٣٦٨)» مقبرة الصالحين وتعرف بمقبرة الخليل لانه يوجد فيها مشهد للخليل، فيه قدم من الحجر ينسب إليه. وفي جنوبي الصحن حرم للصلاة في جانبه حجرة في صدرها محراب في أسفل صدره صخرة ناتئة يقال إنها هي الصخرة التي جلس عليها إبراهيم الخليل (ع) مستقبلاً حلب حين فارقها كانه يودعها». وأكثر بناء هذا المقام حديث، ولكن محرابه مؤرخ بسنة ٥٤٥هـ/ ١١٠٥م (أطلس الآثار الإسلامية ص ٥٢).

وذكر ابن العظيمي[1] في تاريخه: سنة[2] ٤٣٥ ظهر ببعلبك في حجر (١٠٩ب) منقور رأس يحيى بن زكريا - عليهما الصلاة والسلام - فنقل إلى حمص، ثم منها إلى مدينة حلب في هذه السنة. وفي هذا المقام المذكور، في جرن من الرخام مدفون رأسه، ووضع في خزانة إلى جانب المحراب وأغلقت ووضع عليها ستر يصونها[3]. ووقع في سنة[4] ٦٠٩ نار في أيام الملك غازي[5] فاحترق جميع ما في ذلك المكان من الخيم والسلاح وآلات الحرب

---

(١) هو محمد بن الرئيس علي بن محمد التنوخي المعروف بابن العظيمي الحلبي، ولد سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، وتوفي سنة ٥٥٨هـ/ ١٢٦٣م، وأخذ عن كبار المؤرخين، أمثال ابن عساكر في دمشق، والسمعاني في بغداد، وألف مؤلفات عدة، منها تاريخه وهو تاريخ عام مختصر، توقف به في سنة ٥٣٨ هـ/ ١٠٤٣م، ونشر المستشرق كلود كاهن القسم الأخير منه سنة ١٩٣٩م. وله «تاريخ حلب» الذي ينقل منه المؤلف هنا عن طريق ما نقله منه مؤرخون تالون، وبخاصة ابن العديم، والنص الذي ساقه المؤلف هنا أورده الأخير (بغية الطلب ص ٧٢) وهو «وقرأت في تاريخ محمد بن علي العظيمي، وأنبانا به شيخنا أبو اليمن الكندي عنه قال: في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ظهر ببعلبك رأس يحيى بن زكريا في حجر منقور، فنقل إلى حمص ثم إلى حلب وهو بها إلى الآن. وأخبرني أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي - رحمه الله - قال: قلعة حلب مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، وبه صندوق فيه قطعة من رأس يحيى بن زكريا - عليه السلام - ظهرت سنة خمس وثلاثين وأربع مائة».

(٢) ويوافق أولها ١٠ آب (أغسطس) سنة ١٠٤٣

(٣) من الواضح أن ما نقله من خبر مما يلي هذا ليس من تاريخ العظيمي، لأنه توفي قبله. والنص الذي نقله مأخوذ بكامله تقريباً من ابن العديم (بغية الطلب ص ٧٢) ننقله هنا لتيسير المقابلة، قال «فأما المقام التحتاني فكان موضعه كنيسة للنصارى إلى أيام بني مرداس، وقد قال ابن بطلان في بعض رسائله: إن فيها كان المذبح الذي قرب عليه إبراهيم - عليه السلام - فغيرت بعد ذلك وجعلت مسجداً للمسلمين، وجدد عمارته نور الدين محمود بن زنكي ووقف عليه وقفاً حسنا ورتب فيه مدرسا يدرس الفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه».

(٤) ويوافق أولها ٣ حزيران (يونيو) ١٢١٢م.

(٥) هو الملك الظاهرغياث الدين أبو منصور غازي الاول، ولد بمصر سنة ٥٦٨ هـ/ ١١٧٣م وحكم حلب من سنة ٥٨٢ إلى وفاته سنة٦١٣ هـ/ ١١٨٦ - ١٢١٦م، ودفن في قلعة حلب. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، بتحقيق يحيى عبارة، دمشق ١٩٧٨، ج٣ ق ٢ ص ١١٧ و١٩٠ - ٢٠١، والزركلي: الأعلام ج٥ ص ٣٠٢

شيء كبير، ودفع الله – سبحانه وتعالى – النار، انتهى[1]. قلت: وقد زرت جميع ما ذكر المؤرخ.

وصلينا الجمعة في الجامع المذكور، وكان خطيبنا السيد حسين الديري، الذي هو الخطيب الراتب[2].

[مقام إبراهيم الأسفل]

ومما هو ظاهر في المقام الأسفل حجر يقال إن إبراهيم الخليل كان يحلب غنمه عليها[3]، وإن لها رائحة أزكى من المسك بحيث يخشى الإنسان على نفسه من شدة الرائحة، وقد تبركت بها، وأخذت من ترابها ومسحت به وجهي ولحيتي وسائر بدني، والحمد لله على ذلك.

[جبانة الصالحين]

ومما منَّ الله تعالى به عليّ، أني خرجت مع الشيخ طه (١١٠أ) الجبريني، والشيخ السيد عبد الكافي، في يوم السبت الثامن والعشرين من رجب الأصب[4] إلى زيارة مقام سيدي إبراهيم الخليل – عليه الصلاة والسلام – في الجبانة المسماة بجبانة الصالحين[5]، فزرناه وصلينا ركعتين ودعونا لنا ولإخوتنا ومن أحبنا وأوصانا بالدعاء. وقد ذكر ابن الشحنة في

---

(١) أي انتهى مانقله عن ابن الشحنة، ولم يتم المؤلف الخبر، وهوأن حريقا شب في هذا المكان إثر استيلاء المغول على حلب سنة ٦٥٩هـ، أدى إلى قيام أمرائها يومذاك بنقل الرأس إلى الجامع الأموي الكبير حيث رآه المؤلف هناك الغزي: نهرالذهب ج ٢ ص ٢٤٦

(٢) أي الخطيب المعين من جهة الوقف.

(٣) وصفه الغزي (نهر الذهب ج٢ ص ٣٥) بأنه قبو في وسطه قبة، وفي وجهتها الشرقية «حجرة صغيرة، في جهتها الجنوبية خزانة في أسفلها جرن مربع عمقه تسعة قراريط في مثلها، وثخانته قيراطان تقريباً، يقولون إن إبراهيم صلوات الله عليه كان يحلب فيه بقره».

(٤) الموافق ٥ أيلول (سبتمبر) سنة ١٧٤٤م.

(٥) هي المقبرة التي تقدم التعريف بها.

تاريخه هذا المزار فقال ناقلاً عن ابن الخطيب: وفي محراب هذا المقام حجر قيل إن الخليل كان يجلس عليه، وفي الرواق القبلي الذي بباب الصحن حجر يقال إنه كان يحلب غنمه فيها. وقيل مقبرة فيها جماعة من العلماء الصالحين، انتهى قلت: وقد مرغت وجهي بالحجرين المذكورين مع التضرّع والخشوع والابتهال.

وزرت المقبرة المذكورة فوجدت من الأنس ما يزيد على البساتين الزاهرة، بحيث لا يشك من له أدنى فهم أن أهل القبور مغفور لهم، رحمهم الله رحمة واسعة، آمين. وفي تلك المقبرة قبرا أبي الوفا[1]، والشيخ عمر[2] العرضيين. وفي طريقنا هذا مررنا (١١٠ب) على قبر سيدي الشيخ محمد السفيري الحلبي[3] شارح البخاري.

[قرنبيا]

وشاهدنا عن شمالنا ونحن ذاهبون إلى المقام قرية قرنبيا. قال في التاريخ المذكور[4]: أصلها قرية الأنبياء إلا أن العامة حرفتها[5]. وحدثني الشيخ طه: أن المشهور عند أهالي هذه

---

(١) هو أبو الوفاء بن عمر بن عبدالوهاب بن إبراهيم العرضي الشافعي، ولد سنة ٩٩٣هـ ١٥٨٥/م، روى العلم عن والده، وكان مفتياً لحلب، وعلى غيره، وتصدر للإقراء مدة حياته في دار القرآن الحبشية المطل شباكها على الجامع الكبير بحلب، ألف كتباً عدة منها تاريخه لمدينته وسماه (معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب) وغيره، وتولى الإفتاء في حلب، ترجم له المحبي (خلاصة الأثر ج١ ص ١٤٨) وذكر نماذج من شعره. وينظر: الطباخ: أعلام النبلاء ج٧ ص ٢٠٨

(٢) هو والد سابقه، ولد في حلب سنة ٩٥٠ هـ/ ١٥٤٣، واخذ العلم على كبار مشايخها، والف عدداً من الكتب في التفسير والحديث الشريف والعقائد والتصوف، اهمها ،شرح الشفا في حديث المصطفى) في اربعة أسفار ضخمة، لازم دار القرآ ن الحبشيه مدة اربعين سنة، وتولى الإفتاء بحلب، وتوفي سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م. ترجم له المحبي (خلاصة الأثر ج٣ ص ٢١٥) والبغدادي (هدية العارفين ج١ ص ٧٩٦).

(٣) هو محمد بن عمر بن محمد السفيري الحلبي الشافعي، وقد تقدم.

(٤) ابن الشحنة ص ٧٤

(٥) قال ابن العديم (بغية الطلب ص ٧٧) واصفاً هذا المشهد ومن شرقي المدينة، بينها وبين النيرب مشهد قرنبيا على جبل صغير، قيل إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه، فعمره قسيم الدولة آق سنقر، ووقف عليه وقفاً».

الديار أن هذه اللفظة معناها: يا أسود أقبل، باللغة الفارسية، وهي من قول سيدنا إبراهيم الخليل حين دعا الطيور التي قال الله تعالى ﴿ ثم ادعهن يأتينك سعيا ﴾[1] والله أعلم.

[باب الأربعين]

وكان خروجنا إلى زيارة هذا المقام من باب الأربعين المسمى بباب المقام لأنه يخرج إلى مقام سيدنا إبراهيم، وقد عد ابن الشحنة باب الأربعين[2] من أبواب حلب، وقال إنه خرج منه أربعون ألفا فلم يعودوا فسمي بذلك. ونقل عن ابن الخطيب أنه لم يعد إليه سوى رجل واحد، فرأته امرأته من طاق وهو داخل، فقالت له: دبيران جئت؟ فقال: دبيران من[3] لم يجيء. وقيل: إنه كان في المسجد الذي هو داخله[4] أربعون من العباد، وقيل: أربعون محدثا، وقيل: كان به أربعون شريفاً، وإلى جانب أعلى المسجد (١١١أ) للأشراف مقبرة، انتهى. قلت: وقد وقفت على هذا المسجد ناوياً للاعتكاف زمناً قليلاً.

واعلم – أيها الواقف على هذه الرحلة – أني كتبت وقائع حلب وأنا بدمشق الشام ولا لي نية بالعود إلى حلب، فكل ما سطرته في مدح أهاليها فهو والله الذي ظهر لي منهم ببادي الرأي، والغريب – كما قيل – أعمى ولو كان بصيراً، ثم لما من الله بالعود إليها رأيت الأمر انعكس عكساً كلياً، ولولا الخشية مما قيل: مَنْ مدح أوذم كذب مرتين لأطلقت عنان القلم في ما ظهر لي. وقد أخبرني بعض من أختبرهم من أهالي حلب حيث قال يا شيخ لا تغتر[5] بأهل حلب! فإن هذه لهم عادة قديمة، إنهم[6] يكرمون الغريب ويوقرونه ما دام جديداً، فإذا استمر عندهم مدة ولو قليلة قلوه وملوه لغير سبب، وقد صح عندي هذا بعد

---

(١) من سورة البقرة آية ٢٦٠

(٢) في ب (الأربعون).

(٣) في ب لا توجد (من)

(٤) في ب (في داخله).

(٥) في ب (يمدح).

(٦) في ب لا توجد (إنهم).

رجعتي إلى حلب، فيا ليت أني لم أعد إليها لأبقى سالم الصدر، فإنا لله وإنا إليه راجعون - من ذا الذي ما ساء قط، من ذا الذي ترضى سجاياه كلها - على أني اختبرت أهل حلب بأن العالم متى ما تكبر عليهم ولم يسلم لهم استمروا على توقيره وتعظيمه (١١١ب). ومتى ما سلك معهم المسالك المحمودة، وسلم لهم، أو استعمل لين الجانب ومكارم الأخلاق، وأخذ معهم بهدي السلف العلماء قلوه وملوه وقاطعوه وهجروه، فهم عكس أهل دمشق الشام، نعوذ بالله من ردي الأحوال في الأخلاق والأعمال، آمين. وخرجنا من حلب يوم السبت الثالث عشر من شعبان[١] بين الصلاتين.

وممن خرج لوداعنا من أهل حلب سيدي الشيخ محمد الطرابلسي، وسيدي الشيخ طه الجبريني، وسيدي حسين الديري، وسيدي الشيخ عبدالقادر الديري، وسيدي عبدالكافي، والشيخ محمد العقاد، والسيد محمد الخاص السرميني، والشيخ حسن، والشيخ سليم. وأما الشيخ عبدالكريم الشراباتي والشيخ عبدالغني المقدسي فقد ودعانا في دار الحاج محمد. واستجاز الشيخ عبدالغني رواية الحديث فأجزته. وممن ودعنا من أكابرها الحاج إسماعيل آغا ميرو زاده[٢] وابن أخيه عبدالله آغا، وسيدي الحاج محمد وأولاده، وسيدي الكبير السيد طالب البصري الرفاعي[٣]، والسيد محمد الطرابلسي خرجوا لوداعنا مقدار فرسخ ونصف على ظهور الخيل. ولما فارقنا حلب المحروسة أذّن خلفنا السيد عبدالكافي.

---

(١) الموافق ٢١ ايلول (سبتمبر) سنة ١٧٤٤م.

(٢) في ب (مير زاده).

(٣) لم يشر إليه من قبل، وهو السيد طالب بن إسحاق بن طالب بن يعقوب بن شعبان بن محمد درويش بن حسن بن حسين بن يوسف عز الدين بن السيد رجب الكبير، من ذرية العارف بالله السيد أحمد الرفاعي، تولى نقابة أشراف البصرة بعد أن انحصرت بأسرته منذ قرون، وتوفي سنة ١١٧٥هـ ودفن في تربة جده محمد درويش المذكور. وهو جد السيد طالب باشا النقيب أول وزير داخلية في تاريخ العراق المعاصر. ينظر يوسف زاده علي بن سليمان: الدر المنضد في مناقب السيد أحمد وولده الممجد، القاهرة ١٣٢٤، ص ٨

[خان تومان]

وكانت مرحلتنا خان تومان، على ثلاثة فراسخ من حلب. وهو خان محكم رفيع. قيل: إن امرأة اسمها تومان بنته، وحوله ضيعة عامرة، وهو على كتف نهر حلب المسمى بقويق، نزلنا قبل المغرب. ومن رفقائنا الشيخ عبدالوهاب بن الشيخ حسين الموصلي الإمام بالجامع الجرجيسي. وكان إسماعيل آغا[١] - حفظه الله - أوصى بتعهدنا وإكرامنا في الطريق سيدي الحاج مصطفى ابن المرحوم بكداش الحلبي ثم الدمشقي.

[سرمين]

وتليها مرحلة سرمين،بوزن غسلين، وهي قرية كبيرة غير مسورة[٢]، يحيط بجوانبها أشجار الزيتون، وهو كثير في الغاية. وفيها يعمل الصابون، وفيها جامعان، دخلت أحدهما واعتكفت فيه نحو ساعة، وجمعت فيه بين الظهر والعصر جمع تقديم. وفيها منارة أخرى خارج القرية قدر غلوة سهم تدل على أن هناك جامعاً لكنه خرب واندرس. وأهلها يشربون ماء المطر يحفظونه[٣] (١١٢ب) في الآبار، وآبارهم لا ينبع منها ماء لبعد غوره جداً، حتى إني سمعت من يقول إنهم حفروا وأمعنوا في التعميق فلم يجدوا ماء.ومن مبالغتهم أن أهل سرمين أمعنوا في التعميق إلى قرن ثور الأرض، فنودوا: ما في هذه ماء فاتركوا الحفر![٤].

وهي قرية ليست[٥] مأنوسة ولا أهلها أهل أنس، والمسافة تسعة فراسخ. ورحلنا منها بعيد

---

(١) يريد إسماعيل آغا ابن ميرو وقد تقدم.

(٢) تقع سرمين إلى الجنوب الغربي من حلب، بمسافة ٥٠ كم عنها، ذكر ياقوت (معجم البلدان ج٣ ص ٢١٥) أنها بلدة مشهورة من اعمال حلب. وقد خربت البلدة القديمةمنذ عهد بعيد، شمس الدين سامي: قاموس الأعلام ج٤ ص ٢٥٥٤

(٣) في النسختين (يحففونه) والصواب ماأثبتناه.

(٤) وصف القزويني البرية الكائنة بين حلب والمعرة «برية معطشة اعز الاشياء عن أهلها الماء، ذكر أنهم حفروا ثلاثمائة ذراع لم ينبط لهم ماء، وليس لها إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار.. ومن العجب إقامة جمع من العقلاء بأرض هذا شأنها» (آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٤٨).

(٥) في أ كتب فوق (ليست) كلمة (غير).

الفجر، ولم نزل نمشي بين أشجار الزيتون نتفيأ ظلاله، ونحن ذاهبون خلاله مقدار خمس ساعات. ثم مشينا بين أشجار السنديان والبطم أربع ساعات فكأننا في بستان إلا أنا منذ فارقنا شجر الزيتون وقعنا في طريق وعر ضيق كثير الجنادل، لكننا لم نجد نصباً لاشتغالنا برؤية الأشجار والتفرج فيها.

[معرَّة النعمان]

فَدَخَلنا يوم الخامس عشر من الشهر معرّة النُعمان[1]، وهي بلدة غير مُسوَّرة، فيها أسواق، وحمَّام، وجامع كبير في أحسَن ما يكون من العِمارة، وله منارة رفيعة عجيبة حَسَنة البناء مُربعة، أضيفت إلى النُعمان بن بَشير الأنصاري[2] ــ رضي الله تعالى عنه [3] ــ فإنه تديرها فنسبت إليه صليت [4] فيه العصر، واعتكفت «١١٣أ» فيه نحو ساعة.

ويتَّصل بالبلد المذكور خان من أحسن الخانات[5] رفيع البناء، محكمة سطوحه، مغشيَّة بصفائح الرصاص، وفي وسطه قسْطل ماء لأبناء السبيل، وفي وسطه مسجد ذو قبَّة شاهقة مطلَّية أيضا بالرصاص، وله طاقات ورواقات في جميع دوره لأبناء السبيل، وله باب رفيعة[6] ملبَّسة بالحديد، مكتوب على طاقها في الحجر:

---

(١) وصف البلدانيون العرب المعرة بأنها «بليدة» وقالوا إنها كثيرة الماء والزيتون (القزويني: آثار البلاد واخبار العباد ص ٢٧٢). وُعدَّتْ بحسب التقسيمات العثمانية المبكرة في القرن العاشر للهجرة (ق١٦م) لواءا مستقلا من الوية إيالة حلب. وهي اليوم مركز قضاء في محافظة ادلب في سوريا.

(٢) هو الصحابي النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري، من أهل المدينة، ولاه معاوية بن ابي سفيان قضاء دمشق، ثم ولاه اليمن، فحمص ولكن انضمامه إلى عبدالله بن الزبير ادى إلى قتله سنة ٥٦٥/٦٨٤م. الطبري: تاريخ ج٢ ص٤٠١ وج٤ ص ٤٦٢، ٤٣٠ و ج٥ ص٥٣١، ٤٨١، ٣٥٩، ٣٢٩، ٣٢١، ١٣٣ ــ ٥٣٩ وج٧ ص٢٤٨، ٢٤٤، وابن الأثير: أسد الغابة ج٥ ص٢٢ وغير ذلك.

(٣) في ب لا توجد (تعالى)

(٤) في ب (وصليت).

(٥) سقطت من ب(أحسن الخانات)

(٦) في ب (رفيع البناء).

هذا ما بنى حامي الدفاتر الديوانية[1] السلطانية مراد جلبي

وهذه[2] البلدة وحشة كأهلها، وكان نزولنا عند قبر أبي العلاء المعرّي الشاعر المشهور.

[كتف العاصي]

وتليها مرحلة كتف العاصي، وهو نهر عذب الماء في غاية الصَّفاء، نزلنا شرقيه في مكان يسمَّى بالمحروقة، لأنه يحرق الجصْ ثمَّة. وقربنا رحى تدور على العاصي وناعورة خربة، وسمّي بالعاصي لأنه يجري على عكس الأنهار ولأنها[3] كلها تجري من الغرب نحو الشرق، وهو بالعكس، فكأنه عصاها ولم يوافقها، هذا هو المشهور في وجه التسمية، وأحسن من ذلك ما ذكره لي صاحبنا الحاج مصطفى بكداش أنه سمّي بالعاصي لأنه لا يفيض على وجه الأرض « ١١٣ ب » وإنما يخرج ماؤه بالتكلف ونصب آلة كالنواعير مثلا، فكأنه عصى فلم يخرج على وجه الأرض، قلت: ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: نهران مؤمنان، ونهران كافران، أما المؤمنان فالنيل والفرات، وأما الكافران فدجلة وجيحون[4]. قال الشُّراح: شبِّه النهران الأولان بالمؤمن لنفعهما كالمؤمن، والأخيران[5] بالكافر لعدم نفعهما، وإنما يخرج ماؤهما[6] بآلة كدالية وناعورة[7]، ثم رأيت العاصي في مرحلة الرستن يجري من الغرب إلى الشرق، فتحقق أن منبعه نحو الغرب، وإنما يرى في بعض الأماكن جريانه من الشرق نحو الغرب لتعوُّج مجاريه في بعض الأراضي، فيظن الرائي له أنه كذلك من منبعه

---

(١) في ب سقطت (الديوانية).

(٢) في ب (وهي).

(٣) في ب (انها).

(٤) أخرج أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نهران ظاهران، ونهران باطنان .. أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات (المسند، رقم الحديث ١٢٣١٢).

(٥) في ب (والآخران).

(٦) في ب سقطت (ماؤهما).

(٧) في ب (ناعور).

يجري على خلاف جريان الأنهار.

[خان شيخون]

وفي وسط هذه المرحلة مررنا على خان شيخون، بشين معجمة مكسورة، فمُثنّاة تحتية ساكنة، فخاء معجمة مضمومة، فواو ساكنة، فنون آخر الحروف، فدخلناه بعد طلوع الشمس بساعة ونصف.

وحول الخان قرية صغيرة(١) فأكرمنا كبيرها السيد يوسف ابن السيد علي، وصنع لنا مقلاة بيض «١١٤ أ» ومعها بطيخ أخضر وأصفر وعنب، فأكلنا، وبعد أن شربنا قهوة البن رحلنا منه إلى المحروقة المذكورة، والمسافة من المَعَرَّة إليها تسعة فراسخ.

وتليها مرحلة حَماه، ففي مسيرنا إليها كان العاصي وعليه النواعير، لها رُغاء [كـ] رغاء النوق المطافيل (٢) يثير صوتها الأشجان ويحرك الأحزان ويذكّر الأهل والأوطان، تغرف من ماء العاصي فتمتلىء العلب المربوطة في قوس الناعورة، وتصب في السَّواقي، لكن يخر من العلب ماء يقع في العاصي شبيهة بالدموع، ولقد أحسن من قال موريا في المقال:

وإني على نَفْسي لأجدَرُ بالبُكا

وقلتُ مُضمّنا مورياً:

ناحتْ على العاصي نَواعيرُ غَدَتْ	تَبكي عليه لِحُزنه وبلائه
سحَّت عليه بدمعِها أسَفاً ولا	مَنّاً عليه لأنه من مائه

فدخلنا حماة اليوم السادس عشر من الشهر المذكور(٣)، فإذا «١١٤ ب» هي من أعدل

---

(١) يظهر أن نشوء هذه القرية حدث في عهد قريب من زمن المؤلف، فقد سبق أن مر بالخان الرحالة محمد كبريت المدني المتوفّى سنة ١٠٧٠ هـ/ ١٦٥٩م، وذكر أن حول الخان ضيعتين بعيدتين عنه ولم ينوه بوجود قرية ما (رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي، بيروت ١٣٨٥، ص٢٠٥)، وذكر الغزي أن للقرية وجود قديم، وأنها كانت تعرف باسم (خالس).

(٢) المطافل، جمع المطفل: ذات الطفل من الإنس والوحش.

(٣) الموافق ٢٤ أيلول (سبتمبر) سنة ١٧٤٤م.

بلاد الإسلام وألطفها، كأنها جنة مزخرفة، يشقُّها العاصي نصفين، ولها عليه أربع قناطر، كل قنطرة على سبعة أواوين[1].

ونزلنا في الجانب الغربي، ودرت في أسواقه، وله سوق طويل جدا نحو ميل، وفيها أربعة عشر جامعا يخطب فيها، دخلت خمسة منها بنية الاعتكاف، وفي الجانب الغربي خان كبير وقفه الوزير أسعد باشا ابن إسماعيل باشا[2] والي دمشق الشام[3] المعروف بابن العظم لأبناء[4] السبيل مكتوب في بابه:

نور هذا الخـــان قـــد أشـــرق من ... نور ربي ليس تطفـــيــه العـــدا
دام وجــــه الحق من إنشـــائـه ... للورى مـــأوى فـــوفّى المقـــصـــدا
وبشـــرى ســـعـــده قـــد أرخـــوا ... أســـعـــد خـــان بمجـــد شـــيـــدا[5]

وفي هذا الخان ماء للسبيل مكتوبٌ على طاقه:

خليلي قفْ جنْب السـبـيل فـقـد ندا ... واشـرب بماء السلسـبـيل مـبـرّدا
وادْعُ لمن أنشـــأه دعـــوة صـــالح ... بـدوام مـلـك لايـزال مـــؤبـداً

(١) وهذه القناطر هي: جسر السريا المسمى قديما المراكب، وجسر بيت الشيخ المسمى قديما جسر الأفضل، وجسر باب الجسر وهو المعروف قديما بالجسر الكبير، وجسر المحمودية المسمى سابقا جسر باب النهر. احمد الصابوني: تاريخ حماة (حماة ١٣٣٢) ص ٩٧.

(٢) من أسرة العظم الذي تولت حكم دمشق بصفة وراثية في القرن الثاني عشر للهجرة (ق١٨م) وقد تولى هو حكم حماة، ثم أقام واليا بدمشق أربعة عشر عاما متوالية (١١٥٦ ـ ١١٧٠م) فكان أطول ولاة أسرته حكما. عرف باهتمامه الشديد ببناء القصور والمنشآت العامة، ومنها هذا الخان. انظر في ترجمته وأعماله أحمد البديري الحلاق: حوادث دمشق اليومية، القاهرة ١٩٥٩، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) في ب سقطت (الشام).

(٤) في ب (بناه لأبناء)

(٥) وحساب الشطر: أسعد ١٣٥، خان ٦٥١، بمجد ٤٩، شيدا ٣١٥، فالمجموع= ١١٥٠ هـ الموافق أولها ١ ايار (مايو) ١٧٣٧م.

«١١٥ أ»

بالسعد والأفراح قد أرَّخته فالأجْرُ يَبْقى والثَواب الأسعَد[1]

ولها قلعة كبيرة لم يبق منها إلا تلُّها[2]، وهو عالٍ يقرب من تل قلعة حلب، والمسافة خمسة فراسخ.

[الرَّسْتَن]

وتليها مرحلة الرَّستن، بوزن جعفر، ونزلنا في خان قريب منها، على كتف العاصي، وهو خان قديم في وسطه جامع له قبة. وهذه المرحلة ستة فراسخ. وفي هذه المرحلة شرعت في كتابة أسماء أهل بَدْر، فقد اشتهر في حلب والشام، وكذا الحرمين، أن حمل أسمائهم موجب للحفظ من العدو، وألَّف بعض العصريين، وهو السيد خليل[3] الشيخ عبد اللطيف المكتبي الشامي ثم المكي، رسالة فيهم[4]، وإن منَّ الله عليَّ بالعود إلى الوطن[5]، أؤلف فيهم رسالة أبين فيها المهاجري والأنصاري والأوسي من الخزرجي[6]، ومن استشهد ممن لم يستشهد.. ولحمل أسمائهم فائدة جليلة للحفظ من الأعداء، ذكر بعضهم أن من الأولياء مَنْ قد أعطوا الولاية ببركة أسمائهم، وأن كثيرا من المرضى سألوا «١١٥ ب» الله بهم في شفاء أسقامهم فشفوا من ذلك، وقال بعض العارفين: ما جعلت يدي على رأس مريض وتلوت أسماءهم بنية خالصة إلا شفاه الله تعالى، وإن يكن قد حضر أجله خفّف الله عنه،

---

(١) وحساب الشطر: فالأجر ٣٠٥، يبقى ١٢٢، والثواب ٥٤٦، الأسعد ١٦٧١، فالمجموع = ١١٤٠ الموافق أولها ١٩ آب (اغسطس) ١٧٢٧م.

(٢) وصف ابن جبير هذه القلعة أيام كانت عامرة بأنها «في ربوة في منطقة مستديرة قد تولى نحتها الزمان، وحصل بحصانتها من كل عدو الأمان».

(٣) في ب (خليل).

(٤) لم نقف على خبر هذه الرسالة.

(٥) في ب (وطني).

(٦) في ب (المهاجرين والأنصار والأوس من الخزرج).

وقال بعضهم: جرَّبت أسماءهم في الأمور المهمة، تلاوة وكتابة، فما رأيت أسرع منها إجابة.

وروي عن جعفر بن عبدالله[1] انه قال: أوصاني والدي بحب أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم، والتوسل بأهل بدر في جميع المهمات، وقال: إن الدُعاء عند ذكرهم يستجاب، وإن الرحمة والبركة والغفران والرضى والرضوان[2] تحيط بالعبد إذا ذكرهم، وقال عند الدعاء بأسمائهم، وإن ذكرهم كل يوم وسأل الله تعالى حاجة قضيت له، لكن ينبغي في قضاء مُهم أن يترضى على كل واحد عند ذكر اسمه، ويقول: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهكذا إلى آخرهم، فإنه أنجح للإجابة.

وذكر عن «١١٦ أ» زيد بن عقيل ــ رحمه الله ــ قال: قد انقطعت طريق في أرض المغرب في بعض السنين من سباع ضارية، وانقطعت طريق أخرى من لصوص، فما كان احد يخطر من تلك الطرق إلا هلك ولو كان في عدد عديد، وقد ضاعت في تلك الطرق أموال وانفس كثيرة. وإذا ورد علينا أحد من تلك الطرق ومعه تجارة عظيمة وليس معه احد غير عبده، وهو يحرك شفتيه كالذي يتلو بعض الأسماء، فاستغربنا ذلك وتلقيناه، وقلنا: إن لهذا الرجل شأنا عظيما، ونظرنا خلفه فلم نر معه سوى عبده، فقال له والدي: سبحان الله! كيف سلمت بتجارتك وانت وحدك وهذه الطريق مقطوعة منذ سنين من اللصوص والسباع؟ فقال: أما يكفيك أني دخلت هذه الطريق بجيش دخل به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولقي به أعداءه ونصَره الله، وقال له والدي: وأي جيش أدركته من أصحاب

---

(١) في ب (جعفر رضي الله عنه) والغالب أنه جعفر بن عبدالله بن عثمان القرشي، أحد رواة السيرة النبوية الشريفة. ينظر الطبري : تاريخ ج٢ ص٣٠٤.

(٢) في ب (الرضوض)

رسول الله تعالى فقال : أدركت أصحاب بدر، وأدخلتهم معي في هذه الطريق المخوفة[١] فما أخاف لصا ولا سبعا «١١٦ ب»، فقال له والدي: سألتك بالله ان تكشف لي عن قضيتك، فقال: اعلم ـ يرحمك الله ـ أني كنت أمير قوم لصوص نقطع الطرق ولا تمر بنا قافلة إلا نهبناها، ولا تجارة إلا أخذناها، فبينما نحن في ليلة من الليالي إذ جاءت إلينا جواسيسنا وأخبرونا أن فلانا التاجر خرج بتجارة عظيمة وليس معه إلا خمسة عشر رجلا، فلما سمعنا ذلك حملنا عليهم، فقتلنا من أتباعه عشرة رجال، ثم أقبل علينا التاجر وقال: يا هؤلاء! ما حاجتكم، وما تريدون؟ فقلنا: نريد أن نأخذ هذه التجارة فانج بمن بقي من أصحابك قبل أن يحل بكم ما حل بأصحابكم، فقال: وكيف تقدرون على ذلك ومعي أهل بدر؟ فقلنا: إنا لا نعرف بدراً ولا أصحابه، فقال: الله أكبر! ثم أخذ يتلو في أسماء لا نعرفها، فأخذنا الرعب عند تلاوتها، وانهزمنا، وخرجت علينا ريح شديدة، وسمعنا دكدكة وقعقعة سلاح واشتباك رماح، وقائلا يقول: استقبلوا أهل بدر بصبر جميل، فنظرت رجالا وأي رجال، كالعقبان على خيول تسبق الريح فأحاطوا «١١٧ أ» بنا، فحين عاينت ذلك بادرت إلى صاحب التجارة وقلت: أنا مستجير بالله وبك، فقال: تب إلى الله من هذه الفعال، فتبت على يديه، وقد قتل من أصحابي بعدةِ ما قتل من أصحابه، ثم أني لما أردت الانصراف سألته، فعلمني أسماء أهل بدر، ومنذ عرفتها لم أحتج إلى غفارة[٢] احد من الخلق، لا في البر ولا في البحر، وبها جئت من هذه الطريق كما رأيتني، فكل من رآني من لص أو سبع حاد عن طريقي ولله الحمد، فهذا سبب خروجي وحدي، وحكى بعضهم أنه خرج يريد الحج إلى بيت الله الحرام فكتب أسماء أهل بدر في قرطاس وجعلها

---

(١) في ب (في طريق المخوفة).

(٢) غفارة بمعنى حراسة، من غفر بمعنى حرس. قال دوزي إنها مصحفة من خفر، وهي تعني حرس وخفارة: حراسة، وخفير: حارس. (تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، بغداد ج٤ ص١٤٩ و ج٧ ص٤١٥).

في أسكف[1] الباب، وكان صاحب مال، فلما سافر جاءت اللصوص إلى داره ليأخذوا ما فيها، فلما صعدوا السطح سمعوا حديثا وقعقعة سلاح فرجعوا، ثم أتوا الليلة الثانية فسمعوا مثل ذلك، ثم مرة أخرى فسمعوا كذلك، فتعجبوا وانكفأوا حتى جاء الرجل من الحج فجاءه رأس اللصوص وقال له: سألتك بالله أن تخبرني ما صنعت في بيتك من التحفظات؟ قال: ما صنعت شيئا غير أني كتبت قوله تعالى ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾[2]. وكتبت أسماء أهل «١١٧ ب» بدر بأسرهم، فهذا ما جعلت في داري، فقال ذلك اللص: كفاني ذلك فائدة.

وأخبر بعض من ركب البحر مسافرا إلى مدينة سبتة في سفينة كبيرة وكان فيها خلق كثير، قال: هاج بنا البحر، واشتدت الريح، وعظمت الأمواج، حتى أشرفنا على الغرق، فكنا بين داع وباك ومتضرع، فقال بعض أصحابي: إن في السفينة رجلا مجذوبا فهل لك أن تذهب إليه وتسأله الدعاء؟ فذهبت إليه فاذا هو نائم، فقلت في نفسي: إلى هذا أرسلوني! لو كان لهذا المسكين عقل ما نام ونحن في هذه الحالة، فوكزته برجلي فأفاق وهو يدعو ويقول: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، فقلت له: يا عبدالله أما ترى ما نحن فيه! فسكت ولم يجبني، فكلمته ثانية، فقال: هاك خذ القرطاس فاجعله في مقدم السفينة وشوّفه إلى الريح من حيث تأتي، فأخذته وجعلته كما أمرني، فكشف عن بصري، فإذا برجال قد أخذوا بطرف السفينة وجروها إلى البر وركزوها في الرمل، وقد انكسر في تلك الليلة سفن كثيرة، فلما كان من الغد جاءتنا «١١٨ أ» ريح طيبة فأخرجنا السفينة من الرمل وسرنا، والذي كان مكتوبا في تلك الورقة اسماء أهل بدر، فصرنا نتلو في أسمائهم (حتى وصلنا مقصدنا)[3] سالمين

---

(١) الأسكف: خشبة الباب التي يوطأ عليها.

(٢) البقرة اية ٢٥٥.

(٣) ما بين قوسين مطموس في ب

رضوان الله عليهم أجمعين، وذكر لي بعضهم قال: كان لي ولد من أحب الخلق إلي، وكان ذا ديانة وتفقه، فقتله ابن الوزير ظلما وعدوانا، فلم يأخذ أحد بيدي، فجعلت أسأل الله تعالى بأسماء أهل بدر صباحا ومساء، وأستنجد بهم في أخذ ثأره حتى ضاق صدري وآيست من أخذ الثأر. فبينما أنا نائم ليلة من الليالي رأيت في النوم رجالا في هيئة سنية وحالة مرضية، وقائل يقول: هلّوا أهل بدر! فقدموا يتلو بعضهم إثر بعض، فقلت في نفسي: سبحان الله! هؤلاء أهل بدر الذين استنجدتهم في أخذ ثأر ولدي، والله لأتبعنهم، فجعلت أسير خلفهم إلى أن انتهوا إلى مكان مرتفع وجلس كل واحد منهم على كرسي من نور، ورأيت أقواما يدخلون عليهم ويشكون إليهم أحوالهم، فقلت في نفسي: مالي لا أشكو اليهم من قتل ولدي؟ فقدمت إليهم وأخبرتهم بقصتي[1] وأنه لم يأخذ أحد بيدي في ثأر ولدي، فقال واحدٌ منهم: لا حول «١١٨ ب» ولا قوة إلا بالله! ثم التفت إلى من كان معه وقال: أيكم يأتيني بخصم هذا المسكين؟ فذهب واحد منهم فلم يكن غير هنيهة وإذا به قد أقبل والغريم معه، فقال له: أنت الذي قتلت ابن هذا الرجل؟ قال :نعم! فقال له: وما حملك على قتله؟ قال: ظلما وعدوانا! فقال: اجلس إلى الارض، فجلس، ثم أعطاني خنجراً وقال: هذا غريمك اقتله كما قتل ولدك، فاخذته وذبحته، ثم انتبهت من نومي، فلما اصبح النهار سمعت صيحة عظيمة والناس يقولون: قد أصبح ابن الوزير ذبيحا في فراشه ولم يعرف قاتله، وذكر العسقلاني قال: أسِر ابن عم لي في بلاد المشركين، فطلب الروم في فدائه مالا عظيما، فلم يطق إعطاءه، فارسلت إليه بأسماء أهل بدر في قرطاس، وأوصيته بحفظهم والتوسل بهم، قال: فاطلقه الله تعالى من غير فداء فلما قدم إلينا سألناه عن ذلك، قال: لما وصلت إليَّ تلك الورقة التي فيها الأسماء ففعلت كما أمرتني، فاستشاموني فجعلوا يتبايعونني، وكان كل من يشتريني تصيبه مصيبة، فنقصت في الثمن حتى باعوني بسبعة دنانير، فما مضى على من اشتراني غير ثلاثة أيام حتى أصيب باعظم مصيبة، فأخذ يعذبني

(١) في ب (قضيتي).

بأنواع العذاب، ويقول لي: أنا لا أبيعك، بل اتقرب بقتلك للصليب، فما لبث إلا قليلا حتى (١١٩أ) رمحته[١] دابته فهشمت وجهه ومات من حينه، فأخذ ابنه يعذبني بأنواع العذاب، واشتهر خبري بين الناس، فجاءوا إليه وقالوا: أخرج هذا الأسير من بلدتنا، فابى إلا قتلي بالعذاب، فما شعروا إلا وجاءهم الخبر بأن سفينة الملك قد غرقت، وكان فيها ابن الملك وأموال كثيرة، فلما بلغ ذلك إلى الروم أتوا إلى الملك وأخبروه بسائر ما كان من أمري، وقالوا له: إن مكث هذا المسلم في أرضنا هلكنا ونحن لانشك أنه من أولاد الأنبياء، فأرسل إلي الملك فاطلقني وأعطاني مائة دينار وجهزني إلى بلادي، فهذا سبب فكاكي من الأسر والحمد لله على ذلك، وفضائلهم كثيرة، ومناقبهم شهيرة، نفعنا الله بحبهم وحشرنا معهم تحت لواء سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأسماؤهم على الصحيح ثلاثمائة وعشرة، لكن أنهاها ابن سيد الناس [٢] إلى ثلاثة وستين وثلاثمائة،وهذا على سبيل الاحتياط فنحن أيضا نعدها كذلك فإن من ذكره زائد هو على الصحابة[٣] نفعنا (١١٩ ب) الله تعالى [٤] بهم آمين[٥].

وهذه أسماؤهم:

محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

حرف الألف ١٠

---

(١) رمحته: رفسته.

(٢) هو محمد بن محمد اليعمري الإشبيلي المصري، المعروف بابن سيد الناس، محدث مؤرخ، توفي سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤م، ومؤلفه الذي ينقل منه المؤلف هو (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) في السيرة النبوية.

(٣) في ب هنا زيادة نصها (رضي الله عنهم أجمعين آمين آمين آمين).

(٤) سقطت (تعالى من ب

(٥) في ب زيادة هنا نصها (وجعلت علامة المهاجري كتابة هاء فوق اسمه بالحمرة، وعلامة الانصاري من الأوس سين بالحمرة فوق اسمه، وعلامة الأنصاري من الخزرج كتابة جيم فوق اسمه وعلامة الشهيد في الكل كتابة اسمه بالحمرة مع علامة).

أبي بن كعب. الأخنس الأسلمي. الأرقم بن أبي الأرقم، سعيد بن زيد، انيس بن قتادة، أنس مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. أوس بن ثابت، أوس بن خولى، إياس بن أوس. إياس بن البُكير.

حرف الباء ٧

البراءة بن معرور بُجير بن [أبي] بُجَيْر. بحاث بن ثعلبة. بسبسة بن عمرو. بشر بن البراء. بشير بن سعد. بلال بن رباح.

حرف التاء ٢

تميم مولى غنم بن السلم. تميم مولى خراش [بن الصمَّة]

حرف الثاء ١٠

ثابت بن أقرم[١]. ثابت بن ثَعْلبة. ثابت بن خالد. ثابت بن عمرو. ثابت بن هزل [بن عمرو] ثعلبة بن صخر. ثعلبة بن حاطب[٢]، ثعلبة بن عمرو. ثعلبة بن صخر. ثقف بن عمرو.

حرف الجيم٥

جابر بن عبدالله بن رئاب[٣]. جابر بن عبدالله بن عمرو. جبر بن عتيك، جبار بن صخر. جبر بن إياس.

حرف الحاء ٢٣

(١٢٠ أ) الحارث بن أنس [بن رافع بن امرىء القيس] الحارث بن أويس[٤] بن رافع. الحارث

---

(١) مطموسة في أ وفي ب (افرم) والصحيح ما اثبتناه كما في سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٣٦ والإصابة ج١ ص١٩٧.

(٢) مطموسة في أ وفي ب (خاطب) وما اثبتناه من سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٣٥.

(٣) في أ (رباب) وفي ب (مزياب) وما اثبتناه من سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٤٦.

(٤) أ (أويس) وفي ب (وايس) وما اثبتناه من سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٣٣.

بن أوس بن معاذ [بن النعمان]. الحارث بن حاطب، الحارث بن خزمة الخزرجي. الحارث بن خزمة الأوسي. الحارث بن [أوس] أبي خزمة. الحارث بن الصمَّة. الحارث بن عرفجة. الحارث بن قيس الأوسي. الحارث بن قيس الخزرجي. حارثة بن النعمان [الانصاري]. الحارث بن النعمان [بن أمية]. حاطب بن أبي بلتعة. الحارث بن حاطب بن عمرو. حبيب ابن الأسود. حرث بن زيد. الحصين بن الحارث. حمزة بن عبدالمطلب. حمزة بن الحُميّر.

حرف الخاء

خارجة بن زيد. خالد بن البُكيْر. خالد بن قيس. خباب بن الأرت. خباب مولى عتبة. خبيب بن أساف. خراش بن قتادة. خراش بن الصِّمة [بن عمرو]. خريم بن فاتك. خلاد بن رافع. خلاد بن سويد خلاد بن عمرو وخلاد بن قيس (١٢٠ ب). خُليد بن قيس. خليفة ابن عَدي، خنيس بن حذافة. خوّات بن جبير. خولي بن أبي خولي.

حرف الذال٢

ذكوان بن أبي عبيد. ذو الشمالين [عمير بن عبد عمرو].

حرف الراء ١٤

راشد بن المُعلى. رافع بن المعلى. رافع بن الحارث. رافع بن عنجدة. رافع بن مالك. رافع ابن يزيد. ربعي بن رافع. الربيع بن إياس. ربيعة بن أكثم. ربيعة بن ثعلبة. رفاعة بن الحارث. رفاعة بن رافع. رفاعة بن عمرو. رفاعة بن عبدالله.

حرف الزاي١٠

الزبير بن العوام. زياد بن السكن. زياد بن عمرو. زياد بن لبيد. زيد بن أسلم. زيد بن حارثة. زيد بن الخطاب. زيد بن المزين. زيد بن وديعة. زيد بن المعلى.

حرف السين ٢٠

سالم بن عُمَير. سالم مولى أبي حذيفة. السائب بن عثمان. سبرة بن فاتك. سُراقة بن

عمرو. سراقة بن كعب. سعد بن أبي وقاص. سعد بن خولة. سعد بن خيثمة. سعد بن زيد. سعيد بن زيد. سعد بن الربيع. سعد بن سعد [الساعدي] (١٢١ أ). سعد بن سهل. سعد بن عبادة. سعد بن عبيد. سعد بن عثمان. سعد بن معاذ. سعد بن حاطب. سفيان بن بشير. سلمة بن أسلم. سلمة بن ثابت. سلمة بن سلامة. سليط بن قيس. سليم بن الحارث. سُليم بن عمرو. سُليم بن قيس. سُليم بن ملحان. سماك بن سعد. سنان ابن صيفي. سنان بن أبي سنان. سُهيل بن حنيف. سهل بن رافع. سهل بن عتيك. سهل ابن قيس. سهيل بن وهب. سهيل بن رافع. سواد بن رزن. سواد بن غزية. سويبط بن [سعد] بن حرملة.

حرف الشين٣

شُجاع بن وَهَب. شَريك بن أنس. شماس بن عثمان.

حرف الصاد ٤

صبيح مولى العاص. صفوان بن وهب. صيفى بن سواد. صهيب بن سنان.

حرف الضاد٣

الضحَّاك بن حارثة. الضَّحاك بن عبد عمرو. ضمرة بن عمرو.

حرف الطاء٥

الطُّفيل بين الحارث. الطفيل بن مالك. الطفيل بن النعمان، طلحة بن عبدالله. طليب ابن عمير.

حرف العين ٩٣

عاصم بن ثابت. عاصم بن عدي. عاصم بن العكير. عاصم بن قيس. عاقل بن البكير. عامر بن ربيعة. عامر بن أمية. عامر بن البكير. عامر بن سعد. عامر بن سلمة. عامر بن فهير. عامر بن مخلد. عامر بن السكن. عباد بن بشر. عباد بن قيس. عبادة بن الصلت.

عبدالله بن ثعلبة. عبدالله بن جبير. عبدالله بن جحش. عبدالله بن الجد. عبدالله بن الحمير. عبدالله بن الربيع. عبدالله بن داود. عبدالله بن زيد. عبدالله بن سراقة. عبدالله ابن سلمة. عبدالله بن سهل. عبدالله بن سهيل. عبدالله بن شريك. عبدالله بن طارق. عبدالله بن عاص. عبدالله بن عبد مناف. عبدالله بن عرفطة. عبدالله بن عمرو. عبدالله ابن عمير. عبدالله بن قيس بن خلدة. عبدالله بن قيس بين صيفي. عبدالله بن كعب. عبدالله بن مخرمة. عبدالله بن مسعود. عبد الله بن مظعون. عبدالله بن النعمان. عبدالرحمن بن جبير. عبدالرحمن بن عوف. عبد ربه بن حق. عبدة بن الحسحاس. عبس ابن عامر. عائذ بن ماعص. عبيد الله بن أوس. عبيد بن التيهان. عبيد بن زيد. عبيد بن أبي عبيد. عبيدة بن الحارث. عتبان بن مالك (١٢٢أ) عتبة بن ربيعة. عتبة بن عبدالله. عتبة بن غزوان. عثمان بن عفان. عثمان بن مظعون، العجلان بن النعمان. عدي بن أبي الزغباء. عصمة بن الحصين، عصمة الأشجعي. عطية بن نويرة. عقبة بن عامر. عقبة بن عثمان. عقبة بن وهب الانصاري. عقبة بن وهب المهاجر. عكاشة بن محصن، علي بن أبي طالب. عمار بن ياسر. عمارة بن حزم. عمارة بن زياد. عمر بن الخطاب. عمرو بن إياس. عمرو بن الجموح. عمر بن الحارث المهاجر. عمرو بن الحارث الأنصاري. عمرو بن سراقة. عمرو بن أبي سرح. عمرو بن طلق. عمرو بين قيس. عمير بن معبد. عمرو بن معاذ. عمرو ابن ثعلبة. عمير بين حرام. عمير بن الحمام. عمير بن عامر. عمير بن عوف. عمير بن أبي وقاص. عوف بن الحارث. عويم بن ساعد. عياض بن زهير.

حرف الفاء ٣

الفاكه بن بشر. فروة بن عمرو(١)

---

(١) ذكر انهم ثلاثة ولم يثبت هنا غير اثنين.

حرف القاف ٦

قتادة بن النعمان. قدامة بن مظعون. قطبة بن عامر (١٢٢ب). قيس بن عمرو. قيس بن محضر. قيس بن مخلد.

حرف الكاف[١] ٢

كعب بن جمّاز. كعب بن زيد.

حرف اللام ١

لُبْدة بن قيس.

حرف الميم ٤٥

مالك بن أبي خولي. مالك بن الدخشم. مالك بن ربيعة. مالك بن رفاعة. مالك بن عمرو. مالك بن قدامة. مالك بن مسعود. مالك بن نميلة[٢] مبشر بن عبد المنذر. المجذر بن ذياد. محرز بن عامر. محرز بن نضلة. محمد بن مسلمة. مدلاج بن عمرو. مرثد بن أبي مرثد. مسطح بن أثاثة. مسعود بن أوس. مسعود بن خلدة. مسعود بن ربيعة. مسعود بن زيد. مسعود بن سعد [بن عامر]. مسعود بن سعد [بن قيس]. مصعب بن عمير. معاذ ابن جبل. معاذ بن الحارث. معاذ بن الصمَّة. معاذ بن عمرو. معاذ بن ماعص. معبد بن عباد. معبد بن قيس. معتب بن عبيد. معتب بن عوف. معتب بن قشير. معقل بن المنذر. معمر بن الحارث. معن بن زيد. معن بن عدي. معوذ بن الحارث. معوذ بن عمرو (١٢٣أ). المقداد بن الأسود. مليل بن وبرة. المنذر بن عمرو. المنذر بن قدامة. المنذر بن محمد. مهجع بن صالح.

(١) في أ (٤٥) وليس في ب أسماء الحروف ولا أعدادها، والصحيح (٢)

(٢) كذا ضبطه، ولم نتأكد منه.

حرف النون ١٠

نضر بن الحارث. النعمان بن الأعرج. النعمان بن سنان. النعمان بن عمرو. النعمان بن عبد عمرو. النعمان بن خرملة. النعمان بن عصر. النعمان بن مالك. نعيمان بن عمرو. نوفل بن عبدالله.

حرف الهاء٣

هانىء بن نبار. هبيل بن وبرة. هلال بن المعلى.

حرف الواو٥

وافد بن عبدالله. وديعة بن عمرو. ورقة بن إياس. وهب بن أبي سرح. وهب بن سعد.

حرف الياء ٦

يزيد بن الأخنس. يزيد بن الحارث. يزيد بن حرام. يزيد بن رقيش. يزيد بن السكن. يزيد بن المنذر.

الكنى ٣٢

أبو أيوب الأنصاري. أبو الأعور. أبو بكر الصديق. أبو حنة. ابو حبيب. أبو حذيفة. أبو حسن الأنصاري. أبو خارجة. أبو خلاد. أبو خزيمة. ابو داود. أبو دجانة. أبو سبرة. أبو سليط. أبو سلمة. أبو سنان (١٢٣ب) أبو شيخ. أبو صرمة. أبو ضياح. أبو طلحة. ابو عبيدة بن الجراح. أبو عقيل. أبو قتادة. أبو كبشة. أبو لبابة. أبو مخشن. أبو مرثد. أبو مسعود. أبو مليل. أبو الهيثم. أبو اليسر. رضوان الله عليهم أجمعين.

[حمص]

وتليها مرحلة حمص، وقبل وصولها مقدار حد الفوت. عدلنا عن يسارنا إلى زيارة سيف الله وأسده البطل الصنديد، سيدنا خالد بن الوليد[١] صاحب رسول الله صلى الله

(١) قال الهروي (الإشارات ص٨) وظاهر حمص قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه وعنده عياض بن غنم وقبر زوجة خالد بن الوليد وقبر ابنه عبدالرحمن وقبر عبدالله بن عمر بن الخطاب.

عليه وسلم، فقرأنا ما تيسر من القرآن، ودعونا لنا ولمحبينا.

ثم دخلنا حمص ضحى يوم الجمعة، الثامن عشر من الشهر المذكور، ونزلنا في الخان الذي عند بابها[١]، وهو خان كبير مشتمل على خانات، فاذا دخلت بابه رأيت صحنا كبيراً واسعا في أطرافه حُجر لأبناء السبيل، وعن يمين الصحن باب كبير فيه خان فيه أواوين وحُجر واصطبل، ومقابل الوجه باب كبير أيضا فيه أواوين وحجر أيضا، وجدول ماء صغير متشعب من العاصي، وعن يساره صحن طويل يشقه جدول من العاصي (١٢٤أ)، وعليه ناعورة صغيرة، وفيه مزار يقال إنه قبر مبارك بن عوف، وقيل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[٢].

وصلينا الجمعة في جامعها الكبير، وهو جامع كبير في صحنه بركة، وعواميد سمّاقيّة[٣] ملقاة مطروحة على الأرض، وأعلى المصلى مسقف بالخشب، وظاهر البناء يدل على أنه كان عقداً، فأُخبرت أن تيمور الخبيث هدمه[٤]. وعلى باب الجامع المذكور، من خارج كتابة فيها اسم الباني، وهو السلطان المالك الملك، المجاهد، المرابط، المؤيد، المنصور، أسد الدنيا والدين، ملك المسلمين أبو الفتح شيركوه بن محمد بن شيركوه[٥] ناصر أمير المؤمنين، في

---

(١) لعله الخان الذي نزل به الرحالة ابن جبير ووصفه بانه في ظاهر حمص، وسماه بخان السبيل، وقد وصف إبراهيم الخياري (المتوفى سنة ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢م) هذا الخان بقوله خان معد للمسافرين عجيب بناؤه (تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ج١ ص ١٨٢).

(٢) في رحلة الخياري ذكر أنه قبر عبدالرحمن بن عوف، مع أنه دفن في بقيع المدينة.

(٣) يريد بلون السماق، وهو نبات من فصيلة البطميات تستخدم بذوره دباغا، ولونها يميل إلى الحمرة بدرجات متفاوتة، والراجح بحسب هذا التشبيه أنها كانت من حجر الجرانيت.

(٤) حاصر تيمور لنك حمص في ٢٠ ربيع الآخر سنة ٨٠٣ هـ/ ٩ كانون الأول سنة ١٤٠٠م ثم فتحها صلحا. ينظر ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور (لاهور ١٨٦٨) ص ٢٠٠.

(٥) واضح أن السويدي نقل هذه الألقاب والكنى كما استطاع قراءتها على باب الجامع في حينه، والمعروف أنه شيركوه (الثاني) الملقب صلاح الدين بن القاهر محمد ناصر الدين بن ابي الحارث المنصور شيركوه (الاول) الملقب بأسد الدين بن شاذي (ولد سنة ٥٦٩ وتوفي سنة ٦٣٧ هـ)، وكان هذا شجاعا شهما مقداما يباشر=

شهر رجب سنة ثمان وتسعين وخمسمائة[1].

وصليت في هذا الجامع صلاة العصر بجماعة، ونويت الاعتكاف فيه أيضا. وفي داخل المصلى عواميد من الرخام في غاية الغلظ والطول، وهي سبعة عشر عامودا، طول الواحد نحو أربعين شبراً، ودوره قدر ما يحضن الإنسان ماداً يديه بمرة ونصف.

ودخلت جامعاً آخر، ونويت فيه الاعتكاف قدر ما يصح (١٢٤ب) الاعتكاف.

ومما منَّ الله به عليَّ أن زرت سيدنا أبا موسى الأشعري[2] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزرت قبر عمرو بن أمية الضمري[3]، [الذي][4] يزعم أهل حمص أنه الصحابي المشهور، وأنه كان ساعيا للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم أعرف صحة ذلك ولعله غير صحيح. نعم أرسله النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى النجاشي[5] فلعل مرادهم بكونه ساعيا ذلك، وسمعت كثيراً أن اهل حمص أكرم وأود وألطف من غيرهم.

[حسْيَة]

وتليها مرحلة حسْيَة، بحاء مهملة مفتوحة، ثم سين مهملة ساكنة، ثم مثناة تحتية

= الحرب بنفسه ومن اعماله انه بنى الأبراج على مخائض العاصي، ينظر سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ص٧١٣ وأبو شامة: ذيل الروضتين، ص ١٦٩ وابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص١٧٥ وأحمد بن إبراهيم الحنبلي: مناقب القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، بغداد ١٩٧٨، ص ٢٣١، ففيما نقله السويدي هنا إذن تداخل بين ألقاب الجد والحفيد.

(١) ويوافق أوله ٢٦ آذار (مارس) سنة ١٢٠٢م.

(٢) ذكر الهروي (الاشارات ص٧٩) أن قبر ابي موسى الأشعري في الثوئة من أرض الكوفة، وقيل بمكة.

(٣) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبدالله الضمري، صحابي عرف بشجاعة نادرة، ومات في المدينة المنورة سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م، ينظر ابن حجر: الإصابة، الترجمة ٧٦٧,٦ ولم يشر الهروي إلى هذا القبر المنسوب إليه في الإشارات.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) ينظر الطبري: تاريخ ج٢ ص ٣٤٣ و ٦٤٤ وخليفة بن خياط: تاريخ، بتحقيق أكرم العمري، النجف ١٩٦٧، ص ٣٩ و ٦٢.

مفتوحة، وآخر الحروف هاء تانيث، وهي قرية صغيرة لها خان كبير لأبناء السبيل[1]، فيه جامع يُخطَب فيه، وفيه بركة ماء كبيرة، وخارج القرية بركة أكثر من عشر في عشر. وُشرب أهل القرية من عين عذبة صافية، وحول القرية بساتين من سائر الأشجار، والمسافة تسعة فراسخ.

[شِمْسين]

ومررنا في طريقنا على شِمْسين، بوزن نِسْرين، وهي قلعة صغيرة[2].

[النَبْك]

وتليها مرحلة النَبْك[3]، بفتح النون وسكون المُوحَدة التحتية، (١٢٥أ) [و] في آخر الحروف كاف كقاف العرب، وهي قرية كبيرة، شربها من عين أعذب من الأولى، وحواليها بساتين كثيرة، وبظاهرها خان كبير لأبناء السبيل، وفي داخله خانان للشتاء، وفيه جامع خطبة. اعتكفت فيه نحو نصف ساعة، وجمعت بين الظهر والعصر فيه، والمسافة اثنا عشر فرسخا.

---

(١) هذا الخان لم يكن موجودا يوم زار محمد كبريت المدني (حسية) سنة ١٠٣٩ هـ/ ١٦٢٩م، ولم يكن الموضع يومها إلا وادياً فيه قلعة ومياه غزيرة (رحلة الشتاء والصيف ص ٣١٠)، ويظهر انه انشىء بعد هذا التاريخ بقليل، فقد سجل الخياري عند زيارته الناحية سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩م وجود خان عامر مشتمل على أماكن ينزلها المسافر (تحفة الأدباء ج١ ص١٨٠) وقد لبث بابا الخان مرثيين حتى بعد اندثاره، وتبعد حسية عن حمص باربعين كيلومترا.

(٢) بليدة من أعمال حمص. محمد بن أبي طالب الدمشقي، شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايبزك ١٩٢٣، ص ٣٠٢.

(٣) النبك، جمع نبكة، وهي التل. بلدة على جبل القلمون تبعد عن دمشق بمسافة ٨٠ كم، مر بها ابن جبير ووصفها بان بها ماء جاريا ومحرثاً متسعاً (رحلة ص ١٨٠).

[بُرَيْج]

ومررنا في طريقنا على بُرَيْج[1]، تصغير بُرْج. وهو قلعة صغيرة.

[قارَه]

وعلى قارَه، بخفيف الراء[2] وهي قرية فيها جامع خطبة.

[القُطَيِّفَه][3]

وتليها مرحلة القُطَيِّفَه، بتشديد الياء المكسورة، تصغير قَطيفه. نزلنا في الخان[4]، هو

---

(١) ذكرها ابن فضل الله العمري (التعريف بالمصطلح الشريف، بتحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٩٨٨، ص ٢٤٩) باسم (بريج العطش) وقال واصفا تكونها أنها كانت مقطع طريق وموضع خوف، فبنى به قاضي القضاة نجم الدين ابو العباس [أحمد بن صصري] التغلبي رحمه الله مسجدا وبركة، وأجرى الماء إلى البركة من ملك كان له هناك وقفه على هذا السبيل.

(٢) كتبت في النسختين بهاء مهملة. وضبطها القلقشندي (صبح الأعشى ج٤ ص١١٣) بقاف مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة وألف ثانية، وقال: هكذا هو مكتوب في التعريف وغيره وهو الجاري على الألسنة، ولكنه نقل عن تقويم البلدان ضبطها بهاء في الآخر بدل الألف الأخيرة، كما فعل المؤلف هنا. وصفها ابن جبير وذكر أن بها خاناً كبيراً كانه الحصن المشيد (رحلة ص٢١٠) وقال ياقوت (معجم البلدان ج٤ ص ٢٩٥) وقارة اسم قرية كبيرة على قارعة الطريق وهي المنزل الأول من حمص وما عداها من أعمال دمشق، وأهلها كلهم نصارى. وبها عيون جارية يزرعون منها وقد أصاب القرية خراب كبير حتى وصفها محمد كبريت (رحلة الشتاء والصيف ص ٢١٠) بانها قرية قد اشرفت على الدمار، وظلت كذلك عند زيارة الخياري بعد نصف قرن، فقال قد نعب غراب البين في جهاتها وانحائها.

(٣) كتبت في النسختين بهاء مهملة وفي ياقوت (معجم البلدان ج٤ ص٣٧٨) قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص، وكانت القطيفة تعد مفترقا بين طريقي دمشق ـ حلب، ودمشق ـ الرحبة (ابن فضل الله العمري: التعريف ص ٢٥٠) ووصفها محمد كبريت وصفا جميلا فقال (رحلة ص٢١٠) هي روضة غناء، وغيضة حسناء، كانما قطفت من فردوس الجنة. وهي تبعد عن دمشق بنحو ٤٠كم.

(٤) وصف محمد كبيرت (رحلة ص٢١٠) هذا الخان بانه للواردين وقاية وجنة، وهو الخان الذي لا يرى له عديل، ولا يدانيه في المحاسن مثيل. وفيه تكية للوافدين، وقال الخياري (تحفة الأدباء ج١ ص١٧٧) خان متسع الأكناف أتم الاتساع.

كبير واسع، وفي باطنه خان آخر فيه بركة ماء أكثر من عشر في عشر، وفيه أيضا خان آخر للشتاء، وفيه مراحيض يجري الماء إليها بسواقٍ فَيَسُوقُ النجاسات، وفي صحن المراحيض بركتا ماء جار، وفي الخان جامع كبير.

يخطب فيه، وله والجوامع المتقدمة منارات، صليت فيه، وجمعت بين الظهر والعصر جمع تقديم، ونويت الاعتكاف فيه.

وفي هذا الخان قلعة صغيرة وخانقاه يصنع فيها طعام للمسافرين، واليوم إنما يطعمون الظلمة، وللمتولي (١٢٥ب) بيت فوقاني ذو شبابيك تطل على البر والبساتين، مفرح في غاية حسن الموقع[١]، وقف جميع ذلك سنان باشا[٢] رحمه الله تعالى.

[دمشق]

وتليها مرحلة دمشق. دخلناها ضحى يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شعبان[٣]، والمسافة تسعة فراسخ.

ونزلنا في دار سيدنا ورفيقنا في الطريق الحاج مصطفى بكداش الحلبي ثم الدمشقي، وهو الذي أوصاه فينا في حلب إسماعيل آغا ميرو زاده[٤] فأكرمنا في الطريق غاية الإكرام، وأعزّنا فوق ما يرام منذ خرجنا من حلب إلى دمشق، فما أحوجنا إلى أكل وشرب في الطريق، بل إنه يطعمنا الأطعمة الفاخرة، وكلما وجد من المأكولات في المراحل اشتراه لنا، وأطعمنا إياه، وخدمنا بنفسه وولديه النجيبين السعيدين الأمجدين سيدي ذي المفاخر محمد شاكر، وسيدي ذي الطبع الباهر الأعز عبدالقادر، وبأخيه الأنجب الأكرم السعيد

---

(١) في ب (في غاية الحسن).

(٢) والي دمشق من سنة ٩٩٤ إلى ٩٩٧ هـ/ ١٥٨٥ ـ ١٥٨٨م، شغل منصب الصدارة العظمى في الدولة العثمانية وتولى ولايات عربية مختلفة ابرزها حلب ومصر، وله اعمال عسكرية مهمة في اليمن وتونس، كما اثرت عنه أعمال عمرانية كثيرة، منها ما يصفه المؤلف، توفي سنة ١٠٠٤ هـ/ ١٥٩٥.

(٣) الموافق ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٧٤٤م.

(٤) في نسخة ب: مير زاده.

سيدي محمد سعيد، فوالله الذي لا إله إلا هو، عالم السر والخفي، انهم خدمونا وأكرمونا، وأعزونا بحيث لو كانوا[1] أولادي لما حصل لي منهم ما حصل، باخلاق (١٢٦أ) رضية، وطباع سنية، ورقة ولين جانب، مع البشر وطلاقة الوجه، حتى إن الحاج مصطفى بكداش مع ـ جلالة قدره ـ بنفسه يركبني الدابة، وينزلني منها، وبنفسه يسقيني الماء وقهوة البن، وكل وقت وساعة يسالني عن حالي ويمْتَن، حيث وفقه الله لخدمتي، ولم نزل نحن ضيوفه منذ دخلنا الشام إلى أن توجه الحاج، كل ليلة يعشينا في بيته، وإذا خرجنا من داره، يشيعنا إلى آخر الزقاق، وهو يحمد الله على أن وفقه لاكرامنا، ويحث علينا، ويؤكد بالعود الليلة الآتية كل ليلة، هذا دأبه فما والله نسي هذه العادة، ولا ذهل عنها، حتى إنا انقطعنا ليلة من الليالي فتالم كثيراً، وعاتبنا معاتبة كثيرة، وقال: والله الدار داركم ونحن خدامكم، ووالله إنا نتأنس بكم، ونتشرف بقدومكم. فإذا رأى منا البطء، عيَّنَ ولديه النجيبين وأخاه السعيد يفتشون علينا، فوالله إني لااستطيع حصر أوصافه، ولا ضبط مكارمه والطافه، جعله الله وولديه وأخاه من سعداء الدارين بمحمد المصطفى سيد الكونين (١٢٦ب) والثقلين والفريقين، وجعل داره معمورة بالمسرات، مغمورة بالنعم والمبرات، وجزاه عنا خير الجزاء، وأسبغ عليه النعم والآلاء. وأما صاحبنا صالح أفندي دقوز زاده الموصلي[2] فإنا، منذ دخلنا دمشق إلى أن توجه الحاج، نبيت في داره، وفي بعض الأوقات نتعشى عنده، وكل ليلة من ليالي رمضان ندخل داره المعمورة بعد صلاة التراويح، ولم يزل يعللنا[3] ويسامرنا وينادمنا، ويذكر لنا أحوال الغربة، ويسلينا وينصحنا إلى أن ياتي وقت السحور، فيخرج لنا الألوان من الأطعمة الفاخرة، ونكرر فناجين قهوة البن إلى أن يقرب زمن نومنا، فيدخل إلى حرمه، وكل ليلة بل كل ساعة يقول: والله إن هذه السنة مباركة علينا، ولم يحصل لي

---

(١) في النسختين (كان).

(٢) لم يشر إليه فيما تقدم، مع تنويهه هنا بصحبته، ولم نقف له على ترجمة

(٣) تعلل، تعلولة، لفظة بغدادية عامية، بمعنى سهر الليل في أنس الصحبة.

سرور، [في] عمري قط، مثلما يحصل لي سرور بمحبتكم، وكل ليلة يعَيِّن لنا قريبه الشاب الصالح العابد الناسك الأواه[1]، سيدي الشيخ عبدالله، فيأتي نحو باب الجامع، ويؤكد علينا بالمجيء إلى الدار، حتى إنا إذا أبطأنا يتألم كثيراً ويعاتبنا، ويقول: والله، ثم والله! إني إذا لم أركم تنقبض نفسي، وتضيق (١٢٧أ) بي الدنيا، ولكم إذا جئتم عليَّ منة عظيمة، حيث إن الله وفقني لخدمتكم، وهو ــ حفظه الله ــ تغرب كثيراً، وجاب البلاد، فكل ليلة يسامرنا وينقل لنا الوقائع الغريبة، والحوادث العجيبة، حتى يمضي من الليل ثماني ساعات، ولم يزل هذا دأبنا ودأبه إلى أن خرج الحاج، حتى والله إني أعد بيته احسن من بيتي، وإكرامه أحسن من إكرام أولادي، فلم يزل يشهينا بالأطعمة الفاخرة حتى تأنست في بيته، بحيث إنا ننام بعد أن نصلي الفجر إلى أذان الظهر، كأننا في بيوتنا، متقيد علينا بكل ما نحتاجه حتى غسل ثيابنا، ويخدمنا بنفسه ما عدا خدمة ولده السعيد النجيب سيدي محمد آغا، أنشأه الله على الأخلاق الحميدة، والنعوت الجليلة السديدة، وجعله سعيدا ذا إقبال وافر، وسعد ظاهر زاهر، وأمد الله في حياة الجميع، وحصنهم بحصنه الحصين المنيع، فوالله لو انفقت عمري ما أستطيع مكافاته، بل ولا العشر منها، فالله تعالى يكافئه ويجازيه[2] ويعافيه، وكذلك أخو زوجته الشاب الصالح سيدي الشيخ عبدالله حفظه الله وأبقاه، فإنه ــ والله ــ خدمنا خدمة ما خدمني بها اولادي (١٢٧ب)، مع مودة ومحبة ولين جانب ورقة طبع، جعله الله من السعداء، ومنحه النعم الوافرة، وسوابغ الآلاء، آمين، وكتبت منها[3] عدة كتب، كتابين لولدي وأهلي، وكتابا لحسين بك، وكتابا إلى الحاج محمد هاشم، وكتابا للسيد يونس الأدهمي، وكتابا لعبدالله آغا ميرو زاده، وكتابا لأولاد عجمي

---

(١) الأواه، لغة، الكثير التاوه، واصطلاحا، صفة شاعت في القرون المتاخرة، تطلق على الصوفية غالبا، ويراد بها الرجل الذي تتحسر نفسه عن الدنيا، فيتأوه مخافة الآخرة.

(٢) في ب (يجزيه).

(٣) أي: كتب من دمشق.

زاده، لكني ما قيدتها في المسردة لضيق الوقت، مع أن غالبها مشحون بالسجع البليغ، والنظم الحسن.

وكتبت كتابا إلى حلب لسيدي، الشيخ محمد الطرابلسي، وصورته: تحيات دلت بالمطابقة على الاتحاد، وتضمنت وجوب مراعاة الوداد، تلازمها أشواق كلية الإيجاب، سالبة الذهول عن ادِّكار[1] الأحباب، لا يقاس عليها إذ لم يقارنها في المحاكاة قياس اقتراني، ولا يشذ فذ عنها لشمولها، فأين القياس الاستثنائي، تقدم بين يدي مصدر[2] الأفعال الصحيحة السالمة عن الإعلال، المجردة عن نقص الجهل، فهو المرفوع على منصة التميز في كل حال، نصب نفسه للإفادة، فانخفضت بالإضافة إليه وقائع (١٢٨أ) الأحوال، العالم الذي جمع علماء العصر تحت لوائه، والفاضل الذي اهتدت الفضلاء بنور تحقيقه وضيائه، فلو أدرك عصر التفتازاني، والشريف السيد الجرجاني، لما شاع ذكرهما في الأقطار، بل كان هو الحري دونهما بالاشتهار، ينشدنا لسان حاله وهو الصادق، وإن كان لسان مقاله ليس بناطق:

علامة الدنيا على الإطلاق، وفهامة ما تحت الخضراء بالاتفاق، علامة العلماء، واللج الذي لا ينتهي، ولكل لج ساحل، شيخنا العلم المفرد، والجهبذ الأوحد، الشيخ الجليل السيد محمد، لازالت أظلة رفادته على الطالبين، وريفة، وأعلام تقريراته شامخة سامية منيفة، أما بعد فيا أيها العالم الذي لا يجارى، والحبْر الذي لا يناوى ولا يمارى، إن الأشواق زفيرها، تأجج، وسعيرها تضرم وتوهج، لم تالف جنوبي المضاجع، منذ (١٢٧ب) نفدت من عيوني المدامع، شوقا إلى تلك الربوع الزاهرة، ونزوعا إلى تلك المغاني التي هي بالمسرات والافراح مغمورة عامرة.

فلله درها من بلدة لا عيب فيها سوى أن الغريب ينسى أوطانه، ولا وصم فيها سوى أن

---

(١) في ب (اذكار).

(٢) في ب (المصدر).

الحزين يسلو أحزانه وأشجانه.

طالما جررت بها ذيول الأفراح، وطردت بنزهتها جيش[1] الأتراح، وكانت عين الزمان عنا عمياء، فلم نخش رقيبا، وكان العيش غضا صافيا، ودهرنا مطيعا مجيبا، فبددت شملنا غدرات الزمان، وأبانتنا عنها خطوب الحدثان[2]، فاليوم لا نشاهدها إلاّ بعيون الخيال، ونسوّف بالعود إليها،(١٢٨أ) وهو محال.

فأبانَنا عنها الزمَان بِسُرعةٍ وَغَدت تُعلّلنا بها [الأيام][3]

إلى الله أشكو من دهر إذا أساء أصر على إساءته، وإذا أنعم ندم عليه من ساعته.

ولماغلب الوجد عليَّ، أنشدت ما حضر لديَّ، لكن لضيق المقام، لم يبلغ التمام.

دار بها الدين والإسلام مشتهر والعلم فسطاطه في ربعها نصبا

فيا له جامعا[4] تمحى الذنوب به فضلاً ويعفى عن الإنسان ما اكتسبا

والمأمول من الشيخ الجليل تبليغ الأدعية المستجابة، والأثنية المستطابة، حضرات مشايخنا الكرام، وأساتيذنا الفخام، أفراد الدهر، وأفذاذ العصر[5]، ذوي التحقيق، والنظر الدقيق، العلماء العاملين، والنسّاك العارفين، بحور الفنون الزاخرة، (١٢٩أ) وشموس العلوم الزاهرة، شيخنا الشيخ علي أفندي المفتي، وأخويه الشيخ عثمان والشيخ يوسف، والشيخ طه الجبريني، والشيخ عبدالكريم الشراباتي وأولاده، والشيخ السيد حسين الديري، وأخيه وابنه، والشيخ محمد الزّمار، والشيخ السيد عبد الكافي، والشيخ السيد عبد السلام الحريري، والشيخ عبدالقادر الدَيْري، والشيخ قاسم البَكْرَجي، والشيخ[6] السيد علي

---

(١) في ب (جيُوش).

(٢) الحدثان: الدهر.

(٣) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

(٤) في ب (يا سادة بالنوى).

(٥) في ب (افراد العصر، وافذاذ الدهر).

(٦) ليست في ب.

العطّار، والشيخ الصالح الشيخ محمد المواهبي القادري، والشيخ عبدالغني المقدسي، والشيخ فتيان، والسيد محمد قزيزان، والشيخ محمود الكردي، وسيدنا النجيب السعيد مخدومنا ولدكم السيد مصطفى، بلغه الله منازل أجداده الشرفا. ثم إني ذكرت نبذة مما حدث في دمشق، وجاءني من حلب، من السيد محمد الطرابلسي كتاب صورته: أربت قضايا تحيات، موجبة لدوام المحبة، غير منحرفة عن قانون الصداقة والصحبة، أحكمت دلائلها فلا يعتريها نقص ولا إبطال، ولا يحوم حول حماها قلب دليل ولا نقص إعلال، أسوار إخلاصها «١٢٩ب» موجبات [١] كلية، وإشكال اختصاصها مبرهنة بالدلالة العقلية، أحاط بها محدد الاتحاد بميله المستدير على شكل[٢] الوداد، المركب من الهيولى القلبية، والصور الجسمية والنوعية، المتحركة دواعيها بالحركة الكمية، زيادة لاذبولا، الآخذة بمجامع القلب مكاناً طبيعيا، فزاد الجسم نحولا، أدارت دواعيها بالميل الطبيعي على الدوام، فلا يعتريها خلل ولا انخرام، مبرهن على ذلك بأقيسة اقترانية، مقدماتها صدق المقال وإخلاص الطوية، غير أنه على إحكام أشواقها لا يقاس، لأنها مخصوصة تحاشت عما به الالتباس، فلذا حق لها أن ترفعها يد الابتداء إلى منصات[٣] نصبتها يد الحال للتمييز والاهتداء، كي تجر منها بإضافة الرد إلى فاضل ليس له ند، مخصوص بكنه علم لا يحد، ومزايا نكات لاتعد، تُعجِز الكاتب أوصافه، ويناديه بالعجز إنصافه. لا يدرك الواصف المطري خصائصه. فعند ذلك يرفع راحة الآمال، إلى الله الملك المُتعال، (١٣٠أ)بأن يبقيه ماجداً يثبت المسائل بالدلائل، ويكبح المعترض ويجيب السائل، ويسفر عن وجوه الإعجاز بيد تحريره، ويوشّح صفائح البيان ببنان تقريره، مكالمته، تغني اللبيب عن المغني[٤]، وإعلالاته تكيد

---

(١) في ب (موجبة).

(٢) في ب (أشكال).

(٣) في ب (منصبات).

(٤) إشارة إلى كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) في النحو، لابن هشام.

المكودي[1]، وتلطش[2] ابن جني[3] لو سمع تقريره سيبويه[4] لعض بالنواجذ عليه، ولو عاصره السعد[5] والجرجاني[6] لكان الأول وأحدهما الثاني، فلله دره كم نثر في الشهباء دراً، ونظم عقود علوم صارت له ذخرا، وأنعم الأذان فضلا، وأزال بقدومه عن أهلها جهلا، وبين أن في الزوايا خبايا، وأظهر أن الفضل من أعظم العطايا امد الله ظلال حياته، وامدنا بوافر بركاته، كما أنه أنعم بذلك البرد [7] المحبر، بل العقد المجوهر، الذي سمطه[8] سحرالبيان، ودره على غاية الإتقان، فحق له أن يقلد به الأعناق، ويقع على تفرده الاتفاق، فعرض به العبد في المواكب، وهز من طرب به المناكب، وبلغ كل ندب[9] منه سلامه، واستحسن كل أديب نظامه، وكل واحد منهم على انفراده يخص المولى بأنواع التحية البهية، رأجناس الأدعية المرضية، خصوصا الفاضل الكامل، زين (١٣٠ب) الدروس والمحافل، جناب أخينا المكرم الشيخ طه، فإنه مقيم على وده، حالتي قربه وبعده، غير أني فهمت منه نوع عتاب، بعدم تخصيصه بكتاب، وهو واصل إليكم فاعتذر بالذي تراه عذراً،

---

(١) إشارة إلى عبدالرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي المالكي، المتوفى سنة ٨٠٧هـ/١٤٥٥م، من كبار علماء النحو والصرف واللغة. ومن أعماله (شرح الفية ابن مالك) و (التعريف في التصريف). السخاوي: الضوء اللامع ج٤ ص ٩٧ و كحالة: معجم المؤلفين ج٥ ص ١٥٦.

(٢) لطش: ضرب

(٣) عثمان بن جني الموصلي، من علماء العربية النابهين، له (سر الصناعة وأسرار البلاغة) و (شرح ديوان المتنبي) و (شرح كتاب القوافي للاخفش) و غير ذاك، توفي سنة ٣٩٢ هـ/ ١٠٠١م. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١١ ص٣١١.

(٤) عمرو بن عثمان سيبويه، نحوي شهير توفي سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦م.

(٥) يريد سعد الدين التفتازاني وقد تقدم التعريف به.

(٦) يريد السيد الشريف الجرجاني وقد تقدم التعريف به.

(٧) البرد: الثوب المخطط.

(٨) في ب (سخطه) والسمط هو الخيط ما دام اللؤلؤ منتظما فيه.

(٩) الندب هنا: السريع إلى الفضائل.

وإن لم تكف هذه الفتنة منا نعقبها بأخرى، وقد حضر تسطيره فخر الأماجد، حاوي المحامد، الجناب المكرم، والأعز المحترم، حضرة حمزة آغا[1] محصل حلب، يبلغكم جزيل السلام، وكذا حضره فخر الأماثل علي آغا، وأخواه المحترمان المكرمان حضرة أحمد آغا المكرَّم وخليل أفندي المحترم، يبلغونكم أنواع التحية، وكذلك السيد محمد آغا الصادقي، يعرض لديكم أنواع السلام، وجناب زين الأفاضل محمد آغا زاده، يخصكم بجميل الدعاء وجزيل السلام. وممَّن زارنا الشيخ العالم الصالح الشيخ حيدر بن محمد الكُرْدي الصوراني[2]. وممَّن زارنا الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبدالقادر المعروف بابن قَزَّازة الحلبي ثم الدمشقي.

[زيارة المراقد]

وزرت سيدي نبي الله يحيى بن سيدنا زكريا[3]، على نبينا وعليهما وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام. وزرت أيضا أم المؤمنين أم حبيبة رضوان الله عنها[4] (١٣١أ) وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها[5]، وسيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[6]، وسيدنا

---

(١) هو حمزة آغا بن طعمة البغدادي وقد تقدم.

(٢) من الواضح انه أحد علماء الأسرة الحيدرية التي اشتهرت بالعلم والفضل في العراق في القرون المتأخرة، واتخذت من قرية (ماوران) قرب مدينة أربيل مركزا لنشاطاتها العلمية حيث كان يقصدهم طلبة العلم من كل حدب وصوب، ولكونه كان يعيش في دمشق فقد سكتت المصادرالعراقية عن الترجمة له، والصوراني نسبة إلى صوران (سهران)، اسم إمارة في نواحي بلاد الكرد مركزها مدينة رواندوز.

(٣) سبق ان اشار المؤلف إلى أنه زار قبر يحيى عليه السلام في حلب، والمشهور أن الذي في الجامع الاموي بدمشق هو رأسه، فقط. ينظر الهروي: الزيارات ص١٥.

(٤) هي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، ينظر: سيرة ابن هشام ج٣ ص ٣٢٣، وذكر الهروي (الإشارات ص١٣) إن مما تضمه دمشق ثلاثاً من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه استدرك في ص ١٤ فقال «وأزواج النبي عليه السلام كلهم ... في المدينة» ومثله في معجم البلدان ج٢ ص ٤٦٨.

(٥) هي أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية سيرة ابن هشام ج٤ ص٣٢٢

(٦) يقع في مقبرة الباب الصغير.

بلال بن رَباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١)، وسيدنا محمد بن محمد البارزمي، وسيدنا عبدالله بن زين العابدين(٢)، وسيدنا أويس بن أويس الصحابي(٣)، وسيدتنا أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما(٤)، وسيدنا الملك العادل نور الدين الشهيد(٥)، وسيدنا عبدالملك بن زيْد التغلبي الدولعي(٦).

وممن صاحبنا وأكرمنا وأعزنا السيد السند الحسيب النسيب، ذو النسب الشامخ، والحسب الباذخ، فرع الشجرة الهاشمية، وغصن الدوحة الفاطمية، السيد أحمد العطار ابن

---

(١) توفي الصحابي بلال بن رباح في دمشق سنة ٢٠ هـ/ ٦٤١م. وفي الهروي ص ١٣ انه «قبلي الباب الصغير قبر بلال بن حمامة» وكذا في معجم البلدان.

(٢) في الإشارات ص ١٥ ومعجم البلدان ج٢ ص ٤٧٩: وبالجامع من شرقيه، مشهد الحسين وزين العابدين رضي الله عنهما.

(٣) في الإشارات ص ١٣ ومعجم البلدان ج٢ ص ٤٧٩: قبر أوس بن أوس الثقفي.

(٤) لا إشارة إليه في المصادر المتقدمة، وقد توفيت أسماء بنت أبي بكر الصديق في مكة وفيها دفنت ينظر طبقات ابن سعد ج٨ ص ١٨٢ ومصادر ترجمتها الأخرى.

(٥) هو الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، من أشهر ملوك الإسلام، وأكثرهم بأسا وعدلا، ولد في حلب سنة ٥١١هـ/ ٥٦٩هـ، وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه، ثم وسع سلطانه فضم إليه معظم بلاد الشام والموصل وديار بكر ومصر وبعض بلاد المغرب واليمن، وحارب الصليبيين الذين كانوا يحتلون الساحل السوري، ومهد بتوحيده الأمة لظهور صلاح الدين الأيوبي، عرف ببنائه المدارس ودور الحديث والخانات، ومنها المدرسة النورية التي نسبت إليه، وفيها كان مدفنه سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م. ينظر الزركلي: الأعلام ج٨ ص٤٦.

(٦) كذا في النسختين: وفي مصادر ترجمته: الثعلبي، والدولعي نسبة إلى قرية بجوار الموصل تسمى (الدولعية) وهو ضياء الدين عبدالملك بن زيد بن ياسين، تفقه في بغداد وسمع الحديث، ثم قدم دمشق فولي بها الخطابة وتدريس المدرسة الغزالية، وفيها توفي سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م، ينظر سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ص٥١١ والسبكي: طبقات الشافعية ج٤ ص٢٦١ وابن كثير: البداية والنهاية ج١٣ ص٣٢.

السيد مصطفى المعروف بابن نقطة[١]، المتصل نسبه إلى إدريس الأصغر المغربي ابن إدريس الأكبر، فهو ـ حفظه الله ـ رقيق الحاشية، لين الجانب، أخلاقه عنبرية، وألفاظه درية، ما دمنا في دمشق نجلس في دُكَّانه، فيفيدنا من إحسانه، له ظرافة ولطافة وعفة نفس وشمائل رضية[٢]، وسمات سمية، وله مزاح ومداعبة ومباسطة ومطايبة، جعله الله سعيداً في الدنيا والآخرة.

وممَّن دعانا في رمضان إلى (١٣١ب) الضيافة في بيته السيد الجليل السيد محمد ابن السيد محمد ابن السيد يحيى ابن نقطة عم السيد أحمد العطار، فصنع لنا ضيافة حسنة ذات ألوان من الأطعمة، جزاه الله خيراً.

وممن دعانا في رمضان إلى الضيافة في بيته الحاج عثمان الكرجي[٣] مولى الحاج يونس اللاز الموصلي ثم البغدادي جزاه الله خيرا. وممن دعانا في رمضان إلى بيته الشيخ محمود الدركزيني[٤] جزاه الله خيراً. وممَّن دعانا في رمضان إلى بيته الشيخ محمد إبراهيم ابن شيخ مشايخنا الشيخ عبدالله العجلوني العمري[٥]، جزاه الله خيراً.

واجتمعنا في مسيرنا من حلب بالعالم الفاضل الملا أحمد اللزك الداغستاني قاضي اللزك[٦]، وطلب مني أن أقره في شرح هداية الحكمة للقاضي حسين، فاعتذرت بضيق

(١) ترجم المرادي لبعض رجال أسرته، وهو أحمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن نقطة، ولقبه أيضا بابن المغرفة، وذكر انه كان مقاطع جي الخزينة وكاتبها، وأنه توفي سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م (سلك الدرر ج١ ص ١٠٨) وسيترجم المؤلف فيما يلي إلى عم له، هو محمد بن محمد بن يحيى، فيظهر ان اباه مصطفى هو ابن محمد بن يحيى المذكور.

(٢) في ب (مرضية).

(٣) لم نقف على ضبطها، إذ لم تضبط في النسختين، ولم نقف له على ترجمة.

(٤) نسبة إلى دركزين، قرية من أعمال همذان، وثمة قرية باسمها من قرى السليمانية في شمالي العراق.

(٥) توفي عبدالله، وكان عالما مصنفا سنة ١١١٢ هـ/ ١٧٠٠م كحالة: معجم المؤلفين ج٦ ص٥٦.

(٦) اللزك: من شعوب قفقاسيا، أصلهم من منطقة داغستان، ولكنهم يتفرقون في أقاليم شتى من شروان وكرجستان وقوبان، وهم يتكلمون العربية والتركية، سامي: قاموس الأعلام ج٦ ص ٣٩٩٠.

الوقت وتشوش[1] البال. واجتمعت مرارا بخليل المجذوب، وهو مسلوب العقل، فتارة يضحك، وتارة يغني، وتارة يشتم، وتارة يمدح، غير مضبوط الحال، وسألناه الدعاء، ولأهل دمشق فيه اعتقاد كثير.

وممن اجتمعنا به في دمشق الشام مرارا عديدة في دار صالح أفندي الموصلي (١٣٢أ) سيدنا تاج الدين ابن العالم الفاضل أبي الغيث الشيخ عبد الرحمن المؤقت والمدرس والخطيب في المسجد النبوي، أخذ الحديث عن الشيخ أبي الحسن السندي، والعربية والمعقول عن الشيخ سليمان المغربي المالكي، وعن الشيخ محمد بن عبدالله المغربي المالكي، وعن الملا شريف البرزنجي وغيرهم.

وكتبت منها إلى حلب كتابا لإسماعيل آغا ميرو زاده، وصورته: دعاء تضمنت مبانيه الاستطابة، واحتوت معانيه على الاستجابة، بسطت له راحات التضرع والابتهال، إلى اللطيف ذي العظمة والجلال، بان يديم حضرة الأمجد الذي لا تقرع صفاته ولا تضبط، وإن أسهب الواصف صفاته. ذا المجد المؤثل، والحسب المعنعن المسلسل، عين إنسان هذا الدهر، وإنسان عين أعيان العصر، حائز المفاخر والمآثر، وارث المكارم كابراً عن كابر، ولا بدع في اتصافه بمحاسن الأخلاق، ولا غرابة في اتسامه بما ملأ الآفاق، وضاق عنه النطاق، وتحلت به الأوراق، لأنه من قوم امتطوا غارب المجد وسنامه، وعلوا هضاب الفضل وآكامه، (١٣١ب) طابوا محتداً، وزكوا مولداً، فلا أحد في هذا العصر يدانيهم، ولا في المفاخر يناويهم، ولذا نظمت فيهم، وإن لم أبلغ معشار ظاهرهم وخافيهم. ألا وإن عقدهم الفريد، وعين قلادة الدر النفيس، السيد الجليل، والأمجد النبيل، أبا المعالي ابن ميرو إسماعيل، لا زال الإقبال ثاويا ببابه، ولا برح السعد مقيما في رحابه، أما بعد، فالمفروض، غب الدعاء المفروض، (١٣٣أ) أن هذا الداعي لم يزل لسانه رطبا بذكركم، يستنشق من الأرواح إذا هبت طيب نشركم، يلهج بالأدعية لذلك الجناب المستطاب، متشوقاً إلى أن يُعفِّر محياه بصعيد هاتيك

---
(١) في ب (تشويش).

الرحاب، فالله أسأل، وعليه المعول، أن يديم ظلكم الوريف، ويشيد ركنكم الحصين المنيف، ويسبغ عليكم الآلاء والنعم، ويدفع عنكم اللأواء والنقم آمين، ثم ذكرت له بعض الأحوال التي حدثت.

[طبقات أهل دمشق]

وأما أهل دمشق الشام فَهُم على ثلاث مراتب، أما المرتبة السفلى فهم أجلاف جفاة لادين ولا مروءة، وهم الينكجرية[1]، ومن كان على طريقهم من الأراذل الأنذال، وأما الطبقة العليا من أكابر وعلماء ومشايخ طريق فهم فراعنة كذابون مُراءون، لا علم ولا عمل، أما المتصوفة فلهم طريق إلى جلب الدنيا، يودُّون أن كل أحد يُقبِّل أيديهم ويأخذ عنهم الطريق، ولا يبالون بأحد، يظهرون للعوام أنهم الهداة المرشدون، حتى لو قدر في الشاهد أن أويس القرني[2]، أو حبيب العجمي[3]، جاء إلى بلادهم، لمدوا أيديهم لتقبل ولايعتنون بهما، وهذا من تلبيس إبليس عليهم، حسَّن لهم كل شيء تنكره (١٣٣ب) العوام وان كان فيه طاعة الله ورضاه، أنهم[4] يتركونه. الحاصل لهم حالة يجلبون بها قلوب العوام، ويُمَوهِّون عليهم ويراؤنهم، فالذي تستحسنه العوام فعلوه، والذي ينكرونه تركوه، لا يثبتون لغيرهم صلاحاً ولا فلاحاً، ظاهر حالهم تنبيء على أنهم أفضل من الشيخ عبد القادر[5] ومحيي الدين ابن العربي، بل لو جاء إليهما[6] لمدوا أيديهم لتقبيلها، فمنهم من

---

(١) الينكجرية (وتلفظ ينيجرية بحذف الكاف) هو الجيش النظامي العثماني، وأغلبهم من المشاة وصنوف المدفعيين وحملة الأسلحة النارية، أنشيء في النصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد، وقد بلغ عددهم في دمشق في أواخر القرن السابع عشر ما يتراوح بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ جندي ينظر نوفان رجا: العسكر في بلاد الشام (بيروت ١٩٨١) ص ,٤٢

(٢) تابعي، من مشاهير النساك العباد، أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، توفي سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م.

(٣) زاهد مشهور، توفي سنة ١٤٠ هـ/ ٧٦١م.

(٤) لا توجد (انهم) في ب

(٥) يريد السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني.

(٦) لعله يريد: لو جاءوا إليهما، أو لو جاءا إليهم.

إذا خرج إلى الصلاة يضع على عاتقه سجادة، ولاترضى نفسه بأن يصلي على حصر المسجد، ومنهم من يلازم بيته لتزوره العوام وأهل الدنيا، وإذا وقع بأيديهم شيء ولو من مال المكس والظلم أخذوه وبلعوه. وأكثرهم جمع من الدنيا ما لا يوصف، أعاذنا الله من أفعالهم، وجانبنا ردىء أحوالهم آمين.

وأما علماؤهم[1]، فهم لا تحقيق عندهم ولا إتقان، حضرت درس الشيخ إسماعيل العجلوني[2]، مرات، وحوله جماعة من طلبته، كل واحد على رأسه عمَّة كالفلك الأطلس، وهو يقرىء البخاري، وبيده شرحه الذي جمعه من عدة شروح، مجرد نقول لا محاكمة فيه ولا تحرير معنى، ولا (١٣٤أ) ضبط مبنى، بل إنّه ينقل عبارة بعض الشروح ثم يعقبها بعبارة شرح آخر، ويكون بين العبارتين مخالفة، فما يرجح أحد القولين على الآخر، ولا يجمع بينهما، وتارة تكون العبارتان متفقتين فينقلهما فتؤول إلى التطويل من غير فائدة. ورأيت المملي يقرأ حديث البخاري قراءة خفيفة بهمهمة ودمدمة بحيث لا يسمع إلا نفسه، فيشرع الشيخ بقراءة الشرح من غير تقرير ولا تحرير، ولا حل إشكال ولا فلّ تركيب. وكنت اسمع عن أهل دمشق مدحه كثيراً بحيث إنهم يبالغون فيه غاية المبالغة، وهذه عادتهم مع علمائهم وصلحائهم يبالغون فيهم عكس بلادنا، فوالله إن أدنى طالب في بلادنا أفضل منهم، لكن هذا الشيخ أفضلهم على الإطلاق، وأصلحهم وأكملهم، له علم وتحقيق

---

(١) في ب (كثيرون)، وقد شطب عليها في أ، وهي تخرج على السياق.

(٢) هو إسماعيل بن محمد بن عبدالهادي بن عبدالغني المعروف بالجراحي العجلوني، ولد في بلدة (عجلون) سنة ١٠٨٧ هـ/ ١٦٧٦م، ونشأ بدمشق حيث أخذ العلم على كبار علمائها، ثم اختير مدرسا في الجامع الأموي ولبث كذلك حتى وفاته سنة ١١٦٢ هـ/ ١٧٤٩م. ترجم له المرادي (سلك الدرر ج١ ص٢٥٩) ونوه بكثرة طلبته فقال ولزمه جماعة كثيرون لا يحصون عددا. وله مؤلفات منها (الفوائد الدراري بترجمة الإمام البخاري) و (إضاءة البدرين في ترجمة الشيخين) و (عقد الجوهر الثمين بشرح الحديث المسلسل بالدمشقيين)، واهم مؤلفاته شرحه على البخاري المسمى (الفيض الجاري بشرح صحيح البخاري) ولم يكمله. وقال المرادي «لو كمل هذا الشرح لكان من نتائج الدهر».

في الجملة، إلا أن شهرته أكثر من علمه، وله إنصاف وافر. يستفيد ولو ممن هو أدنى منه. وبالجملة هو عالم فاضل ناسك كامل، يسلك مسالك العلماء السلف، لا دعوى ولا أنانية، إلا أنه لمَا كان أهل دمشق يبالغون فيه إلى حد الإغراق، يرى علمه أقل مما ذكروا، نعم لولا مبالغتهم لرآه الرائي عالما فاضلا نحريراً (١٣٤ب). ورأيت درس الشيخ (أحمد)[١] المنيني[٢]، فرأيته كالأول، بيده كراس القسطلاني[٣] ويمليه من غير تقرير ولاتحرير، لكنه ملك من الدنيا شيئا كثيرا، مدخوله كل يوم ألف عثماني، وكذا الشيخ الأول، له دنيا واسعة ومال كثير، ولا أحد من الطلبة أو من الغرباء رأى بيوتهم، أو أكل منهم، ولو اتتهم الصدقات والزكوات أخذوها،ولهم طريقة يحافظون على أنفسهم لئلا يظهر جهلهم، وهي أنهم لا يؤالفون الغرباء ولا يخالطونهم ولا يلائمونهم، غلاظ شداد جفاة أجلاف، لا يسلمون لأحد، حتى هو يُسلم لهم جميع الفضائل، فيُسلِّمون له بعضها، لكن هؤلاء الطبقة العليا منهم. وأما الوسطى فهم أهل تحقيق وتدقيق وملاءمة وسخاء وحسن أخلاق ورقة جانب، يطلبون الفائدة ويوقرون العالم ويحترمونه ويأخذون عنه، لكن لماغلب شهرة هؤلاء يرى الرائي بادي الراي أنهم كلهم كذلك، فوا أسفا على علمائنا وصلحائنا! فوالله إن جهالنا أفضل منهم، وفسّاقنا أصلح من مشايخهم، ولهم هذه الثروة وهذا المال، وعلماؤنا مع تحقيقهم وفضلهم وصلاحهم (١٣٥أ) لا يستطيعون ادخار درهم.

---

(١) ليست في ب.

(٢) هو أحمد بن علي بن عمر الطرابلسي الأصل، ولد في قرية (منين) سنة ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨م، ونشأ في دمشق، حيث تضلع من الأدب وقرأ المقدمات في اللغة وروى الحديث عن والده، ثم أكمل دراسته على أيدي كبار علماء دمشق، وأخذ الطريقتين النقشبندية والقادرية، ونظم شعرا كثيرا، وله مؤلفات مهمة منها (الإعلام بفضائل الشام) و (الفتح الوهبي في شرح تاريخ ابي نصر العتبي) واهمها شرحه على البخاري المسمى (إضاءة الدراري في شرح صحيح البخاري)، توفي سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٩م. المرادي: سلك الدرر ج١ ص ١٣٣ والبغدادي: هدية العارفين ج١ ص ١٧٥ وكحالة: معجم المؤلفين ج٢ ص١٥.

(٣) ينسب إلى (قسطلينة) بالمغرب عدد من العلماء المصنفين، ولم نعلم أيهم أراد.

ومن أعجب ما رأيت فيها أن رجلا من عوامنا، ممن كان من أعوان الظلمة، في بغداد لا علم له ولا حال، إلا أنا كلنا نسمع أنه يتعلم الرمل والجفر، ولا يعرف شيئا منها، جاء إلى دمشق، وادعى المشيخة في الطريق، واتخذ شبكة وقلل الخروج من بيته، [و] كان يسمى أولا بحسن، والآن عندهم يسمى الشيخ حسن، فوالله إنه ما سأل عن حالي ولا زارني مع إلفتي معه في بغداد، ومعرفته بي غاية المعرفة. وما فعل هذا الجاهل لئلا يسقط قدره عند القوم ويقولون الشيخ حسن زار فلانا فالظاهر أنه أفضل منه، هذا الذي انطوت عليه نفسه الخبيثة، وكذا سائر من هو من أمثاله مثله، وقد سمعت من غير واحد أن لكل عالم منهم ولداً يتعشقه ولا يقرىء إلا إذا أحضر ذلك الولد، فإنا لله وإنا إليه راجعون. والظاهر أن جميع علمائهم لا علم لهم لأني رأيت هذين الشيخين ومدحهما في دمشق الشام منشور، فكيف بمن لا ذكر له بل هو من تلامذتهم؟ فالظاهر أنه دونهم فإنا لله وإنا إليه(١٣٥ب) راجعون.

وأما المرتبة الوسطى فلهم رقة وديانة وصلاح وأمان وإكرام للغرباء وحسن ظن بالصلحاء، يوادون الغريب ويكرمونه ويجلونه، وهؤلاء أهل الحرف كالعطارين والبزازين والبقالين وبعض العلماء ومن ينحو نحوهم. ومن أغرب ما رأيت في دمشق الشام أن الزواني يدْرن في الأسواق جهراً، ويخالطونهن السفهاء، ويأكلن في رمضان على ملأ من الناس، ومكانهن عند باب الجامع المسمى بجامع السُّباهية(١) ولا أحد ينهاهن أو يزجرهن أو يزجر من يُقبِّلهن جهراً في الأسواق فإنا لله وإنا إليه راجعون(٢).

---

(١) هذا هو الاسم المتداول بين الناس في عصره، وكأنه منسوب إلى السباهية، جمع سباهي، وهم الفرسان الإقطاعيون في الجيش العثماني، والصحيح أنه جامع السبائية، نسبة إلى بانيه سيباي، نائب الشام، في الدولة المملوكية، المتوفى سنة ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦م ويقع في خارج باب الجابية في شارع الدرويشية ينظر النعيمي: الدارس ج١ ص٥٣٠ ومحمد بن عيسى الصالحي: المواكب الأسلمية ج١ ص ٣٤٥.

(٢) ذكر أحمد البديري الحلاق في حوادث سنة ١١٥٧ وهي السنة التي قام فيها السويدي برحلته، خبر كثرة الزواني آنذاك فقال «وفي تلك الأيام كثرت بنات الخطا، ويتبهرجن بالليل والنهار، ولكنه أشار إلى أن قاضي الشام قتل إحداهن، وأصدر أمره بأن كل من رأى بنتا من بنات الخطا والهوى، فليقتلها ودمها مهدور، فسافر=

ومن عجيب ما رأيت فيها أن غالبهم، حتى الأولاد الذين [هم] أبناء ست سنوات، على رؤوسهم عمائم،كل عمامة أكبر من حجر القنبرة والمنجنيق، حتى رأيت بعض العوام عمائمهم كذلك. ولعلمائهم لباس نفيس من الفرى السمورية والسنجابية والقاقُمية(١) وغيرها، بحيث يساوي مالا جزيلا.

وأكثرهم لا يحسن [قراءة](٢) الفاتحة، وأكثر مصروفهم من الأوقاف، حتى إني سمعت أن في دمشق نحو ألف مدرسة أكثرها اندَرَس والباقي صار منازل للناس وأوقافها يأكلها هؤلاء الجهلة. ومما اعتادوه (١٣٦أ) أنهم يذهبون إلى الدولة العلية، ويشتري [أحدهم](٣) له مرتبة تدريس على قانون علماء الأتراك، فيكتسب بذلك الكبْر والظلم، ويتخذ له المماليك الحسان، وهو أجهل من حمار، فوا أسفي على علمائنا، فما أفقرهم وما أحوجهم وما أعلمهم وما أصلحهم، فو الله إن أدنى علماء دمشق يملك أكثر مما يملكه والي بغداد مع سعة إيرادها. وأما مشايخ الطريقة فأولاد الشيخ عبدالقادر، الذين هم في الشام لهم مظالم ويتعاطون الربويات، ولهم بيوت صرفوا عليها ما لا يعد ولا يحصى، شاهقة نحو السماء، بحيث لو بناها فرعون لأنكر عليه، فوا أسفي على أولاد الشيخ الذين هم سَدَنة قبره وخدام ضريحه، فما أفقرهم وما أحوجهم وما ألينهم وما أودعهم وما أكرمهم رضي الله عنهم، وأما أولئك فهم أبخل من مادر(٤)، وأفجر من فرعون، لهم كبر وأنانية أعظم من نمرود، أعاذنا الله

=[عدد] منهن وانزوى البقية. (تاريخ حوادث دمشق اليومية، تحقيق أحمد عزت عبدالكريم، القاهرة ١٩٥٩، ص ٥٧).

(١) الفرى، جمع فروه، الرداء: الرداء المتخذ من الفراء أو المبطن به، ولعله يشير إلى الكرك، وهو نوع من الألبسة الثمينة يشبه الفرجيه، مبطن بفراء بعض الحيوانات النادرة، والقاقم، أو القاقوم، حيوان ببلاد الترك على شكل الفأرة إلا أنه أطول (المصباح المنير).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) رجل في الجاهلية بلغ الغاية في البخل حتى ضرب به مثلا.

من غضبه وعقابه.

وأما المشايخ الذين هم غيرهم، فهم مراءون كذابون دجالون، يأكلون بدينهم، اللهم إلا أن يكون الصالح منهم مقبوراً، ولهم أذكار في الجامع الأموي ما يشك أحد إذا رآهم أنها سخرية (١٣٦ب) وملعبة، بل لا يفهم أحد ما يقولونه.

ومن عجيب أمرهم أن النساء يختلطن بالرجال سحر رمضان، وكذا وقت التراويح، ومرة صليت التراويح في [الجامع] الأموي فرأيت الناس جلوسا بين الصفوف يتحدثون، والأولاد لهم صياح وعياط ولعب بحيث يشوشون على المصلين، فتركت الصلاة فيه من حينئذ. وهذا الجامع كبير واسع، في غاية الحسن من العمارة والنقش والأسطوانات والرواقات، بحيث يعلق في كل ليلة من رمضان نحو اثني عشر قنديلاً كما قيل، وشهرته تغني عن تعريفه.

[معالم دمشق]

وأما أرض دمشق فإنها طيبة كثيرة المياه والأشجار، حتى إن المراحيض تجري فيها سواقي الماء فيذهب بالنجاسة ويستنجى به، وهي أرض مقدسة [فيها] مهاجر الأنبياء ومدافنهم، جنة من جنات الدنيا، إلا أن غالب سكانها البقر. ويوم عيد الفطر أخذنا صالح أفندي الموصلي إلى الصالحية[1]، وبقينا في القصر العمادي من الضحى إلى العصر، وصلينا الجمعة في جامع سيدنا الشيخ محيي الدين بن العربي، ثم زرنا قبره الشريف، ودعونا لنا ولأحبابنا، وزرت قبر سيدي الشيخ عبدالغني (١٣٧أ) النابلسي فصعدت على قصره، فرأيت الأشجار مد البصر من الجوانب الأربعة، حتى إن دمشق ترى كالشامة بين الأشجار.

---

(١) ضاحية تقع على سفح جبل قاسيون، كانت على عهد ياقوت قرية، وصفها بقوله قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق، وفيها قبور جماعة من الصالحين ويسكنها أيضا جماعة من الصالحين (معجم البلدان ج٣ ص ٣٩٠) وهي اليوم من أهم أحياء دمشق وأوسعها.

وأما القصر العمادي فهو تجاه قبة النصر التي هي على ظهر جبل قاسيون، بناها الملك العادل(١) ناصر الدين(٢) الذي دعا له الشيخ ابن العربي في مسامراته(٣). ودخلنا المدرسة التي بناها مقابل جامعه، فإذا هي من أحسن المدارس إلا أنها خربة(٤).

وجبل قاسيون هذا فيه أنس ظاهر ونورانية، يقال إن فيه دفن أنبياء كثيرون وأولياء غير قليلين، ودخلنا المدرسة العمرية(٥)، وفيها ثلثمائة وست وستون حجرة.

وهي مدرسة عامرة ذات أوقاف كثيرة لاعيب فيها إلا أن العلم والتدريس مفقود بها. وأخبرني غير واحد أن في الصالحية مدارس عدد أيام السنة إلا أن أكثرها اندرس، وأوقافها يأكلها ذوو الرتب من أهل الجهل. وزرنا ثمة في سطح الجبل المغارة الجوعية نسبة إلى الجوع، قيل: إنه مات فيها أنبياء من الجوع، والحاصل أن الصالحية جنة من جنان الدنيا.

---

(١) الملك العادل محمد بن أيوب بن شادي، أخو السلطان صلاح الدين من كبار سلاطين الدولة الأيوبية توفي سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م، وهو غير ناصر الدين الباني لهذه القبة.

(٢) هو الملك الظاهر برقوق بن أنس المتوفى سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م، وربما جاءت تسميته بالناصر من النصر الذي حقق على خصمه علي بن سوار، فعرفت القبة بقبة النصر، قال محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي هو مكان نزه جدا، لا أعلى منه، وهي قبة لها ثلاثة أبواب وشباكان، بينهما محراب مكتوب عليه (الله حسبنا، أنشاها الملك الناصر رحمه الله) ترى جميع الشام وضواحيها والأنهار كخيوط الفضة ويتعجبون من زيادة العلو والإشراف، ولها ثلاثة طرق يصعد إليها منها (المواكب الإسلامية، تحقيق حكمت إسماعيل دمشق ١٩٩٣، ج١ ص ٣٧٤). وقد تهدمت هذه القبة سنة ١١٧٢ هـ(البديري الحلاق: حوادث دمشق ص ٢٢٣) ثم أزيلت آثارها سنة ١٩٤١م.

(٣) تقدمت الإشارة إلى أن هذا الكتاب منسوب إلى ابن عربي، وقد ألفه بعض المتأخرين.

(٤) وفي هذه المدرسة مدفن العادل، وهي اليوم دار مجمع اللغة العربية بدمشق ينظر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ج٢ ص٢٦٦.

(٥) هي المدرسة العمرية الشيخية، أنشاها الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠م، وكانت من أشهر مدارس دمشق، إلاأنها اهملت وتخربت، النعيمي، الدارس ج٢ ص ١٠٠ والصالحي :المواكب الإسلامية ج١ ص ٢٤٩،

ورجعنا من الصالحية على طريق شجر الآس[1]، فمشينا نحو (١٣٧ب) فرسخ بين البساتين، فيا لله ما الطف تلك البقاع، وما أوفر أشجارها إلا أنها وقعت لأناس أكثرهم من نوع البقر، وسبب ذلك ـ على ما قيل ـ أنهم مبتلون بالحلف بالطلاق كذبا، فتأتي أولادهم على هذه الصفة المذكورة، لأنهم ليسوا أولاد نكاح صحيح ـ أعاذنا الله من سوء العاقبة ـ وكل ما سمعت عني في ذم أهل دمشق فهو محمول على الغالب، وإلا ففيهم اناس أهل عفاف وإنصاف وديانة وأمانة وصيانة ورفقة ولين جانب وكرم وغير ذلك.

وممن زارني الشيخ إسماعيل العجلوني شارح البخاري، جاء وأنا إذ ذاك مستقر في مدرسة سليمان باشا[2]، فرآني نائماً، فما استحسن إيقاظي، وجلس عند باب الحجرة ثم ذهب وقرضت على شرحه للبخاري المسمى بالفيض الجاري ما صورته: الحمد لله الباري على إنعامه الفيض الجاري، قوّى الضعيف المنقطع الغريب فاصبح عزيزاً موصولا، وأهله بصحيح النية للعمل الحسن فكان بتواتر إحسانه المرسل مشهورا ماهولا، وشفى جرح اضطرابه بتعديل اعتقاده فلم ير بعد مضطربا معلولا، وأفاض (١٣٨أ) عليه مسلسل رفده الذي ناف على الغوادي والسواري، والصلاة والسلام على المرفوع ذكره، المسند شرفه وفخره، المعنعن بطهارة الأصلاب نجره[3]، المديح من الطرفين نسبه، السامي على الدراري، وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء من غير تلبيس، وأعلام الاقتداء الموقوف عليهم الهدي النفيس، وحافظي الشريعة عن الشاذ المشهور المنكر، فلا إيهام ولاتدليس، فتابعوه صلى الله عليه وسلم متابعة شواهدها ظاهرة على الشموس في ذروة المجاري، وعلى من اقتفى آثارهم

---

(١) في ب: آناس

(٢) هو والي دمشق سليمان باشا آل العظم، تولاها مرتين، الاولى من سنة ١١٤٦ هـ إلى ١١٥١ (١٧٣٣ ـ ١٧٣٨م) والثانية من ١١٥٤ إلى وفاته سنة ١١٥٧ هـ (١٧٤١ ـ ١٧٤٤م) وخلفه ابن أخيه إسماعيل باشا العظم.

(٣) النجر: الأصل والحسب.

في إيضاح المشكل، وتبيين الموضوع الغامض المعضل، ومحق المدبر عن الدين ونصر المقبل، مادام يروي مسلم صحيح البخاري.

وبعد، فقد وقفت على شرح البخاري المسمى بالفيض الجاري فألفيته قد جمع فأوعى، وحيصل[1] على الإيضاح واستدعى، تأبط جميع شرح الإوّل، وزاد في كشف المشكل وإيضاح المجمل، فإذا هو ا الجامع الكبير في الترجيح، ومشكاة المصابيح في الجامع الصحيح، أومضت بروق تمييز الروايات من خلال المباني فهي لوامع بوارق، وسطعت (١٣٨ب) الداريات من آفاق المعاني فهي لها مشارق، فلعمري إنه الفيض الجاري، ولا غرو لأنه فتح الباري، وطئت مقاصده فكان الموطا، ولا يشك مسلم بأنه كشف عن البخاري المغطى، فيحق لي أن أنشد فيه بعض مافيه: كيف ومؤلفه الذي نظم تعبيراته في سمط التحقيق، وحبّرً في تحريراته حبر[2] التدقيق والتنميق، شيخ البسيطة على الإطلاق، وزين الشريعة بالاجماع والاتفاق، (١٣٩أ) ثالث الشيخين على اصطلاح الفريقين، حكم كتابه بأنه ألحق الأوائل بالأواخر، وقضى بأنه كم ترك الأول للآخر، علامة المعقول والمنقول، فهامة الفروع والأصول، جمع الفنون العديدة فانحازت إليه، وحرر التصانيف المفيدة فكان معول الجمهور عليه، فإذا الواجب على ما تحرر أن أنشد فيه بعض ما حضر:

زَفَّ الحِسان من البخاري جَهْرة كم مسلمٍ في حُسنها [منبهر][3]

ألا وهو الذي وضح الغوامض أتم إيضاح، وأفصح (١٣٩ب) عنها أظهر إفصاح، الشيخ إسماعيل العجلوني ابن محمد جراح، وفقه الله للإفادة، ومنحه السعادة والسيادة آمين. اعلم أيها الناظر في هذا التقريض، أن الشيخ حري بذلك إلا أنه لما كان يبالغ فيه، يراه الإنسان دون ذلك بكثير، وإلا ففي نفس الأمر له فضل باهر، وصلاح ظاهر، نفعنا الله به،

---

(١) لفظ ماخوذ من قول المؤذن (حي على الصلاة).

(٢) جمع حبر وهو العالم.

(٣) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

آمين. وجاءني يوم السبت ثاني شوّال من ولدي كتاب، صورته: ما روضة تدفقت أنهارها، وأينعت[١] أزهارها، وكساها الحيا سندسي الأثواب، ونسج عليها الصبا أحسن جلباب، وفككت منها الجنوب أزرار الورود، فهتكت منه أستار الكبود، بل ما صدح العنادل[٢] فوق الخمائل، وتغريد البلابل لدى الأسحار والأصايل، بأحثَّ من سلام يهدى من محله إلى أهله، ويبلغ بلوغ الهدى الواجب إلى محله، ناف على النيرين إضاءة وبهراً، وسما على الفرقدين مكانة وقدرا:

سـلامٌ لـو تمثَّـل كـان دراً ... ويـاقـوتاً يقلبُ باليـدين

«١٤٠أ»

على من عنده روحي وعقلي ومسكنه سواد المقلتين سلام مزفوف بالتحيات، محفوف بالدعوات، بأن يديم الله سيدنا المقتدى بآثاره، المهتدى بانواره، إمام محراب العلوم، مالك أزمة المنثور والمنظوم، أعلم من قضى وأفتى، وأفضل من تفرد في جميع العلوم، فدعا ابن الأثير[٣] دونه في الأثر، وانفرد بصحة الرواية فمسلم[٤] له صحة الخبر، وجنى ثمار البلاغة فسدَّ على ابن الجوزي[٥] طرق المجاز، وقطف أزهار البراعة ففتح على ابن معين باب

---

(١) هكذا في ب، وفي أ: انبعت.

(٢) جمع عندل، وهو العندليب.

(٣) يشبهه بابن الأثير، وهو اسم عرف به ثلاثة من كبار الادباء والمنشئين، هم مجد الدين المبارك صاحب، (النهاية في غريب الحديث) و (جامع الاصول لأحاديث الرسول)، وضياء الدين نصر الله صاحب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) والمؤرخ عز الدين علي، صاحب (الكامل في التاريخ) و (اسد الغابة في معرفة الصحابة) و (اللباب).

(٤) يريد مسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١ هـ/ ٨٧٥م) صاحب (الجامع الصحيح)، أحد الصحيحين المعول عليهما عند المسلمين.

(٥) يريد عبدالرحمن أبا الفرج ابن الجوزي، المؤلف الواعظ صاحب المؤلفات الكثيرة، وقد تقدمت الإشارة إليه غير مرة.

العواز[1]، واعترف له ابن كثير[2] بقلة الجمع، وقال الفخر[3] لمعقوله: ما أنت وأدلة السمع، واكتسب عنه ابن مالك[4] الملكة العربية، وأقر ابن عصفور[5] بانه ليست له حوصلة على هذه الفنون الأدبية، وأضحى مذهب الشافعية منصوراً، وأمسى خبر مذهب النعمان عليه مقصوراً، من اذعن لكثرة بحثه النادر شاه العجم، فظل طرفه ساهيا ولسانه قد انعجم، فسعى بالصلح بين الدولتين فحاز الفخار، (١٤٠ب) والنجح في النشاتين، وحمل الشيعة على الإقرار بخلافة الصديق، وأنه الأفضل الأحق على التحقيق، نسأل الله أن يبقيه على رؤسنا تاجاً، ويديمه لنفوسنا طريقا إلى الخير ومنهاجاً.

أعيذُك بالمُعَوذتين أنّي　　أخافُ عليك من نَظَر الحسودِ

وبعدُ، فالمملوك يُقبِّل أرضا ترافعت على الفرقدين والسماك، أرضا تقاعست دونها الأفلاك، أرضا أضحت حلبة الأدب، ألا وهي أرض المحروسة حلب، أرضا تقبلها شفاه الأفاضل، ويقصد سوحها كل فاضل، أرضا تناخ بها يعملات[6] الرجا، وتحط بها رحال من

---

(١) ثمة غير عالم بهذا الاسم، اهمهم: يحيى بن معين الغطفاني المري البغدادي، المتوفى سنة ٢٣٣ هـ/ ٨٤٨م، وكان مؤرخا له (التاريخ والعلل) و (معرفة الرجال)، وعمر بن بدر بن سعيد الموصلي، ابن معين، المتوفّى سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م، وله مؤلفات كثيرة، من أهمها (المغني عن الحفظ والكتاب) و (الانتصار والتراجيح للمذهب الصحيح) ولاندري أيهما اراد.

(٢) يريد إسماعيل بن عمر بن كثير، عماد الدين ، المتوفّى سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧١م، أحد كبار علماء التفسير والعربية والتاريخ، من آثاره (التفسير) و (البداية والنهاية) في التاريخ.

(٣) يريد فخر الدين الرازي، المتوفّى سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢١٠ ، إمام مفسر، له التفسير المشهور، و (معالم أصول الدين) و (شرح الإشارات) وغير ذلك.

(٤) يريد محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٧٤م، من كبار علماء العربية والحديث، من مؤلفاته (تسهيل الفوائد) في النحو، ومختصر الشاطبية في القراءات.

(٥) يريد علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الأشبيلي، المتوفى سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥م، من كبار علماء النحو والصرف له، (شرح الجمل للزجاجي) و (شرح المقدمة الجزولية) و (الممتع في التصريف) وغيرها.

(٦) اليعمل هو الجمل والناقة المطبوعان على العمل.

قصد وجاء، وكيف ينكر لها هذا الفضل، أو يُكْفَر لها الشرف في مثل هذا الفصل، وقد أضحت مأوى للمولى القمقام[1]، ومنزلا للنحرير الهمام، لا زال السعد له قرينا، ولطف الله له ناصراً ومعيناً، آمين، أطال الله بقاء مولاي، إنه قد ورد علينا من جنابكم كتاب كريم حقيق بالإجلال والتكريم، نافت معاقله على الحصن الحصين، وفاقت جواهره على الدر، «١٤١أ» عذبت مناهله، وبهرت فضائله، إذا فاضل كان ذا القدح المعلى، وإذا ساجل كان ذا التاج المحلى، ذو النسب الذي امتطى كيوان[2]، والحسب الذي دونه العيوق والسماكان[3]، وزان[4] المعارف فاتسم منها بأجل صفة، ولا بدع! إذ منه عرف الوزن والمعرفة، إن البيت قد كتبت عليه نحو ما أمرتم، وأرسلته إليكم حسب ما أشرتم، فأقول: قليل خبر ثالث لقوله، هو في البيت قبله، وتعدد الخبر جائز على الراجح، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف على طريقة الاستئناف البياني، فكأن سائلا يقول: كيف حال هذا الرجل الجواب الملازم للأسفار في الفلوات والقفار، وأنه أشعث أغبر إذا ارتفعت الشمس حيال رأسه برز لها ليدفأ، وإذا جاء العشي آلمه البرد، فقال: هو قليل. انتهى. وظله فاعل للوصف لاعتماده على مخبر عنه، ويجوز على مذهب الأخفش والكوفيين أن يكون الوصف مبتدأ وظله فاعلا، أعني عن الخبر، وذلك لعدم اشتراطهم اعتماد الوصف على نفي أو استفهام. على ظهر المطية متعلق «١٤١ب» بالوصف فالظرف لغو، ويجوز أن يتعلق بمحذوف، على أنه حال من ظله قُدِّم عليه، فالظرف مستقر، واختلاف المعنيين على اختلاف المتعلقين لا يخفى على ذي عينين، سوى أداة استثناء، وما موصول حر في صلته نفى عنه الرداء، أو المفعول محذوف، أي نفى الرداء الشمس، والضمير المجرور، بمن عائد إلى رجلا في البيت الأول، والمستثنى منه أعم الأوقات والأحوال والمعنى أن هذا الرجل الجوّاب الملازم للأسفار، الذي

---

(١) القمقام: البحر.

(٢) كيوان: اسم زحل بالفارسية.

(٣) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة، والسماكان: كوكبان نيران.

(٤) في ب: زين.

تقاذفت به الفلوات وترامت به الأقطار، هو أشعث أغبر لعدم استقراره في الحضر، وأنه من تراكم المشاق ضعف جسمه، ودق عظمه، وصغر هيكله بحيث صار لا يحجب الشمس إلا قليلا، المستلزم ذلك قلة ظله إذ كثرة الظل وقلته باعتبار كثرة الحاجب وقلته، فيكون ظله على ظهر المطية قليلا في كل وقت وحال سوى وقت وحال تنحية الرداء عنه للشمس، أي وقت لبسه الرداء، فيكثر الظل حينئذ لكثرة الحاجب، ولا يخفى أن هذا المعنى من المعاني التي تخبر عنها الشعراء من المقدمات الشعرية والقضايا «١٤٢أ» الخطابية، فيبرزون الموهوم بصورة المحسوس تخيلات تقبلها النفوس، وتارة يحكمون بخفاء المحسوس المعلوم ويعدونه أقسام الموهوم، فمن ذلك مما يناسب ما نحن فيه قول سيدي شرف الدين عمر بن الفارض:

خفيتُ ضنى حتى لقد ضلَّ عائدي وكيف ترى العواد من لا له ظل[١]

وقوله:[٢]

قد تركتُ الصَّبَ فيكم شبحاً ما له مما يراه الشوق فيّ

وقول المتنبي:[٣]

كفى بجسمي نُحولاً أنني رجلٌ لولا مخاطبتي اياك لم تَرَني

وقوله:[٤]

ولو قلم ألقيت في شق رأسه من السقم ما غيَّرت من خطِّ كاتبِ

وقولي من أبيات مقامتي التي سماها سيدنا الحسيب النسيب السيد مصطفى البكري الصديقي ــ حفظه الله تعالى ــ بالجامعة للأمثال العزيزة[٥] الأمثال: صار يحكي شبحا ما له ظل، وفي غاب عن عواده مذ غدا ليس بشيء، أن يكون مافي البيت معرفة ناقصة أو نكرة

(١) الديوان ص ١٣٧

(٢) الديوان ص٧.

(٣) الديوان ص٣. بشرح ناصيف اليازجي، بيروت ١٨٨٧م.

(٤) الديوان ص ٦٩.

(٥) في ب (الغزيرة).

ناقصة، والجملة «١٤٢ب» الفعلية أما صلة أو صفة، والضمير المجرور بمن عائد إلى ما، والمستثنى منه أما، الظهر مرادا به الأجزاء، أي أن ظله قليل على جميع أجزاء ظهر المطية، سوى الجزء الذي نحّى عنه الرداء، لأن الرداء يتجافى فيتسع الظل لكثرة حجب ضوء الشمس، فحينئذ يكثر الظل على الجزء الذي نحّى الرداء عنه ضوء الشمس لكثرة منع الرداء حينئذ ضوءها، الظل بناء على أن الإضافة استغراقية، والمعنى حينئذ أنه جميع افراد الظل على ظهر المطية قليل إلا الظل الذي نحّى عنه الرداء ضوء الشمس لكثرة منع الرداء حينئذ ضوءها المستلزم ذلك كثرة الظل، وذلك لما قدمنا من أن كثرة الظل وقلته باعتبار كثرة الحاجب وقلته، والمعنيان متلازمان، ويحتمل ان يراد بالظل نفس الشخص، والمعنى ان هذا الجواب الملازم للأسفار قد رق جلده ودق عظمه بحيث إن شخصه يرى على ظهر المطية قليلا أي صغيراً، إلا ما نحى عنه الرداء الفضاء فيرى في رأى الغير كثيرا كبيرا، وإطلاق القليل على الصغير والكثير على الكبير جائز بالاعتبار، والمستثنى منه يحتمل الأوجه السابقة كلها، وكذا لفظ ما يحتمل الاسمية والحرفية، وتشخيص المعاني على جميع التقادير (١٤٣أ) لا يخفى على الناقد البصير. ثم أني وقفت على ما كتبه المنيني[١] فإذا هو بمراحل عن المعنى المراد والله تعالى أعلم.

ودعانا إلى بيته مرة ثانية، فقضينا تلك الليلة بلذيذ المسامرة، من إنشاد شعر، وضرب مثل، وإيراد مسألة، فما رأيت أحفظ منه للغة ولأبيات العرب، كأن اللغة أوحت إليه بحفظ ديوان المتنبي وديوان أبي تمام وديوان الأرّجاني، ما عدا القصائد والأبيات الخارجة عن ذلك، وهي كثيرة بحيث لو جمعت لبلغت دواوين.

وله ــ حفظه الله ــ نظم بليغ رائق قل أن رأيت مثله، فمن نظمه:

أيها المعرض الذي قد جفاني ... ففؤادي في قبضة الوجد عاني

صار دمعي يسابق اللفظ بالش ... كوى ويحكيه رقة في البيان

كم عتاب أبديه حتى إلى الكا ... س واعذبه الذي قد عناني

---

(١) هو أحمد المنيني الدمشقي، وقد تقدم التعريف به.

بلســـــان من الدمــــوع فـــصـــيح | أرسلتــــه عـــينـان نضـــاخـتــــان
يحـــــمل الـراح رقـــــة فـلهـــــذا | تـتــــــواری بحـلـة الأرجـــــوان
قـــد براني جـــور الهـــوى وزمــاني | لـيـس يُرى فـــــمـــــا اراه يـراني

«١٤٣ب»

أفـــلا رحـــمـــةً لصبٍ يقـــاسي | من صــروف الهــوى وصنوف الهـوان
لـيـت شـــعـــــري ومـن تمنّى تعنّى | ومــحــالٌ لاشك بعض [الأمــاني](١)
فــأرى ســاعــةً من العــيـش تـصــفـو | لكريم من عـــربدات [الـزمـــان](٢)

ومن نظمه:

عــتــا يـعـتــو عُـتـواً فــهــو عــات | عـــسى يَعْـــســـو فـــهـــو عـــاسٍ

«١٤٤أ»

مــــضـــاعف جـــهـلـه باد وأدهى | لـنـا المطوي تحت الاحـــتـــــراس
مـضى في الصــرف نـقـد العـمـر منه | ومــا عــرف الرصــاص من النحــاس
ثـقـــــيل قـــاصـــر الادراك قـــاس | غـــدا كــالقــوس من تحت القـــيــاس
كــــأن كـــــلامــــه فـي كل فـن | ســـهـــام في القلوب وفي الأناسي
قـــريـب غـــائب يقـظان ســـاه | مـتى يحـــفظ يَحْـــرِف فــهــو ناس
إذا مـــا قـــال قـــال أبو فـــراس | حـــسـبتَ الموتَ قبل الافـتـــراس
وكـــم عـــين أعـــلّ وضـــم لـــكـــن | غــدت منه البـصـــيرة في انطمــاس
مــــزيـد في المجــــالس لا لمعنى | ولكـن للتـــشـــاؤب والنعـــاس
فـــيلزِم صـــرفـــه منهـــا وجـــوباً | يهـــــز رأســــه مـن غـــيــــر باس
ولا تـدري لـســـــوء اللحـن منـه | أيشـــــتـم ام يشـــمّت لـلـعطاس

(١) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

(٢) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى

وقال نظمت في التجنيس بيتاً فقلتُ بيت عسل للجناس
ولا والله ما هذا هجاء ولكن كان قولاً بالتماس

« ١٤٤ب »

وذاك يكون إن عنيت شخصاً بقصدٍ أو عنيت بلا التباسِ

وله غير ذلك أشعار رائقة ناصعة، ونثرٌ فقراته فائقة رائعة، لكنها لطولها وضيق الوقت منع في كتابتها. ونزلنا في مدرسة سليمان باشا(١)، وهي مدرسة في صحنها بركة ماء ولها حُجرٌ فوقية وتحتية، ولها طعام وخبز للطلبة وعلوفة في كل شهر، إلا أن العلم فيها معدوم، ومتوليها ومدرسها الشيخ المعمر الشيخ محمد التدمري، جلسنا فيها مدة، كل يوم مقدار ساعة أو ساعتين أو أكثر، ولم نبت بها إلا ليلتين، رحم الله الواقف على ما كان منه.

وممن دعانا السيد هاشم الآلوسي، ودعا شيخه الشيخ عبدالرحمن الصناديقي(٢) فاجتمعنا به، وإذا هو عالم فاضل محقق ناسك صالح ناجح راجح طلب العلم في الجامع الأزهر، ثم إنه طلب مني أن أكتب له إجازة الحديث وغيره، فكتبت له ما صورته: الحمد لله الذي قوى الضعيف بصحيح مستنده إليه، وأوصل المنقطع باعتماده الحسن عليه، والصلاة والسلام على المرفوع الذِّكر بنص الذِّكر، المشهور فضله، (١٤٥أ) المتواتر نبله، والمسلسل فخره، والمعنعن بالطهارة بحرمة النبي المرسل من أشرف قبيل إلى أكرم جيل، وعلى آله وأصحابه الذين رَوَوْا عنه جميع الأحكام، وتابعوه متابعة شواهدها واضحة على مر الأيام، مادار في القديم والحديث صيغة حدثنا في إسناد الحديث، أما بعد، فقد التمس بلا

(١) تقدم أنها مدرسة سليمان باشا آل العظم.

(٢) هو عبدالرحمن بن أحمد الصناديقي الشافعي الدمشقي، قرأ على علماء دمشق، وجاور بمصر مرتين، وأخذ عن علمائها، وكان يقرىء بالجامع الاموي، وكتب بخطه كتبا كثيرة وكلها مملوءة بالحواشي ألَّف من الكتب (شرح على البردة) و (شرح على الشمائل) و (رسالة في إعراب فضلا)، وولي الخطابة في مدرسة الوزير إسماعيل باشا العظم، وصار امين الكتب الموضوعة هناك الموقوفة، وتوفي سنة ١١٦٤ هـ/ ١٧٥١م ترجم له المرادي (سلك الدرر ج٢ ص ٢٨١) والبغدادي (هدية العارفين ج١ ص٥٥٣).

أمر ــ وأمره واجب الامتثال ــ سيدنا الذي عزت به النظائر والأمثال، البارع الذي برع في سائر العلوم، الجامع الذي أحاط بمكنونات المنطوق والمفهوم، ذو التحقيقات التي دلت على طول باعه، والتدقيقات [التي] شهدت بافتضاضه أبكار المسائل، وافتراعه الذي اتفق الجمهور على أن عمله توفيقي، وفضله الباهر تحقيقي، زين الملة والدين، الشيخ عبدالرحمن الصناديقي، لا زالت أعلام إفادته منشورة، وتحرير عباراته بالإيضاح مشهورة، بأن أجيزه بما يجوز لي وعني روايته من كتب الحديث المشتملة على الجوامع والسنن والمسانيد والمعاجم والأجزاء والمشيخات وغيرها، ومن كتب التفسير والفقه وأصوله وعلم الكلام والمصطلح (١٤٥ب) والنحو والصرف والمعاني والبيان والعروض والمنطق والحكمة والهيئة والهندسة، وغير ذلك من منطوق ومفهوم، ومنثور ومنظوم، فاجزته بجميع ذلك بحسب ما اتصل عن مشايخي العظام وأساتذتي الفخام، بشرطه المعتبر عند أهل الأثر، وإن هذا العبد الفقير لا يمكنه في هذا الوقت تفاصيل مسموعاته، ولا يسعه تشخيص جزيئات مروياته، اذ لا كتاب يعول[1] عليه، ولا مجموع يستند إليه، فإنه لقي من الغربة عرق القربة، فالواجب إذاً الإتيان بما في وسع الاستطاعة، والانفاق على قدر البضاعة، فعن لي أن أجيزه بالأبيات المشهورة، والسندات المنشورة فقلت: أجزت المنوه بذكره بجميع ما تضمنه ثبت الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني نزيل المدينة المنورة، المتصل إليّ بواسطة بعض الشيوخ، عن شيخنا الحبر الهمام، والفاضل القمقام، محدث العراقين، تذكرة إمام الحرمين، الملقب عند الحاضر والبادي، في كل نادي، بالخطيب البغدادي، شيخنا الشيخ خليل الخطيب[2] بجامع قطب العارفين، وسلطان الموحدين، الشيخ محيي الدين عبدالقادر(١٤٦أ) الجيلي ــ نفعنا الله ببركاته آمين ــ وأجزته بجميع ما تضمنه الثبت[3] المنسوب إلى الشيخ محمد بن سليمان

---

(١) في ب (يقول).

(٢) تقدمت الإشارة إليه.

(٣) أشار إلى هذه الأثبات، ورواتها، في أثناء ترجمته لنفسه في أول الكتاب.

المغربي المالكي، المتصل إليَّ عن المشايخ الكرام والأسانيد الفخام، سيدي أبي محمد الشيخ حسين، وسيدي الشيخ المحقق، نادرة العصر والأوان، وفريدة عقد هذا الزمان، سيبويه زمانه، وحافظ عصره وأوانه، الشيخ المشهور بكل مكان، شيخنا الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري الخابوري، تغمده الله برحمته، وسيدي الشيخ المحدث الجامع، كاشف الأستار عن وجوه الغوامض ورافع البراقع، سيدنا الحري بالتكريم، أبي المواهب الشيخ عبدالكريم، وأجزته بجميع ما تضمنه ثبت الشيخ محمد بن عبدالله المغربي المالكي عن الشيخين عبدالكريم وحسين المتقدمين، وعن الشيخ العالم النحرير، والحبر الشهير، ذي الفنون الكثيرة، والتحقيقات الغزيرة، المحفوف باللطف القدسي، السيد السند الشيخ محمد الطرابلسي، فسَّح الله في مدته، وأعاد على المسلمين عوائد بركته، آمين.

وأجزته بجميع ما تضمنه ثبت الشيخ أحمد النخلي، المتصل إليَّ عن جماعة، أشهرهم الشيخ «١٤٦ب» الذي سارت بذكره الركبان والرواحل، وتحدثت بفضله في جميع الأقطار القوافل، إمام الدنيا على الإطلاق، وعلامتها بالإجماع والاتفاق، سيدي السيد الحسيب النسيب، السيد أحمد أبوالطيب، ابن أبي القاسم بن محمد المحمدي المغربي المالكي، المنسوب إلى حمزة بن إدريس الأصغر ــ رحمه الله رحمة واسعة آمين ــ وصاحبنا ذو التآليف العديدة، والتصانيف المفيدة، الملقب بلا نكير بالسيوطي الصغير، زين الملة والدين، أبو بكر ابن شيخنا الشيخ الهمام والعالم العلام، مرشد الطالبين، وشيخ الإسلام والمسلمين، المشهور عند القاصي والداني، بأنه ابن حجر الثاني، الشيخ محمد بن عبدالرحمن الرحبي المفتي على المذهب الشافعي ببغداد دار السلام، لازالت بأمن وسلام، وصاحبنا الذكي اللوذعي، والفاضل الألمعي، الفقيه الأصولي، الشيخ أبو محمد الحسين بن عمر الراوي، الملتجىء إلى الحرم المكي ــ رحمه الله رحمة واسعة آمين ــ وغيرهم، وأجزته بجميع ما تضمنه ثبت الشيخ عبدالله بن سالم، المتصل إليَّ عن هؤلاء وعن (١٤٦أ) الشيخين الإمامين، والحبرين البحرين، سيدي أبي عبدالله السيد محمد الطرابلسي، وأبي المواهب الشيخ عبدالكريم

الشراباتي ــ أمد الله في حياتهما آمين ــ وأجزته بجميع ما تضمنه ثبت الشيخ عبدالرؤوف البشبيشي، وثبت الشيخ منصور المنوفي، والشيخ عبدالله الكنكسي المصريين، المتصل جميع ذلك إليّ عن السيد أبي عبدالله محمد المذكور، وأجزته بجميع ما تضمنه الثبت المنسوب بالمراسلة إلى العالم الفاضل أبي بكر افندي الشرواني[1]، المتصل إليّ عن عمي العارف الصوفي، الملقب الشيخ المعروفي[2] الشيخ أحمد ابن سُوَيْدْ ــ رحمه الله رحمة تدفقت أنهارها، وتفتحت بالرضوان أزهارها، وأجزته بجميع ما أخذته عن الناسك الصالح الفقيه، العالم العامل النبيه، ذي النسب العالي، والحسب المتلالي، الشيخ علي الأنصاري، من بني النجار انصار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وأجزته بجميع ما اخذته عن شيخي العالم الرباني، المعروف بأنه أبو يوسف الثاني، الشيخ حسين نوح الحديثي الحنفي ــ رحمه الله رحمة عامة آمين ــ وأجزته بجميع ما أخذته عن السيد السند الشريف، صاحب الفضل الوافر المنيف، السيد درويش(١٤٦ب) العشاقي ــ عليه رحمة الله الباقي آمين ــ وأجزته بجميع ما أخذته عن سيدنا الجليل، والفاضل النبيه النبيل، السيد ذي المفاخر، الشيخ عبدالقادر المكي الحارثي، وأجزته بجميع ما أخذته عن الصوفي العارف، والإمام الذي لا يستطيع حصر أوصافه واصف، ذي النعوت الجزيلة، والاخلاق الجميلة، الشيخ محمد عقيلة المكي الحنفي، ولا سيما مسلسلاته التي جمعها، وهي خمسة وأربعون مسلسلا ــ رحمه الله تعالى ــ وأجزته بجميع ما أخذته عن الشيخ المقري تذكرة أبي عمرو والكسائي، الشيخ محمد بن محمد المصري الشافعي، عن شيخه العلامة الشيخ إسماعيل البقري ــ رحمهما الله تعالى رحمة واسعة في الدين والدنيا والآخرة ــ وأجزته بجميع ما

---

(١) هو أبو بكر بن رستم بن أحمد بن محمود الشرواني الرومي الحنفي، اديب فاضل، ترجم له البغدادي (هدية العارفين ج١ ص٢٤١) وقال إنه أحد رجال الدولة العثمانية، وانه الف شرحا على المجلد الأول من تاريخ الوصاف، و (ما لابد منه للأديب)، وتوفي سنة ١١٣٥ هـ/ ١٧٢٣م.

(٢) نسبة إلى توليه أوقاف جامع الشيخ معروف الكرخي ببغداد.

أخذته عن ذي الفنون العديدة، والتصانيف المفيدة، الشيخ الفتح الموصلي، وأجزته بجميع ما أخذته عن البارع المحقق، والجامع المدقق، أبي الحسن يوسف الموصلي، وأجزته بجميع [ما أخذته](1) عن مشايخي المتقدمين، مفرقا مما هو مقروء ومسموع، ومجاز ومرفوع، «١٤٧أ» وهي الآن أكثر من عشرة. وأوصيه، ونفسي، بتقوى الله وطاعاته، في خلواته وجلواته وحركاته وسكناته؛ وأن يقول الحق ولو على نفسه، لا تأخذه فيه لومة لائم، وأوصيه إذا قرأ الحديث وسائر العلوم الشرعية أن يستقبل القبلة ولا يستدبرها كما يفعل جهلة المدرسين، وأن يجتنب، هو ومن حضر درسه، رفع الأصوات وكثرة اللغط، ولا سيما عند قراءة الحديث، بل يلاحظ في سره وعلنه كأنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأوصيه أن يستعمل الأدب(2) مع من يباحثه، وأن يسأل في الحادثة إذا أشكلت عليه ولو ممن هو أدنى منه، وأوصيه أن لا يماري السفهاء، وأن يكون جل قصده إظهار الصواب، وأسأله أن لا ينساني ومشايخي وأصولي وفروعي ومحبي من دعائه الصالح، وفقني الله وإياه لصالح العمل، وجانبنا الخطأ والخطل، آمين، وكتبه أبو البركات عبد الله بن الحسين بن ناصر الدين الدوري الشافعي المعروف بالسويدي، خادم السنة الغراء لدى ضريح قطب العارفين، ومركز دائرة الموحدين، سيدي محيي الدين الشيخ عبدالقادر الجيلي قدس سره العزيز، ثامن (١٤٨ب) رمضان عام سبع وخمسين ومائة وألف(3).

وزرنا الحافظ ابن عساكر(4) مرتين والحمدلله، وزرنا القبور السبعة، وهم فقهاء الشام، توفوا فيما بين الستمائة والسبعمائة.

ومن عجائب دمشق السليمانية، وهوجامع بناه المرحوم السلطان سليمان(5)، وهو جامع

---

(١) الزيادة من ب.

(٢) سقطت (الأدب) من ب.

(٣) الموافق ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٧٤٤م.

(٤) تقدم التعريف به، وقبره الذي يشير إليه المؤلف هنا هو بمقبرة باب الصغير.

(٥) أنشأه السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٢ هـ/ ١٥٤٥م على أنقاض القصر الأبلق، وهو قصر السلطان الظاهر بيبرس، ويتألف من بناءين الأول تكية والمسجد بها، والثاني مدرسة ينظر: محمد أمين الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق، دمشق ١٩٢٧، ص ١٠٤٦.

جليل تحيط به البساتين من جوانبه الأربعة(١)، في وسط صحنه بركة ماء واسعة فيها خمس فوارات، وفيه مطبخ يطبخ فيه الطعام، وله حجر متعددة، سقوفها قباب مطلية بالرصاص، وكذا قبة الجامع، وله منارتان حسنتان، والحاصل أنه جامع من عجائب الدنيا إلا أن مصلاه صغير، صلينا فيه الجمعة سادس عشر رمضان، ويتصل به مدرسة السليمانية، وهي ذات حُجَرٍ كثيرة، في صحنها بركة ماء عشر في عشر، ذات فوّارات خمس، وموضع التدريس قبة واسعة تفتح شبابيكها على البساتين من الجوانب الأربعة(٢) وجميع قباب الحجر وسطوحها مصفحة بصفائح الرصاص، بحيث إن الرصاص الذي فيها يقاوم(٣) مالا عظيما لا يحصى، وسمعت ممن جاب البلاد أنه قال: ما في مملكة آل عثمان مثل هذه المدرسة، ولا عيب فيها سوى أن أصوات العلم فيها خامدة، ولا يصرف عشر العشر من أوقافها، وإنما يأكله(١٠٤٩أ) الجهلة، نعوذ بالله من ذلك.

وممن زارنا، ونحن في مدرسة سليمان باشا، الشيخ المعمر الفاضل، الناسك الكامل، ذو التحقيقات الباهرة، والتدقيقات الزاهرة، سيدي الشيخ عبد الغني الصيدوي مفتي الحنفية بصيدا ابن الشيخ العالم الشيخ رضوان ــ عليه الرحمة والرضوان ــ المفتي بها قبل ولده، واجتمعنا به أيضا في دعوة أخينا السيد الشيخ عبد الرحمن الطرابلسي الإمام بالدرويشية(٤) للجماعة الحنفية، وحصلت بيننا وبين الشيخ عبدالغني المذكور مذاكرات في علم الفقه والمنطق والبيان، فإذا هو رجل فاضل، وعالم عامل، حتى قيل إنه مظنة الكرامة، حصل غالب علمه في الجامع الأزهر [حيث] مكث فيه إحدى عشرة سنة، أخذ الفقه

---

(١) في النسختين (الاربع).

(٢) في النسختين (الاربع).

(٣) يريد: يقوم بمال.

(٤) انشأه درويش باشا بن رستم باشا الرومي، وكان قد تولى دمشق سنة ٩٧٩ هـ/ ١٥٧٤م، ويقع في مدخل حي القنوات الشرقي، مقابلا لمدخل سوق الحريقة، ولا يزال قائما.

الحنفي عن الشيخ علي العقدي، والحديث والأصول والعربية والمنطق والكلام عن الشيخ منصور، والشيخ عبدالرؤوف البشبيشي، والشيخ أحمد الملّوي. واستجزت لأولادي المذكورين غير مرة، فأجازهم بجميع مروياته، ثم إني استجزته فأبى إلا أن أجيزه، فأجزته ثم أجازني، وروى لنا حديث الرحمة(١)، وهو أول حديث سمعته منه. وروى لنا (يرحمكم) مرفوعا ومجزوما، وقال لي: فيه روايتان، (١٤٩ب) الرفع والجزم(٢).

وروى لنا حديث (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)، وقال: إنه من ثلاثيات البخاري(٣) ورواية شيخنا الشيخ منصور (في النار) في الظرفية، ورواية ابن سالم (بمن). وسألته الدعاء فدعا لي ـ حفظه الله ـ وسبب قدومه إلى دمشق أنه أراد السفر إلى الحج فلم يتيسر له وابتلى ـ عافاه الله ـ بالصمم فلا يسمع إلا الصوت العالي، وأكثر المخاطبة يفهمها بالقرينة والإشارة، جعله الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وممن لازمنا ملازمة التلميذ ووالفنا موالفة الولد لوالده الشيخ محمد ابن الشيخ مصطفى ابن الشيخ محمد العجلوني، فلم يزل ملازِما لي ويسالني عن ما أشكل عليه من دروسه حتى كتبت على عبارة الفاكهي في شرح القطر(٤) حيث قال:

والفعل ما دل على معنى في نفسه واقترن بأحد الأزمنة الثلاثة وضعا. وبيَّنت فساد هذا التعريف من وجوه، ولم يزل يقول: والله إنه ليصعب عليّ مفارقتك، وإذا خطرتَ ببالي

---

(١) ونصه (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله).

(٢) أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عمرو، سنن، كتاب البر والصلة، الحديث ١٨٤٧ (يرْحَمْكُم) واخرجه عن ابي موسى عبدالله بن قيس، السنن، كتاب الادب، الحديث ٢٦٦٣ (يرْحَمْكُم).

(٣) أخرجه البخاري عن سلمة بن عمرو، الجامع الصحيح، كتاب العلم، الحديث ١٠٦.

(٤) الفاكهي هو أحمد بن جمال الدين عبدالله بن أحمد بن علي شهاب الدين المكي، المتوفّى سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م، وقد شرح كتاب (قطر الندى وبل الصدى) لعبد الله بن يوسف بن هشام النحوي، المتوفّى سنة ٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠م، وعنوان الشرح (مجيب الندا في شرح قطر الندى).

يعتريني البكاء [و] وددت أني لا أفارقكم ففراقكم أشد علي من فراق روحي، وأتمنى أن تكون لي شيخا لأن هذا التقرير ما وجدته عند (١٥٠أ) غيرك. وأضافني في بيته وكتب ورقة يودعني فيها وقال: لتكن عندك فإذا رأيتها تذكرني. وهذا أبو الحسن عمره أربع عشرة سنة له محيا زاهر، وجمال باهر، ما وقع نظري على أحسن منه، وهو فريد الجمال في دمشق مع أن حسن تلك الأقطار مشهور اشتهار الشمس في رابعة النهار. ولما خرجت ودعني إلى الخيام وعيناه تذرفان بالدموع ويقول: ليتني لم أعرفك، وفقه الله لصالح العمل آمين.

وزرت قبر سيدي معاوية الأصغر(١) وقبر ابن الجوزي(٢)، وقبر بهلول المجذوب(٣)، وقبر الصابوني(٤). ولما دعاني السيد أحمد بن نقطة إلى بيته حدثني أن في دارهم الشهداء الشرفاء الثلاثة، وأنه لما عمروا الدار كشفوا عنهم فإذا هم لابسوا دروعهم وواحد منهم على نحره خنجر من خناجر المشركين رضي الله عنهم.

---

(١) هو معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٤م، فمكث أربعين يوما، أو ثلاثة أشهر، ثم توفي فدفن بدمشق.

(٢) هو قبر شمس الدين أبي المظفر يوسف قز أوغلي بن عبدالله البغدادي، والمعروف بسبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م، مؤرخ جليل، له كتاب (مرآة الزمان) في التاريخ، وغيره ومدفنه بجبل قاسيون، وكانت عليه دكة ولوح وحجر كتب عليه اسمه، وسنه، وسنة وفاته، محمد حرز الدين: مراقد المعارف، النجف ١٩٦٩، ج١ ص ٣٤١.

(٣) لا شك أنه غير بهلول بن عمرو المعاصر للرشيد، المتوفى سنة ١٩٠ هـ/ ٨٠٦م، والذي وردت اخباره وطرائفه في كتب التاريخ والأدب، فإنه دفن ببغداد، في الجانب الغربي منها وما زال قبره ظاهرا.

(٤) هو محمد بن علي بن محمود الصابوني، حافظ، مؤرخ تولى مشيخة الحديث النورية بدمشق، وتوفي سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨٢م، وقبره بسفح قاسيون. الذهبي تذكرة الحفاظ ج٤ ص٢٤٧ وكتابه (تكملة إكمال الإكمال) بتحقيق مصطفى جواد، ص ٤٠ من مقدمة المحقق.

وزرت ذا النون المصري(١) والشيخ حسن الجباوي(٢) والقطب الغوث الشيخ بهاء الدين(٣)، وقرأت الفاتحة لسيدي أويس القرني[الذي] قيل إنه مدفون في تلك المحلة(٤).

وجاءني وأنا في دمشق كتاب من ولدي الشيخ عبدالرحمن صورته:

والله ما أنا منصف لو أن لي عيشا يطيب وجيرتي غيّابُ كيف والشوق أوهى جلدي، وفت هذا البعد(٥) كبدي، وازداد منه وجدي وكمدي، كذلك القلب لا يصغي إلى احد، شوق أجرى كبدي من عيوني، وأضنى جسدي وأكثر شجوني، ايم الله ما مر ذكركم إلا وتنفست الصعداء، وما خطر بالبال رسمكم إلا وفاضت العبرات ممزوجة بالدماء، وما رأيت ذاتكم طيفا إلا قبّلت مضجعي الفا، كرامة لمن زار على بعد المزار، ولا سيما يوم كتابتي لهذا الكتاب، والله شاهد، نائبا عمن غاب، أتشوق إليكم تشوق الصادي إلى الماء، وأتشوف أخباركم تشوف محب به برحاء(٦) يا من هو السبب في إيجادي، وغاية مقصدي ونهاية مرادي، إن سألت عنا فالحمد لله، ولكن بغداد في قحط عظيم(٧)، وعام جدبه

---

(١) هذا القبر منسوب إليه، وهو أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري، من كبار الصالحين، توفي في الجيزة بمصر سنة ٢٤٥ هـ/ ٨٦٠م، وفي مقبرة الشونيزية (الشيخ جنيد) ببغداد قبر آخر ينسب اليه.

(٢) هو حسن بن سعد الجباوي، وكان من أهل الأحوال، عاش في النصف الأول من القرن العاشر للهجرة، ينظر: الغزي: الكواكب السائرة ج١ ص٦٢.

(٣) لم تتبين لنا هويته، ولعله بهاء الدين الفصي البعلي شيخ الإسلام، وقد أخذ عنه محمد بن عبدالرحيم الفصي البعلي المتوفى سنة ٩٧٣هـ، وقبره في زاويته بباب السويقة. ينظر الغزي: الكواكب السائرة ج١ ص٤٢ وج٢ ص٢٣٩.

(٤) تقدم التعريف به، وهذا القبر منسوب إليه ذكره الهروي (الاشارات ص١٣)، وقال وبالجبانة قبر اويس القرني، وقد زرناه بالرقة وبثغر الإسكندرية وديار بكر والله أعلم، والذي صح انه بالرقة.

(٥) في أ (العبد).

(٦) البرحاء: الشدة

(٧) انفردت هذه الرسالة بالإشارة إلى هذا القحط. بل لم يشر إليه عبد الرحمن السويدي نفسه في تاريخه المسمى (حديقة الوزراء في سيرة الوزراء).

عميم، أزال عن الناس تخم السنين الماضيات، حيث تروضوا على أكل اللقيمات، لا سيما وهذا رمضان قد أقبل، وذهب شعبان وقارب أن يأفل:

رمضان أقبل والأنام أرامل قبلا فكل شهورهم رمضان

إلى آخر كتابه (١٥٢أ).

وجاءني كتاب من حلب، من الأكرام الأمجد إسماعيل آغا ميرو زاده[1]، صورته: نحمد الله سبحانه الكريم المتعال، ونتوسل بأفضل رسول وأشرف آل، وأكرم أصحاب ذوي أفضال، أن ينفح تلك الذات العلية نفحة من نفحاته القدسية، ويحرسها بعينه التي لا تنام، من تقلبات الليالي والأيام، ويضاعف علوها وتفردها، ويزيد كمالها وسؤددها، ويخلد عليها صنوف النعم، ويجدد لديها ثمرات السؤدد والكرم. أما بعد إهداء تسليمات هن رياحين أفئدة المحبين، فالمعروض كثرة الشوق، والقلق والتوق، إلى مولانا العلامة الأوحد، والفهامة الأمجد، حلاَّل المشكلات بالطف تحريرات، واحد الدهر، وطراز حُلَّة المجد والفخر، فسح الله تعالى في مدة حياته، وبلغه الوطن مصحوبا بالسلامة، منعما بكامل مسراته آمين.

وقد ورد كتابكم الكريم المرغوب، ووقع موقع قميص يوسف من أجفان يعقوب، فجدد أنسا وسروراً، وأصبحت به شاكرا مشكورا، والآن بسبب توجه ابن الأخ وباقي الأحباب والسادات والأصحاب إلى تلك الديار الشهية، ومشاهدتهم تلك (١٥٢ب) الطلعة السعيدة البهية، حررت للجناب كتابي لينوب منابي، فإن المراسلة نصف المواصلة، وما بنا من ألم الأشواق، التي لا تطاق، يشهدها قلبكم الكريم، المعمور السليم، ونرجو عدم إخراجنا من فيض الخواطر الشريفة، وعدم إبعادنا من الصدور النيرة اللطيفة، وأن لا تنسونا من صالح دعائكم الصالح بتلك الأماكن المشرفة كما هو المأمول، وعلى الله القبول، والسلام عليكم ورحمته وبركاته.

وجاءني من ولدي الشيخ عبدالرحمن نظم في ورقة منفردة، ومعها كتاب، وصورة

---

(١) تقدم التعريف به.

النظم(١):

الشوق لم تحصه الأوراق والكتب ... إلى الذي فاق من أفتوا ومن كتبوا

مولاي ذي المجد يا من عِزُّه فخرت(٢) ... به المكارم فاختالت به حلب

تأبى المفاخر إلا أن تكون به ... مخصوصة وتراه ربها الرتب

سامي الفخار مليك الجود أجمعه ... زاكي النجار إلى العلياء ينتسب

«١٥٣أ»

علامة العصر بحر لا يناظره ... من الأنام فتى إلا وينغلب

صبحا بصحن نظام الفضل منتصب ... يفيد علما لمن للعلم قد طلبوا(٣)

نجم رحى العلم والتوقيع تعرفه ... ودائرات القوافي أنه القطب

إمام سنتنا الغرا وقدوتنا ... بحر طويل لإيجادي هو السبب

بيت يَحُجُّه أهل العلم قبلتنا ... إليه وجهت وجهي إن تكن إرب

سابي الدقائق من علم ومن أدب ... به العويصات عنها ترفع النقب

كثير بحث عليم في محاورة ... منه المسائل تستجنى وتكتسب

ما ناظرته نحارير بمسألة ... إلا وأفحمهم في الحال فاكتأبوا

لسانه شهد يشفي العليل به ... لكن على رائم(٤) أبحاثه عطب

(١٥٣ب)

يا والدي شمس أيام لنا سلفت ... عسى تعود فعنّا تنجلي كرب

يا والدي هل أرى بغداد تجمعنا ... في دار عز بها الأفراح والطرب

---

(١) ديوان عبدالرحمن السويدي، بتحقيقنا والحاج وليد الأعظمي، القصيدة ١٠ (مخطوط).

(٢) في الديوان (ذو المجد).

(٣) هذا البيت ليس في الديوان.

(٤) في الديوان (راقم).

فإن بحر اشتياقي صار منسرحا | منّي إليك ولكن موجه وصب
وسفن صبري قد سارت على عجل | ومهجتي وحشاشاتي بها ركبوا
يا والدي بعدك الزوراء في ظمأ | من العلوم فدع تروى بكم حلب
يا والدي عل هذا الدهر يجمعنا | خير اجتماع به نال العدى غضب
وعل يوما[1] ظلال[2] النخل مجلسنا | في كرخنا وعلينا يسقط الرطب
وأنت فينا كبدر لاح من شغف | وإننا لك هالات ولا عجب
تجنى ثمار علوم في التخاطب في | أيدي التفكر والأذهان تنسكب
من للمطول والتلخيص بعدك من | أليفه كتب المعقول والأدب[3]

(١٥٤أ)

يا والدي دم بذي الشهباء منشرحا | بغداد في القبض إذ قد مسها سغب
بسادة لخصال الجود قد جلبوا | كرام أصل لشدي الفضل قد حلبوا
قوم لقد شرف الله الوجود بهم | أبناء مجد لهم خِيمٌ لهم حَسَبُ
فوق السِّماكين معقود منصتهم | النجم يخدمهم والسبعة الشهب
نهر المجرة أمسى موردا لهم | وفاكهات السّما أكلا إذا سغبوا
جبال علم على نفع الورى جبلوا | شم الأنوف لأخلاق الندى جلبوا
غر الوجوه لأصناف التقى طلبوا | فأدركوها فيالله ما طلبوا
لدى المحاريب تلقاهم نجوم هدى | وفي الحروب إذا قامت هم الشهب

---

(١) في النسختين (يوم) والتصويب من الديوان.

(٢) في ب (ظلام).

(٣) إشارة إلى كتاب (المطول في شرح تلخيص المفتاح) لسعد الدين مسعود التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م، وكتاب (تلخيص المفتاح) لجلال الدين محمد بن عبدالرحمن خطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨م.

هم الكرام فلا الطائي يشبههم ... للضيف أنفسهم[1] إن رامها وهبوا
تفردوا بخصال الفضل فاجتمعوا ... على التقى وإلى العلياء قد نسبوا
بكأسها من عيون الجمع قد كرعوا ... وعين فرق بهم قد نالها نضب
هم الملائك إلا أنهم بشر ... وجملة الصِّيد إلا أنهم عرب

وصورة الكتاب: ما شوق غريب بعد وطنه، ووجد أديب فارقه سكنه، بل ما شوق أعرابية بانت دارها، فبعد عنها هجوعها وقرارها، فحنت إلى بان الحجاز ورنده، وأخنت عليها المنية بسيف البعاد، وحد إفرنده بأكثر من شوقي إليكم الدائم، ووجدي عليكم الملازم.

أتقلب في الطول والعرض، داعيا مبدل الأرض (١٥٥أ) غير الأرض، بأن يعيد علينا ما منحنا قبلا، ويذهب الهم عنا كرما وفضلا، بالتمتع بجناب مولانا الأكرم، المستجار والملتزم، لازال مرفوع الجناب مخفوض الأعداء، مجزوما باحتشامه من رب السماء، آمين، وبعد، فإن سألتم عنا فالحمد لله المتعال، كثير الجود والنوال:

في عيشة تعشو القلوب لضوئها ... ومسرة الأوقات والأيام

والحمد لله على ذلك، إلى آخر كتابه.

وجاءني من ولدي الأصغر أبو السعود محمد، كتاب صورته: ما روضة جرت من تحتها الأنهار، وأينعت فيها الأثمار، وأزهرت فيها الرياحين، وصنوف الورود، واضحت مأوى للعاشقين، ودار الخلود، وغنت فيها الأطيار أرق غناء، وأعلن البلبل بنيل الأوطار، وزوال العناء، وكساها الربيع جلبابا من حرير وإستبرق، وأشجى القمري أحبابا فرق الغصون والورق، وما رائحة المسك الأذفر، وما شم الطيب والعنبر، بأطيب من سلام يهدى من محله إلى أهله، ويبلغ بلوغ الهدي الواجب إلى محله، سلام لا تدرك «١٥٥ب» وصفه الوصاف والكتاب، ولا يحاول نهايته الوصاف ولا كتاب، سلام سطعت من آفاق الوداد أنواره،

---

(١) في الديوان (أنفاسهم).

ونفحت في رياض الاشتياق أزهاره.

سلام فاق الدرر[1] نظما ونثرا، وسما على الفراقد مكانة وقدرا:

إلى من عنده روحي وعقلي[2] ومسكنه سواد المقلتين

إلى العالم الذي عجز عن وصفه الواصفون ولم يحاولوا غايته، والفاضل الذي غاص في بحره الفاضلون ولم يدركوا نهايته، علامة العلماء واللج الذي لا ينتهي، ولكل لج ساحل، المتصدر للتدريس والإفتا، والفائق على من كتب وأفتى، عالم زمانه، ووحيد أوانه، العالم العلامة، والحبر الفهامة، رئيس المدققين، وخاتمة المحققين، الجامع للمعقول والمنقول، والمستنبط للفروع من الأصول: (١٥٦أ).

اللهم يا من زين[3] السماء بزينة الكواكب، وأطلع في دنياه شموس علم وأنجما ثواقب، بجاه رسولك إليك، وبتقربه لديك، أن تديم والدنا لتحقيق كل عويصة ودقيقة، وتعلي درجات الفضل وتقوّم به طريقه، ووجّه وجهته أينما توجّه، وسهّل له من سبل الخير واديه وفجه، فإنك كريم قد وعدت بالإجابة من رفع أكف دعائه، وبشرت بالقبول من ابتهل إليك في صباحه ومسائه، آمين. وبعد ذلك، فالعبد اكتفى عن تقبيل الأقدام بالأثر، ورضي عن تلذذ المشاهد بسماع الخبر، وإن الشوق ما برح تزايده، وما انفك كثيره وزائده:

شوقي إلى والدي الأفخم، والملاذ الأعظم، والمستجار والملتزم، أدامه الله لرؤوسنا تاجا، وأبقاه للمسلمين شرعة ومنهاجا، آمين. ورد إلينا كتابكم [الذي] أنبأنا عن صحة (١٥٦ب) الحال، والحمد لله على السلامة والعافية والاعتدال، فأضحى بيننا كهلال شوال، وحق في وصفه قول من قال: وأضحى ينقل من يد إلى يد إلى أن أتى إلى يد الضعيف، قبّله ألف مرة وقرأه مائة كرة، إلى آخر كتابه.

---

(١) في ب (فاق الدر).

(٢) في ب (عقلي وروحي).

(٣) في ب سقطت (زيّن).

وجاءني[١] من ولدي الكبير الشيخ عبدالرحمن كتاب :

ثم يهدي سلاما صدر من قلب لض[٢] بالنوى، وتحيات نطق بها لسان الشوق لاعن الهوى، إلى مولاي ووالدي النحرير، والهُمام الإمام الكبير، رب الفضل وأهله، ورئيس النبل قد عز أمثال مثله، حفظه الله من طوارق الزمان، وبوائق الحدثان[٣]، آمين[٤] أما بعد، فإنا نحمد إليك الله، ولا نشكر إلا إياه، لم يمسنا سغب ولا نصب، بل أكلنا النعيم الناعم، وأكثر فاكهتنا القثاء مع الرطب، هذا مع القحط الذي لا يوصف، والجدب الذي لم يكن (١٥٧أ) قبل يعرف، والحمد لله كيلنا زائد كثير، وبرنا وافر غزير، والحمد لله على ذلك، إلى آخر كتابه[٥].

وجاءني كتاب من ولدي الأصغر أبو السعود محمد صورته : إن أشرف ما تتوج به المفارق والرؤوس، وأبهى ما تبتهج به المهارق والطروس[٦]، وأبهى ما ينظم في سلوك السطور، من الدرر الباهرة لدرر النحور[٧] وأبهى ما يرقم في صكوك الصدور، من الغرر المضاهية للآلىء البحور، تحيات نظمت لإخلاص عقودها، وتسليمات رقمت بطرز اختصاص برودها، تشققها[٨] الأدعية على ألسن المقربين تتلى، وتشيعها الأثنية التي في مناص[٩] الكروبيين[١٠] تجلى، مرفوعة في الموقف الأعظم، متلوة في المستجار والملتزم، بأن

---

(١) في ب (وأتانا).

(٢) لض : أكثر من الالتفات يمينا وشمالا.

(٣)في ب (طوارق الحدثان وبوارق الزمان).

(٤) ليس في ب (آمين).

(٥) في ب (الخ).

(٦) المحابر والورق.

(٧) في ب (الدر النحور).

(٨) شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج، وفي ب (تشفعها).

(٩) المناص : الملجأ والمفر.

(١٠) الكروبيون : من الملائكة.

يديم الله للعلم وأهله، ويبقى الفرع[1] وأصله[2]، بقاء مولانا الأستاذ الأعظم، والملاذ الأعصم[3]، والجهبذ النقاد، والكوكب النفاد[4]، عالم الإسلام على الحقيقة، الجامع للشريعة والطريقة، الأمجد المحترم، والدنا المكرم، لا زال منتصبا للتدريس والتأليف، وكل فن له صاحب وأليف، آمين، من عبد اكتفى عن المشاهدة بالخبر، وبالإنابة عن الأيدي بتقبيل الأثر (١٥٧ب) لا يوصف شوقه، ولا يبرد حرقه، لكم من الداعين في سائر الأوقات، ودبر الصلوات، فالمرجو الدعاء ببيت الله الحرام، ولدى زيارة النبي عليه الصلاة والسلام.

وجاءني منه كتابان آخران ضيق الوقت منع من كتابتهما.

وجاء من ولدي الشيخ عبدالرحمن كتاب يثني فيه على علماء حلب، إلا أنه لم يصل إليهم، لأنه ورد عليَّ وأنا في دمشق الشام، وصورته[5]: الأذن تعشق قبل العين بعض الأحيان، والمستوصف مستغن بالخبر عن العيان:

فالمملوك مشتاق لم تساعده الأقدار، ولم يقض الله برؤيتكم وكل شيء عنده بمقدار، فالله أسأل أن يطوي من البين شقة البين، ويكحل ما يمتد الاجتماع منا العين، بسادة ترافعت حضراتهم على السماك، وتقاعست دونها الأفلاك، من تفردوا في جمع العلوم، وتوحدوا بمعرفة المنطوق والمفهوم، فلله درهم من رجال جديرون بأن تشد إليهم الرحال، اقتطفوا أزهار البلاغة ببنان (١٥٨أ) الأفكار، وكرعوا من أنهار البراعة بكاسات[6] الابتكار، فلو أبصرهم المتنبي لترك سفاسف قرآنه، وأخذ بمدحهم واعتد بشانه، ولساعده

(١) في ب (الفروع)

(٢) في ب سقطت (واصله) وبعدها (وأصلح بقاء مولانا).

(٣) أعصم من الشر: التجأ وامتنع.

(٤) نفد الشيء: فرغ وانقطع وفني.

(٥) سقطت من ب(الشام وصورته).

(٦) كذا في النسختين، ولعلها (آت).

على ذلك قس ابن ساعده[1]، ولم ينكر في هذا الشأن من شأنه الإنكار ولا المساعدة، ولو رآهم ابن العميد[2] لعمد إلى ترك ما ادعاه، ولصير سيف بلاغته غميدا[3] بعدما انتضاه، ولو سمع بهم سحْبان[4] لسحب أذيال الخجل وندم على دعواه الفصاحة وعدل، فليست فضيلتهم استعارة مبناها التشبيه، إذ لا مثل لهم ولا شبيه، بل حقيقية مصرحة، ومكنية مرشحة، مجردة عن ترك الأينه، الفاعلون الجود، وكل فاعل مرفوع والمنصبون لإكرام الوفود، من رفيع وموضوع، فباهت بهم الشهباء، وأمنت بتركهم من اللألواء[5]:

وكيف لا تباهي، وقد حوت الشرف الغير المتناهي[6]، بل يحق أن تفخر على الزوراء، لتفردها بالرتبة العلياء، حوت رجالا هم الجبال، وسادة متسمين بمحاسن الأفعال:

أبناء مجد كرام قبل ما فطموا ... على[7] الرْضاع لأخلاق الندى جلبوا

قومٌ إذا ذَكَروا الرحمن من وجلٍ ... لانوا وإن شهِدوا يوم الوغى صعبوا

لا يسكن[8] الحقُّ إلاّ حيثما سَكَنوا ... وليس يذهب إلاّ حيثما ذهبوا

إذا تنَشَقتَ ريّاهم عرفتهم ... بأنهم من جَناب القُدس قد قربوا

أطال الله بقاء الموالي، أصحاب الشرف الباذخ العالي، ومتع المسلمين بمدة حياتهم، وأعاد علينا وعليهم عوائد دعواتهم، آمين.

---

(١) خطيب جاهلي، من حكماء العرب، اشتهر بخطبه البليغة.

(٢) ابن العميد، محمد بن الحسين بن محمد، من الوزراء الادباء، توفي سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧١م.

(٣) يريد: مغمدا.

(٤) سحبان بن وائل، خطيب فصيح، يضرب به المثل بالفصاحة.

(٥) اللأواء: الشدة والمحنة.

(٦) الأصح غير المتناهي.

(٧) كذا في أ وفي ب (عن).

(٨) في ب (لايسكنوا).

المملوك يتمنّى له تقبيل أرض حوت أولئك الأكابر، وارثي الفضل كابراً عن كابر، ثم يهدي سلاما عبق الكون نشره، وشاع في الآفاق ذكره وفخره. سلام سليم عن الرياء والنفاق، محفوف بالدعاء والأشواق، إلى الفضلاء الأنجاب، والسادة الأتراب، معادن الشرف الأثيل، الجديرين بالتكريم والتبجيل، لا زال العلم بهم مشهوراً، والدين بوجودهم محبوراً منصوراً، آمين وبعد، فقد ورد إلينا من الوالد (١٥٩أ) كتاب كريم، فيه الثناء العميم، مدحكم فيه بما تلتذ به الأسماع، وتميل إليه الطباع، وذكر فيه فضلكم على التفصيل، من غير إطناب ولا تطويل، وما جرى بينكم له من المحاورات، والمباحثات والمناظرات، وذكر أنكم مكرموه غاية الإكرام، ومحترموه نهاية الاحترام، فسرَّ المملوك لذلك غاية السرور، ولم يزل منذ سمع ذلك بانشراح وحبور، فجزاكم[الله] عنا جزاء الأخيار، وآمنكم من الأنكاد والأكدار:

إلى آخر كتابه.

وجاءني في كتاب من الأكرم الأمجد، حمزة آغا محصل حلب، إنشاء الشيخ محمد الطرابلسي فيه عتاب، حيث إني لم أخصه بكتاب، وصورته: أيد الله كعبة الأفاضل، ومسعى كل مباحث ومناضل، الرامي جماره بدُرّ المسائل، الساعي مساعي التحقيق، الواقف مواقف التدقيق، الأخ الأعز الأكرم، الشيخ عبدالله حفظه الله وسلم، وبعد إهدائه أنواع التحية البهية، وأصناف الأدعية المرضية (١٥٩ب) الزكية، فالذي نعرضه أن المحبة بيننا رفيعة الذرى، وثيقة العرى، ومنذ رحلتم ونحن في طيب ذكراكم، وبث محاسنكم. وفي خلال ذلك تنمو دواعي المحبة، وتتحرك لواعج الصحبة، فتظن النفس بأنه يرد علينا منكم كتاب كريم، يشتمل على در نظيم، يكون به تسلية عن مشاهدة الوجوه[1] النضير، وإيقان بسلامة ذلك الجناب الخطير، وبينما نحن في الوارد، إذ وردت كتبكم على الأخ الأعز،

---

(١) كذا في النسختين، ولعل الصواب (الوجه).

فأخذ كل كتابه بيمينه، وأثبت ظن وده بيقينه، غير أننا لم نر لنا سطراً، وكان الأخ الأعز خلع الذمة العراقية، وتردى بالصفات الشامية، ورقة طبعه تشهد لذلك، وإلا فود العراق، مما وقع عليه الاتفاق، وحفظ الصداقة شاد عليهم نطاقه، أو أنه قد اقترف منا ذنباً يقتضي الهجران، وأنسج علينا عناكب النسيان، فالرجا عدم الإخراج من الخاطر، خصوصا عند مشاهدتكم الروضة النبوية، على ساكنها أزكى سلام وأعطر تحية، بدعاء مقبول، وتوسل بأكرم رسول، كذا في كل موطن إجابة، نرجو بذل الدعاء لنا ولولدنا محمد آغا، وكذا كاتب الأحرف. السيد محمد يبلغكم السلام، ويرجو ما نرجو والدعاء.

وكتب الشيخ علي الدباغ مشايخه(١٦٠أ) وأرسل ما كتبه إليّ وأنا في دمشق الشام[١]، وسبب ذلك أني لما استجزته لأولادي، طلب مني أن أجيزه فأجزته. ثم سألته الإجازة لي، فأجازني. والتمست أن يكتب لي مشايخه الذين أخذ عنهم، فلم يتهيأ له الكتابة وأنا في حلب، وصورة ما كتب: الحمد لله المجيب لمن دعاه، المقبل على من ناداه، الذي خص أهل الحديث بالرحمة والنضرة، وجعلهم من بين زمر العلماء خير زمرة، واستجاب فيهم دعوة نبيهم المختار، وحباهم برقة القلب وطول الأعمار، وحفظ بهم على الأمة أمر الدنيا والدين، وما يقرب في الدارين، من المنزلة العليا، وجعلهم أقرب الخلق في القيامة إليه، لكثرة صلواتهم وسلامهم عليه، على تلك الذات العلية، التي هي لظهور الموجودات العلّة الفانية[٢] أبو الأرواح، وممدها بالفلاح والهداية، القائل: (بلغوا عني ولو آية)[٣]، والمأثور في المسانيد عنه: (رُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[٤]، وعلى آله شموس الاقتداء، وأصحابه بدور الاهتداء، الذين سنوا الرِّحْلة في الحديث، وسعوا في طلب العلو السعي

---

(١) سقطت من ب (الشام).

(٢) كذا في النسختين، ولعلها (الغائية).

(٣) أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عمرو (السنن، كتاب العلم، الرقم ٢٥٩٣).

(٤) أخرجه الترمذي عن ابن مسعود (السنن، كتاب العلم، الرقم ٢٥٨٢) وغيره.

الحثيث، آمين أما بعد، فإن طلَب الإسناد من الدين، وفي قربه قرب ربّ العالمين، ولولاه لقال ما شاء (١٦٠ب) وأراد، واختلق ما اختار وسلم من النقاد، طالما افتضح به الكذابون، ورقى به أوج السعادة الصادقون، ولنعم العلم هو إذا اقترن به مع الرواية الدراية، ولعمري لقد أحرز معها من هذا المضمار الغاية، لا كمن يقتصر على الفرق بين الخباط والخناط[1]، وقصاراه أن يعرف من يُكنَّى بأبي محمد الهلالي أو يلقب بسناط، وإذا نشرت له مسألة علمية تراه قد طوى من تحتها البساط، وقد قَيَّضَ الله في كل عصر أقواماً لهذا المطلب العالي، فبذلوا الوسع في سماع النازل والعالي، وصرفوا نقد أعمارهم على تحصيل هذا العلق النفيس الغالي، فلله در هاتيك العصابة، التي فوقت[2] لهذا الغرض سهام الإصابة، وارتحلت للبلاد الشاسعة والأقطار، وركبت البحار وجابت القفار، ولقيت الأخطار، حتى توضحت لهم المهمات، وتميزت لديهم الضعفاء من الثقات، وقد اطلع الله سبحانه وتعالى منهم بأفق شهبائنا واسطة عقدهم، ودرة تاج مجدهم، واحدهم الذي لا يقاوم ولا يقاول، وأوحدهم الذي لا يشابه ولا يماثل، علامة قطر العراق، ومن ثبت له الفضل بالاستحقاق، وصار تفرده وتفوقه كلمة اتفاق، وسارت (١٦١أ) بمعارفه الركبان، وتناقلتها الرواة في البلدان، واعترف بها الخاص والعام، وقصرت عن استيفائها أفواه الدوى[3] وألسنة الأقلام، وألفاظ المنشئين وأفكار النظام، جناب سيدنا ومولانا الشيخ عبدالله أفندي السويدي، الذي ساد أهل السواد، وألزم العجم ولمذهب أهل السنة أشاد، وأفحم بمباحثاته أهل الغواية، وأنى رفعوا راية علم نقلي أو عقلي كان على آية تلك الراية، أدامه الله لفضل ينشره بين أهله، ويسوقه كالهدي إلى محله، فنشر من فضائله ما نشر، إلى أن صغر الخبر[4] الخبر، ورأيناه كزيد

(١) الخباط: داء كالجنون والخناط: الداهية.

(٢) فوق عليه: علاه.

(٣) الدوى: جمع دواة، وهي المحبرة، وفي ب سقطت (أفواه).

(٤) الخبر: التجربة.

الخير[١]أو جعفر بن فلاح[٢]، أو ابن الشجري[٣] حين اجتمع بالزمخشري[٤]، وبصحبته اغتبط وارتاح، ومن فرط كماله والكمال[٥] يقبل الكمال، إن رآه على بقايا المسندين من الرجال، ولم يقنع باللقى والسماع، بل سأل عموم الإجازة له ولأولاده المعممين وذوات القناع، بناء على قولهم لا يكمل الرجل حتى يأخذ عمن فوقه، وعن مساويه وعمن دونه، وإلا فهو ممن تشد إليه الرحال في هذا الغرض ولا يعدونه، ثم حمله شره الاستكثار على طلب ذلك حتى من الصغار، فطلب ذلك مرارا[٦] من العبد (١٦١ب) الفقير، الذي لا يعد بين أهل هذا الشأن في العير ولا في النفير، رغبة منه في رواية الأكابر عن الأصاغر، وقصدا إلى الاتصال بأسانيد شيوخي الجامعين للكمالات والمفاخر، فامتنعت لقصوري عن هذا المقام، فراسلني بذلك من الشام، ونظر إليّ بعين الرضا، ولم ينظر إلى أن عليًا لم تتصل بيائه ميم، ومع الرياض النضرة لا يرعى الهشيم، فأجبت سؤاله حينئذ متمثلا، وأقول مجيباً ومجيزاً خجلا :

ولم أشرِط سوى دعوات خيرٍ ... لأن الشَّرْط منهم ذو رسوخ

وأبحتُ لهم رواية مسموعاتي ومقروءاتي، وإجازاتي ومناولاتي، من تفسير، وحديث لقديم وحديث، وفقه وعقائد وضوابط وقواعد ومنقول ومعقول، وفروع وأصول، ومنثور ومنظوم، في أنواع العلوم، وأخبرهم، أدام الله سموهم، ويسر لهم تفردهم في هذا (١٦٢أ)

---

(١) شاعر من طيئ، كان اسمه زيد الخيل، فلما أسلم سماه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: زيد الخير.

(٢) هو جعفر بن فلاح الكتامي، قائد عرف بباسه، توفي سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧١م.

(٣) أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسني البغدادي، ابن الشجري، أديب نحوي مصنف، عالم أشعار العرب، توفي سنة ٥٤٢ هـ/١١٤٨م.

(٤) هو محمود بن عمر الزمخشري، المفسر الشهير، صاحب تفسير (الكشاف) و (ربيع الأبرار)، توفي سنة ٥٣٨ هـ/ ١١٤٤م.

(٥) في ب (والكامل).

(٦) سقطت (مرارا) من ب .

الشأن وعلوهم، أني سمعت بعدة بلاد، منها حلب الشهباء وإدلب[1] ومعرة النعمان وحماه وحمص ،دمشق والمدينة المنورة ومكة ومنى والجديدة وظهر عقبة أيلة ومصر والقاهرة والآثار الشريفة وبولاق ودمياط وصيدا وطرابلس واللاذقية والشغر ونابلس وبيت المقدس والخليل، وغيرها من أئمة تشرفت بذكرهم المسانيد والجوامع، وإذا كانت شيوخ الرجل آباءه في الدين، فأولئك آبائي الذين بهم أفتخر إذا جمعتنا المجامع، فممن سمعت منه، وأخذت عنه، من أهل حلب، الشيخ إبراهيم النخشبي، والشيخ زين الدين الجلوي، والشيخ عبدالرحمن العمادي، والمحدث الكبير الشيخ أحمد الشراباتي، والمحقق الشيخ الشعيفي، والمسند الشيخ حسن السكري، والشيخ المعمر أبو هريرة الهريري[2]، تلميذ الشيخ وفا العرضي، والشيخ عبدالقادر الإمام بأموي حلب[3]، والسيد أبو السعود الكواكبي مفتي السادة الحنفية، والشيخ سليمان النحوي، والشيخ حسن السرميني، والسيد يوسف الشامي، والشيخ طه اليوسفي، والشيخ يس الفرضي، والشيخ أحمد المداري.

ومن أهل دمشق العارف بالله تعالى (١٦٢ب) الشيخ عبد الغني النابلسي، ومفتي الحنابلة الشيخ أبو المواهب، أجاز لي ولم ألقه، والمحدث الكبير الشيخ محمد الكاملي، وولده الشيخ عبدالسلام، والولي المجمع على فضله وجلالته الشيخ عبد القادر التغلبي الحنبلي، والشيخ المعمر البركة الشيخ عبد الرحمن المجلد، والسيد عبد الباقي بن مغيزل، والمحقق الشيخ عبدالرحيم الكابلي، والشيخ محمد العجلوني، وزاهد عصره الشيخ الملا إلياس الكوراني، ومفتي السادة الشافعية الشيخ أحمد الغزي، وابن عمه الشيخ محمد الغزي، والشيخ محمد الدكدكجي[4]، والشيخ حسن المصري المقرىء، والسيد أسعد بن

---

(١) بلدة تبعد عن مدينة حلب بنحو ٥٠كم، وُعدَّتْ في أواخر العصر العثماني من أقضية ولاية حلب.

(٢) في ب (والشيخ إبراهيم القمر أبو هريرة الحريري).

(٣) يريد: بالجامع الأموي في حلب.

(٤) هو محمد بن إبراهيم الدكدكجي الدمشقي، له كتب ورسائل منها (تراجم رجال السلسلة الشاذلية) و (شرح طيبة النشر في القراءات العشر)، توفي سنة ١١٣١ هـ/ ١٧١٩م.

المنير المقرىء(١)، والشيخ محمد الحبال. ومن أهل المدينة والمتوطنين بها: الشيخ عبدالكريم الخليفتي(٢)، والشيخ طاهر ابن الشيخ إبراهيم الكوراني، والشيخ أبو الحسن السندي(٣) صاحب الحواشي على الكتب الستة، والشيخ طيب السندي، والسيد عبد الرحمن السقاف(٤)، والشيخ محمد المغربي المعروف بالمشرفي، تلميذ الفاسي(٥) شارح دلائل الخيرات، والشيخ موسى البصري. وأجاز لي منهم الشيخ محمد حياة السندي، وهو بعد في الأحياء. ومن أهل مكة والمتوطنين بها: محدث العصر الشيخ عبدالله بن سالم البصري، والشيخ تاج الدين الدهان، والعارف بالله (١٦٣أ) الشيخ محمد الوليدي، وسيدي الشيخ محمد عقيلة صاحب المصنفات الجليلة، والشيخ يونس المصري، والشيخ عيد المصري، ومحمد بن عبدالله المغربي، ومصطفى فتح الله النحاس المصري(٦)، معارض المقامات

---

(١) هو أسعد بن إسحق بن محمد بن علي الشهير بالمنير الشافعي الحسيني الحموي الأصل، الدمشقي المولد، اشتغل بطلب العلم، ثم أمَّ في الجامع الأموي، ودرس فيه النحو والقراءات كما درس في المدرسة اليونسية، وتوفي سنة ١١٣١ هـ/ ١٧١٨م. ترجم له المرادي (سلك الدرر ج١ ص ٢٢٧).

(٢) هو عبدالكريم بن عبدالله العباسي الخليفتي، مفتي الحنفية بالمدينة المنورة، له رسالة اختار فيها ترجيح قول الإمامين ابي يوسف ومحمد في حرمة توسد الحرير وافتراشه، وله فتاوى وتحريرات، وشعر، وتوفي سنة ١١٣٣ هـ/ ١٧٢١م. سلك الدرر ج٣ ص٦٦ و هدية العارفين ج١ ص٦١٣.

(٣) هو أبو الحسن بن عبدالهادي السندي، ولد بالسند، وعاش في المدينة المنورة، وتوفي فيها سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م. الجبرتي: عجائب الآثار ج١ ص٨٥ وكحالة: معجم المؤلفين ج٢ ص٢٤٣.

(٤) هو عبدالرحمن بن محمد السقاف الحسيني العيدروس، من أهل حضرموت، له رحلة إلى الحجاز والعراق دون وقائعها في مجلد ضخم. الزركلي: الأعلام ج٤ ص١٠٩.

(٥) هو محمد المهدي بن أحمد الفاسي القصوي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ وشرحه هو (مطلع المسرات بجلاء دلائل الخيرات).

(٦) نسبة إلى مصر، وفي مراجع ترجمته: فتح الله بن عبدالله الحلبي، المعروف بابن النحاس، وهو شاعر من أهل حلب، طوف في البلدان، حتى استقر في المدينة، حيث توفي سنة ١٠٥٢ هـ/ ١٦٤٢م. وله (التفتيش على خيالات درويش) يرد فيه على درويش مصطفى الطرابلسي.

الحريرية، ودخلت في عموم إجازة الحسن العجيمي لمن أدرك حياته، كما شاهدت ذلك بخطه في فهرسته.

ومن أهل مصر والمتوطنين بها: الشيخ منصور المنوفي، والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، والشيخ إبراهيم الفيومي، والشيخ مصطفى العزيزي، والشيخ أحمد الدقدوسي، والشيخ محمد المنفلوطي[1]، والسيد علي البصير السيواسي، والشيخ أحمد الملوي، والشيخ عبد الوهاب أبو النصر، والشيخ أحمد الأحمدي، والشيخ محمد عبد العزيز، والشيخ يوسف الملوي، والشيخ شلبي المالكي، والشيخ علي الطبلوني، والشيخ أحمد البرماوي[2]، والشيخ أحمد الريزلي، والشيخ محمد المغربي المالكي، وكان ورده في كل يوم دلائل الخيرات أربعين مرة، والشيخ أحمد البقري[3]، والشيخ خليل الزورقي، وغيرهم. ومن أهل دمياط: مسندها الشيخ محمد ابن الميتة، والشيخ مستحفظان، والشيخ فرحات، والشيخ إبراهيم الشبيتي، والشيخ محمد بن لقيمة[4] صاحب الحاشية (١٦٣ب) على تفسير البيضاوي، والشيخ أحمد الأسقاطي[5] محشى الأشموني[6].

---

(١) هو محمد بن أحمد الحسيني المنفلوطي الأزهري، ابو شهبة، فقيه، له (كشف القناع عن شوارد الطلاق والاختلاع) و (الدرر البهية بحل الفاظ السخاوية) في الحساب، وتوفي بعد سنة ١١٦٣ هـ/ ١٧٥٠م. ترجم له البغدادي (هدية العارفين ج٢ ص ٣٢٧).

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن محمد البرماوي، له (الميثاق والعهد في شرح من تكلم في المهد) هدية العارفين ج١ ص١٦٤.

(٣) هو أحمد بن رجب بن محمد البقري المصري، نحوي، له (در الكلم المنظوم بحل كتاب الشيخ ابن آجروم) في النحو، توفي سنة ١١٨٩ هـ/ ١٧٧٥م. هدية العارفين ص١٧٩.

(٤) وفي فهرس المكتبة الأزهرية (ج١ ص ٢٤١): محمد بن محمد اللقيمي الشافعي، أبو الزهد، واسم حاشيته (الشهاب المضيء بأنوار التنزيل).

(٥) هو أحمد بن عمر الأسقاطي المصري الحنفي، ابو السعود، له حاشية على شرح الأشموني التالي، اسمه (تنوير الحالك) توفي سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م. سلك الدرر ج١ ص١٤٩ وهدية العارفين ج١ ص ١٧٤.

(٦) هو علي الأشموني، نور الدين نحوي، له شرح على الفية ابن مالك وغيره، سنة ٩٢٩ هـ/ ١٥٢٣م، الغزي: الكواكب السائرة ج١ ص ٢٨٤.

ومن أهل نابلس: الشيخ عبد الغني[1] مفتيها. ومن أهل بيت المقدس: الشيخ محمد الخليلي[2].

ومن أهل طرابلس: الشيخ عبدالجليل بن سنين، والشيخ عبدالله الخليلي.

ومن أهل إدلب: السيد أحمد الكاملي.

ومن الأكراد: الشيخ حسن المهاجري، والشيخ حسن الأعرج، والشيخ علي الحريري، والملا علي السوري، وعبدالله بن رسول الذكي، والملا محمود نزيل دمشق.

ومن أهل بغداد: الشيخ تاج العارفين البغدادي.

ومن داغستان[3]: المحقق الشيخ رمضان، والملا علي.

ومن أهل مرعش[4]: الشيخ محمد السجقلي[5].

ومن أهل قسطمون[6]: الشيخ محمد القسطموني[7].

---

(١) يريد عبدالغني النابلسي، وقد تقدم.

(٢) هو محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي المقدسي، محدث له (ثبت) وفتاوى، وغيرها، توفي سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م. كحالة: معجم المؤلفين ج١١ ص٢٢٢.

(٣) داغستان إقليم في بلاد القفقاس، يحدها من الشمال الشرقي سلسلة جبال القفقاس، ومن الغرب بحرالخزر، كانت تابعة للعثمانيين حينا من الدهر، ثم ضمته روسيا إليها سنة ١٨٦٤، سامي: قاموس الأعلام ج٣ ص٢٠٩٢.

(٤) بلدة على جنوبي الاناضول، كانت تعد من اعمال حلب، ومركزا لقضاء من اقضيتها، حيث تبعد عنها بنحو ١٥٤ كم.

(٥) هو محمد المرعشي المعروف بساجقلي زاده، عالم بالتفسير واللغة والفرائض، له (ترتيب العلوم) و (نهر النجاة في بيان مناسبات آيات أم الكتاب) و (تقرير القوانين المتداولة من علم المناظرة) و (تسهيل الفرائض). توفي سنة ١١٥٠ هـ/ ١٧٣٧م، جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص ٣٢٦ وكحالة: معجم المؤلفين ج١٢ ص١٤.

(٦) مدينة في الشمال الغربي من الأناضول، تبعد عن استانبول شرقا بنحو ٤٠٠ كم، كانت مركزا لولاية قائمة بذاتها في عصر الدولة العثمانية.

(٧) لعله محمد بن محيي الدين القسطموني القادري، المدرس بالقسطنطينية، والمتوفى بها سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م، له (أسماء السلوك الأشرنية) و (تعبير الرؤيا) هدية العارفين ج٢ ص٣٠٨.

ومن أهل الغرب: الشيخ محمد التفلالي. هذا ما حضرني من أسماء هؤلاء الأعيان، وأما من سمعت منهم أشعارهم، وقيدت نظامهم ونثارهم، وطارحتهم وراسلوني، وساجلتهم وساجلوني، فجمع غفير، وعدد كثير، نجمعهم إن شاء الله، ونفصّل المسموع والمقروء.

فهرست مروياتي: وأما مصنفاتي التي حقها أن لاتذكر، ومن شانها أن تستر وتقبر، فمنها (الدر المصنوع في الخبر الموضوع)، لخصت فيه مؤلفات السيوطي وغيره في هذا المعنى، ورسائله في الكلام على حديث (كيفما تكونوا يولّى عليكم)، (١٦٤أ) وشرح على (دلائل الخيرات) فيه مناقشات مع الشارح، و(خبار الأنام في أخبار جرجيس عليه السلام) و(نظم العضدية في الآداب) و(رسالة في العقيقة) و(نظم علل الأعاريض) ولي في تلخيص كثير من كتب التواريخ والأدب بمجاميع لطاف هي من بعدي، كما قال العماد الكاتب[١]، أما مزاود[٢] للعقاقير وأما بطائن للخفاف، وأما نظمي ونثري فكنت أقدر أن لا أسال عنه بكونه من الترهات، ولو جمعت متفرقاته لجاءت في مجلدات، فمنه عقد حديث الرحمة.

أول ما أسْـمعنا أهلُ الأثر	مُسْلسل الرّحمة من خير البشر
للراحمين يَرحْم الرحمن ار	حموا لِمَنْ في الأرض تحْظَوا بالظَفَر
إن الجَزا يَرْحَمكم من في السَّما	وحسبُنا رحمتكم من افتقر

ولولا ضيق الوقت لأتيت بما تمله الأسماع، وتأنف منه الطباع، والمسؤول من فضل سيدي ومولاي أن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته، قال ذلك وكتب أبو الفتوح

(١) يريد عماد الدين محمد بن حامد الكاتب الاصبهاني، الاديب الشاعر، ولد في أصبهان، وتعلم في بغداد،وتولى الوظائف في البصرة وواسط، وارتحل إلى دمشق حيث التحق بنور الدين زنكي، ثم بصلاح الدين الأيوبي وتوفي بها سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، ومن أجلّ تصانيفه (خريدة القصر وجريدة العصر) و(البرق الشامي)، و(الفتح القسي (لعله القدسي)).

(٢) في ب مذاود، بالزاي، والمزاود، جمع مزود، وهو ما يوضع به الزاد.

علي بن مصطفى البغدادي الموقت بأموي حلب، بعد صلاة الجمعة، ثامن شوال من شهور سنة ١١٥٧[١] مصليا (١٦٤ب) ومسلما.

وقد التمس مني الشيخ الصالح الحافظ لكتاب الله الشيخ إبراهيم الدمشقي الإمام بمدرسة سليمان باشا أن أسمعه حديث الرحمة مسلسلا، فاسمعته إياه على حسب ما طلب، وأجزته به وبسائر مروياتي، وفقنا الله وإياه صالح العمل. وممن جاء لوداعنا إلى المرجة[٢] السيد أحمد بن نقطة، وولدنا الشاب الصالح، ذو الوجه الصبيح والسعد الراجح، الشيخ علي الكرجي الأصل.

[خان ذي النون]

وكان خروجنا من دمشق الشام متوجهين إلى بيت الله الحرام ضحى يوم الأربعاء العشرين من شوال[٣]، فنزلنا خان ذي النون، وبعضهم يقول: خان يونس. وهو خان عنده نهر جار عذب، والمسافة أربعة فراسخ، وكان عديلنا في شق المحمل رجل من أكراد بدليس اسمه حسن بن بابير، وجميع الذين كانوا في الخيمة التي كنت فيها أكراد، ومن طبعي أني أبغض الأكراد لأنهم غلاظ شداد جفاة لا عقل ولا كمال[٤]، فسلمت أمري إلى الله، وتيقنت أن

(١) الموافق ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٧٤٤م.

(٢) حي عرف باسمه هذا لانه كان جزءا من مرج أخضر يحيط به فرعا نهر بردى عند العقرباني، ولذا فقد عرف أيضا، قبل إعماره، بالجزيرة، أو بين النهرين، وقد أصبحت المرجة ساحة منذ بداية القرن العشرين، ينظر عفيف بهنسي: الشام لمحات آثارية وفنية، بغداد ١٩٨٠، ص١١٧.

(٣) الموافق ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٧٤٤م.

(٤) لا يقصد المؤلف هنا الأكراد مطلقا، فإنه سبق أن أشار إلى عدد من علمائهم الفضلاء الذين التقى بهم في أثناء رحلته وأثنى على بعضهم، وأورد أسماءهم التي وردت في إجازات غيرهم من العلماء، وبالتأكيد فإنه يعني هنا من لم تهذبه الحضارة والثقافة ممن شاء القدر أن يقضي أيام طريق الرحلة بصحبته، أمثال (بابير) هذا، فهو بهذا يميز الكردي المثقف المتمدين عن الكردي الريفي الخشن، على نحو ما ميز القرآن الكريم بين العرب، بوصفهم أمة متحضرة وبين الأعراب الذين كانوا على البداوة عهد ذاك.

هذا لأمر خير لي في معادي لما اتحمل من جفوتهم وغلظتهم فيضاعف أجري ويمحى وزري، لما بلغني عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (أفضل الأعمال أحمزها)[١]، اي أشقها وأصعبها على النفس، فصبرت تحصيلا لكثرة (١٦٥أ) الأجر، وتحملت قدر استطاعتي، وكان جمّالنا الرجل الصالح ال ين اللين الحاج علي بدور الحلبي، وهذه الصفة لا توجد في أحد من الجمالة التي يكرون الحجاج سواه، لانهم كلهم لادين ولا مروءة ولا رحم ولا ديانة ولا امانة، بل إنهم يؤذون الحجاج، وبسعون في أخذ أموالهم إما سرقة وإما استقراضا ولا يؤدونه، لكن الجمالة الحلبية أهون وأسهل من الجمالة الشامية.

وممن كان في ركب الحاج من عوارفنا سيدنا السيد الحسيب النسيب السيد طالب الرفاعي البصري من أولاد سيدي الشيخ أحمد الرفاعي ـ قدس سره ـ والشيخ رفيقنا السيد عبدالوهاب الموصلي الإمام بجامع نبي الله جرجيس ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ والسيد الحسيب السيد يونس ابن الشيخ إبراهيم الأدهمي، وصاحبنا الحاج محمد بن هاشم الحديثي ثم البغدادي نزيل حلب، والسيد أبوالمواهب مفتي الشافعية بحلب، والشيخ طه الجبريني الحلبي، والشيخ إسماعيل العجلوني الدمشقي شارح البخاري، والسيد يحيى مفتي الموصل[٢]، والحاج محمد بن قاسم البصري، والحاج يوسف مولى الحاج نعسان الحلبي، والسيد علي ابن السيد مراد الدمشقي، والشيخ سليمان الدمشقي شيخ الأحباء في المحيا[٣]، والسيد أحمد جابي (١٦٥ب) الوقف السناني[٤]، وولده النجيب المجد المحصل

---

(١) لم اجده في الصحيحين وسنن الترمذي والنسائي وداود وابن ماجه ومسندي احمد والدارمي.

(٢) هو السيد يحيى بن فخر الدين الحسيني الأعرجي المفتي الموصلي، أخذ العلوم على علماء مدينته، ثم حج حجته التي رافق بها المؤلف فاجتمع في حلب بعلمائها، وكذلك في الشام والحرمين، وصفه محمد أمين العمري بقوله «كان له الجاه الكبير، والشان النبيه، والقبول التام عند رجال الدولة، وملوك آل عثمان، واقبلت الدنيا عليه فكثرت صدقاته وتواترت خيراته (منهل الأولياء ج١ ص ٢٤٠ والمرادي: سلك الدرر ج٤ ص٢٣٣)

(٣) المحيا: الموضع الذي يحيا فيه، والحياة.

(٤) أي وقف والي دمشق سنان باشا وقد أشير إليه من قبل.

السيد عيسى.

وكان أمير الحاج الوزير أسعد باشا[1] ابن إسماعيل باشا[2] عظم زاده وهذا الوزير شافعي المذهب كأبيه وعمه سليمان باشا[3] لين العريكة، مبارك، لانفس ولا أنانية، ولا يثبت لنفسه شيئا وإنما يفوض الأمور إلى الله تعالى، إلا أن بطانته وأرباب دولته بطانة سوء وأرباب ظلم وغشم.

ولله الحمد، ذهب الحاج ورجع سالما آمنا، لا تعب ولا نصب ولا عطش ولا سغب[4]، كان ركب الحج في أيام أعراس وليالي أعياد، حتى إني سمعت من غير واحد ممن سافر في طريق الحج نحو خمسين عاما يقول ما اتفق لركب الحج رفاهية وراحة مثل هذه السنة، والحمد لله على ذلك.

[خان دله]

وتليها مرحلة دله بكسر الدال والإمالة، وحولها خان والمسافة اثنا عشر فرسخا.

[المزيريب]

---

(١) أطول ولاة آل العظم حكما في دمشق، وأشدهم بأساً، وطد السلطة في ولايته، وعظم صيته، وهابته العشائر البدوية فلم تجرؤ على الاعتداء على قافلة الحج الشامي، كان شغوفا بالعمارة، ومن منشآته قصره الكبير في دمشق الذي صير متحفا، وتوفي سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م البديري الحلاق: حوادث دمشق ص ٣٥ ـ ٣٧ من المقدمة، وص ١٩٩ والزركلي: الاعلام ج١ ص ٢٩٣.

(٢) من آل عظم، الأسرة التي توارثت الحكم في دمشق أجيالا عدة، ولد في دمشق سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م، وتقدم في خدمة الدولة العثمانية فحكم في المعرة أولا، ثم انتقل منها إلى حماة وحمص، فطرابلس، إلى أن أصبح واليا على دمشق سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م، وأعطي لقب (وزير) فحكمها مدة ست سنوات ثم عزل.

(٣) أخو إسماعيل باشا العظم، تولى صيدا فدمشق سنة ١١٤٦ هـ/١١٤٦م، ثم نقل إلى مصر حيث أراد الإيقاع بأمرائها من المماليك، فأعيد إلى دمشق سنة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م، حيث لبث فيها واليا حتى وفاته سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م. ومن مآثره حمايته للحاج الدمشقي. البديري: حوادث ص ٣٤ ـ ٣٥ من المقدمة.

(٤) السغب: الجوع.

وتليها مرحلة المزيريب(١)، بفتح الميم، جمع مزراب، اسم مكان للزرب، وهو في لغة الشام السَّيْل يقولون: زَرَبَ الماء إذا سال، وفي القاموس زَرِب كسمع سال(٢) سميت بذلك لأن قلعتها حول عين منخفض واديها تجري فيه السيول، وتلك العين اسمها بَجَّة، بفتح الباء وتشديد الجيم وبعضهم يميل الجيم. وماؤها عذب إلا أن فيه نوع ثخانة، (١٦٦أ) وبعض الناس يقول مزيريب تصغير مزراب، ولعل جميع ذلك محرف ميزاب أو ميازيب.

وأقمنا فيها ستة أيام غير يومي الدخول والخروج، لأن عادة أمير الحاج [أن] يعطي الموظف لعنزة(٣) في هذه المرحلة، ويسمونه بالصر(٤) لما أنه يأتي مصرورا بصرة في الأصل، ولأن عادة الجمالة يباشرون أكثر حوائجهم منها من شراء جمال وعلف وغير ذلك. وفي هذه المرحلة أخذ السارق من على ظهري اللحاف وأنا نائم، فأحسست به فانهزم، وفيها ضاع مشطي، وفي هذه المرحلة تكثر السراق بزيادة على غيرها، إذ لا تخلو مرحلة منهم، قاتلهم الله تعالى.

---

(١) المزاريب، أو المزيريب إحدى قرى حوران إلى الشمال الغربي من درعا، وتبعد عنها ١٦ كلم، وهي تقع في واد وعندها بحيرة، وقد أمر السلطان سليمان القانوني سنة ٩٧١ هـ/ ١٥٦٣ م، ببناء قلعة فيها، حيث يلتقي الحجاج في هذا المكان، وأوكلت حمايتها إلى قوة من الينكجرية (الإنكشارية)، وقد وصفها محمد كبريت المدني سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م بأنها مجتمع الحجاج، وفيه الأسواق العامرة بما يحتاج إليه الركب، بل بما يتجر به (رحلة الشتاء والصيف ص ٢٣١).

(٢) القاموس المحيط ج١ ص ٧٨.

(٣) يريد قبيلة عنزة النازلة هناك.

(٤) الصر، أو الصرة، مبلغ من المال كانت الدولة العثمانية تدفعه للمتنفذة من القبائل النازلة على طريق الحج، بهدف تأمين سلامة الحاج، وضمان عدم هجومها عليه، ومساعدتها في معرفة الطريق، وفي ذات الوقت تنتفع تلك القبائل ماديا بتقديمها الجمال لنقل الحجاج، مقابل أموال تأخذها، محمد عيسى بن كنان الصالحي: المواكب الإسلامية بتحقيق حكمت إسماعيل ج١ ص٦٤.

ومن هذه المرحلة أخذت ترابا وضعته في خرقة لأجل التيمم في المواضع التي لا تراب فيها وإن كان معنا ماء، لأن الوضوء حرام إذا كان في القافلة من يظن، أو يتوهم، أنه محتاج إلى شرب الماء لعطش، ولو كان دابة أو كلبا محرما[1] حالا أو مالا إلى الوصول إلى عَيْن أو غيرها، ومما من الله به عليَّ أني كنت أتيمم مع وجود الماء عندي، لأن القافلة لا تخلو عن عطشان مع كثرة المشاة الذين لا زاد لهم ولا ماء. وممن تابعني على ذلك سيدي (١٦٦ب) السيد طالب البصري فكان ـ حفظه الله ـ يتيمم ويامر به، و أكثر الفقهاء الجهلة يتوضؤون بالماء مع الإسباغ، والتثليث مراعاة السنن ظنا منهم أن ذلك عبادة مع كثرة العطشى، وقد قال الإمام النووي في (الإيضاح)[2]: إن هذا الوضوء حرام، ثم قال: وينبغي إشاعة ذلك في ركب الحاج، وتبعه على ذلك الشيخ ابن حجر في مختصر الإيضاح، وشنع[3] أيضا الإمام النووي على من يفعل ذلك، ونسبه إلى الجهل، أعاذنا الله من ذلك. فلم أزل على هذه الحالة وآمر بها الشافعية فأنكر عليَّ مفتي الموصل، وقال: كيف تتيمم ومعك ماء؟ فأجبته بأن الإمام النووي حرَّم الوضوء في مثل هذه الحالة وأخرجت له الإيضاح، وهو مصر على إنكاره، فقلت له: ياشيخ أنت حنفي إنما تعرف مذهبك ونحن أعرف منك بمذهبنا، وهذا مجدد مذهب الشافعي الإمام النووي صرح بذلك وتبعه العلامة المحقق الشهاب ابن حجر، فلم يلتفت إلى ما قلت، فأغضبني، فقلت: يا شيخ! في ذكري أن الحصْكفي[4] شارح (التنوير)[5] في فقه الحنفية [فإنه] صرح بعين ما ذكره النووي فالمسألة وفاقية، فاصرَّ على

---

(١) المحرم: المسالم.

(٢) هو كتاب (الإيضاح في المناسك) ليحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م.

(٣) كذا في ب، وهو الصواب، والذي في أ (شفع).

(٤) في النسختين: الحصفكي، والمشهور ما أثبتناه نسبة إلى حصن كيفا من بلاد الجزيرة. وهو محمد بن علي بن محمد الحصكفي الحنفي علاء الدين، من كبار فقهاء الحنفية، توفي سنة ١٠٨٨ هـ/ ١٦٧٧م. المحبي: خلاصة الأثر ج٤ ص٦٣.

(٥) هو كتاب (الدر المختار في شرح تنوير الأبصار) في فروع الحنفية.

عناده لجهله، فالتمست في ركب الحج (١٦٧أ) شرح التنوير وأخرجت المحل وأرسلته إليه. والذي ذكره أنه يجوز التيمم لعطش ولو من كلبة، إلى أن قال: أو رفيق القافلة، وذكر أيضا أنه يجوز للعطشان مقاتلة صاحب الماء إذا امتنع، فإن قُتل ربُّ الماء فدمه هدر، أو العطشان فيقتص من رب الماء. ولم يزل هذا الرجل يغتابني إلى أن دخلنا حلب فذكر لي بعض الناس أنه ينقم عليَّ من خصوص التيمم، وكنا في مجلس عقد نكاح، وفيه غالب أجلة علماء حلب حنفية وشافعية، فناديت بأعلى صوتي: أنشدكم معاشر الفقهاء كيف حكم التيمم مع وجود عطش رفيق القافلة؟ فقال الحنفيون: يجوز، وقال الشافعيون: يجب.

ومما وقع السؤال عنه في الطريق حكم المنطقة من فضة، فأجبت بالجواز والحل، وخالفني بعض الفقهاء، واحتجنا إلى مراجعة كتب الفقه فظهر الحكم كما ذكرت، فسلموا إلا الشيخ الجبريني بقي على إصراره كما هو عادته.

ومما وقع السؤال عنه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في دعاء الاستخارة: اللهم إن كنت تعلم. وصورة السؤال أن إن للشك، والله تعالى عالم جزما، فكيف صح التعبير بإن؟ وجوابه (١٦٧ب) [إن الشك][1] راجع إلى المستخير لأنه لا يقين عنده في أن علمه تعالى هل تعلق بكذا أو كذا، والمشكوك فيه إنما هو تعلق علم الله لا علمه، فالله تعالى عالم بلا ريب ولاشك، وإنما الشك في التعلق وهو مغيب عنا، والله اعلم.

ومما وقع السؤال عنه في الطريق أيضا قوله تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾[2] الآية.

وصورة السؤال كيف يعقل اشتراء الله الأنفس وهو مالكها؟ وجوابه: إن ذلك من باب المجاز المرسل من أطلاق المقيد على المطلق، والمعنى إن الله طلب من المؤمنين بأن يبذلوا أنفسهم في قتال أعدائه فأطلق الاشتراء على مطلق الطلب مجازا لا أنه اشتراء حقيقي أو إن

---

(١) الزيادة من ب.

(٢) التوبة آية ١١١.

ذلك استعارة تبعية بأن شبه الطلب بالاشتراء لعلاقة أن كلا منهما بعوض وبدل، ثم اشتق من الاشتراء اشترى، والله اعلم.

ومما وقع السؤال عنه في الطريق، قوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾(١) وصورة السؤال أن من لا تطلق إلا على العقلاء، وهي هنا شاملة لجميع الحيوانات عاقلة وغيرها. وجوابه: أن ذلك إما خاص بالعقلاء، وغيرهم مقيس عليهم، أو أنه غلب العاقل على غيره، أو نزل غير العاقل(٢) منزلة العاقل(١٦٨أ)، كما في قول الشاعر:

أسـراب القطا هل مَنْ يعـيـر جناحـه   لعلي إلى من قــد هويتُ أطيـــر

ثم استطرد في الكلام إلى أن وقع السؤال عن ما وإنها لغير العاقل، فكيف أطلقت على النساء في قوله تعالى ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾(٣) الآية؟ فما الجواب عن من يقول بأن ما مختصة بغير العاقل؟ وجوابه: إن النساء لما كنَّ تحت طاعة الأزواج أشبهن الملك فأطلق عليهن ما تنزيلهن منزلة ما لا يعقل.

ومما وقع السؤال عنه في الطريق، كيف التوفيق بين قول ملك الرحم الموكل به: يارب ذكر أم أنثى، شقي أم سعيد؟ فما الرزق وما الأجل، وبين قوله تعالى ﴿إنَّ الله عنده علم الساعة﴾(٤) الآية، فظاهر حديث الملك إنه يعلم كونه ذكرا أو أنثى، والآية تدل على أن هذه الخمس لا يعلمهن إلا الله كما صرح في الحديث، فإن قلتم: إنّ الملك يعلم ذلك بتعليم الله تعالى، قلنا: إذاً لا فرق بين هذه الخمس وبين غيرها. والجواب: نعم لا فرق بين هذه الخمس وبين غيرها من المغيبات [في] أنها تعلم بتعليم الله تعالى، لكن إنما خصت ردا على الملوك السالفة فإنهم كانوا يكثرون من السؤال عن هذه الخمس (١٦٨ب) زاعمين أن أحبارهم يعلمون ذلك فردَّ الله عليهم، بأن هذه الخمس لا يعلمها إلا الله، ومن علمها فإنما هو بتعليمه.

---

(١) آل عمران من الآية ٩٧.

(٢) كذا في النسختين، والاصح قوله: غير العاقل.

(٣) النساء من الآية ٣.

(٤) لقمان من الآية ٣٤.

ومما وقع السؤال عنه في حديث الرحمة: هل جزم ﴿يرحمكم﴾ من حيث المعنى أو لا أم رفعه كما هو في رواية[١]؟ والجواب: إنه من حيث الترغيب الجزم أو لا، لأن من علم أنه إذا رحم رحم حثه ذلك على الإحسان والشفقة، ومن حيث الملاحظة إلى رحمة الله الرفع أولى لأنه حينئذ تكون رحمة الله تعالى مطلقة غير مرتبة على شيء، وهو الفاعل المختار، ويرحم البر والفاجر والطائع والعاصي، مالك أزمة الأمور، يعطي ويمنع لا لغرض.

ثم وقع السؤال على رواية الرفع، هل الجملة مستأنفة استئنافاً نحويا أو بيانيا؟ والجواب: إنها مستأنفة استئنافا نحويا لأنها ليست جوابا عن سؤال مقدر وإنما أتي بها للدعاء ابتداء، فالكلام انقطع عند قوله ﴿ارحموا من في الأرض﴾ ثم استأنف ودعا لهم بالرحمة، أي يا من أمره وسلطانه في السماء رحمهم. وبعض الحاضرين تصدى لأن يجعل ذلك استئنافا بيانيا ولم يأت بطائل، وسيأتي الكلام على مسائل الإحرام إن شاء الله تعالى. وهذه المرحلة مسافتها ستة فراسخ.

[المفرق]

وتليها مرحلة المفرق، بفتح الميم (١٦٩أ) وسكون الفاء وفتح الراء وآخر الحروف قاف، وهو بر لا عمارة فيه ولا ماء[٢]، سمي بذلك لما قيل أنه فارق بين العمارات وغيرها، ويحتمل أنه اسم مكان للفرق بفتحتين، وهو الخوف، وذلك لانقطاع العمارات عنده، فيتوهم الخوف من عدو وقلة زاد وماء وعطب دابة[٣]، والمسافة ثلاثة [عشر][٤] فرسخا.

---

(١) تقدمت إشارة إلى هذه المسألة.

(٢) هذا ما كان في عهد المؤلف، وقد نشأت بعده فيها قرية هي اليوم بلدة زاهرة، تقع في شمالي المملكة الأردنية، على طريق دمشق ـ عمان الرئيس.

(٣) ما ذكره الخياري أدعى للقبول، قال «وسبب تسميته بذلك أن أهل القرى كطرابلس ونابلس ومن وصل مع الحاج من أهل البلقاء والزرقاء يتفرقون منه إلى أوطانهم فلذلك يسمونه بالمفرق (تحفة الأدباء ج١ ص٩٠) وكان والي دمشق يحتفظ بحامية فيها يرأسها أحد الاغوات، وهم على ا لغالب من قبيلة هتيم، وحولها يضرب العربان خيامهم ويزرعون الأرض وينتجون كثيرا من العنب والذرة والقمح (محمود العابدي: الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، عمان ١٩٧٣، ص ٢٨٢.

(٤) سقطت (عشر) من أ.

[الزرقاء]

وتليها مرحلة الزرقاء، قال في القاموس: اسم موضع في الشام[1] والآن يطلقونها على عين هناك، وهذه العين جارية عذبة، على حافة مجراها قصب كثير الالتفاف فينعكس لونه في الماء فيرى أزرق لصفائه فلذلك سميت بالزرقاء[2]. وحول هذه العين من جهة الفوق قلعة صغيرة تسمى بقصر شبيب[3]، وفيها حراس يتعاقبون كل عام.

وعلى شرقي النهر الجاري منها بُرْكة قديمة خراب، وحولها عمارة، وأثر بناء قديم، والكل خراب، وقبيل هذه العين وبعيدها أراض وعرة وعقبات ذوات انحراف واعوجاج وصعود وهبوط ووديان منخفضة، والمسافة تسعة فراسخ، وأقام الركب بها يوما.

[البلقاء]

وتليها مرحلة البلقاء، مؤنث أبلق، وهي اسم بلد بالشام[4] والآن هي خراب، لا ماء فيها، سميت بذلك لما أن حجارتها (١٦٩ب) متلونة بالسواد والبياض، أو لأن أرضها خالية عن النبت والشجر[5].

---

(١) في أ (في الشام)، وفي ب (بالشام) وهو الذي في القاموس المحيط ج٣ ص٢٣٣.

(٢) ينطبق هذا الوصف على ما ذكره ياقوت، حيث قال «الزرقاء موضع بالشام ناحية عمان، وهو نهر عظيم في شعاري ودحال يريد: جبال مشجرة (معجم البلدان ج٤ ص٣٨٤).

(٣) وهو الذي تسميه الروايات العربية القديمة (شبيب بن تبع الحميري) وكان هذا الحصن أحد مراكز الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، في عهد الإمبراطورين فالريان وغاليان (٢٥٣ ـ ٢٦٨م) أما البناء الحالي فيعود إلى العصر العثماني، حيث اتخذ محطة من محطات الحج الحصينة، ويذكر الرحالة روبنسون أن هذه العمارة شيدت من حجارة ضخمة كالتي تستخدم في بناء القلاع، وهي لا تعمر إلا في موسم الحج، ويشير بيركهارت إلى أن والي دمشق كان يتخذ آغا يقيم مع حامية فيه، وهو عادة من عشيرة هتيم (العابدي: الآثار الإسلامية ص ٢٨٤).

(٤) في ياقوت (معجم البلدان ج١ ص٤٨٩) انها كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان.

(٥) هذا ما رآه المؤلف ورآه قبله الخياري (تحفة الأدباء ج١ ص٨٧) مع أن ياقوت ذكر أن فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يضرب المثل.

[خان الزبيب]

ومررنا في طريقنا على خان الزبيب(١)، ولعله كان يوضع فيه الزبيب.

[زيزي]

وعلى زيزى، كضيزى، موضع بالشام كما في القاموس(٢). والمسافة اربعة عشر فرسخا.

[القطراني]

وتليها مرحلة القطراني نسبة إلى القطران عصارة الأبهل(٣) سميت بذلك لكون حجارتها سوداء، وفيها قلعة صغيرة، فيها حراس(٤)، وعادة الحجاج يضعون أمتعتهم من زاد وغيره فيها ليأخذوها إذا رجعوا، وحول القلعة بركة عظيمة مشرفة على الخراب تمتلىء من ماء المطر، والمسافة أربعة عشر فرسخا.

[الأحسا]

وتليها مرحلة الأحسا(٥)، وهي في الأصل جمع حسى بفتح الحاء وكسرها، أو حسى

---

(١) خان قديم، أنشئت عنده قلعة لحماية الحاج ومسجد أنشأهما السلطان مصطفى الثالث ١١٧١ ـ ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وهي اليوم بلدة إلى الجنوب من عمان.

(٢) القاموس المحيط ج٢ ص١٧٦، وفيه أيضا زيزاء، وبهذا الاسم ذكرها ياقوت قال من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها سوق، وفيها بركة عظيمة (معجم البلدان ج٣ ص ١٦٢).

(٣) الأبهل ثمر شجرة العرعر.

(٤) أمر ببناء هذه القلعة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٧ هـ/ ١٥٥٩م لحماية الحاج، وقد وصفها محمد كبريت المدني بقوله واد فيه قلعة وبركة ماء تفيض على مثلها (رحلة ص ٢٣٢) ووصف الخياري هذه القلعة بأنها قلعة عظيمة البناء لائحة الإشراق والسناء .. وإلى جانبها بركة عظيمة الوضع (تحفة الأدباء ج١ ص٨٢) وهي اليوم بلدة ومحطة على سكة حديد عمان ـ معان.

(٥) موضع في وهدة، مخضر الاكناف والربى (تحفة الأدباء ج١ ص ٨٥) كان يعد من أعمال الكرك، وقد أنشئت فيه، بعد عهد السويدي، قلعة لحماية الحاج، وهي اليوم بلدة ومحطة على السكة المذكورة.

كما قال في القاموس[١]. سهل من الأرض يستجمع فيه الماء، أو غلظ[٢] فوقه رمل يجمع ماء المطر، كلما نزحت دلوٌ جمعت أخرى، نزلنا عنها بنحو نصف فرسخ في عين عمارة وماء[٣] إلا أن في رجوعنا نزلنا فيها والماء فيها كثير، في واد بين جبلين، وفي طريقها عقبات وأوعار واعوجاج وصعود وهبوط، والمسافة أحد عشر فرسخا، لكنا قطعناها بثماني عشرة ساعة لصعوبة الطريق.

[مَعَّان]

وتليها مرحلة مَعَّان، وظاهر صنيع القاموس (١٧٠ب) إنه بفتح الميم، وقال: هو موضع بطريق حاج الشام[٤]. وقبل الوصول إليه ثغر[٥] فيه وعر وعقبة صعبة المسلك لما فيها من الجنادل والانحدار والارتفاع، مع ضيق المسلك.

[عَنَزه]

ومررنا في طريقنا على عَنَزَه بفتح العين والنون والزاي المعجمة وآخر الحروف هاء تانيث[٦]. وهي أيضا قلعة ينزلها الحاج الشامي، وفيها حراس وبركة تمتلىء من المطر[٧]

(١) القاموس المحيط ج٤ ص٣١١.

(٢) الغلظ: الأرض الخشنة.

(٣) في ب (في غير عمارة). وعين عمارة مجموعة من الينابيع ماؤها عذب، يردها المارون على مدار السنة، الى الغرب من الحسا.

(٤) القاموس المحيط ج٤ ص٢٦٧.

(٥) الثغر: الثلمة، والفرجة في جبل أو واد.

(٦) وفي رحلتي محمد كبريت والخياري (عنيزة) بالتصغير.

(٧) انفرد المؤلف هنا بذكر القلعة، وإلا فإن احدا قبله لم ينوه إلا بوجود خان قديم (كبريت: رحلة ص٢٣٢) يسمى خان عنيزة (الخياري: تحفة ج١ ص٨٣) ولعل هذا الخان تحول في عهد السويدي إلى قلعة عسكرية لحماية الحاج، وهي اليوم محطة تتوسط المسافة بين الحسا ومعان، وكان عربان قبيلة عنزة، ياتون ببضائعهم ليبيعوها للحجاج، كما ياتي شيوخهم لياخذوا مخصصاتهم السلطانية من أمير الحج، العابدي: الآثار الإسلامية ص ٢٨٨.

وعادة الحجاج [أنهم] يودعون بعض أمتعتهم فيها ليأخذوها إذا رجعوا. والظاهر أنها سميت بعنزه بن أسد بن ربيعة، وبه سميت القبيلة المشهورة، لأن تلك الأرض مسكنهم قديما.

[مَعَّان أيضا]

ومَعّان هذه طيبة الهواء، عذبة الماء، يودعون[1] (الحجاج) فيها أمتعتهم ليأخذوها إذا رجعوا[2] ويتزود الحجاج منها ما يحتاجون من قوت وعلف دواب. أقمنا فيها يوما في أكل نفيس مع انشراح وانبساط، والمسافة عشرون فرسخا قطعناها بأربع وعشرين ساعة. وعادة الحاج كان ينزل في عنزه ثم مَعّان لكنا جعلنا المرحلتين مرحلة واحدة لضيق الوقت.

[العَقَبَة]

وتليها مرحلة العَقَبَة[3]، نزلنا في واد تحيط به الجبال من جوانبه الأربعة، ولا ماء ثم، والمسافة ثمانية عشر فرسخا لكنا قطعناها (١٧٠ب) بعشرين ساعة.

[جُغَيْمان]

وتليها مرحلة جُغيمان بضم الجيم وفتح الغين المعجمة فَياء ساكنة فميم مفتوحة فالف وآخر الحروف نون. سميت ــ كما قيل ــ باسم شيخ من شيوخ الأعراب، كان يأخذ الصر عندها، وبعضهم يقول جغينمان، يزيد نونا بين الياء والميم.

[المدورة]

وتسمى هذه المرحلة أيضا بالمدورة لأن قربها جبل صغير مدور، وفي تلك الأرض قلعة

---

(١) كذا على لغة أكلوني البراغيث، والأصح قوله: يودع.

(٢) كان السلطان سليمان القانوني قد أمر بإنشاء حصن وساقية في معان لحماية الحاج واستراحتهم في الطريق.

(٣) العقبة لغة الجبل الطويل يعرض الطريق فيأخذ فيه، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل (معجم البلدان ج٤ ص١٣٤) وسمى محمد كبريت هذه العقبة (عقبة الصوان) لوجود أحجار القدح الجيدة فيها، وقال: إنها ربما سميت (عقبة الحلوى) أيضا (رحلة ص ٢٢٣).

بناها في عصرنا المرحوم عبدالله باشا الآيديني يوم كان أمير الحاج[1]. ويكتنفا[2] القلعة بركتان، كبيرة، وفيها العين، وصغيرة تستمد من الكبيرة، ووسط القلعة بئر معين، وعادة الحجاج أيضا[أنهم] يودعون أمتعتهم فيها، جزى الله عبدالله باشا [ف] هو الذي باشر عمارة القلعة والبرك. وكان قبل ذلك ــ كما أخبرت ــ فيها ماء قليل جدا بحيث يتقاتل الحجاج على الماء[3]، حتى قيل كل قربة ماء بقربة دم والمسافة اثنا عشر فرسخا، ونحمد الله أنه لم يقع علينا مطر منذ خرجنا من دمشق إلى مكة المكرمة، ولم نجد بردا، مع أنهم كانوا يحذروننا من برد المزيريب وعنزه ومعان، ولا مسنا نصب ولا تعب، مع أن الفصل إذ ذاك كانون الأول.

[ذات حج]

وتليها مرحلة ذات حج، بكسر الحاء المهملة، كذا سمعتهم ينطقون (١٧١أ) به، ولم أدر ما وجه التسمية. وفيها قلعة صغيرة حواليها أشجار ونخيل قليلة، وفي داخل القلعة عين ماء عذب، وحولها بركتان كبيرة وصغيرة[4]، والمسافة اثنا عشر فرسخا.

---

(١) تولى ولاية دمشق مع إمارة الحج، من سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م. حتى عزله في سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م.، واثر عنه انه عمَّر مواضع عديدة في طريق الحاج، وأنه اصلح القلاع هناك، ينظر صلاح الدين المنجد: ولاة دمشق في العهد العثماني ، دمشق ١٩٤٩، ص٧٧.

(٢) الأصح قوله: يكتنف.

(٣) بل ذكر الخياري، وقد سبق السويدي بنحو قرن واحد، أنها كانت خالية من الماء (تحفة الأدباء ج١ ص٧٩) واقيمت إلى جانب هذه القلعة محطة على سكة الحديد الحجازية القديمة، باسم محطة المدورة، وهي تبعد عن معان جنوبا بنحو ٢٣٦ كم.

(٤) وصف محمد كبريت المدني هذا المكان بقوله: واد فيه قلعة لطيفة، فيها شجرة توت وريفة، ونقر في حجر ينبع منه الماء فيخرج من القلعة ويملأ البركة خارجها، وفيه نخيل ومياه غير جيدة (رحلة ص ٢٣٣) ووصف الخياري القلعة المذكورة بانها واهية البناء ظاهر عليها آثار القدم، بها شقوق في الجدارات، (تحفة الأدباء ج١ ص٧٨) وهي تبعد عن المدورة بـ٣٧كم.

[تبوك]

وتليها مرحلة تبوك، وهي التي كانت الغزوة المشهورة واقعة فيها، المعروفة بين أهل السير بغزوة تبوك. وفيها الآن قلعة صغيرة (١) حواليها أشجار التين والنخل إلا أن النخل صغار. وفي القلعة حراس، وعادة الحجاج [أنهم] يضعون أمتعتهم فيها أيضا، ولا سيما ما يتعلق بالأكل، والمسافة عشرون فرسخا إلا أنا قطعناها بأربع وعشرين ساعة. وعادة الحجاج يجعلون هذه المسافة مرحلتين، الأولى مرحلة القاع(٢) وهي عبارة عن بر أفيج(٣) لا ماء فيه، وأقمنا في تبوك يوما، وزارنا يوم النزول مُحدِّث الأقطار الشامية الشيخ إسماعيل العجلوني فلم يجدني في الخيمة، فجاءنا ثانيا يوم الإقامة هو والشيخ سليمان شيخ المحيا، فتحادثنا معهما مقدار ساعة، واعتذر الشيخ من تقصيره في دمشق حيث لم يكرر الزيارة.

[المَغْر]

وتليها مرحلة المغر جمع مغرة، بفتح الميم وسكون الغين وتُحرَّك أيضا. [و] هي في الأصل طين أحمر والممغر كمعظم: المصبوغ بها، وبسر(٤) ممغر كمحدث: لونه كلونها، والأمغر جمل على لونها والمغر محركة، والمغرة بالضم (١٧١ب) لون ليس بناصع الحمرة، أو شقرة بكدرة، والأمغر الأحمر الشعر والجلد، والذي في وجهه حمرة في بياض صاف، ولبن مغير

---

(١) وصفها الخياري بانها قلعة عامرة البناء محكمة الوضع شامخة الرفع مبنية بالحجر لمنحوت بين الصفرة والحمرة، بناء حسن الالصاق، وبابها عقد محكم فيه كتابة على قيشاني لفظها: امر بتعمير وتجديد هذه القلعة المباركة مولانا السلطان محمد خان عز نصره على يد العبد الضعيف محمد بن الناشف التذكرجي سنة اربع وستين والف (تحفة الأدباء ج١ ص٧٣) وتبعد تبوك عن ذات حج بـ ٨٨كم.

(٢) القاع بحسب تعريف ياقوت (معجم البلدان ج٤ ص ٢٩٨) ما انبسط من الأرض الحرة السهلة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماؤها، وهي مستوية ليس فيها تطامن، ولا ارتفاع، وقاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة لمن يتوجه إلى مكة تدَّعيه اسد وطيء ومنه يرحل إلى زبالة.

(٣) الفيج: الوهد المطمئن من الأرض، وفي ب: الافيح والفيح: السعة.

(٤) البسر: التمر إذا لون ولم ينضج.

كأمير أحمر يخالطه دم، وأمغرت احمرَّ لبنها وهي ممغر، فإن كان معتادها فممغار ونخلة ممغار حمراء التمر، انتهى كلام القاموس، وهي منزلة بين جبلين حجارتهما حمراء كالمغرة، ولعل هذا وجه التسمية، ويحتمل أن يكون الأصل المغرة فجمعها العوام. والمغرة ــ كما في القاموس ــ موضع بالشام، لبني كلب، وأوس بن مغراء السعدي من شعراء مضر[1]. ومن عادة جهال الحجاج أنهم يتلقطون منها أحجارا بقدر الأنملة، يزعمون أنه من دود سيدنا أيوب النبي ــ على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلوات والسلام ــ ويزعمون أنه إذا دق ينفع للجراحات ذروراً. والمسافة اثنا عشر فرسخا.

[الأُخَيْضِر]

وتليها مرحلة الأخيضر بالتصغير، ويقال الأخضر أيضا، سميت بذلك لأن في القلعة التي هناك مقام سيدنا الخضر عليه السلام، والناس يتبركون بذلك المقام، وقد زرته والحمد لله، ويحتمل أنه الوادي الذي بين المدينة والشام كما في القاموس[2]، ويحتمل أنه الخضير والعامة تصرفت فيه والحضير[3] ــ كما في القاموس ــ مجسد بين تبوك والمدينة، ولعله (١٧٢أ) الذي يقال فيه إن مقام الخضر. وهذه القلعة في عقبة[4] تحيط بها الجبال، وفي طرفها مما يلي الشام، عقبة ضيقة وعرة ذات جنادل كبار. وحول القلعة خمس برك مملوءة ماء، أنشأ واحدة منها المرحوم عبدالله باشا الآيديني، وواحدة المرحوم سليمان باشا ابن العظم، والبواقي قديمات من آثار سلاطين آل عثمان[5]. وحول البرك بناء عال فيه أربعة[6] حراس يحرسون الماء من الأعراب الأشقياء والمسافة أربعة فراسخ.

---

(١) القاموس المحيط ج٢ ص ١٣٤.

(٢) القاموس المحيط ج٢ ص٣١.

(٣) كذا في الأصل، والذي في القاموس: الأخيضر.

(٤) العقبة: الصعب من الجبال.

(٥) وقد وصف الخياري هذه البرك الثلاث في رحلته (ج١ ص٥١) إذ لم يكن في عهده غيرها.

(٦) في النسختين: اربع.

[المعظم]

وتليها مرحلة المعظم[١] على صيغة اسم المفعول من التعظيم، سميت بذلك ـ والله أعلم ـ لعظم بركتها فإنها[٢] تزيد [٣] على ثلاثين ذراعا في ثلاثين، وعمقها نحو خمسة عشر ذراعا، يجتمع فيها ماء المطر، وله مسيلات ينحدر فيها إلى البركة. ومنذ رحلنا من الأخيضر إلى نحو أربعة فراسخ نسير بين جبلين، والرمل كثير بتراكم[٤] تسوخ فيه الأقدام، وثار منه غبار كثير بحيث لا يكاد يبصر الإنسان رفيقه، والمسافة ثمانية عشر فرسخا.

[الدار الحمرا]

وتليها مرحلة الدار الحمراء[٥]، سميت بذلك لكون رملها احمر وكذا جبالها، والبدو يسمونها الهضب لأن حواليها هضاب كثيرة، أهل الشام يسمونها مفارش الأرز، لأن فيها حصى أبيض صغارا (١٧١ب) يشبه الأرز الأبيض، فالذي يراه يتخيله أرزاً مفروشاً على الأرض الحمراء، وتسمى أيضا خدود الأرز لذلك. وهذه المرحلة لا عمارة فيها ولا ماء. والمسافة ثمانية عشر فرسخاً ونصف لكنا قطعناها في إحدى وعشرين ساعة. وفي مسيرنا منها نظمت بيتين للسيد الحسيب النسيب السيد عيسى الدمشقي ابن السيد أحمد الجاني

---

(١) هي قلعة على طريق الحاج أنشاها أمير الحاج الشامي فروخ باشا سنة ١٠٣٠ هـ/ ١٦٢٠م وصفت بانها قلعة عظيمة محكمة البناء بالحجر المنحوت الاصفر. مشتملة على خمس أوض (حُجْرات) سفلية ومثلها فوقية او ازيد .. (الخياري: تحفة الادباء ج١ ص٤٧). وهي تبعد عن تبوك بـ ١٤٥ كم.

(٢) في النسختين : فإنه

(٣) في ب (يزيد).

(٤) في ب (متراكم).

(٥) سماها الرحالون السابقون (كبريت ٢٣٦ والخياري ج١ ص٥٠) بـ (الأقيرع) تصغير (أقرع) واسمها اليوم (الدار الحمراء) مثلما سماها المؤلف، واصبحت محطة طريق سكة حديد الحجاز، وتقع إلى الشرق قليلا من جبل أبهق، في شمالي أراضي المملكة العربية السعودية.

وقف سنان باشا[1]، وذلك أنه أهدى لي علبة حلوى سكرية، والبيتان[2]:

أهدى لنا حلوى حلاوتها زكَت فكأنما عجن الدقيق بريقه

وهذا السيد عيسى من طلبة العلم له حسن باهر، ومحيا زاهر، لتسلسل عذاره المسكي، وقيد القلوب بسلاسله وقال: هذا فتكي!.

[العُلى]

وتليها مرحلة العُلى بضم العين مقصورا، وهو بلد بناحية وادي القرى[3] سميت بذلك لكون الجبلين اللذين يكتنفانها عاليين مرتفعين[4]، والآن هي قرية صغيرة وقلعة[5]، وفيها حدائق من النخيل نحو عشرة الاف نخلة، وتمرها جيد، وفيها الليمون الحلو الكبار. وفيها عينا ماء تسقى منها (١٧٣أ) الحدائق وسائر الأشجار، إلا أن ماءها وهواءها رديّان. وفيها أيضا آبار يخرج ماؤها بالسواقي فيسقي الزروع، والمسافة ثمانية عشر فرسخا ونصف إلا أنا قطعناها بنحو عشرين ساعة.

[الحجر: ديار ثمود]

ومررنا بطريقنا ليلا على الحجر ديار ثمود[6] وتسميها العامة ديار صالح، لكن في الإياب مررنا عليها نهاراً، وهي أرض موحشة غضب الله ظاهر عليها، وفيها بيوت ذوات

---

(١) يريد: محصِّل واردات هذا الوقف.

(٢) البيتان في ديوانه ص ٢٩.

(٣) ذكر ياقوت أن العلا جمع علياء، وهو اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينه وبين الشام، نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى تبوك، وبنى مكان مصلاه مسجدا وهي تبعد عن المعظم بـ ١٤٠كم.

(٤) في النسختين: عالية مرتفعة.

(٥) بنيت هذه القلعة زمن عيسى باشا والي دمشق (سنة ٩٣٦ هـ/ ١٥٢٤م و ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤) وكانت فيها حامية تتقاضى رواتبها من الضرائب التي فرضت على سكان القرية ونخيلها، ثم زال ذلك، وهي منقطع حكام الشام (كبريت: رحلة ص ٢٣٧).

(٦) هي المعروفة بمدائن صالح، وتقع إلى الشمال من العلى بنحو ٢٥كم.

أبواب، على سطح كل باب هيئة الدرجين المعكوسين، تظن العامة أنها مقلوبة، وليس كذلك كما هو ظاهر لمن تأمل البناء[1] وعقد الأبواب والأواوين وأكثر البيوت علا عليها الرمل، نعوذ بالله من غضبه وعقابه. ومررنا على الجبل الذي غاب فيه سيدنا صالح النبي، وتسميه العامة مبرك الناقة، تزعم بأن الجمال إذا سمعت رغاء الفصيل تبرك فلا تثور، وهذا إذا وصلوا إلى ثغر الجبل أكثروا من الصياح ورفع الأصوات وضرب البنادق لكي لا تسمع الجمال رغاء الفصيل فتبرك، وهذا أمر مشهود فيما بينهم، والظاهر أنه لا أصل له، وإنما أصله القديم أنه لما كان رمل ذلك الموضع كثيرا متراكما، والغالب يكون الفيء والظل عليه، فإذا وطئت (١٧٣ب) الجمال ذلك الرمل تبرك كما هو عادتها في غيره، احتالوا لها بذلك والله أعلم.

وأقمنا في هذه المرحلة يوماً، ودعانا يوم الإقامة الحاج عبود كبير جمالة حلب، وقدم لنا أطعمة فاخرة من أنواع الحلويات السكرية والكاهي[2] والخروف المحشو والمصارين المحشوة والأكارع والرؤوس المطبوخة أحسن طبخ وعليها ماء الليمون، والبلاو[3] المزعفر وعليه قطع اللحم السمينة، والحريرة المطبوخة مع ماء الليمون، والمخلل المعمول من الزيتون والقرع وغير ذلك، ثم شربنا قهوة البن التي كأنها جناح الطاووس، ورش علينا ماء الورد الذي تفوق رائحته[4] المسك وتبخّرنا بالعود الطيب، جزاه الله عنا خيرا، وكان معنا في هذه الدعوة

---

(١) وصف محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي المعاصر للمؤلف ثمود بقوله مدائن صالح، وفيه ممر النقب ومبرك الناقة. ودور قوم ثمود، كلها في صخر منقورة ظاهرة الأبواب، وهي مدائن كبيرة لا حد لها، وإنما يمر الحج على طرفها، وهو طريق الحج (المواكب الإسلامية ج٢ ص ٢٥٥).

(٢) اسم يطلق في العراق على ضرب من الفطائر يعمل بدقيق يعجن من بياض البيض ويقطع ويرقق ويطوى ويقلى بالسمن ثم يصب عليه شراب السكر، واللفظة فارسية: مقتطعة من كاهيده، مرقق ومرفقة، اسم مفعول من المصدر كاهيدن، بمعنى الترقيق. داود الجلبي: كلمات فارسية في عامية الموصل، بغداد ١٩٦٠، ص١٥٤.

(٣) لفظة فارسية بمعنى: الرز المطبوخ.

(٤) في ب (التي رائحته تفوق على)

السيد العالم الناسك جلبي أفندي المفتي بحلب على مذهب الحنفية سابقا[1]، والسيد أبو المواهب مفتي الشافعية بحلب، والسيد طالب الرفاعي البصري، والسيد يونس الأدهمي، والحاج محمد بن هاشم البغدادي، والحاج محمد بن قاسم البصري، فانبسطنا وحمدنا الله الذي أطعمنا مثل هذه الأطعمة التي هي عزيزة في الحضر. وأهل العلى صورهم قبيحة لا دَمَّ في وجوههم، أكثرهم عور، وقد شاع عند الحجاج انهم يتجرأون على قتل الإنسان ونهب أمواله، وليس بصحيح، بل الذي يفعل ذلك عرب عنزة[2]، يستخفون (١٧٤أ) بين النخيل والأشجار، فإذا مر بهم الحاج المنفرد قتلوه وسلبوه، وأما أهل العلى فلا يخرجون من بيوتهم إلى خارج القرية إلا القليل، خوفا على أنفسهم من عسكر الحاج، فتبقى الحدائق خالية من الناس، فتأتي الأعراب فيكمنون فيها ويفعلون القبائح، فيظنهم الذي لا علم له ولاخبرة أنهم أهل العلى، حاشا لله، فهم قوم مسلمون يقيمون الجمعة والجماعات، ويؤوون من انقطع من الحجاج، ويقومون بأودهم كما شاهدته عيانا.

[آبار الغنم]

وخرجنا بعيد الظهر، ونزلنا آبار الغنم، وهي أرض إلا أن فيها آباراً كثيرة، ماؤها عذب إلا أنه ردىء، سميت بذلك لكثرة ما حول الآبار من بعر الغنم لأن الأعراب ينزلون فيها، ويوردون أغنامهم منها، فتبعر الأغنام حوالي الآبار، ولقد شاهدت البعر حواليها كثيرا جدا، وبعضهم يقول آبار غنم بدون ال، ولعل ذلك منسوب إلى غنم بفتحتين، بن تغلب بن وائل[3] أبوحي، والله أعلم. وفيها قلعة عمَّرها في عصرنا المرحوم سليمان باشا ابن العظم، وفيها حراس من الجند كل سنة يبدلون ويأتي غيرهم كسائر القلاع والمسافة خمسة [فراسخ] ونصف فرسخ[4].

---

(١) لم يشر إليه في أثناء إقامته بحلب، والظاهر أنه التقى به بعدها.

(٢) قال محمد كبريت المدني: وعنزة تختطف من الركب ما كتب لها (رحلة ص ٢٣٨)

(٣) جد جاهلي، ينظر ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٣٨٦.

(٤) في النسختين: فرسخا.

[البئر الجديد]

وتليها مرحلة البئر الجديد، وهي بئر واحدة يستقي منها الحاج، وماؤها أعذب مما قبلها، وليس فيها عمارة، والمسافة ثمانية عشر فرسخا(١)، لكنا قطعناها (١٩٧ب) بنحو عشرين ساعة، سميت بذلك إما لأن البئر حفرها ليس قديما، أو أنه مغيَّر عن جُدَّة، وهو البئر الكثيرة الماء أو قليلة ضد.

[هَدِيَّة]

وتليها مرحلة هدية بفتح الهاء فكسر الدال فتشديد المثناة التحتية وآخر الحروف هاء تأنيث، وفيها قلعة بناها في عصرنا المرحوم سليمان باشا ابن العظم(٢)، وهذه الأرض إذا حفر فيها نحو ذراع خرج الماء لأنه كامن تحت الرمل، إلا أنه رديء مسهل لما فيه من ملوحة ما. ويشرف على القلعة جبل أسود، وأرضها كثيرة الرمل. ويحيط بالمنزلة التي خيمنا فيها جبال سود، والمسافة سبعة عشر فرسخاً، وعن شمالها خيبر غير بعيدة، وصادفنا في هذه المنزلة حر شديد يزيد على حر تموز في العراق، حتى تجردنا عن غالب الثياب ونحن نسبح بالعرق، وكان قد مضى من كانون الأول اثنا عشر يوما.

ويوم نزولنا دعانا للضيافة أمير الحاج الوزير أسعد باشا، فأضافنا ضيافة حسنة مشتملة على أنواع شتى من الطعام، من جملته الباذنجان المحشو والقرع المحشو في غير أوانه، وحين حضرت صلاة المغرب صليت إماما بالقوم، وكان معنا في تلك الدعوة العالم الفاضل السيد جلبي أفندي المفتي السابق بحلب على المذهب الحنفي، والشيخ أبو المواهب مفتي الشافعية بحلب (١٧٤أ) المحمية، والسيد الجليل السيد طالب البصري من أولاد سيدي

---

(١) يبعد البئر الجديد عن العلى بـ٨٣كم.

(٢) يبدو أن حصناكان في هدية بدليل أن نصوح باشا الوالي رممه وجعله المكان الذي تلتقي به الجردة (وقوتها الفا جندي يرسلون من دمشق) بقافلة الحج عند عودتها وترافقها إلى دمشق (المواكب الإسلامية ص ٣٥٥) وكان محمد كبريت المدني قد وصف هدية بانها شعب مسيل، فيه نخل وماء من بقايا السيل .. وهي على مرحلة من خيبر، وتبعد هدية عن البئر الجديد بـ ٦٠ كم.

الشيخ أحمد الرفاعي ــ قُدِّس سرّه ــ والسيد السند السيد يونس الأدهمي، ومفتي الموصل يحيى أفندي.

واقمنا في هدية يوماً، وسبب تسميتها بذلك أن العوام يعتقدون أنه – صلى الله عليه وسلم – لما رجع من خيبر قلَّ عليهم الماء، فأهدى الله له الماء في ذلك الموضع، فسمي الموضع هديةتسمية للمحل باسم الحال، ولا يصحُ شيء من ذلك، نعم، لو قيل إنَّها هدية من الله أي نعمة أنعمها الله على الحاج لما كان بعيداً.

[الفحلتين]

وتليها مرحلة الفحلتين، بفتح الفاء فسكون الحاء ففتح اللام فتاء مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة وآخر الحروف نون على صيغة التثنية. قال في القاموس: والفحلتان موضع[1]، ولعل وجه التسمية انفرادها عن العمارات، واعتزالها عنها كالفحل، فإنه إذا قرع الإبل اعتزلها، وفيها آبار عذبة حلوة غير مطوية ولا محفورة، وإنما يحفرها الحجاج قدر قامة فيخرج الماء من تحت الرمل، ولعله ماء مطر كامن تحت الرمل[2].

والبدو تسميها شجوى من الشجو، هو الحزن، ويحق لها ذلك حيث إنها لم تكن موطىء أقدامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا دار سكناه مع قربها من طابة.

ومما وقع لي أني لما وصلت إلى تبوك أخذني الحزن والقلق والخوف والرعب والاضطراب. مع كثرة البكاء والنحيب والعويل، ولم يزل هذا الحال يعتريني كل ساعة، لا تهدأ عيني من البكاء ولا يبرد قلبي من حر الفراق والخوف، إلى أن خرجت من طابة الطيبة، وما كان ذلك إلا خوفا من أن[3] أكون مردودا مطرودا محروما خائبا مأيوسا، غير مقبول ولا مرضي، وخوفا

---

(١) القاموس المحيط ج٤ ص٢٨

(٢) حفر نصوح باشا فيها بئرا، ووصفها محمد كبريت المدني بأنها قنتان على شاهق جبل من غربي الجادة (رحلة ص ٢٣٩) وهي تبعد عن البئر الجديد بـ ٦١كم.

(٣) سقطت (أن) من أ

من ان[1] أكون مقصرا في تعظيمه وتوقيره والتأدب معه صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك كل ساعة ألوم وأقول: بأي وجه أواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا ذو جرم كبير كثير التقصير، منهمك في اللذات، غارق في بحار الغفلات، غير مكترث بالطاعات، ولا مجد على العبادات، ولم يزل هذا الوارد معي لا يفارقني، فالله أسأل أن يجعلني من المقبولين المرضيين غير المطرودين المحرومين، وأن ينفعني بزيارته صلى الله عليه وسلم، ويحشرني تحت لوائه، آمين.

[العقبة السوداء، الشربة، العلم السعدي]

ومررنا في طريقنا على العقبة السوداء، وعلى الشربة، والعلم السعدي، ديار بني عبس، هكذا قيل والظاهر أنه لا يصح. وهذه المرحلة لا قلعة فيها، وماؤها من أعذب المياه، والمسافة ثمانية عشر فرسخا لكنا قطعناها بعشرين ساعة.

[وادي القُرى]

وتليها مرحلة وادي القرى[2]، وهي بين جبلين، ذات رمل، وفيها بئر ماء عذب، والجملة (١٧٦أ) تقول بئر القرى، والأعراب تسميها بئر جبر، والمسافة خمسة عشر فرسخا بقي منها إلى المدينة المنورة مرحلة واحدة، ولما سمعتهم يقولون غدا ننزل المدينة زاد خوفي وقلقي واضطرابي وعويلي، حتى كأني مطالب بثأر، أو مقدم لقصاص، فتمثلت بقول القائل:

قالوا غداً نأتي ديار الحمى ... وينزل الركب بمغناهُمُ
وكلُّ من كان مطيعاً لهم ... أصبح مسروراً بلقياهم
قلتُ فلي ذنبٌ فما حيلتي ... بأي وجه اتلقاهم
قالوا أليس العفو من شأنهم ... لاسيما ممن ترجّاهم

وقد خمست هذه الأبيات منذ مدة والوجل الأول ازداد وتضاعف حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخوفا من أن أطرد وأرد، أعوذ بالله من ذلك، ولا حول ولا قوة إلا

(١) سقطت (ان) من أ

(٢) واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة المنورة (ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص٣٤٥)

بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، على الله توكلت.

[المدينة المنورة]

وتليها مرحلة طابة الطيبة المنورة، دخلتها يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام[1]، وقبل رؤيتي معالمها ازداد اضطرابي، وتضاعف خوفي ورعبي، وعيناي (١٧٦ب) تهملان بالدموع، وفؤادي محترق بالولوع. ولما وقع نظري على معالمها نزلت عن الجمل ومشيت راجلا إلى أن دخلتها فتمثلت بقول القائل:

ولمّا رأينا رَسْمَ من لم يَدع لنا ... فؤاداً لعِرفانِ الدّيار ولا لُبّا

نزلنا عن الأكوار[2] نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نُلِمَّ به ركبا

وكيف التذاذي بالأصائل والضحى ... إذا لم يَعُد ذاك النسيم الذي هبّا

فيا شوقُ ما أبقى ويالي من النَوى ... ويا دمعُ ما أجرى ويا قلبُ ما اصبى

وحين دخلتها اغتسلت، وقصدت المسجد النبوي، (اتخلل الطرف)[3]، منكس الرأس، هامل العين، خائفا وجلا، فدخلت من باب سيدنا جبرائيل لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدخل منه، فازداد خوفي وبكائي وتضاعف خجلي وحيائي خشية أني قصرت في إقامة شريعته وإحياء سننه، فلا سنة أحييتها ولا بدعة أمتها، لا نشرت أحكامه بين أمته، ولا أتعبت نفسي في تشييد ملته، وأكثر خوفي ورعبي أني إذا قلت: السلام عليك يارسول الله، (١٧٧أ) أخشى أن يكون جوابي منه: لا سلام عليك ولا حياك ولا بياك! فوقفت تجاه وجهه الشريف في غمرات الناس، وأنا خائف وجل، كأني سارق أطالب بحد، أو قاتل أقيد لقود، أو فاعل فعلة شنيعة، أو مرتكب جريرة قبيحة فظيعة، خافض الطرف، منكس الرأس، ذاهل عن جميع الحواس، ناظر إلى أسفل الجدار، ودموعي كالوبل المدرار، وأعضائي ترعد

---

(١) الموافق ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٧٤٤م.

(٢) جمع كور، وهو رحل البعير.

(٣) غير ظاهرة في أ.

فرقا مما رأيت من الجلالة والمهابة، فكدت أتمزق ذعرا، واعترتني الحيرة والدهشة حتى أني ذهلت عن نفسي، فلم أشعر أني في أرض أو سماء، فتلوت الزيارة المشهورة سرا، والعين يتحادر[1] دمعها قطرا. فبينما أنا في تلك الحالة الصعبة فإذا وارد الغيب يقول: يا مسكين! أتدري ما هذه الرائحة الزكية التي عطر الكون شذاها وأعبق الوجود رياها؟ يا مسكين، أتعرف هذه الأنوار التي أشرق بها الخافقان، وممن هذا الأنس الذي دونه فراديس الجنان؟ يا مسكين، أتدري عظم موقفك الذي وقفت فيه، أو شعرت[2] ـ ولا أظنك ـ بظواهره وخوافيه؟. يا مسكين، هذا ستار حسرت دونه السموات، وخفضت، بالإضافة إليه، جميع المقامات. (١٧٧ب) يا مسكين، لو اشتري هذا المقام بالأرواح لكان المشتري رابحا أجل الأرباح، وهيهات يناله من بذل روحه في الوصول إليه، وكم من نفوس قطعت أسى وحزنا عليه، يا مسكين، إتدري ما أمامك، وجلالة ما قدامك، يا مسكين، تجاهك بقعة لا يعدل طيب ترابها المسك الزكي، ولا يداني شرفها السموات والأرض، بل والعرش والكرسي! يا مسكين، هذا المقام تود أن تطوف فيه الأنبياء، وتتمنى أن تخدمه ملائكة السماء. يا مسكين، أتدري من حل هذه الروضة النضرة والبقعة الطيبة العطرة التي دونها الفراديس والنعيم، وتتقاعس دونها جنة الخلد والتكريم. يا مسكين هذا حبيب الله، هذا خليل الله، هذا صفي الله، هذا رحمة الله، هذا حجة الله، هذا صفوة الله، هذا نعمة الله، هذا خيرة الله، هذا اشرف خلق الله واكرمهم على الله، هذا سيد المرسلين، هذا خاتم النبيين، هذا رحمة للعالمين، هذا قائد الغر المحجلين، هذا نبي الأنبياء، هذا سند الأصفياء، هذا صاحب الحوض المورود، هذا صاحب المقام المحمود، هذا صاحب الشفاعة، (١٧٨أ) هذا صاحب الضراعة، هذا شفيع الأنام، هنا المظلل من حر الهجير بالغمام، هذا البشير النذير، هذا السراج المنير، هذا هو العروة الوثقى، هذا ذو الرتبة التي لا تُرقى، هذا نور الأنوار، هذا المصطفى المختار، هذا الفجر الساطع، هذا المشفع الشافع، هذا الذي لولاه لما برز العالم إلى

(١) يتحادر: ينزل.

(٢) في ب (وشعرت).

الوجـود، هـذا أكـرم النـاس من الآباء والجـدود، هذا الـذي تتـشـفـع به الأنبـيـاء الكرام، هذا صاحب الشفاعة العظمى إذا اشتد الزحام، هذا صاحب الوسيلة، هذا صاحب الفضيلة، هذا صاحب الدرجة الرفيعة، هذا صاحب الرتبة المنيعة، يا مسكين حسبك ما سردته وأنهيته إليك، وإلاّ فلو صرفت الأعمار وفنيت الأعصار لما استقصي العشر من صفاته، ولا البعض من شمائله وكمالاته، ويلك يا مسكين! إن طردت وأبعدت فقد خسرت وخبت، فتباً لك تبا، وبعدا لك وسحقا وسبا. ما نالك يا مسكين من هذه الأسفار إلا تكلف المشاق، وركوب الأخطار، وخسرت تجارتك، وكسدت بضاعتك، فربحك الكد والتعب، ومحصولك المشقة والنصب «١٧٨ب»، وإن كنت مقبولا مرضيا فقد رقيت مقاما عليّاً، فلك الهناء والسعادة، وبلوغ المنى والسيادة، وعلوت أوج المعالي، وزهرت أيامك والليالي، ورجعت بحظ وافر وسعد دائم ضافي. هذا ما أملاه وارد الغيب على خاطري، وانتقش في صحيفة سرائري، وعيناي بالدموع تهملان، وأنا باهت ذاهل حيران، أذهبت نسمات اللطف من حضرة العطف فسعد جدي بعد تعكيسه، ورفعت رأسي بعد تنكيسه، وقلت بلسان قؤول، وقلب عقول، وجنان قوي، ويقين سوي: يارسول الله، صلى الله عليك وسلم، والله الذي أرسلك بالحق نبيا لتشفعن لي ولتشفعن بي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، قد حدثني الثقات عنك إنك قلت: رُبَّ أشعث[١] (مدفوع بالأبواب)[٢] لو أقسم على الله لأبّره[٣]، وها أنا ذلك الأشعث الأغبر، يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، قد بلغني عنك أنك قلت، وأنت الصادق المصدوق لا تنطق عن الهوى، وإنما أنت وحي يوحى: من زار قبري وجبت له شفاعتي[٤]. وها أنا قد زرت الكرم، وأنت أجل من يرعى

(١) في النسختين زيادة (أغبر) وليست في أصل الحديث.

(٢) لا وجود لها في ب.

(٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة، الصحيح، كتاب البر والصلة، الحديث ٤٧٥٤ وعنه ايضا، كتاب الجنة، الحديث ٥٠٩٤.

(٤) هذا الحديث خلا منه الصحيحان وسنن الترمذي والنسائي و ابي داود وابن ماجة وأحمد ومالك والدارمي.

الذمم، يا رسـول الله صلى الله عليك وسلم، إني قـرأت فـيـمـا أنزله الله عليك (١٧٩أ): ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً﴾[١] فها أنا من ظلم نفسه وجاءك تائبا مستغفرا من ذنبه مستشفعا بك وأنت أجل شافع إلى ربه فلابد أن تستشفع بمقتضى وعدك الصادق حيث قلت: من زار قبري، الحديث السابق، وقد علق الله توبته ورحمته على مجيئنا إليك واستغفارنا واستغفارك لنا، فها نحن قد جئنا واستغفرنا واستغفرت لنا، فقد وجد المعلق عليه فلا بد أن يقع المعلق، والله لا يخلف الميعاد يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، حاشاك أن تطرد من وقف ببابك ومرغ محياه بأعتابك واستجار بك من ذنوبه، ورجاك لدفع ملماته وخطوبه، وأنت ملاذ العاصين، ومعقل الخائفين، وملاذ المستصرخين، وكهف المستغيثين، وثمال[٢] السائلين، ورحمة للعالمين، أيضيق بي جاهك العريض أم يعجز قلبك، وأنت طبيب القلوب، عن داء هذا المريض، يا رسول الله صلى الله عليك وسلم إن آحاد الأعراب إذا التجأ بهم الخائف أمنوه، أو استنجد بهم الصريخ (١٧٩ب) أغاثوه ونصروه، وأنت أجل الورى جاها وقدرا، وأعظمهم غيرة ومروءة وفخرا. يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، قد رويت عنك أن الله تبارك وتعالى قال لك: اشفع تشفع، وسل تعط، والله لا يخلف الميعاد، يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، إني أرجو أن صفات القيامة وأحوالها وعقباتها، ولا سيما الموقف والصراط والميزان، يارسول الله صلى الله عليك وسلم، مالي وسيلة من الأعمال أقدمها بين يدي إلا حبك، وقد بلغني عنك أنك قلت: المرء مع من أحب، يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، قد هجرت لزيارتك الأهل والوطن والولد والسكن، وتحملت المشاق و (تجرعت غَصَص)[٣] الفِراق، وقطعت الروابي والوهاد والأغوار والأنجاد من الأماكن الشاسعة

---

(١) النساء من الآية ٦٤.

(٢) ثمال القوم: غياثهم الذي يقوم بأمرهم.

(٣) مطموسة في أ.

القاصية والأقطار البعيدة النائية، كل هذا لمحبتي فيك. أيليق وحاشاك أن تردني محروما مطرودا مايوسا مبعوداً، ثم أنشدت وأنا واقف:

حَثَثْنا إليك العيس والأيْنُق النُجْبا فأسرَعْن يَطْوين الحَزونة والهَضبْا
قصَدْنا حماك الرَّحْب نَسْتَعْذب السُّرى وثفنا[1] إلى مُغناك نستسهل الصَّعبا
هَجَرنْا الكَرى كَيْما نرى طابةَ التي بسكناكَ طابتْ أو نَلُمَّ بها ركبا
وإن نَفحت مِنْ نَحو حَيِّك نَفْحَةٌ تَعَطَّرَت من ذاك النَّسيم الذي هبا
وعمرك إني نحو مُغنْاك شائقٌ وما زلتُ ذا وَجْدٍ بكم مُغرماً صبا[2]
ولو لاكَ ما سار الحَجيجُ ولا سَعى ولا طافَ في البيتِ الحرام ولا [لبى][3]

(١٨٠ب)

وإن لم تُجدْ السيّرْ غَيْر كَليلة وأنتَ لها قصدٌ فتبّاً لها [تبا][4]
فيا حُجَّةَ اللّه الكريم على الورى وخيرَة من ساد الأعاجم والعربا[5]
رَجَوناك والرّاجيك غير مُخَيَّبٍ بأن يقبَل الرحمن من عبده توبا
إليكَ رسول اللّه وجَّهت وِجْهَتي وما خاف من يأوي إليك إذن خطبا
وليس لعبد الله غيرك ملجأ إذا خاف من هول الزحام ذوو القربى
نبيّ الهُدى غوثاً لمن جاء ضارعا لبابك ملهوفا قد اقترف الذَّنبا
لقد قيدته عن مناه ذنوبه فضاق بها ذرعا وزاد بها كربا
أطاع هواه عامداً غير جاهل وجر ذيول اللهو في غَيِّه عُجبا

(١٨١أ)

تمادى على العصيان مذ زمن الصبا إلى أن غدا فوداه مشتعلا شيبا
ولم يكترث يوما بإيعاد آية ولا خاف تهديداً ولكن قسا قلبا

---

(١) ثفن: لزم، وثفن البعير: برك

(٢) في ب (مغرم)

ينادي أبا الزهراء مالي موئل ... سواك ولا لي من ألوذ به ندبا
فجئت إليكم مستجيرا بظلكم ... وحاشاك أن تقصي الدخيل ولو كلبا
فكن لي شفيعا يوم لا ثم شافع ... بمغنٍ عن الجاني إذا استيقن الرعبا
تعطف وجُدْ وامنحْ شفاعتك التي ... تعم شيوخي والأقارب والصحبا
سلام من الرحمن ما هبت الصبا[1] ... وما حركت في سيرها الغصن والقصبا
وأثنى إلى روح الضجيعين رحمة ... تصب على قبريهما مزنها صبا

فزال عني ما كنت أجده من الرعب، وحصلت على الطمانينة، وصرت معه ــ صلى الله عليه وسلم ــ صلى (١٨١ب) الله عليك وسلم ـ أرجو شفاعتك فلان.

ولم يزل هذا دأبي إلى أن عددت خلقا كثيرا، وأكثر ما دعوت لرجلين وامرأة لأنهم كما بلغني من كتاب ولدي أحسنوا إلى عيالي ووفوا معي، وأردت أن أشكو إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجلين اقرأتهما العلم وتعبت في تعليمهما بحيث كنت أحرص عليهما أكثر من أولادي، وأفرغ لهما النصيحة في قالب الرفق والشفقة حتى مهرا في غالب الفنون، فاتخذاني عدوا، ولم أسلم من لسانهما إلى أن أخذا يتكلمان بالزور والبهتان، وينسباني إلى أمور مفتراة، وسعيا في تنقيصي وإضراري، فامتعضت من ذلك وفوضت أمرهما إلى الله تعالى، عاملهما الله بما يليق بهما.

ومما من الله به عليَّ أنه ثلج في صدري، وقر في قلبي أني ما أسأل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ شيئا إلا أجابني ومنحني، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكرم الخلق على الإطلاق، فلابد أن يتفضل على هذا العبد الجاني الواقف ببابه، المتشبث بجنابه، ولم يزل شعاري، مدة مكثي في طابة، البكاء والنحيب، لكنه لا لخوف (١٨٢أ) وإنما كان تأسفا على مفارقتي له ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولهذا كان ديدني التمثل بما قاله سيدي

---

(١) في الأصل (الله) وبها يختل الوزن.

الشبلي[1] رحمه الله تعالى [2]:

فردت لوعتي، وأمنت روعتي، ورجوت القبول وبلوغ المنى والسّول، إلا أن تخيل فراقي أضرم أشواقي، وأسال عبراتي وأجَّج زفراتي.

وفيما منَّ الله به عليَّ زيارة ضجيعي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وعمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ وكلما زرتهما سألتهما الشفاعة لي عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن يكونا لي واسطة ووسيلة عنده، عليه الصلاة والسلام.

ومما منَّ الله به علي أني أقرئت أوائل صحيح البخاري في الروضة المطهرة، عند نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير قصد مني، وذلك أنه طلب مني الشيخ الشاب سليمان بن عبدالهادي العجلوني ابن أخي الشيخ إسماعيل العجلوني أن أجيزه بما يجوز لي وعني روايته، فأجزته، فالتمس، ونحن جلوس وقت العشاء الأخيرة ليلة الجمعة السابعة (١٨٢ب) والعشرين من ذي القعدة الحرام أن يقرأ أوائل الصحيح وأقرر له ما تيسر، ففعلت، والحمد لله على ذلك، ومما اتفق أن الشيخ إسماعيل العجلوني شارح البخاري التمس مني مرارا أن أحضر في درسه في البخاري في الروضة تلك الليلة المتقدمة، فحضرت، فشرع في القراءة بعد أن صليت العشاء الأخيرة، وقرأ حديث (إنّما الأعمال بالنيات)، فأخذنا معه في المحاورات، ولم يزل يسألني وأجيبه، لكن الشيخ مع جلالته ارتج عليه، وسد عليه طريق التقرير بما يتعلق بالحديث المذكور، فأخذ يتكلم على الأمور الخارجية وأنا أمهد له طرق التقرير (الذي يقتضيه علمه)[1] وإنما قرر أشياء تعتني بها صغار

---

(١) هو أبو بكر دُلف بن جعفر بن يونس الشبلي، أحد كبار الصوفية والزهاد في عصره، ولد في سامراء سنة ٢٤٧ وتوفي في بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٨٦١ ـ ٩٤٥م، ودفن في مقبرة الخيزران (الأعظمية) وقبره ظاهر يزار. ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ج١٤ ص ٣٨٩ وابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص٣٤٧.

(٢) ليس في ب (تعالى).

الطلبة، كالكلام على البسملة وتقديم الرحمن على الرحيم وما أشبه ذلك، فلم أعرف أن الشيخ دهش، أو أن نيته غير سليمة.

ولما شاهد الدمشقيون أن شيخهم يشاورني ويستفهم مني في ذلك الدرس، عظمت في أعينهم، فمنذ ذلك شرعوا في توقيري وتعظيمي، واعتذروا مني حيث لم يوفوا بحقي من الإكرام في بلادهم، والحمد لله على ذلك. (١٨٣أ) ومما وقع أني استجزته لي ولأولادي الصلبيين والقلبيين فأبى إلا أن أجيزه فأجاز كل منا الآخر، وأجاز أولادي صلبا وقلبا، وطلب مني أن أكتب لهم الإجازة فلم تتهيأ في المدينة المنورة.

واجتمعنا بالشيخ محمد حياة السندي، وطلبنا منه إسماع حديث الرحمة فأسمعنيه، وهو أول حديث سمعته منه، واستجزته لي ولأولادي المذكورين، فاجازنا، لكني ندمت على ذلك لأني كنت أسمع من بعض من حج مدحه والثناء عليه علما وعملا، فلما اجتمعت به رأيته رجلا يحب الدنيا كثيرا، يأكل بدينه ولا يسأل من أين أتاه المال، فلا يتورع في شيء ولو من مال المكس كما شاهدت ذلك. وله طريقة يصيد بها الدنيا فإنه يتزيا بزي الزاهدين ويلين الكلام، والحجاج يأتونه بالهدايا وأكثرها نقود، فيأخذ ولو من مال المكس، ويكرم الناس قدر ما يهدونه إليه، ويجلس في أخريات المسجد في مكان خال من الازدحام، حتى إنه يعرف ويهدى له، وله جماعة يثنون عليه ويقبلون يديه إذا رأوا أحدا عنده، ولهم حصة فيما يأخذه. والحاصل ما أعجبني طريقه، ولا سمته، عافانا الله من سوء الأخلاق «١٨٣ب» ومن النفاق والرياء. وكذلك رأيت علماء مكة فإنهم يحبون الدنيا كثيرا ولا يبالون من أي كان، حتى الزمزمي والشيبي فلقد رأيتهم يقصدون زيارة أهل الثروة والغنى ولا يسألون عن عالم ولا صالح، وكذلك أكثر أهل دمشق الشام، عافانا الله من ذلك بفضله وإحسانه. وزرنا المشاهد[1] التي في البقيع: مشهد سيدنا عثمان، وسيدنا إبراهيم ابن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعثمان ابن مظعون، وفاطمة الزهراء، وأزواج

---

(١) مطموسة في أ.

النبي، وسيدنا الحسن، وجعفر الصادق، وزين العابدين، وعمات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومرضعة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأقمنا في المدينة المنورة غير يومي الدخول والخروج: الخميس والجمعة، وخرجنا منها طلوع شمس يوم السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة الحرام[٢]. ولما ركبت المحمل بقيت متلفتا إلى قبة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ باكيا محوقلا إلى أن غابت عن ناظري، وإذا وارد الغيب يقول: يا مسكين! هذا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعتذرت منه، وقد وكل أمرك إلى الله تعالى فما اعتذارك عند عالم الخفيات والسرائر والنيات؟ كيف بك إذا قلت: لبيك، فقال لك: (١٨٤أ) لا لبيك ولا سعديك! ولم يزل هذا الوارد في الإلحاح وأنا ابكي، وتكدر عيشي، وتضاعف خوفي، وكثر قلقي ورعبي، حتى كدت أتمزق، وتتفطر مرارتي، فأتاني بشير الإلهام، وقال: يا مسكين! هب أنك أتيت بقراب الأرض ذنوبا، أيضيق جاه رسول الله بك وقد وعدك بالشفاعة، وهو الصادق المصدوق، ووعده الله تعالى بقبول شفاعته كما قررت أولا، فما أعجل ما نسيت وما بالعهد من قدم، فسرى عني ما كنت أجده وطُفِيَتْ لوعتي وقوي حسن ظني ورجائي، ثم أني ودعته بهذه الهمزية، وهي:

الوداع الوداع خير رسولٍ	وشفيع العُصاة يوم الجَزاء
الوداع الوداع يا صاحب الجَا	ه العريض وسيد الشفعاء
الوداع الوداع يا رحمة عمت	لأهل الأرض و أهل السماء
الوداع الوداع يا خيرة الله	من المرسلين والأنبياء
الوداع الوداع يا حجة الله	ويا صاحب الهدى واللواء
الوداع الوداع يا صفوة الله	ويا ذا الشريعة الغراء
الوداع الوداع إن فؤادي	يوم فارقت حيكم في عناء

(١) في ب (المشهد).

(٢) الموافق لليوم الأول من سنة ١٧٤٥م.

«١٨٤ب»

كـيف أسلو ومـهـجـتي باشـتـعـال ... ودمـوعي شـيـبت بلون الدمـاء
مـا وفى لي تـصـبـري قط ... بل وفت زفـرتي وفـرط بـكـائي
مـاأمـر الفـراق بعـد تدانٍ ... واحـيـلا التـلاق بعـد تناء
فنواحي يُعـيـدُ تلك النواحي ... فـاق نوح الحـزينة الخنسـاء
هل يعـود الزمـان في جـمع شـمل ... وأرى العـيش في ظلال الهـناء
أو أرفي عـيـني تلثم تـرابـاً ... من مـغـانٍ حـوت جـمـيل الثناء
أو أراني اشـم[1] طـيـب ثـراهـا ... وأقـول يابشـراى هذا منائي
اسـأل الله لا يكن ذا آخـر العـ ... ـهـد ولي بالاله حـسن رجـائي
فـعلى قـبـرك النيـرّ صـلاة ... وسـلام مـالاح نجم السـمـاء
وعلى آله والصـحـاب جـمـيـعـا ... مـا أنار البـدور حندس[2] الظلمـاء

[ذو الحليفة]

وتليها ذو الحليفة، بضم الحاء فلام مفتوحة فياء ساكنة ففاء مفتوحة وآخر الحروف هاء تأنيث، تصغير حلفاء، وهو لبني جشم[3] وتسميها الناس بآبار علي، ويزعمون أنه قاتل الجن فيها.

وأحرمنا معاشر الشافعية منها، ونويت الحج مفردا لأنه الأفضل عندنا، وأحرم معنا بعض الصالحين من الحنفية خروجا من الخلاف، وبتنا بها، وصادفنا برد شديد تلك[4] الليلة ما عهدنا مثله، ومن فضل الله أني بقيت محرما إلى يوم النحر، وهو الثالث عشر من إحرامي، وبفضل الله ما نالني برد ولا ألم ولا سقم مع أن الوقت وسط الشتاء لأنه قد مضى من كانون

---

(١) في ب (أشتم).

(٢) الحندس: الليل الشديد الظلمة.

(٣) في ب (حيثم) قال ياقوت ذو الحليفة قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة، وهو من مياه جشم بينهم وبين بني خفاجة بن عقيل (معجم البلدان ج٢ ص٢٩٦).

(٤) في ب (بتلك).

الأول تسعةعشر يوما، ومن عادتي قديما أني إذا نزعت عمامتي وكشفت رأسي أقل من ساعة تعتريني آلام وأسقام. ومن فضل الله أن خيمتي، وكذا في الطريق شق المحمل، محيطة بهما الناس لكثرة ما يسالوني[1] من أحكام الإحرام، حتى أهل الشام، مع كثرة الفقهاء في الركب، فحمدت الله على هذه النعمة الجليلة حيث إني كنت المشار إليه في تلك المسائل، حتى مفتي الشافعية في حلب كان يسألني عن جزئيات الإحرام والتمس مني (١٨٥أ) ان أكتب له محظورات الإحرام ومنهياته وواجباته ومندوباته وكذا جميع ما يتعلق بالمناسك كالوقوف والطواف والسعي وغير ذلك، فاعتذرت بضيق الوقت، والتمس مني السيد يونس أن أكتب له جميع الأدعية المتعلقة بسفر الحج من الخروج إلى آخر الرجوع، فكتبت له رسالة صغيرة مشتملة على الأدعية المأثورة وغيرها. والحاصل كان غالب الحاج يسألني عن دقائق المحظورات والواجبات وغيرها، ومما وقع السؤال عنه أن الإنسان المحرم لو لبس ثيابا كثيرة فهل يلزمه دم واحد أم أكثر؟ (والجواب: يلزمه)[2] دم واحد إذا اتحد المكان والزمان، سواء كان اللبس قطعة واحدة أم لا، ووقع أيضا السؤال عن اللابس المذكور إذا نزع بعض ثيابه ثم لبسها، هل يلزمه دم أم لا؟ والجواب: إذا كان المنزوع لم يستر شيئا لم يستره الأول فلا دم عليه وإلا فعليه دم، صرح بذلك الشيخ ابن حجر في حاشية الإيضاح، وحمل عبارة الإيضاح على ما ذكرنا. ومما وقع السؤال عنه ان المحرم لو نزع عمامته لمسح رأسه أو خفيه لانقضاء مدة المسح أو ثيابه هل يلزمه دم إذا لبس أم لا؟ (١٨٦أ) وجوابه: لا يلزمه دم لأن الإكراه الشرعي كالحسي كما صرح الشيخ ابن حجر وذلك في الحاشية المذكورة، ومما وقع السؤال عنه: أن الإنسان المحرم لوآلمه رأسه من الكشف فهل يحرم عليه لبس جميع ثيابه أو يقتصر على ستر رأسه؟ وجوابه: يحرم عليه لبس الجميع لأن الضرورة تتقدر بقدرها، فلو لبس شيئا في غير الرأس لزمته الفدية والحرمة، وفي الرأس تلزمه الفدية ولا حرمة، وأكثر هذه المسائل انكرها الفقهاء فاخرجت لهم عبارة الشيخ في الحاشية، وصار ذلك رخصة عم نفعها حتى إنّ المحرمين دعوا إلي كثيرا.

---

(١) والصواب (يسالونني).

(٢) سقطت من أ.

وذو الحليفة عن المدينة ستة أميال على ما قال النووي في الإيضاح، وثلاثة على ما قال ابن حجر في مختصره، و (هذا الخلاف)[1] مبني على مسافة الميل ما هي، والله تعالى أعلم.

[بين جبلين]

وتليها مرحلة بين جبلين، وهي ما بين الشهداء وبئر ذات العلم، وسألت عن الشهداء من هم: فقيل: هكذا نسمعهم يقولون، وهي قبور وسط الطريق الذي بين الجبلين، وأما بئر ذات العلم فهي عميقة جدا، والمسافة ثمانية عشر فرسخا ولا ماء.

[الجديدة]

ثم تليها مرحلة الجديدة تصغير جديدة، وهي (١٨٨ب) قرية في حضيض الجبل[2] ذات نخل كثير، وفيها تمر جيد يشبه تمر كربلاء المسمى بالمفتعل، وفيها البطيخ الأخضر، والفصل ـ كما علمت ـ كانون الأول، ومنها تجلب الحناء إلى المدينة، وفيها قبر سيدي الشيخ عبد الرحيم البرعي[3]، وعليه قبة، يزار ويتبرك بها، نفعنا الله تعالى به، آمين. والمسافة ستة فراسخ، وفيها عين ماء عذبة.

[بدر]

وتليها مرحلة بدر، وبها كانت الغزوة المشهورة التي أعز الله الإسلام فيها، والمسافة اثنا عشر فرسخا.

[الحمراء]

ومررنا في طريقنا على الحمراء سميت بذلك لأن حجارة الجبل المطل حمراء[4].

[الصفراء]

وعلى الصفراء، وهي التي قتل فيها الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه دريد بن

---

(١) سقطت من أ

(٢) في وادي الصفراء قرب المدينة المنورة.

(٣) هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي الهاجري اليماني، صوفي شاعر، له ديوان شعر أكثره في المدائح النبوية، توفي سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، الزركلي: الأعلام ج٤ ص ١١٨ وكحالة: معجم المؤلفين ج٥ ص ٢٠٢.

(٤) هو الموضع المعروف بحمراء الأسد، وصفه ياقوت بأنه موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم أحد في طلب المشركين (معجم البلدان ج٢ ص٣٠١).

الصمة بأمر من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في منصرفه من بدر[1]، سميت بذلك لأن حجارة جبلها المطل عليها صفراء[2]، وعلى الخرما والعالية والفارعة، وهذه كلها متصلة، وفي كل منها نخل كثير، وبدر إما اسم العين، أو الجبل على الخلاف المشهور، وأهلها الآن شيعة.

وكان عادة الركب الارتحال منها ثلث الليل الأخير، فأخذ الطلق زوجة السيد طالب الرفاعي نسبا وطريقة، فالتمس من أمير (١٨٩أ) الحاج أن يتمهل إلى طلوع الفجر، فأجابه لذلك، ففرج الله عنها قبل الفجر وأتت بذكر فسمي ببدر الدين، وهذه الامرأة من الأنصار من بني النجار. وهبت علينا وقت الارتحال ريح شديدة عاصفة باردة، فلبس أكثر المحرمين.

[القاع]

وبينهما مرحلة القاع، وهي عبارة عن بر أفيح واسع لا باب فيه والمسافة عشرة فراسخ.

[رابغ]

وتليها مرحلة رابغ بألف فباء موحدة مكسورة وآخر الحروف غين معجمة، وهو واد بين الحرمين قرب البحر، ويرى منه ماء البحر كما شاهدته، وفيه قرية صغيرة ذات نخيل[3]، وأكلنا فيها البطيخ الأخضر والفصل كانون الأول. ورابغ هذه هي الآن ميقات أهل الشام عند الحنفية سواء مروا على المدينة أم لا، بخلاف الشافعية فإنها ميقات للشامي إذا لم يمر بالمدينة وإلا فميقاته ذو الحليفة.

وليس رابغ هو الميقات الأصلي بل الميقات الأصلي الجحفة بضم الجيم، وهي قرية كانت

---

(١) والذي في ابن هشام (السيرة ج٤ ص٨٤) أن الذي قتل دريد هو ربيعة بن رفيع السلمي إثر معركة حنين، وقيل: إنه عبدالله بن قنيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة.

(٢) قال ياقوت إنه واد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج، وسلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة، وبينه وبين بدر مرحلة: (معجم البلدان ج٣ ص٤١٢).

(٣) قال ياقوت: رابغ .. واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور، ونقل عن ابن السكيت انه بين الجحفة وودان (معجم البلدان ج٣ ص١١) ووصفها محمد كبريت بقوله واد من الجحفة، واسمه القديم رابوغ، وهو ميقات أهل الشام، وماؤه من الحفائر، وعليه مزارع، وهي على الساحل بحيث يؤتى إليها بالسمك الطري في الغالب، وهي كثيرة الغبار (رحلة ص ٢٤٢).

جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة، وكانت تسمى مهيعة فنزل بها بنو عبيد وهم إخوة عاد، وكان أخرجهم العماليق من يثرب، فجاءهم سيل جحاف[1] فاحتّقّهم فسميت الجحفة (١٨٩ب)، انتهى كلام الفيروز آبادي[2]. وخربت أيضا من الحمى، حتى قيل: إن الطير إذا مر عليها يحم فارتحل أهلها، وليست الحمى فيها أصلية وإنما كانت في المدينة أولا فخرجت منها بصورة جارية سوداء وسكنت الجحفة بسبب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم برفعها[3]، فسميت المدينة من حينئذ طابة على بعض الأقوال في وجه تسميتها، ولما كانت الجحفة خرابا اتخذوا رابغا ميقاتا لأنه محاذ لها، والمسافة أربعة وعشرون فرسخا، وصادفنا فيها وقت الصبح ريح باردة، ومن فضل الله ماضرني.

[المستورة]

ومررنا في طريقنا، قبيل طلوع الشمس على قبة تسميها الجمالة المستورة[4] يزعمون أن فيها قبر بنت عنترة بن شداد العبسي، والصحيح ما أخبرني بعض الثقات انه قبر ولي من أولياء الله تعالى يقال له المهدلي.

[خليص]

وتليها مرحلة خليص، كزبير. وهو حصن بين قديد وعسفان[5] فيه عين ماء[6] وعليها

(١) الجحاف: الجارف

(٢) القاموس المحيط ج٣ ص١١٨.

(٣) ينظر ياقوت: معجم البلدان ج٢ ص ١١١.

(٤) وصفه محمد كبريت المدني بانه واد كثير الرمل، وماؤه من حفائر يحلو مع المطر، ويهمج مع المحل وعليه قرية لطيفة (رحلة ص٢٤٢).

(٥) قديد: واد فيه آبار ومزارع وقرية لطيفه. وعسفان، قرية جامعة، على نحو ميلين من مكة، بها آبار وبرك وعين تعرف بالعولاء، ينقل ماؤها إلى مكة للتبرك به. محمد كبريت (رحلة ص٢٤٣).

(٦) وصفها محمد كبيرت بأنها غزيرة الماء، عليها نخل كثير، وبركة متسعة جدا، وإذا احتاجت العين إلى العمارة جاء المصرف إليها من حاصل جدة. وقد عفى رسم هذه العين لتغافل الدولة عنها، وعسى أن يعود الماء إلى مجاريه (رحلة ٢٤٣).

قبة كبيرة وبجنبها قبة أصغر منها فيها قبر المرحوم علي باشا ابن المقتول، كان أمير الحج في عصرنا، فمات هناك حين قفوله من مكة، ودفن وأخفي موته عن الأعراب الأشقياء.

[الأميال السبعة]

ومررنا في طريقنا على سبعة أميال مبنية بالحجر والجص، كل واحد (١٩٠أ) قدر قامة ونصف [و] بين كل ميل مسافة ميل، بناها إسماعيل بك ابن عيواز أحد أمراء الحاج المصري، وذلك لأن تلك الأرض رملها كثير فيحصل من تراكمه تلال عظام فيتيه ركب الحاج فبناها لتكون علامة ونصبا على الطريق. ومررنا أيضا وقت السحر على عقبة على كل طرف منها علم، والعلمان متقابلان، تزعم الجمالة أن في أحدهما مكتوبا: خرا ابن خرا من يحج بمره وعلى الآخر: خرا ابن خرا من لم يحج بمره! والظاهر لا أصل لذلك.

[قديد]

ومررنا أيضا ــ وقد مضى نصف الليل ــ على قديد، وأنخنا بها نحو ساعة ونصف، والمسافة واحد وعشرون فرسخا.

[عسفان]

وتليها مرحلة بين عسفان(١) ووادي فاطمة، نزلنا في بر أفيح لا ماء فيه. ومررنا على عسفان، وفيه ثغر وعرذ وجنادل كبار وشعوب من السيل ولذلك سمي الموضع بعسفان لعسف السيول، وفيه صلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ صلاة الخوف، والمسافة خمسة عشر فرسخا.

[مكة المكرمة]

وتليها مرحلة مكة المكرمة، دخلناها ضحى يوم الاثنين السابع من ذي الحجة الحرام(٢) ومنذ جاوزنا التنعيم وهو أدنى الحِل، ومحل العمرة الآن، مشينا إليها حفاة من طريق كداء،

---

(١) هي المرحلة الثانية للقوافل الصادرة من مكة إلى المدينة المنورة.

(٢) الموافق ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٧٤٥م.

بفتح الكاف والمد، (١٩٠ب) وبقيت بقية ذلك اليوم حافيا، وطفت طواف القدوم، ودخلت البيت من باب بني شيبة، فلما شاهدت البيت أخذتني دهشة وحيرة، حتى إني نسيت أن أرمل، وبعد الطواف. أتيت الملتزم، والصقت صدري به، وألححت بالدعاء لي ولأصولي وفروعي وحواشي ومحبي حتى إني دعوت لأناس كثيرة بخصوص أسمائهم، لكن خصصت من أحسن إلي بزيادة.

وأتيت المقام وصليت فيه ركعتي الطواف، ودعوت كالأول وتضلعت ماء زمزم، وسألت الله عدة أشياء، منها المغفرة ودفع عطش يوم القيامة، ومهما خطر ببالي من الناس أحد شربت من ماء زمزم لمغفرته وإصلاح حاله ولو كان عدوا، وكذا عند الملتزم ومقام سيدنا إبراهيم والحجر وعرفة والمشعر الحرام (والمدّعى، حتى)[1] أني أضع كوز ماء زمزم بين يدي وأتذكر الناس، وكل من خطر ببالي أخذت الكوز وشربت منه على نية مغفرة ولو كان عدوا أو حسودا سوى (رجلين فلم ادع لهما ولا عليهما، حتى ترجّاهما)[2] السيد يونس الأدهمي في طواف الوداع، فدعوت الله أن يصلحهما، أكثر دعائي لرجلين وامرأة لأنهم أحنوا (١٩١أ) بعدي على أهل بيتي، وأكثر الكل كان دعائي لتلك الامرأة فإني والله ما نسيتها من الدعاء كل وقت لأنها غمرتني بإحسانها، فإنها جهزتني من داري إلى مكة، فكلما كان عندي فهو من إحسانها، ودعوت لها، وكلما رأيت أثرا من إحسانها دعوت لها، حتى إني كلما صادفت صالحا أوعالما سألته الدعاء لها ولأولادها وزوجها وأقاربها، فوالله لكنت أدعو لأقاربها كرامة لها مع أنه لم يصلني من إحسانهم شيء ولا لي معرفة بهم، وأخذت لها من العلماء الأساطين، والصوفية السلاطين، دعائم الإسلام، ورحمة الأنام إجازات في جميع العلوم وطرق الصوفية، أحياها الله وولديها وزوجها ومن تحبه الحياة الطيبة الهنية، ورزقها وإياهم السعادة الأبدية السنية. ومما وقع لي في الحرم أن قلت: إلهي

(١) مطموسة في أ فاكملناها من ب.

(٢) مطموسة في أ فاكملناها من ب.

وسيدي! قد قلت في كتابك ـ وأنت أصدق القائلين ـ ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكه مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾[1] فقد وتيت[2] إلهي إلا من دخوله ولم تذكر متعلق الأمن، فدل ذلك بمقتضى بلاغة كلامك أنه (١٩١ب) عام فيشمل الأمن من كل شيء، ومن أفراد الشيء الذنوب، فها أنا عبدك الجاني الآبق دخلت بيتك خائفا من ذنوبي مستجيرا بك من النار وإنك لاتخلف الميعاد، إلهي! أنت أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، مقيل العثرات، وكاشف البليات، سبقت رحمتك عذابك فحاشا لك أن تطرد من لازم بابك. إلهي حلمك جرّأني على معاصيك، واوقعني في ذلك حسن الظن فيك، وقد بلغني عن رسولك المصطفى فيما يرويه عنك أنك قلت (أنا عند ظن عبدي بي) إلهي! هذا البيت بيتك، والحرم حرمك، والأمن أمنك، وهذا مقام العائذ بك من النار، الهي لا تضرك معصيتي، ولا تنقصك إساءتي، فاسألك العفو عما لا يضرك ولاينفعك، إلهي! أدنى عبد إذا استجير به أجار، فها أنا عبدك الآبق، أستجير بك من النار، وأنت الأكرم، وأنت الأرحم. إلهي! واسطتي إليك ووسيلتي حبيبك الأعظم، وخليلك المقرب المقدم الذي اصطفيته على جميع خلقك واخترته رحمة لعبادك، ورفعت ذكره، ونشرت فخره، وأقسمت بعمره عبدك ورسولك محمد بن عبدالله بن عبد المطلب (١٩٢أ) فأتوسّل به إليك أن تجيرني من عذابك وغضبك وعقابك. وأردت أن أنظم استغاثة أول كل بيت [فيها] إلهي، فلم يتهيأ ذلك.

ويوم الثلاثاء، الثامن من الشهر المذكور، رحلنا من مخيمنا وكان في وادي المنحنى[3]، بعيد الظهر، وسار الحجيج إلى عرفات، وبتنا فيها ليلة التاسع من الشهر، كما هو عادة الحجاج قديما وإن كان المشروع خلافه، ووقفنا بعيد ظهر عرفة على الصخرات التي وقف

(١) آل عمران آية ٩٦ و ٩٧.

(٢) كذا في أ، وفي ب (رتبت).

(٣) المنحنى هي دكة ناتئة في سفح الجبل في أول طريق منى.

عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وشرعت بالدعاء مستقبل القبلة، واجتمع خلفي خلق كثير وجمع غفير، يؤمنون ويبكون بشهيق وعويل، وأنا أدعو جهرا، فلما رأى السيد طالب الرفاعي كثرة الخلق وازدحامهم عليّ أشار إلي بأن أختم الدعاء، ولو بقيت على تلك الحالة لما بقي مع الخطيب أحد لأني رأيت الناس ينثالون من كل فج وواد نحوي، والحمد لله تعالى. ودخلنا من عرفة بعيد مغرب ذلك اليوم، وبتنا مزدلفة، ولم يدعني الناس تلك الليلة أن أستريح من كثرة مايلتقطون حصى الجمار ويعرضونه علي، وذلك أنهم سمعوا مني أنه لا يجوز الرمي بالمدر، فكل من لقط حصى عرضه عليّ، فأنقي له منه ما يجوز فيه الرمي (١٩٢ب) وما يسن، حتى إن السيد طالب قال: والله إني لأعجب من حلمك وصبرك على الناس!. ورحلنا من الفجر، وأصبحنا بمنى، وبقينا فيها إلى ثاني أيام التشريق، ونفر الحاج النفر الأول بعد ظهر ذلك اليوم والحمد لله على أن تم حجنا من وقوف وطواف وسعي ورمي وغير ذلك. واعتمرت من التنعيم يوم الاثنين الرابع عشر من الشهر المذكور[١]، وصليت ركعتي الإحرام في مسجد عائشة رضي الله عنها ـ واعتكفت مقدار ما صليت ودعوت لي ولأحبائي، واجتمعت بالحرم الشريف بسيدنا السيد الحسيب الشيخ عبدالله المزهر اليماني وسألته الدعاء، وهو رجل صالح معتقد أهل الحرمين. وزارنا مرارا صاحبنا العالم العامل المتفرد في الأقطار الحرمية السيد عمر ابن السيد السقاف باعلوي[٢] حفيد شيخ مشايخنا عبدالله بن سالم البصري[٣].

وزارنا أيضا الشيخ سالم ابن الشيخ عبدالله المزبور، وهو رجل مقعد يحمل على أكتاف

---

(١) الموافق ١٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٧٤٥م.

(٢) هو عمر بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه السقاف الحسيني العلوي، من مشايخ المتصوفة بحضرموت، له (موارد الألطاف في مناقب السيد عبدالله بن علي السقاف) و (الروض البهي الناعم) في التراجم، و (مختصر تاريخ الطيب بافقيه) ومنظومات في الفلك والسيرة النبوية وغيرها، توفي سنة ١٢١٦ هـ/ ١٨٠٢م. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٠٦ وعبدالله محمد الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، صنعاء، ص ٤٥١

(٣) يريد: حفيده من أمه.

الرجال. وكان منزلنا في الشبيكة[1] مع السيد يونس الأدهمي. وسمعت على السيد عمر المذكور أوائل الكتب الستة، وسألته الإجازة لي ولأولادي الصلبيين والقلبيين فأجازنا، وكتب لنا ما صورته: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول(١٩٣أ) الله، وبعد، فقد سمع مني العالم العلامة، والفاضل الفهامة، ذو التحقيقات الدائمة والتدقيقات الفائقة، الأخ الأعز الأمجد، والأفضل الأمثل الأوحد، الملا عبدالله السويدي ـ حفظه الله المعيد المبدي، سمع مني أوائل الكتب الستة التي هي دواوين الإسلام: صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي المجتبى وابن ماجة، وقد أجزته بذلك وبجميع الكتب المذكورة وغيرها من كتب الحديث وغيره، كما هو مذكور في سند جدنا الآتي ذكره، وأن يجيز من شاء بذلك بشرطه المعتبر عند أهل الأثر، سائلا منه أن لا ينساني من دعواته في خلواته. وقد رويت ذلك عن جملة من الشيوخ، من أجلّهم شيخنا وأستاذنا وجدنا من طرف الأم، المرحوم المبرور شيخ المحققين، ورئيس المحدثين ببلد الله الأمين، بل وسائر بلاد المسلمين، مولانا الشيخ عبدالله بن سالم البصري، وهو يروي ذلك عن جملة من الشيوخ ذوي الأقدام الثابتة الرسوخ مذكورين في ثبته، وأجزته أيضا بالصلاة المشهورة التي هي مفتاح كل خير لمن واظب عليها، خصوصا بين المغرب والعشاء، (١٩٣ب) الواصلة إلينا من طريق العلامة الشيخ عليّ الشبْر املسي، وهي:

اللهم صلِّ (على سيدنا محمد وآله كما لا نهاية لكمالك ويقرأ الأربعة السور)[2] المذكورة، وهي ﴿اقْرأ﴾[3] و ﴿إنّا أنزلناه﴾[4] و ﴿إذا زُلْزِلت﴾[5] و﴿لإيلاف قُرَيْش﴾[6]

---

(١) الشبيكة ناحية في أسفل مكة.

(٢) مطموسة في ب.

(٣) سورة العلق.

(٤) سورة القدر.

(٥) سورة الزلزلة.

(٦) سورة قريش.

بعد صلاة المغرب وبعد صلاة الصبح، وقد أجزت [1] بجميع ذلك كلا من عبدالرحمن ومحمد وإبراهيم وأحمد ورقية وسارة وصفية أبناء الملا عبدالله السويدي جعل الله تعالى (الجميع)[2] قرة عين، ورزقه الله تعالى خيرهم وبرهم. وقد أجزت أيضا بجميع ذلك الشاب النجيب اللوذعي، الولد الأعز قرة العين، حسين الأكرم بن كتخدا محمد باشا[3]، ووالدته الخيرة[4] الطاهرة والدرة الفاخرة، من لها في العلم أوفر نصيب، المصونة خديجة، بلغها الله تعالى وابنها حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الحبيب عليه الصلاة والسلام. قاله بفمه، فقير ربّه وأسير ذنبه، عمر بن أحمد بن عقيل السقاف باعلوي المدرس بالحرم الشريف، والمسجد المعظم المنيف، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وخرج الحاج الشامي ظهر يوم (١٩٤أ) الأحد العشرين من ذي الحجة[5]، وخيّم قرب الشيخ محمود ونيته [أن][6] يرحل [في] نصف الليلة الآتية، فأرسل يطلبني الشريف مسعود ابن الشريف سعيد[7] والي مكة، فامتنعت من الذهاب إليه وقلت لرسوله: إن الحاج ذهب. فقال: إن الشريف يريد الاجتماع بك هذه الليلة بعد العشاء وإلا فضحى ثاني يوم قلت: لا أستطيع ذلك والحاج يبعد عني، فقال: يرسلك الشريف مع ركب إلى عسفان فيما[8] بعد،

---

(١) في ب (وأجزت).

(٢) سقطت من أ فأكملناها من ب.

(٣) أشار إليه مرارا في هذه الرحلة واصفا إياه بولده القلبي.

(٤) في ب (الحرة).

(٥) الموافق ٢٣ كانون الثاني (يناير) سنة ١٧٤٥م.

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

(٧) في النسختين (سعد) والصحيح ما أثبتناه، وهو الشريف مسعود بن زيد بن محسن، أمير مكة من ١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢م إلى ١١٦٥ هـ/ ١٧٥٢. أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام، مصر ١٣٠٥ هـ/ ص ١٨٧ ـ ١٩٥.

(٨) في النسختين (فما).

فامتنعت واعتذرت بأني لا أستطيع التخلف، وكان السيد يونس الأدهمي حاضرا فقال: امتثل أمر الشريف وأنا أبقى معك ولو إلى عشرة أيام، فأجبت. ولم يتهيأ الاجتماع معه تلك الليلة فبتنا في مكة إلى ضحى يوم الاثنين، فأرسل خلفي واجتمعت به وأكرمني غاية الإكرام، فرأيته رجلا عاقلا صالحا لا دعوى ولا أنانية، وهو حنفي المذهب متعصب على الشيعة. ثم إنه أمر خدامه ومن كان حاضرا بالانصراف وإخلاء المكان، فبقيت أنا وهو لا غير، فقال: ألك علم بقضية الخبيث السيد نصر الله الكربلائي؟[1] فقلت: لا. قال: جاءنا هذا الرجل ومعه كتب من نادر شاه، واحد لي، وواحدلقاضي مكة، وواحد لمفتيها، وواحد لعلماء مكة، وواحد لشيخ (١٩٤ب) الحرم المدني، مضمونها [أن] السيد نصر الله يصلي بالشيعة إماماً في مقام إبراهيم. (ومذ دخل هذا السيد [وهو] يرغب ويرهب، فناديته وقلت له: ما)[2] الذي جرأك على أن تأتي ديارنا وتدعو الناس إلى مبايعة شاه العجم؟ كأنك ظننت أن الشرفاء روافض وأنك إذا أرغبتهم مالوا إلى مقابلتك، والله الذي لا إله إلا هو لو جاء سلطان آل عثمان الذي أنا تحت طاعته وبيعته وقاتلني من الشبيكة فلا أطيعه في ذلك ولا أجيبه، وأقاتله إلى أن أقتل أو أفر إلى أحد أقطار ثلاثة [هي] قُطر اليَمن أو قُطر

---

(١) هو السيد نصر الله بن الحسين بن علي بن يونس بن جميل بن علم الدين بن طعمة الفائزي والحائري، أديب فقيه، عاش في كربلاء وإليها نسب، وتلقى العلم على علمائها، ثم تولى التدريس في مدارسها، وكان ولوعا ـ باقتناء ـ الكتب ترجم له عصام الدين العمري واثنى على أدبه (الروض النضر ج٣ ص ١٣٠) ونوه الخوانساري بحادثة قتله، فقال ولما دخل النادر (يريد: نادر شاه) المشاهد المشرفة في النوبة الثانية، سنة ١١٥٦ هـ/ ١٧٤٣م) وتقرب إليه السيد (يريد نصر الله) ارسله بهدايا وتحف جليلة الى الكعبة المعظمة، فاتى البصرة ومشى اليها من طريق نجد وأوصل إليها، فاتى عليه الامر بالشخوص سفيرا إلى سلطان الروم (يريد السلطان العثماني) لمصالح تتعلق بأمور الممالك والملة، فلما وصل إلى قسطنطينية وشي به إلى السلطان وذكر انه قتل هناك، ولم يحدد تاريخ قتله، ولكنه ذكر أنها تقع فيما بين ١١٥٠ و ١١٦٠ (روضات الجنات ص ٧٣٤) وفي مصادر ترجمته الأخرى أنها حدثت سنة ١١٦٨ هـ ١٧٥٤م (سلمان هادي آل طعمة: شعراء من كربلاء، النجف ١٩٦٦، ج١ ص ٣٢) وله ديوان مطبوع، نشره عباس الكرماني (النجف ١٩٥٤)، ورسالة في تحريم التتن، و (سلاسل الذهب) وغير ذلك.

(٢) مطموسة في أ فاكملناها من أ.

الهند أو قُطر الحبشة، وما دمت هنا فلا أمكن أحدا من ذلك، كيف وهذا أمر من لدن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما صدر ولا جرى، أيجري في زماني؟ كلا والله لا يكون ذلك أبدا، فأما ان أقاتل حتى أقتل، وان لم اجد لي ناصرا أهاجر إلى أحد[1] الأقطار المذكورة، وللبيت رب يحميه، أو ظننت أن الشرفاء ملقون يحبون الدنيا فأردت أن ترغبهم بالأموال؟ والله لو جرى من نحو العجم نهر من الذهب لأمرت العرب أن تسده بالأحجار وقتل[2] من يصل إلى الحجاز أيها (١٩٥أ) الرجل، إنما كان طاعتنا لآل عثمان لكونهم غزاة مجاهدين، يمدون الحرمين ومذهبم مذهبنا فلأجل هذه الأمور دخلنا تحت طاعتهم، فكيف أطيع العجم ولا سبق لأحد من أسلافي الإطاعة والانقياد لهم، فقل لي ما الذي جرأك وحملك على هذا وبأي وسيلة توسلت بها وأي مستند استندت إليه حتى تجرأت على ما ذكرت؟ فذكر لي أعذارا باردة واهية مفتراة محض كذب، فكذبته وأقمت الدليل على كذبه، ثم إني عرضت جميع أحواله على الدولة العثمانية، فجاء المرسوم الشريف بالقبض عليه وعلى المنلا حمزة الأفغاني وعلى ميرزا[3] أبي الفضل، أما الملا حمزة فقد حج العام الأول وذهب ولم ينطق بشيء، وأما ميرزا أبو الفضل فقد تمرض في بعض قرى نجد وهو في هذه المدة محبوس عندي وحملته لأمير الحاج أسعد باشا، لأن في المرسوم أنه يحبس في قلعة دمشق.

ثم إن الشريف خلع علي خلعة فاخرة من الأصواف الأنقروية، وأنا أيضا كذبت نصر الله فيما اعتذر به، وقلت: يا ابن رسول الله! ورب هذا البيت إن هذا لكاذب فيما قال[4] وإنما مراده ذلك ليخلص نفسه. ثم إن الشريف اثنى على الوزير (١٩٥ب) أحمد باشا ودعا له كثيرا، وكتب له كتابا أثنى به عليه، وقال: والله إني أحبه لما أسمع من مكارم أخلاقه

---

(١) لا توجد (أحد) في ب.

(٢) في ب (قبل).

(٣) في ب (الميرزا).

(٤) في ب سقطت (قال).

وجعله الله منصورا على أعدائه، ثم إنا وادعنا الشريف وطفنا طواف الوداع ولحقنا بالحاج في وادي فاطمة. وهذا السيد نصر الله أتى به إلى دمشق وحبس بالقلعة، ثم طلب من الدولة، فأرسله أسعد باشا ولم أدر ما يفعل به، عامله الله بما يليق به.

وقد طلب مني الشيخ سليمان ابن أخي الشيخ إسماعيل العجلوني كتابة صورة الإجازة له ولعمه، فكتبت لهما ذلك الليلة الثامنة عشرة من ذي الحجة في مكة المكرمة، وتكاسلت عن نقلها هنا لأني مللت من طول الأسفار وبعد الشقة.

وقد جاءني يوم عرفة بعرفة كتاب من الأكرم والأمجد كتخدا باشا محمد أرسله من مدينة السلام بغداد، وصورته: سلام لا تحصيه الأرقام، ولا تحويه ألسنة الأنام، سلام لا تضاهيه الحميا إذا أدار أكوابها جميل المحيا، سلام محفوف الأشواق الباهرة مزفوف بالوجوه المتكاثرة، وتحيات صافيات وتسليمات ضافيات تبلغ بلوغ الهدي الواجب (١٩٦أ) إلى أهله، وترد ورود المفارق إلى أهله، إلى العالم الفاضل، والجهبذ الفاصل بين الحق والباطل، أحد العلماء الأعلام، وسند النحارير العظام

علامة العلماء، واللج الذي لا ينتهي، ولكل لج ساحل

وبعد، فلك السؤدد والافتخار بوفودك على هاتيك الديار، فتهنَّ بزيارة قبر[١]، ومجاورة سيد ساد الأنبياء بالتشريف القدسي:

فـاق النبـيين في خلق وفي خُلُق ولـم يدانـوه في علـم ولا كـرم[٢]

ولك البشارة أيضا بزيارتك بيتا عتقت عنده الرقاب من النار، ورؤيتك مقاما غلقت لدى بابه أموال الأخيار، والحمد لله على وصولكم بالسلامة بلا نصب ولا سآمة، وقد أتتنا منكم كتب عديدة وأسانيد مفيدة، فاسترينا غاية السرور، وحصل عندنا جملة الحبور، كيف وقد تضمنت من سلامتك ما يدهش الخاطر، ويؤنس الحاضر، والحمد لله نحن في

---

(١) هنا عبارة غلو ظاهر حذفناها.

(٢) البيت للبوصيري (الديوان ص ١٤١).

عافية غير عافية[1] ونعمة من الله صافية، نسألك الدعاء في تلك الأماكن، وتبليغ السلام إلى سيد القاطن، وأشرف الظاعن، مولانا الشفيع، (١٩٦ب) ومحرزنا المنيع ـ عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وصبحه الأعلام ـ إلى آخر كتابه.

وجاءني من بغداد، من ولدي القلبي حسين بك ابن كتخدا محمد باشا، وصورته:

والشوق أعظم أن يحيط بوصفه ... قلم و أن يطوى عليه كتاب

والله ما أنا منصف إن كان لي ... عيش يطيب وجيرتي غياب

كتابي هذا أطال الله بقاء سيدي الكبير، والفاضل النحرير، محرر أصول الدين، ومبين الفروع للمسلمين، الجامع بين المعقول والمنقول، والمؤلف بين الفروع والأصول، من اكتسب منه ابن مالك تلك الملكة العربية، وأقر له ابن عصفور على أن ليست له حوصلة على جمع أبرز الفنون الأدبية، الداعي ابن الأثير دونه في الأثر، والممارس الخبير فمسلم مسلّم له صحة الخبر، المعترف له ابن كثير[2] بقلة الجمع، والفخر حينئذ قال لمعقوله:

ما أنت وأدلة الجمع؟ فصح لورآه المتنبي لترك سفاسف قرآنه، وعدل عن مدعاه واعتد بشأنه، ولو رآه سحبان[3] لسحب أذيال الخجل ومال عن دعواه الفصاحة وعدل. (١٩٧أ) أما بعد، فالأشواق إليكم تتزايد، والزفرات مد الأوقات تتصاعد، على أن الشيء يذكر بمثله، والفضل لا يخشى عند ذكر فضله، وكلما رأيت المتسمين بالعلم وإن لم يكونوا قطرة في بحرك، ولو يأتوا بسبجة[4] فضلا عن درة من درك هاجت أشجاني، وزادت أحزاني، نسأل الله أن يطوي شقة البين، ويكحل بأثمد الاجتماع منا العين، إنه بذلك قمين، وعليه

---

(١) أي غير زائلة.

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، من آثاره (البداية والنهاية في التاريخ) و (تفسير القرآن الكريم)، توفي سنة ٧٧٤هـ.

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) السبجة: الخرزة السوداء.

معين. وقد وردت علينا مكاتيبكم السديدة ورقاعكم المفيدة، فحصل لنا السرور، وزال عنا ما نلقاه إذ في المثل المشهور: الكتب ثلثا الملاقاة، فضممتها إلى صدري، وجعلتها أمانا من خطوب دهري، فكلما تشوقت نظرت منظومها ومنثورها، وإذا زاد بي الوجد تصفحت سطورها[1] إلى آخر كتابه، حفظه الله تعالى.

وجاءني من ولدي الصُّلبي أبو الخير الشيخ عبدالرحمن كتاب صورته: أطال الله بقاء والدي الذي سطعت به أماكن الشام، وأمدنا بحياة سيدي الذي به عرف الحلال والحرام، ركن الأعلام، بل علم الأعلام، كل مجيد إليه استناده، (١٩٧ب) ذي الذهن الوقاد، والفكر النقاد، صاحب الرأي الصائب، النجم الثاقب قطب تدور عليه رحى العلم، وقمر يستضيء به أولو الفهم، صاحب الفصاحة العربية وشمس الشريعة المضيئة، زين الدين، صاحب الخيرات، إمام المسلمين، سيدي أبي البركات، لا زال في نعمة تغبطه عليها الأقارب، رفعة يدرك بها الشهب الثواقب، أدامه الله لنا ظلا مد الزمان، وحفظه من بوائق الحدثان آمين. وبعد، فالمملوك يقبل أرضا ترافعت على السماك، وتقاعست دونها الأفلاك، أرضا تؤمها الأفاضل، ويحل بسوحها كل ماجد وفاضل، أرضا تساق إليها يعملات الرجاء، وتناخ بها مطي من قصد وجاء، نسأل الله بحرمة مولانا أن يرزقنا رؤيتها عيانا آمين. ثم المملوك يبث شوقا شق الأحشاء، وتمزقت لبرحائه الأمعاء شوقا أنشدنا: قفا نبك من ذكرى حبيب. وبه جرى دمعنا الغزير الصبيب شوقا لم نزل نتلظى بنيرانه، حيث لم نعدم تراكم أشجانه شوقا عم الأهل والولد، فاعدم من الكل القوى والجلد، وأضنى من الجميع الجسد، ولا سيما الفقير العاني، (١٩٨أ) الذي أضحى لهذه الخطوب يعاني، والله شاهد على ما في القلوب وما هو مسطور مكتوب .. إلى آخر كتابه فإنه طويل اختصرته لما فيه من الملل.

وكتبت من مكة كتابا للأكرم الأمجد كتخدا باشا محمد، وكتابا لأهلي، تركت كتابتهما هنا من الملل الذي اعتراني من الغربة والكربة.

---

(١) في ب (صدورها).

ورجعنا على تلك المراحل عودا على بدء، ودخلنا المدينة المنورة ضحى يوم الجمعة الثاني من محرم الحرام عام ثمانية وخمسين ومائة[1] وألف فجددنا العهود بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأقمنا بها غير يومي الدخول يومين، فوادعنا المصطفى وفي القلوب زفرات ولوعات، وللعيون انسجام وعبرات. وخرجنا ضحى يوم الاثنين الخامس من الشهر المذكور.

ومما دفع الله عنا بفضله أن عيدا شيخ بني حرب السابق جمع لقتالنا جميع عشيرة حرب وحلفائها، ووقف في بدر ينتظرنا، وذلك أنه يطلب أن يكون شيخا على العشيرة منذ ثلاث سنوات، وكل سنة يوعده [2] أمير الحج ويخلف لعدم رضا شريف مكة على عيد، ولا يريد المشيخة إلا لمنصور، وهذا منصور أكثر العرب لاتطيعه ولا تهابه. فقبل وصولنا إلى بدر حصلت بين عيد وهزاع أحد مفسدي حرب منافرة (١٩٨ب) ومشاجرة فأمال الأعراب عنه إلى منصور وبقي عيد وحده فهرب إلى الفرع وسلمنا الله (من كيده وكفى الله المؤمنين شر القتال)[3].

[الفَحْلَتين]

ولما وصلنا إلى مرحلة الفَحْلَتين جاء الخبر إلى أمير الحاج بان عشيرة بني صخر والشارة وغيرهم حاصروا الجردة في تبوك ومنعوها من المسير، فحصل غمّ عظيم واضطراب، وتيقنوا الهلاك، واضطربت الآراء والأفكار، فسلموا أمرهم إلى الله وفوضوه إليه إلى أن جئنا إلى بيار الغنم، فجاء البشير بان الجردة صباح غد توافي الحاج في العُلى، فحصل السرور والأفراح، وزالت الهموم والأتراح، وسبب خلاص الجردة أن أولئك الأشقياء حاصروها عشرة أيام، فدفع أمير الجردة الوزير كوسي علي باشا والي صيدا دراهم كثيرة ليخلوا لهم الطريق، فلم يقبلوا، فنفد زادهم وقلت ذخيرتهم، فطلبوا من الأمير ما دفعه أولا فلم يقبل، وتفرقوا.

---

(١) الموافق ليوم ٣ شباط (فبراير) سنة ١٧٤٥م.

(٢) كذا، والصواب، يعده:

(٣) مطموسة في أ فاكملناها من ب.

[العُلى]

وسار أمير الجردة إلى أن وافانا في العُلى، وعادة أهل الشام يُرسلون مع الجردة هدايا لأصدقائهم وأهاليهم، فأهدى لنا ـ ممن جاءت له هدية ـ الشيخ إسماعيل العجلوني علبتي حلوى سكرية، وأهدى لنا (١٩٩أ) الشيخ سليمان شيخ المحيا ثلاث علب من الحلوى السكرية، وأهدى السيد إبراهيم علبتي حلوى، وأهدى لنا السيد علي مراد زاده علبتين، وأهدى لنا الشاب الجميل السيد عيسى علبة، وكلها في مرحلة تبوك إلا علبتي السيد إبراهيم فإنها كانت بعنزه.

[دمشق]

ودخلنا دمشق الشام ضحى يوم الثلاثاء الخامس من صفر الخير[1]، واستأجرنا دارا في آخر سوق العطارين، ومعي في البيت عديلي في المحمل الحاج يوسف مولى نعسان الحلبي. وكان صاحبنا السيد يونس ذكر، من غير علمي، لحضرة الباشا أمير الحاج أن الشيخ عبدالله كثيرا ما يثني عليكم ولا سيما من جهة محافظتكم لركب الحج، وأنه نوى أن ينظم قصيدة يثني عليكم بها. فجاءني السيد يونس وقال: جرت بيني وبين الباشا مذاكرتكم، وذكرت عنك كيت وكيت، فينبغي أن تنظم قصيدة وتمدح بها الباشا لئلا أكون كاذبا عنده، فقلت: وما الذي حملك على ذلك ونحن على إثر طاعة الله تعالى ولا يحسن منا مدح الولاة لأن غالبه كذب أو مبالغة، فقال: هكذا الأمرا وقع. ولي في ذلك غرض فالتزمت بذلك، وذكرت ما وقع في طريق الحج. والقصيدة هذه وفيها تاريخ، وقد حذفت بعضاً منها لأمر ما[2].

تسامت بنو العظم العظام إلى العُلى[3]   فأحكمت ما شادوا وما كان شيدوا

وقد ظن قوم أن عسر مسيرهم[4]   إلى الحج بعد الماجدين مؤبد

---

(١) الموافق ليوم ٥ إذار (مارس) سنة ١٧٤٥م.

(٢) ديوان عبدالله السويدي ص٢٨.

(٣) في الديوان (على العلا).

(٤) في ب (عسيرهم) كذا.

فذلك إسماعيل والدك الذي بأعلي فراديس الجنان مخلد

وعمك ذو الحسنى سليمان عصره نما فيه تدبير ورأي مسدد

وما علم الأقوام أنك فذهم رفيع المعالي بالسعود مؤيد

فسيرت ركب الحج غير مروع وأنت له الحصن الحصين المشيد

سلكت بنا أصل الطريقين جانحا عَن الفرع يحمينا الحسام المهند

وكنا كأنا والمشبه صادق على فرش الأوطان في الأمن نرقد

« ١٩٩ب »

وأرغمت أنف البدو والكل صاغر[1] إذا سمعوا ذكراك بالذعر ترعد

وقد جنحت للسلم حرب وأذعنت ولانت بنو صخر وبان التجلد

وأرهبهم منك الوعيد وعيدهم وبال عليهم وهو ذو النحس أنكد

وما كان منصورا على فرط ضعفه بغيرك منصورا يرجى ويقصد

وقيدت بالأغلال منهم رهائنا وما علمت حرب بقيد تقيد

وألبست جلباب الصغار عنيزة فصارت كعنز وهي جرباء تبرد

وجردت سيف العزم تنصر جردة على أجرد كالبرق لا يتبلد

ووأصلت ما بين النهار وليله وخالفت ما قال الجبان المفنّدُ

وسرت بنا حتى بلغت إلى العلى أتاك بشير بالسلامة يشهد

« ٢٠٠أ »

(وأطفأت في عام مضى نار فتية بطيبة قد شبّت وزاد التوقد

فجئت[2] إليها وهي محصورة وقد عتا في نواحيها البغاة وأفسدوا)[3]

---

(١) في الديوان (أنف البيد).

(٢) في الديوان (وجئت).

(٣) مطموس في ا فاكملناه من ب والديوان.

بلاد رسول الله صنت حريمها فطاب لها بعد المرارة مورد
وقامت بها الأفراح من كل جانب ومن لذة الفتح اعتراها تأود
لك المفخر الأعلى على كل فاخر وعند رسول الله صارت لكم يد
يباهي(1) بك القطر الحجازي إيليا(2) فأين إذا شامٌ ومصر وثهمدُ
فذي طاعة ترضي الإله لأجلها ملائكة الرحمن للشُكْرِ تسجدُ
وترتاحُ في كل التواريخ مَكَّة وحجك مبرور وإنك أسعدُ

سنة ١١٥٧(3)

(٢٠١أ)

وبقي بعض الأبيات تركتها لأمر ما. وحرب وبنو صخر وعنزة أعراب في طريق الحاج، وعيد شيخ حرب السابق ومنصور شيخها الآن، وقد كان منذ سنين يذهب ركب الحج من طريق الفرع، وهو طريق وعر صعب، ماؤه قليل ومسافته بعيدة، ويحصل في سلوكه للحجاج مشقة عظيمة، وذلك لأن الأعراب الأشقياء قطعوا الطريق الأصلي المسمى بالطريق السلطاني، فيخشى أمير الحج إن ذهب منه ينتهب الحجاج لكثرة مافيه من الأشقياء، فبالضرورة يذهب من طريق الفرع.

وأما الركب في هذا العام قد ذهب من الطريق السلطاني وهو طريق سهل فيه قرى كثيرة كبدر والصفراء والحمراء وغيرها، وماؤه كثير، وفيه القلاع المهيأة لذخيرة الحاج وحراسة الماء. وكان مراد الأمير أن يذهب من طريق الفرع فأشار إليه شيوخ حرب بالسلوك من

---

(١) في الديوان (تباهى).

(٢) إيليا اسم لبيت المقدس.

(٣) كذا في الديوان وفي أ: ١١٥٨، وهذا خطأ لانه لا يتفق مع حساب الجمل لكلمات التاريخ، وهي: مكة: ٤٦٠، وحجك: ٣٧، مبرور: ٤٤٨، وانك: ٧٧، أسعد: ١٣٥، فالمجموع ما أثبتناه. وفي ب حساب كل كلمة دون مجموع الكلمات.

[الطريق][1] السلطاني، فقال: لا آمنكم على الركب، فاتفقوا أن تجعلوا منه أناسا رهائن في المدينة المنصورة، فإن ذهب الحاج سالما أطلقهم، وإلا قتلهم، فذهب(٢٠١ب) الركب آمنا سالما والحمد لله على ذلك.

ولما دخلنا الشام أحب أسعد باشا أن يسمع القصيدة من لفظي، فقرأتها عليه، وألبسني خلعة وأمدني بدراهم هي بالنسبة إليه قليلة، وكتب القصيدة أهل دمشق وغيرهم. ودعانا ليلة دخولنا[2] صاحبنا الحاج مصطفى بكداش، ودعانا صاحبنا الحاج أفندي اليوسفي، ودعانا الشيخ المحقق عبدالرحمن الصناديقي، ودعانا صاحبنا عالم الأقطار الشامية الشيخ الكبير إسماعيل[3] شارح البخاري، وأمر ولدي أخويه الشيخ موسى بن عبدالهادي والشيخ أحمد بن يحيى أن يستجيزا مني فأجزتهما. وأضافنا العالم الفاضل السيد سعيد بن السيد محمد في المدرسة الأشرفية المسماة بدار الحديث[4] التي كان النووي يدرس بها ثم درس ابن السبكي، وأول ما جلس أنشد:

لمدرسة الحديث لطيف معنى　　　أطوف في جوانبها وآوي
لعلّي إن أنالَ بحر وجهي　　　مكاناً مسَّه قدَمُ النواوي

وبعضهم نقَلَه إلى غار حراء فقال:

لغارِ حِراء لُطْفٌ ومعنى　　　تَحِنُّ إلى هوائِهِ عظامي

(٢٠٢أ)

لعلّي أنْ أنال بحر وجهي　　　مكاناً مسَّه قدم التُهامي

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) مطموسة في ا فاكملناها من ب.

(٣) يريد إسماعيل العجلوني وقد تقدم.

(٤) هي دار الحديث الأشرفية الجوانية، وتقع إلى جوار باب القلعة الشرقي، بناها الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م. ينظر: النعيمي: الدارس ج١ ص١٩.

والآن هذه المدرسة مسكن يسكنها الناس، لاعلم فيها ولا قراءة، وكم مثلها مدارس صارت مساكن، واللواتي بقيت على حالها لاتدريس ولا قراءة ولا مُذاكرة بل مُجرَّد الاسم.

وقد أضافنا السيدان الجليلان الشيخ سليمان وأخوه الشيخ عبدالوهاب ولدا السيد شيخ الأحياء في المُحَيّا، وبِتْنا تلك الليلة عندهما ـ جزاهما الله عني خيراً ـ واستجازا مني الحديث وغيره فاجزتهما، وطلب كتابة الإجازة في ورقات فلم يتهيأ لما بي من الملل، وعسى ان يكون خيراً، وطلب مني الإجازة السيد احمد بن نقطة فأجزته، وكتبت له صورة الإجازة في ورقات، وتركت كتابتها هنا للملل. واستجاز مني الشاب الصالح، والزند القادح، ذو الحسن الباهر والمحيا الزاهر، المنلا علي كرجي الأصل، فكتبت له ما صورته: الحمد لله الذي خص أهل الحديث بنضارة الوجوه وطول الأعمار، وجعل السند من خصائص هذه الأمة فزادت فضلا على المقدار، والصلاة والسلام على المشهور فضله، المتواتر المرفوع قدره، المسند فخره سيدنا محمد المرسل من أشرف الجراثيم، وعلى آله وصحبه ومحدثي سائر الإقليم، طلب الشاب الصالح الناسك الناجح المجد في طلب العلوم، من منثور ومظلوم، المنلا علي ان أجيزه بما لي من الرواية، وما عندي من الدراية، علما منه انه لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وأن السند، كما اشتهر عند الأفاضل، كالسيف القاتل، وان شيوخ الإنسان آباؤه في الدين، وأن السند وصلة بينه وبين سيد المرسلين، فأجزت المنوه بذكره بما يجوز لي وعني روايته مما سمعته أو قرأته. واستجزته عن مشايخي العظام، وأساتذتي الفخام، وكتبت له البخاري ومسلم والفقه الحنفي، وللمثال مثال نعْل المصطفى صلى الله عليه وسلم، لكني تركت كتابة ذلك لما تقدم. وأجزت الشيخ عبد القادر الدمشقي دلائل الخيرات.

وممن دعانا إلى بيته الشيخ الصالح الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم ابن شيخ شيخنا عبدالله العمري العجلوني. وممن دعانا إلى بيته السيد الحسيب النسيب السيد إبراهيم، دعانا مرتين وأهدى لنا بطريق الحج علبتين (٢٠٣أ) هذا والمنلا علي المذكور آنفا صارت له

معي علاقة تامة وخدمني كثيرا، وبت عنده ليالي، ولما أحس بسفري أخذته الدهشة والحيرة والبكاء، جعله الله سعيدا ووفقه لما يحبه ويرضاه آمين، فهو أوفى من الشيخ أبي الحسن العجلوني المذكور سابقا.

وأضافنا في بيته الشيخ العالم النحرير الحبر البحر الغزير، الشيخ الجنيني، وهو أفقه الحنفية في دمشق، وبتنا في بيته، وأعزنا كثيراً، وانبسطنا وانشرحنا ـ جزاه الله خيراً ـ وأجزت ولديه النجيبين الشيخ عبدالعزيز والشيخ سليمان ووعدتهما بكتابة صورة لإجازة، هذا وقد حصل لي إكرام كثير وتوقير عظيم في دمشق حتى ليشار إليّ بالبنان، وأسمع بعضهم يحدث الآخر، يقول: هذا أعلم علماء الدنيا! فتأنست بهم وطاب لي المقام، ومن عادتهم حسن الظن، ومهما تكلم الإنسان أو أدعى[1] فضلا أو كرامة صدقوه ولا يعرفون الإنكار ولا يخطر في بالهم، فغالب من يؤلمه رأسه أو عضو من أعضائه يقول: يا شيخ كبسني، أي ضع يدك على المحل المؤلم.

وقد انفردت دمشق الشام بأشياء، منها الجامع الأموي، ومنه (٢٠٣ب) كثرة المياه، ومنها كثرة البساتين، ومنها كثرة الملاح [فـ] ـالوانهم صافية، ووجوههم حسنة، وطباعهم لينة، وقلوبهم صافية، يمدحون علماءهم ويوقرونهم، وقد تمنى كثير من طلبة العلم بقائي، وأكثروا التأسف علي لما رأوا من تقريري وحلي لما أشكَلَ عليهم، يقولون: يا ليت تبقى هنا ولو شهراً حتى نستفيد. وهذه هي الطبقة الوسطى التي ذكرتها أولاً، كثر الله في المسلمين أمثالهم.

وقد صار لهذا الفقير شهرة في دمشق الشام عند الصغير والكبير، والعالم والجاهل، أكثر من شهرتي في بلادي، يعتقدون أني أعلم علمائهم وأصلح صلحائهم، وهذا من حسن ظنهم، وإلا فلست بذاك[2].

---

(١) في ب (ومهما ادعى الإنسان فضلا).

(٢) في ب (بذلك).

ولما خرجت من دمشق صعب علي مفارقتها، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لاتخذتها دار سكناي:

ولست براجع ما فات مني　　　بلَيْت ولا لعلَّ ولا لو انّي

حَسبي الله ونِعم الوكيل، كان ذلك في الكتاب مَسطوراً، وغالب ما يقع عندهم من المسائل من علم النحو، فسمّا وَقَع السؤال عنه قول الشاعر:

(٢٠٤أ)

قد سالمَ الحيّات منه القَدَما　　　(فالأفعوان والشجاع)[١] الشجعا انسجما

وصورة السؤال: أنه روي بنصب الحيات فأين فاعل سالم، وروي برفعها، فأفعُوان كيف يصح أن يبدل من الحيات المرفوع المنصوب، وجوابه: أما على رواية النصب فالفاعل القدما إذ أصله القدمان حذفت نونه للضرورة، وأما على لغة من ينصب الفاعل المفعول، ذكر ذلك ابن هشام في مغنيه وغيره، وأما على رواية الرفع فالأفعوان يدل على الحيات باعتبار أنه مفعول لأنه[٢] فاعل يقتضي اسمين، أحدهما فاعل صريح معقول ضمنا، وثانيهما مفعول صريح فاعل ضمنا، فالحيات وإن كان فاعلاً صريحاً فهو مفعول ضمناً، فالأفعوان بدل منه على هذا الاعتبار الضمني.

ومما وقع منه قول الشاعر:

أكلتُ ديكاً وديكاً　　　وليس لي غيرُ ديك

والجواب: إن وديكا الثاني صفة ديكا[٣] الأول، بمعنى سمينا. قالوا: أصلية من الكلمة لا عاطفة.

ومما وقع السؤال عنه قولهم: أكل زيد ضرب عمرو، والضرب هو (٢٠٤ب) العسل

---

(١) مطموسة في أ.

(٢) في النسختين (إن)

(٣) ليس في ب (ديكا).

الأبيض الغليظ، والمعنى أكل زيدٌ عسل عمرو.

ومما وقع السؤال عنه: زيد كريم بالجر، وجوابه: إن الكاف للتشبيه [وهي] ليست من أصل الكلمة، والريم هو الغزال الذي فيه بياض.

ومما وقع السؤال عنه: إن ابن مالك قال: واسم وفعل ثم حرف الكلم فيقتضي أن الكلم عبارة عن هذه الثلاثة، وهو مناف لقول شراح الألفية: عبارة عن تركب من ثلاث كلمات سواء كان من نوع واحد أو نوعين أو ثلاثة، فكيف التوفيق؟

وجوابه: إن الكلم له إطلاقان[1] أحدهما بمعنى الكلمات التي يتركب منها الكلام، وهو مراد ابن مالك، وثانيهما ما ذكره الشراح فلا ينافي.

ومما وقع السؤال عنه غلام زيد، فليس بكلمة لكونه كلمتين، ولا كلام لعدم الفائدة، ولا كلم لعدم الثلاث، فيقتضي أن يكون واسطة، وابن مالك لا يقول بها فما الجواب على مذهبه؟ الجواب: أنه كلم لأن المضاف إليه عنده مجرور بالحرف المقدر، فاصله غلام لزيد.

ومما وقع السؤال عنه أن ابن هشام حد الكلمة بالقول المفرد، فالكلمة لغة ما هي؟ والجواب: هي اللفظ المفرد، واللفظ يشمل المهمل والمستعمل بخلاف القول(٢٠٥أ) فانه مختص بالثاني، فالمعنى اللغوي أعم مطلقا من الاصطلاحي.

(ومما وقع السؤال عنه عباره ابن هشام في متن القطر، عند كلامه على علامات الاسم، حيث قال: ويعرف بالحديث عنه، وصورة السؤال أن الضمير منه راجع إلى الاسم)[2]، فيؤول الكلام إلى أن الاسم يعرف بالحديث عن الاسم، وفيه دور ظاهر، وجوابه: أن الضمير المجرور عائد على الاسم بمعنى الكلمة أو اللفظ فلا إشكال.

---

(١) كذا في النسختين.

(٢) غير واضحة في أ.

وبما وقع السؤال عنه قول الشاعر

إن علّي والله أن نبايعا (تؤخذ كرها أو تجيء طائعا)[1]

وصورة السؤال: أن نصْب الاسم الكريم على ماذا، وما محل أن تبايعا، والجواب: نصب الاسم الكريم بنزع الخافض وهو حرف القَسَم وإن تبايعا في مصدر منصوب على أنه اسم أنّ وخبرها الجار والمجرور المتقدم، والتقدير إن علي والله مبايعتك.

ومما وقع السؤال عنه ما تشابه من بعض الحكايات، وهي أن بعض العلماء وكان من عادته أن أحدا إذا طلب منه الإجازة يقول: إن عرفتَ ماوزن الإجازة وما إعلالها أجزتك والإ فلا، والسؤال: فما وزن إجازة؟ والجواب إنما له[2] إذا أصل إجازة (٢٠٥ب) إجوازا من باب الأفعال، نقلت حركة الواو إلى جيم قبلها قلبت الفا لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها فالتقى ساكنان، فحذفت عين الفعل لأنها بعض كلمة ولا تدل على معنى بخلاف ألف الأفعال فإنها كلمة تدل معنى، وحذف البعض غير الدال أولى من حذف الكل الدال، ثم أتى بالتاء عوضا عن العين، وقد تقرر في كتب الصرف أنه إذا حذف في الموزون شيىء حذف من الميزان ما يقابله في الميزان.

ومما وقع السؤال عنه إنهم قالوا: إذا كانت التاء والفاء في جمع المؤنث السالم زائدتين جر بالكسرة نيابة عن الفتحة، وإذا كانت التاء أصلية جر بالفتحة على الأصل، ومثلوا ذلك بأبيات، ولما ورد عليهم بنات، إذ هو جمع بنت، فالتاء موجودة في المفرد مع أنهم نصبوا جمعه بالكسرة، أجابوا بأن التاء التي في المفرد حذفت وهذه التي في الجمع الذي هو بنات أتي بها للدلالة على الجمعية، فلم لم يقولوا في بيت وأبيات مثل ما قالوه في بنت وبنات، والجواب أن تاء بيت أصلية من نفس الكلام فلا يحسن (٢٠٦أ) حذفها بخلاف تاء بنت زائدة للتأنيث، وللعوض عن فاء الكلمة.

---

(١) العجز غير موجود في ب.

(٢) كذا في النسختين ولعلها: إنما له

ومما وقع السؤال عنه قول الشيخ خالد في الأزهرية، حيث فرق بين اللفظ بمعنى الملفوظ، والخلق بمعنى المخلوق، بأن الأول حقيقة عرفية، والثاني مجاز لغوي، وصورة السؤال: ما علاقة هذا المجاز؟ والجواب: التعلق.

وما وقع السؤال عنه إعراب قوله تعالى ﴿ما أنت بِنِعْمَة رَبِّك بِمَجنون﴾[١]، وإن بنعمة بم يتعلق، والجواب يتعلق بما لما فيها من الفعل، والمعنى لتنفي بنعمة ربك عنك الجنون.

ومما وقع السؤال عنه قول الشاعر:

دَنا نيــــرنا من قـــرن ثَورٍ ولـم تـكـن ... من الذَهَب المضـروب عند القــــاطِلِ

فما إعرابه وما معناه؟ فالجواب: دنا فعلٌ ماض، بمعنى قرب، ونيرنا فاعل، والنير ما يوضع على رقبة الثور عند الحرث، والمعنى قرب نيرنا من قرن الثور.

[حلب]

وخرجنا من دمشق يوم السبت الثاني والعشرين من صفر الخير[٢]، ودخلنا حلب ضحى يوم الثلاثاء الخامس من شهر ربيع الأول[٣]، ونزلنا أول قدومنا عند أولاد الحاج نَعْسان، فأكرمونا كثيراً وبتنا عندهم تلك الليلة. ثم نزلنا في المدرسة الحلوائية[٤](٢٠٦ب) في الحجرة التي عن يمين الداخل للصحن يقال إنه نزل في تلك الحجرة محيي الدين ابن العربي الصوفي، والكمال ابن العديم، زملا جامي. وفرش الحجرة مع الوسائد واللحاف من سيدنا السيد محمد الطرابلسي، جزاه الله عني خيراً، وأضافني في بيته يوم أن جلست في الحجرة. وأما بيتي وعشائي كل ليلة فهو عند الأكرم الأمجد النجيب السعيد علي أغا

(١) القلم اية ٣.

(٢) الموافق ٣١ آذار (مارس) سنة ١٧٤٥م.

(٣) الموافق ٦ نيسان (إبريل) سنة ١٧٤٥م.

(٤) من أهم المدارس في حلب، كانت في الأصل كنيسة من بناء أم قسطنطين، ثم تحولت إلى مسجد باسم مسجد السراجين، فلما تملك نور الدين محمود جعلها مدرسة سنة ٥٤٤ هـ،ووصفت بانها من أعظم المدارس صيتا وأكثرها طلبة وأغزرها جامكية (أي واردات) ينظر ابن الشحنة: تاريخ حلب ص ١١٠.

عجيمي زاده، منحه الله الخير والسعادة، فقد ألح علي أن أكون ضيفه مدة إقامتي في حلب، ومع ذلك تشفع بالسيد محمد الطرابلسي بأن أكون كل ليلة عنده وأتعشى عنده فرضيت، لكن كل يوم وقت العصر يرسل خلفي خادمه، وكل وقت يوصي خدامه بإكرامي حتى إنهم ليضعون تحتي فرشا فاخرة كثيرة، وفوقي لحافين يخدمني أتباعه أكثر من خدمة أولادي. واحتجت إلى قرض نقود فأقرضني بطيب نفس من غير أن أذكر له، بل إنه سمع مني الاحتياج فألح عليَّ بالإقراض جزاه الله عني خيراً.

[معان]

ولما وصلنا إلى معان إنخزل[١] عنا جماعة من الحاج لزيارة بيت المقدس، ومنهم ولدنا القلبي الشيخ عبد الوهاب الموصلي، فأوصيته بأن يستجيز لي ولأولاي الصلبيين والقلبيين (١٢٠٧أ) طريقة التصوف من شيخنا الولي المرشد المسلك السيد مصطفى الصديقي، فجاء الشيخ عبدالوهاب إلى دمشق ليلة خروجنا منها ومعه كتاب من الشيخ، نفعنا الله به، وصورته:

سبحان الله الأولي الأبدي ... مانح الأوّاه كل سر سرمدي
عواطف إحسان بها القلب يهتدي ... خواطب عرفان لها اللب قد هدي
فواتح تقريب فوائح جذبة ... لواعج تهذيب سوائح مبتدي
تحقق عبدالله لا عبد درهم ... بأسرار أهل الله إذ سار يقتدي
وترشقه الأقدار كأسا مروَّقا ... عتيقا عبيقا منعشا كل مُسْعَدِ
وتطرقه الأنوار كأسا مطوقاً ... قلائد عز في منار تجرد[٢]
ويكشف عن أطوار أخبار خبرة ... فيعرف بالأخبار أخبار سؤدد
ويدرك سر السير بالبر للهدى ... وسُقيا لبان الخير بيت ام معبد

---

(١) اختزل عن قومه: اقتطعه وأفرده.

(٢) في ب (منابر تجلدي).

وأســرار غــار الاخــتــلاء عن الملا	وأوطار آثار اخــتــلاء التــفــرد
ويلحظ مــا نال المصــدق بالوفــا	ويلمح مــا قــد طال إلى التــودد

«٢٠٨أ»

بواسطة الأصلين لمع مــســعــيــة	وهمع جنى التبــريك في عـقب ندي
هنا بالعطا من بعــد مــا كشف الغطا	يهنى من يريد الصيد في اليوم والغد
وفي مــربع يبــدى مــريع تفــضل	يحط مــراســيــه بحب مــؤبد
ويرتع في روض الأمــاني مــهــيــمــا	بحــوض ارتواء من شــراب مــحــمــدي
ومن بعــد ذا يعطى المرامــات كلهــا	ومنشــور إذن للمــسـقــر الخلد
ويمنح فــتح البــاب في قــاب قــربه	وينفح ألقــاب قــاب التــقلد
ومنذ قــام عــبدالله في خــان مــخدع	تضــاءلت الأفــهام عن درك مــقــصــد
وأذعن للقــدر الرفــيــع غــوالي	وعاد عــمــود الصــبح للحكم يبتــدي
(فــخــر أمــة)[1] حــاز المنى حــالة اللقــا	و (جــافى)[2] الهنا إن أم دوح المـمــهــد

«٢٠٨أ»

فــقل للذي يرجــو عــيــاذا من الردى	بأبوابه لم ترق أرفع مــشــهــد
هـنيــئــا مــريئــا يا مــحب أحــبة	تملوا بأبصــار الجــمــال المــجــد
ويــا ربــنــا صــلِّ وســلــم عــلــى الــذي	لقــد ســاد فــيــه كل هادٍ ومــهــتــد
وآل واصــحــاب كــرام أئــمــة	وأتبــاعــهــم مــا فــاح عــرق تشــهُّــد
ومــا مــصطفي البكــري يشــدو ضحــيــة	عــواطف إحســان بها القلب يهــتــدي
حــمــداً لمن جــاد بجليل جــمــال أو حدي	وشكراً لمن أفاد جــمــيل مــالي أســعــدي

وصلاة وسلاما على سيدنا محمد، ما اقتفى آثاره عبده ليهتدي، وعلى آله وأصحابه

---

(١) في ب (فمن الله).

(٢) في ب (وحاز).

وأتباعه وأحزابه والراوين أحاديثه ليقتدي بهم كل مقتدي، وعلى التابعين لهم بإحسان ما فاح عبير تقرير منجدي، وبعد، فهذه تحيات شذاها ندى، وتسليمات سليمات (هداها كم قيّد، كل صب معبد)[1] مشاهد مشهدي، للأخ في الله، والمحب في ذات نعتها صمدي، أعني به العالم العامل،(٢٠٨ب) المنتهى في علوم تسكن حركة الزائغين ويهدي، الصديق الرفيق جناب الشيخ عبدالله الشهير بالسويدي أمده بمدده الباقي السرمدي، المعيد المبدي، آمين.

هذا قد وصل إلينا الأخ مرتدياً برداء الحب[2]، المقتدي بالبان القرب المقدسي المسجدي، السيد عبد الوهاب حاوي آداب قد بها بهندي[3]، فذكر الجناب وذكرنا بعهد قديم لم ينس لتمكنه في خلدي، وأطرب الأسماع بأخبار يشتاقها الملتاع لأنها للنفع تجدي، فسرنا هذا الارتقاء والاستقاء من المدد الأحمدي، أنا وحدي، وطلبنا بكم الزيادة لتعم بكم الإفادة، ولأبلغ بكم أملي ومقصدي، وعرفنا أن الجناب المحبّي الأشرفي الأرشدي كلفه بأن يطلب من الحقير إجازة له ولأولاده ومن بهديه يقتدي، فأعلمناه أن هذا الطلب منشؤه التواضع وكمال الأدب الذي مصاحبه بالروح فدي، ولما رأينا الإجابة محتمة لسابق ود ولاحق إنابة نشرها ندي[4]، أجبنا الطلبة مع اعتراف بالرتبة، وألحقنا بهم من ينتمي لجنابكم من أجلها عزة محتد ونسأل منكم ومنهم الدعوات في الخلوات والجلوات، سيما عند الوصول لأعتاب أهل الحصول من كل مرشد أصفه بسندي وسيدي، وجميع من عندنا من أولاد وعيال وأحباب وأنساب في الأطلال يرجُون الدعوات العَوال كما أعلى حالكم منا ولكم هدي، ويهدي سائر أولادكم وأحبابكم ومن يلوذ برفيع أبوابكم أزكى سلام تام عام أبدي سرمدي، كَتَبه الفقير إليه تعالى سبط الحَسَنيْن مصطفى الصديقي الحنفي.

---

(١) كذا في أ وفي ب (هدي حاكم هذي بحق)

(٢) من هنا سقطت صفحة من أ، فنقلناها من ب.

(٣) في ب (مرتدي)

(٤) كذا في ب.

وجاءني وأنا في حلب من دمشق كتاب من سيدي العالم النحرير، والفاضل الشهير، سيدي الأخ الحميم والخل الصافي المستقيم الشيخ صالح الجنيني بن الشيخ إبراهيم، وهو: الحمد لله، غب سلام ونت بروقه، وهطلت عذوقه، وأزهرت كمائه، وأنورت حانه، (٢٠٩ب) تخص بذلك حضرة من اختصه الله بأحسن الخصائص، وصانه من الزلل والنقائص، أعني به المشار إليه، أسبغ الله جزيل إنعامه عليه إلى آخر كتابه، وفقه الله لصالح الأعمال، وأحسن منه جميع الأحوال.

وجاءني كتاب من دمشق من السيد أحمد بن نقطة تركت كتابته لما تقدم. وأيام كنا في دمشق التمس مني أن أعمل مقامة مضمونها أن السيد محمد بن شيخ الحرم ينبغي أن تجعله سلطاناً على جميع ملاح دمشق، وذلك لأنه يتعشقه، وله مداعبات مع من يتعشق غيره، فهو يقول: إنه سلطان وغيره يقول: فلان هو السلطان لمن يتعشقه ذلك الغير، ولم تزل المخاصمة والمنازعة بين العشاق، فكل منهم يقول: معشوقي هو السلطان، ولا يخفى عليك أن أهالي دمشق مشهورون بالخلاعة والتعشق، حتى علماؤهم الكبار، وهذا النزاع ما شاع وذاع. ولم يزل هذا السيد أحمد يزيد في الإلحاح، ويجد في الاقتراح، وأنا أدافعه بالاعتذار، وإن هذا لا يليق مني فيجيبني بأن الحافظ السيوطي له في مثل ذلك مقامات كثيرة، وكذلك أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني له نظم رائق، (٢١٠أ) ونثر فائق أكثره يتعلق بمثل ما نحن فيه، وغيرهما من علماء وأساطين[1] وفضلاء وسلاطين، لهم مقامات مشهورة، وحكايات منثورة مذكورة، ولم تزل المدافعة مني والإلحاح منه إلى أن خرجت من دمشق، فراسلني بكتاب، وفيه: أقسم عليك بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما عملت المقامة وأرسلتها، والله إنها عندي تساوي جميع أمور الدنيا، فكتبت ما حضرني، وأسندت رواية المقامة إليه، وقصرت أحكامها عليه، إلا أني ما صرحت باسمه، وإنما لوحت برسمه، لأنه كان يقول: إذا عملتها لا تصرح بانه السبب فيها، ولا باس

(١) في أ أساطير

في التلويح المغني عن التصريح، هذا والسيد محمد خدمني كثيراً، وقرأ ما تيسر من علم النحو علي، له آداب حسنة، وأخلاق مستحسنة، وعذوبة منطق، وحلاوة منادمة، فسبحان(٢١٠ب) الذي فطره وصوره فأحسن صوره. وكان السيد ذكر لي أن يكون البدر الأتم سلطانا على ملاح دمشق، وهم السيد الذي بحسنه الفائق كل عارف يفتي، السيد حسن الحرستي، والظبي النافر، الذي يقول القمر شقيقي، وجمالي لدى التدقيق تحقيقي، محمد بن علي بك البكري الصديقي، والقمر الذي عن القبح عري، ومن النقائص بري شاكر بن سعدي أفندي العمري، والبدر الذي قال: يغني عن السرج جبيني، عبد الرحمن بن الشيخ أحمد المنيني، والغصن الذي قال جميع المحاسن عندي إن كنت لا أصرح ولا أبدي، السيد يوسف بن السيد محمد آغا الجندي، والكوكب الذي أشرق من تحت السحاب، والمقصود لدواء كل مصاب، مراد بن ركاب، والعلم المفرد في الملاحة، والمجمع عليه في الرجاحة ذو العيون التي يقول كل عاشق: إنما قسيمي البدر المنير، عبدالرحمن بن العلمي، والبدر الذي قام عليه الإجماع، السيد مصطفى بن أحمد الطباع، والمليح الذي قال الملاحة مقصورة عليَّ دون غيري، قضيب البان عبدالرحمن الديري وغيرهم ممن اتسم بالجمال، ووسم بالكمال (٢١١أ) فكتبت للسيد أحمد المذكور كتابا وفيه المقامة: سلامٌ أشهى من منادمة الحبيب بعد نفوره وصدوده، وألذ من معانقته وشم ورد خفر خدوده، وأحلى من عتابه بعد تماديه في الإعراض، وأخلب للألباب من غمز ألحاظه المراض، على المغرم الذي تلظى بنيران الصبابة، وغرق في بحار الأشجان والكآبة، وعرض قلبه لنبال[1] المقل عرضا، وعرض جسمه لأن يجري عللا مرضا، الصب الذي توله بحب الامرد الجميل، واستعذب مقاساة الليل الطويل، حتى رأى العذاب عذبا، والموت سهلا وإن كان صعبا، فصار طعين قدود، وقتيل صدود، لا تَألَفُ جنوبه المضاجع، ولا تزايل جفونه المدامع، لا

---

(١) في ب (لبنان).

يرعوي لعنف ولا لائم، ولا يلوي إلى ناصح مسالم، بل إنه لم يزل يناوح[1] الحمائم، وهو حيران ذاهل هائم، حالف السهاد على الملازمة، وخالف الرقاد في الملاءمة، فتأججت زفراته، وتضرَّمت لوعاته، السيد الذي دعي سيد الطائفتين، والشيخ الذي رُسم بأنه(٢١١ب) شيخ الطريقتين، السيد أحمد، وبابن نقطة عرف، وبالعطار اشتهر ووصف، لا زال قلبه غرضا لسهام المحبة، ولا زالت أشواقه محرقة قلبه، أما بعد، فأشواقنا إليكم غير خفية، وذكرانا لك وافية وفية، وقد أجبتك إلى ما طلبت، ومنحتك بما به كتبت، فعملت مقامة صدرت من غير فكر ولا روية ودثرت في ملابس الاستعجال فكانت غير مرضية، وجعلت نسبتها لمن هو خفي عليك، وفي الحقيقة جميع أسانيدها تنتهي إليك، وهي :

حدثني قَيْس الشجون، ونحن بثغر المجون، قال : أنبأنا أبو الوله الغرام، ونحن على شاطىء الانسجام. وحدثنا كثير الأشواق، على مصطبة العشاق، قال : أخبرنا أبو الفناء باهر الهيام، ونحن في مدرسة الغرام، حديثا يخلب القلوب والألباب ويزري بطنين العود والرباب، إنه قال :كان من عادتي المعتادة وشنشنتي[2] المستجادة، التوله بأرباب الجمال، والتيه والدلال حتى دعيت في هذا الفن بأبي عذرته[3]، (٢١١أ) وبجديله المحكك[4] وابن بجدته[5]، فكنت أقضي الرواحل (والمطيّ، والمتملي بالمحيا البهي، فحدثني رواة القوافل، وثقات الركبان في الرواحل، من جاب البلاد)[6] والقفار، وراد الأنجاد والأغوار، وتوله بحب الملاح، واستهون في الوصال بذل الأرواح، بأن دمشق لأولئك الأقمار مطالع، ولتلك الجآذر مرابع

---

(١) يناوح. يقابل.

(٢) الشنشنة : الخلق، والعادة.

(٣) يريد بالعذرة هنا : الجدة.

(٤) الجذيل تصغير الجذل، وهو أصل الشجرة، والمحكك الذي تحتك به الإبل الجرباء، يضرب للرجل يستشفى برأيه، وعقله.

(٥) بجدة الأمر حقيقته، وابن بجدته : العالم بأمره.

(٦) غير واضحة في أ.

ومراتع، فجزمت بالنية، وامتطيت المطية، فقطعت الروابي والوهاد، وسلكت كل فج وواد، حتى لقيت من الغربة عرق القربة[1] فتنورت معالم تيك الأقطار، ودخلت المدينة والشمس في رابعة النهار، فرأيت الناس ينثالون وهم من كل حدب ينسلون، فقفوت أثرهم، لأتحقق أمرهم، فدخلوا حديقة نهرها مسلسل، ونسيمها معلعل، طيرها صادح غريد، وشحرورها يترنم بأنواع التغاريد، واكتست بالسندس أشجارها، وتنورت من أردان [2] الأكمام أزهارها، وإذا فيها جم غفير، وجمع كثير، من المرد الملاح، ذوي الوجوه الصباح، من سبى بحُسْنه القمر، وفتك (٢١٢ب) بلحظه وأسر، وأحرق بلظى خده، وطعن بسمهري قده، (وقَتل بسيوف أجفانه المراض، وقال له الحسن: الأمر لك فاقض ما أنت قاض، وهم محدقون بخطيب يصدع القلوب بوعظه، ويسلب الألباب بسحر لفظه، له طلعة زهراء، وعليه)[3] عمة[4] خضراء، فقلت: ما الخبر! وما هذا الخطيب على المنبر؟ فقال: هذا فرع بني هاشم ذوي المفاخر والمكارم، يصل نسبه النفيس إلى السيد إدريس، وجده الأدنى نقطة دائرة الحسن. قد شبَّ هذا السيد في القبابة[5]، وترعرع في سوح الغرام والكآبة، صريعُ حِسانٍ، وقتيل أجفانٍ، كم تلظَّى فؤاده بهجير الهجر، وكم غاص ذهنه في بحار الفكر، يعشق المليح المائس الأعطاف، ويهوى الجميل المعروف بالعفاف، إلا أن هذا السيد هجيراه العفة والصيانة، وديدنه الديانة والأمانة، لا مطمع له إلا في النظر، ولا تعدي له سوى الحسن بالبصر، فصار مرجعا في هذا الفن، (٢١٣أ) ومعتقدا يجب فيه تحسين الظن. فقلت: ما اسمه وما نعته ورسمه؟ فقال: لا أستطيع التصريح، وإنما أفيدك بالتلويح، فهو مركب في

---

(١) العرق: ما يرشح من الجسد من ماء، وعرق القربة: كناية عن المشقة والشدة.

(٢) في أ (اران) ولم نقف لها على وجه، وما أثبتناه من ب، ولعل الصواب: أرادن، جمع ردن، وهو أصل الكم.

(٣) مطموسة في أ.

(٤) العمة: هيئة الاعتمام، ويريد هنا: العمامة.

(٥) القبابة :لم اهتد إليها .

الظاهر من أربعة عناصر، أولها زمام الأدب، ومفتاح الأرب، وثانيها رأس الحلال والحرام، وخاتمة الفلاح على الدوام، أول منازل الحوت منزلته، وأقوى درجات الصلاح درجته، وثالثها إليه ينتهي العلم وبه يكمل الحلم، ويتم بالإسلام ويختم به الكلام، عين الحمد، وفاتحة المجد، وقلب العمل، وعين الأمل، ورابعها ينتهي إليه العباد، ويتم به السداد، فافهم ما عنيت، وتأمل ما كنيت، فعرفت ما أراد وما قصد، وفهمت الذي عليه استند، وكان من جملة ما طن على مسامعي من وعظه، وقرع أذنيَّ من كلامه ولفظه، أن قال: أيها المغرمون بالجمال، المتولهون بأرباب الدلال، والعاشقون للملاح، المستهدفون بسهام العيون الصحاح، أوصيكم وصية من عرف الأمور (٢١٣ب) وجربها، وأنصحكم نصيحة من اختبر الأحوال الغرامية وهذبها، عليكم بمحبة المليح الفائق، والوداد القويم الصادق، وتمسكوا من كملت محاسنه، وعفته، وصحَّت بين أهل الهوى مودته وأخوته، يعرف مواقع الهجر والوصال، ويعطي كلاً منهما على طبق ما يقتضيه الحال، وأحذركم من الغلظة والجفاء، ومن الغدر ومزايلة الوفاء، وتحملوا من الحبيب مشاق إعراضه وهجره، وامتثلوا مناهيه واتباع أمره، وعليكم بالعفة والديانة، والكمال والأمانة، وتجنبوا الخيانة فبئست البطانة.

ثم التفت الخطيب إلى يمينه، وحملق بعينه، وقال: معاشر الحسان، وطائفة المردان! عليكم بمن عفَّ وكَتَم، فلا يخالطنكم في مخالطته لوم وندم، وتجنبوا من غدر وفسق وهجر واختال[1] فكر، وإتباع فَقْر، فَقْر، وتمسكوا بمن انطوت على العفاف طَويّته، وتنزهت عن الخلاف عزيمته ونيته، وطابت سريرته، وازدانت سيرته، إن قرب تقرب، وإن أبعد (٢١٤أ) تهذب وإن منح بوصال عف، وإن قدر على فجور كف، وأعطوا كل عاشق ما يستحق من الإسعاف، وامنحوه على قدر حاله من الألطاف، وقربوه حسب ديانته وعفافه وأمانته، وإياكم من التمادي في الهجران والإسراف في الوصال والإحسان، بل اسلكوا طريقة بين طريقتين، وحقيقة بين حقيقتين. وإني أراكم أيها الملاح قد تعودتم العادات القباح، تصلون

(١) كذا في أ، وفي ب (احتال) ولعل الصواب: إحتيال.

من فَجَر وفسق، وتقطعون من بالعفاف تخلق، تضعون الوصل في غير مواضعه، وتوقعون الهجر في غير مواقعه، وليست هذه طريقة السلف، ولا هجيرى الخلف، وإنما هي بدعة حدثت وضلالة ليست عمّن قبلكم ورثت، فهل تجدون في أساطير الغرام، أو تروون عن أحاديث الهيام، مثل هذه الحالة التي أنتم عليها، والخصلة التي تخلقتم بها، وركنتم إليها، فالذي أنهيه إليكم من الواجب المحتم عليكم أن تختاروا أحسنكم جمالا، وأصرفكم[1] وأظرفكم دلالا، فتولوه (٢١٤ب) سلطانا، وتكونوا له أعوانا، إن أمركم امتثلتم ما أمر، وإن زجركم جانبتم ما عنه زجر، هذا والمردان مطرقون، ولا هم ينطقون، وإنما كان إدارة ألحاظهم تنوب مناب ألفاظهم، فقال: إيه فما هذا السكوت والوقت ضاق، وما هذا التواني عن عقد النطاق، فتقدم أحدهم، وهو يميس دلالا، تقول أعطافه هكذا هكذا، وإلا فلا لا! بقد يزري بغصون البان، وجِيدِ جَيِّد يفضح ريم الغزلان، قد تقوّست حاجباه، ورشقت من أهدابهما عيناه، وتضرجت خداه، واسودّت[2] عيناه، وشزرهم بالحاظه وأسكرهم بحميا ألفاظه، فقال: أنا الأحق بالخلافة، لما حويت من الرقة واللطافة، وقوامي شاهد عدل، ولحظي قاض بيده الفضل، كم سبى جيدي من جآذر، وكم تعد جفني من عضب باتر، إن مست بأعطافي فمن يتجاسر على خلافي، فلي الخلافة على التحقيق، ولا بدع لأني ابن أبي بكر الصديق، فمن جهل نسبي وفخري فأنا محمد بن علي البَكري. ثم تلاه آخر بجبين وضاح، ومبسم كالأقاح، ومحيا كالبدر الأتم، (٢١٥أ) وجيد يخجل الريم الأرثم[3]، بقد يعبث بالرماح الردينية[4]، ولحاظ أمضى من الصوارم السريجية، وقال: أنا ذو المحيا الزاهي الزاهر، والجبين الأبلج الباهي الباهر، والقد المياس، والحكم على جميع الناس، فرْع الدوحة

(١) الصرف هنا: الفضل.

(٢) في ب (وأستودت).

(٣) الأرثم: الذي في طرف أنفه بياض.

(٤) الرماح المنسوبة إلى ردين، وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح.

الهاشمي، وغصن الشجرة العلوية الفاطمية، فأي عالم بخلافتي لا يفتي، وأنا أبو الجمال، حسن الحرستي ثم اقتفاه آخر بعيون مراض تشق القلوب أهدابها، ويصدع الأفئدة وعيدُها وإرهابها، وحواجب مقوسة مقرونة بها جميع الناس، حزمة[1] مفتونة. وقال: أنا ذو الجفن الكاسر، والناهي الآمر، إذا غضبت سلبت الألباب، وإن لحظت أذهلت الحازم عن الصواب، تصيب حاجباي بلا وتر، وتقتل عيناي بلا وزر، فأنا الملقب بسلطان الهند، وليُّ الأمر من قبل ومن بعد، فأنا الأحق بالخلافة على الصواب، كيف وجدِّي أنا عمر بن الخطاب، فأنا الحامد الشاكر، وتم بأبي سعدي فاكرم بذي المفاخر، ثم عقبه يميس بقد رطيب، وردْف ثقيل قضيب، بعيون نعسانة، (٢١٥ب) وجفون فتانة، وأعطاف تكاد تنفصل من اللين، وثغر حوى الدر الثمين، وقال: أنا سلطان الملاح، وأنا الحاكم عليهم ولا جناح، فمن في هذا الميدان يجاريني، وأنا الغصن الميّال عبدالرحمن المنيني، فبينما هم في ميادين المجادلة وعكاظ المساجلة والمناضلة، إذ أبصرتهم يتطلعون، وأبصرتهم يستريحون، فأفرجوا فرجة في البين، واصطفوا في الحال صفين، [و] لزموا الأدب مطرقين، ونكسوا أعناقهم خاضعين، وإذا بقائل يقول: يا جميل الستر سترك، تعس من كفَر بالله وأشرك، والخطيب ختم خطبته الفاخرة بقوله : لبيك، إن العَيش عيشُ الآخرة، سبحانك ما خلقت هذا عبثا باطلا، ما هذا بشر، إنْ هذا إلاملك كريم ليس عن حكمة عاطلا، والتفتُّ فإذا بظبي غرير، وبدرٍ منير، وغصن ميال يهتز اهتزاز العسال[2]، يصيد بلحظه الأسود، ويحرق العشاق بجمرات الخدود، بوجنة تدميها خطرات النسيم، وجفن بموسى لحظه كل قلب كليم، وجبين (٢١٦أ) أبلج، وثغر أفلج، ومبْسم حوى الدرر، وخدٌّ زهر فيه ورد الخفر، وهو يتمايل تمايل القضيب، ويترنح ترنح البان فوق كثيب. وقال: الحمد لله الذي زين الثغور، بالدرر، وحسَّن الخدود بجلنار الخفر، وجمَّل العين بالكحل، وأصمى القلوب بسهام المقل، وأطلع

---

(١) حزم: شد.

(٢) العسال: الرمح، اضطرب واشتد اهتزازه.

شمس الحسن في آفاق المحيا، وأودع في الرضاب قوة الإسكار فلا يحاكيه الحميا، ونصب القلوب أغراضاً لأهداف العيون[1]، وأغمد البيض البواتر في لحاظ الجفون، والصلاة والسلام على أحسن الخلق وأجملهم[2] وأفضلهم وأكملهم، ذي المحاسن التي ما حواها مخلوق، والشمائل التي ما اتصف بها سابق ولا مسبوق، سيد الملاح على الإطلاق، وجامع أنواع الجمال بالاتفاق، جدّي الأكبر بالمعْنَيَيْن، محمد المصطفى من خير الفريقين، وعلى آله وأصحابه وجنده وأحزابه، أما بعد. فيا أيها المفتئتون على ادعاء الخلافة، والزاعمون أنكم جمعتم أصناف الرقة واللطافة، أتظنون أن أمر الخلافة سدى، وأن(٢١٦ب) الضلالة تقهر الهدى كلا! فإن للخلافة شروطاً مشروطة، وأركاناً بها منوطة مربوطة، فاي منكم ترشح لها وتأهل، وأي عليه مدار أعبائها إذا الأمر أعضل، فانا[3] المعين دون أحد، وأنا السلطان والعلم المفرد، طالما فتكت بالحاظي، وأثملت بالفاظي، فكم أسد قبضت، وكم بطل أسرت، وكم لي من قتيل وصريع وجديل، إن تبخترت كان البان في خجل، وإن لحظت كان الغزال في وجل، وإن أسفرت أزريت بالنيرين، وإن أسبلت غديرتي كان الليل في تيك (التقدرين)[4] يهتدي، يجليني إذا أشرق، ويضل بطرفي كالليل، إذا غسق، يفوق ابتسامي البرق بالشنب، ويقضي تعبيسي بالهلاك والعطب، إذا أمرت امتثلت أوامري، وإن نهيت اجتنبت زواجري، وحسبي في تعييني الخلافة، أن شاكرا أو عبد الرحمن: سلما لي بالخلافة: فكانا من أتباعي وأنصاري وأشياعي، كيف وقد حكم لي بها العالم الذي سار فضله في كل نادي، (٢١٧أ) وترنم بتحقيقه الحق كل حادي، وشاعت فضائله في كل سهل ووادي، الشيخ الجليل أبو البركات البغدادي، حيث قال:

---

(١) في ب (أهدابا لأغراض العيون).

(٢) في ب (وأجملهم) أو (أجلهم).

(٣) في ب (فإن).

(٤) كذا في ب وهي مطموسة في أ.

حسانُ دمشق الشام فاق جمالهم ... سناهم ينير البدر وسط سمائه
وسُلطان أرباب الجمال محمد ... جميع ملاح الشّام تحت لوائه

فأنا ذو المجد المفرد، والحسن الأوحد، ذو الأخلاق والشيم، أبو الأنوار الشيخ محمد بن شيخ الحرم، وقد نسبني إلى ذلك الشيخ المذكور في نظم يزري بالدر المنثور، فقال: قلبي غدا ذا ألم، ومهجتي في ضرم، والعين تجري بدم، علي بن شيخ الحرم سلطان أرباب النُهى، يسبي الجآذر والمها، كم تاه أرباب النُّهى، على ابن شيخ الحرم كم من طعين قده، ومصطلى بصده، وميت في لحده، على ابن شيخ الحرم بثغره المفلج، وخده المضرج، يهيم مفتون شج، على ابن شيخ الحرم بلحظه الفتاك، وجفنه السفاك، (٢١٧ب) جميع صب شاكي، (على ابن شيخ الحرم جبينه الوضاح، وثغره الأقاح[1]، تعتمد الملاح، على ابن شيخ الحرم حوى جميع المفخر، بجده المنيري، والله لست مفتري، على ابن شيخ الحرم خليفة المحاسن، ودمية المساكن، فكل وجد ساكن، على ابن شيخ الحرم)[2].

(فلما وعى الخطيب مقالته، قرر سلطنته، وقال: الحق أحق بالاتباع فهو الحري بالاتفاق والاجتماع، فبايعه من في)[3] ذلك المحفل المنيف حتى الخطيب السيد الشريف، لكنهم قالوا: هو سلطان علينا مادام النجاشي لم يتسلط على مملكته، وإلا فهو معزول بحكم شرع الهوى وملته، استغفر الله من التجوز في المقال، واستعيذ به من سيىء الأحوال، آمين، كتب هذه المقامة سيدنا الشيخ مصطفى اللقيمي ثم الدمياطي، وهذا الشيخ عالم فاضل بحر كامل (٢١٨أ) اسمه مصطفى ولقبه أسعد بن الشيخ العالم أحمد، واللقيمي (نسبة إلى لقيم بلدة في الطائف، ويتصل نسبه من أمه إلى خاتمة العصر علي غانم المقدسي المتصل نسبه إلى سعد بن عبادة الصحابي رضي الله عنه. أخذ الشيخ المنوّه باسمه الحديث عن

---

(١) الأقاح، جمع الأقحوان: نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان.

(٢) مطموسة في أ

(٣) مطموسة في أ.

الشيخ عبدالله بن سالم البصري، وعن الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله المغربي، وعن الشيخ تاج الدين القلعي)[1] مفتي مكة، وعن الشيخ عبدالقادر المفتي بها أيضا، وأخذ الفقه الشافعي عن الشيخ عبد الرؤوف البشبشي[2]، وعن الشيخ أحمد الملوي، وأخذ العربية والأصول عن الشيخ محمد الديري صاحب الحاشية على ابن عقيل، وعن الشيخ عبدالوهاب الملوي، وعن الشيخ علي السروجي، وله نظم رائق ونثر فائق، فمن نظمه قوله:

ولّما التقينا والحبيب بحاجر ... وقد عبقت بالطيب منه نسائمهْ
تبسم عُجْبا من حديث مدامعي ... فما برقه الساري به وغمائمه
وحين تَثَنّى وانثَنَيْت مُرْغَماً ... تَعَلّم منّا بانهُ وحَمائمه

(٢١٨ب)

غيره:

يا حُسن قُرْطٍ فوق صَفْحة خَدِّه ... يَحكيه في الإبداع والإشراق
أبداً تراه بالخفوق مولعاً ... يروي حديث فؤادي الخَفّاقِ

وله مُضمناً البيت الأخير:

في طَي مَنْشور الزمَّان حَوادثٌ ... من نَشْرِها عُمْر النُّسور قد انْطَوى
أضنى فؤاد الصَّبْ شَقَ سِهامها ... وبوقْعها سَلب التَّجلُّد والقُوى
ولَكم يُصابر والتَّصَبُّر خانه ... واللبُّ في لُجَج التَّحَير قد هَوى
قَسَما بحرّ مُصابها في مُهْجَتي ... حرّ يُرى من دونه نارُ الهَوى
لا عيشَ يَصفو لي ولا دار اللِّوى ... تَدْنو ولا قَلْبي يَقرّ من الجوَى

وله نظم كله غرر اجتمعت به مراراً كثيرة في حلب الشهباء، منحه الله النِّعم والآلاء.

---

(١) مطموسة في أ.

(٢) كذا في النسختين، ولعلها: البشيشي، بالياء المثناه.

وكتبت من حَلَب إلى دمشق الشّام[1] (٢١٩أ) ستّة كُتُبٍ، إحداها للشيخ شارح البُخاري، إسماعيل العَجلوني، وثانيها للشيخ أفقه زمانه، وأعلم أوانه، الشيخ صالح الجُنيني، وثالثها للسيد أحمد بن نُقْطة، وفيه المقامة المذكورة، ورابعها للأكرم صالح أفندي، وخامسها لسيدنا مصطفى بن بكداش، وسادسها للملا علي، تركت كتابة الكل هنا للملل، لكني صدرت كتاب المنلا علي بهذه القصيدة:

غادرت قلباً في مرابع جلق | ياليت جسمي في مرابعها بقي
غادرته حَيران عنّي نازحاً | عجباً لجسمي كيف لم يتمزق
وَيلاه قد أودى البعاد بمهجتي | تبت يداه فقد قضى بتفرق
أخفي غرامي والدموع تبينه | للعاذلين وإنني لم أنطق
ما كان في ذهني يقينا بعدهم | بل كنت بين مكذب ومُصَدق

«٢١٩ب»

قد خانني عند الوداع تصبري | بالله يا صَبري الخؤون ترفق
والله ما أربى دمشق وإنما | شَغْفي بكل ممنطق ومقرطق
من سادة يرعى الفؤاد وليدهم | مع رقة لطفت وحسن مفرق
تالله ما أنسى ليالي وصلهم | والعيش غضٌ والهنا في فيلق
ما حلت عن مسكني على لحظة | ما عشت لم يبرح إليه تشوقي
فعليه ما عاش السلام مُضوَّعا | بشذا عبيره في هواي معبق

وممن أضافنا رفيقنا في المحمل الحاج يوسف النعساني صنع لنا طعاما فاخراً، وأكرمنا إكراما باهراً، وممن أضافنا الحاج عبدالرحيم بن الشيخ خليل، جزاه الثواب الجزيل. وممن أضافنا الحاج حسن التكريتي، جزاه الله خيرا.

وممن أضافنا مِراراً عديدة، وبت في بيته، (٢٢٠أ) ولدي القلبي الشيخ الفاضل النِّحْرير

---

(١) في ب سقطت (الشام).

المتضلع من كل فن شهير، تاج الدين بلا انتقاد، الشيخ محمد بن الشيخ طه العقاد، أذاقه الله حلاوة التحقيق وسلكه أقوم طريق، [فـ] لقد خدمني خدمة حسنة، بشفقة، ورأفة، مادمت في حلب، بلغه الله ما أراد وما طلب. وقرأ على هذا العبد الغريب شرح رسالة الوضع لعصام الدين، وكان قبل ذهابي إلى مكة قد قرأ علي شرحها للمنلا علي السمرقندي، وقرأ شرح الآداب للمَنلا حنفي، فللّه درُّهُ ما أغزر علمه وما أدق فهمه، ما أقرأتُ أحداً أذكى وأضبط وأجمع منه، وفقه الله للعلم والعمل، وصانه عن الخطأ والخطل، آمين.

وممن أضافنا مرات، ولدُنا معروف بن الحاج فهد العبدلي ولم يكن من سكان حلب وإنما كان على طريق المسافرة، وكذا ولدنا[1] حمزة بن الحاج شاهين، وولدنا درويش بن رمضان، وولدنا طويسان بن غيث العبدليون، وكلهم كانوا على طريقة المسافرة، وممن أضافنا مرات، وبتنا في بيته كرات، ولدنا النجيب بن الحاج محمد الأطرش، في باب النيرب. (٢٢٠ب).

وممن أضافنا الضيافة الحسنة، ودعانا الدعوة المستحسنة، السيد الحسيب النسيب السيد أحمد الشراباتي، فلقد أضافنا في بستان الكُتّاب التي هي اليوم ملك الوزير حسين باشا القازوقجي، فانبسطنا ذلك اليوم، لا كدر ولا لوم، وكان معنا عمُّه الشيخ عبدالكريم الشراباتي، وسيدنا الشيخ محمد الطرابلسي، والشيخ طه الجبريني، والشيخ محمد الكتبي، والشيخ عبدالغني المقدسي، وكان منشدنا الشيخ علي الحلبي فـ[له] نغمة تخلب الألباب، وتزري بالعود والرباب، مع صحة الالفاظ واستقامة الإعراب، [فـ] تركت [بـ] ما أنشده في ذلك المكان الملل الذي اعتراني في هذا الزمان.

وممن أضافنا في بستان الريماوي، النجيب السعيد الحاج سليمان مولى الحاج إبراهيم بن هيكل، فبقينا ذلك اليوم بانشراح وأفراح.

وممن أضافنا الصالح الناسك الحاج محمد الصباغ الموصلي، أضافنا في بيته، ودعانا مرة أخرى

(١) في ب (والدنا).

في بستان الريماوي، إلا أن هذه الدعوة الثانية (٢٢١أ) ليست مختصة بي، وإنما هي لغيري.

واستجاز مني السيد الحسيب السيد أحمد الشراباتي بعض صلوات يقرأها كل يوم، فأجزته بهذه الصلاة: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاءً، ولحقِّه أداءً، وأعطه الوسيلة والمقام الذي وعدته، وأجزه عنا ما هو أهله، واجزهِ عنّا أفضل ما جازيت نبيا عن أمته، وصلِّ على إخوانه من النبيين والصالحين، يا أرحم الراحمين، أجزت بهذه الصلاة السيد الحسيب النسيب الأمجد السيد أحمد الشراباتي، وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه، وأمرته أن يديم قراءتها كل يوم وليلة على حسب الإمكان، لكنه يخص ليلة الجمعة ويومها بمزيد، كَتَبَهُ، الفقير أبو البركات عبدالله السويدي عفي عنه آمين.

وإلى هنا أحببنا ختم الرحلة، إذ لم يبق إلى بغداد إلا طريق البر، ولا فيه قرية (٢٢١ب) ولا أرض مشهورة موصوفة، نسأل الله أن يختم بالطاعات أعمالنا، ويبلغنا آمالنا، ويحسن بفضله أحوالنا، ويعفو عن سيئاتنا، ويؤمن روْعاتنا، ويستر عوراتنا بفضله وأمنه ومنّه، آمين، وصلى الله أشرف صلاته، وأنمى، تحياته، وأزكى بركاته على خيرته من خلقه وصفوته من عباده، سيدنا وحبيبنا أبي القاسم محمد المختار من أشرف قبيل إلى أكرم جيل، وعلى آله وأصحابه البررة الأنجاب الخيرة، وعلى من اقتفى بآثارهم وتزيّا بشعارهم، والحمد لله أولا وآخراً، وباطنا وظاهرا[١].[٢]

---

(١) في ب (ظاهرا وباطنا).

(٢) كتب ناسخ نسخة أ هنا ما يأتي (تمت هذه الرحلة الشريفة على يد .. علي بن ملا طالب البغدادي .. من صفر الخير عام تسعة [وخمسين ومائة والف] سنة ١١٥٩) وكتب ناسخ نسخة ب ما يأتي (كتبت على نسخة المؤلف ... تم هذا الكتاب في بغداد في المدرسة المرجانية ابتداء وانتهاء على يد أضعف الفقرا محمد سعيد اصلح الله شانه، كتبه لملاتنا وأستاذنا الأعلم الأفضل ملا عبد الرحمن أفندي دري زاده .. في الحجرة الفوقية التي على المصلى من الجانب الشمال في ٥ ش (شوال) سنة ١٢٤٥ يوم الاثنين في وقت الصبح).

المحتويات